مكتبة الدراسات الأدبية

٣٣

الدكتور أمين عبد المجيد بدوى

القصة فى الأدب الفارسى



دار المعارف

مكتبة الدراسات الأدبية

٣٣

القصّة في الأدب الفارسيّ

تأليف

الدكتور أمين عبد المجيد بدوي



دار المعارف

١٩٦٤

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. ع. م.

فهرست الموضوعات

	الصفحة
المقدمة	١١

الفصل الأول :

الأدب الفارسى
(ص ١٥ ــ ٥٢)

١ ــ نشأة الإيرانيين وموطنهم	١٥
٢ ــ لغة الإيرانيين	١٨
٣ ــ المعتقدات الدينية	١٩
٤ ــ الآثار الأدبية	٢٦
(ا) الأدب القديم	٢٦
أسفار الويدا	٢٨
الأبستاق	٢٩
مولد زردشت وزمانه	٢٩
أجزاء الأبستاق	٣٣
يسنا	٣٣
ويسبرد	٣٤
ونديداد	٣٤
يشتها	٣٤
خرده أوستا	٣٥
شروح الأبستاق	٣٦
الزند	٣٦
الـ « پازند »	٣٧
الـ « إپارده »	٣٨
النقوش القديمة	٣٨
(ب) الأدب الوسيط	٤٠
(ج) الأدب الحديث	٤٢

الصفحة

الفصل الثانى :

مكان القصة من الأدب الفارسى

(ص ٥٣ — ٨٥)

ا — نشأة القصة ٥٣
ب — تدوين القصة ٥٥
جـ — مكان القصة من الأدب القديم ٥٦
د — مكان القصة من الأدب الوسيط ٥٧
هـ — مكان القصة من الأدب الحديث. ٧٧

الفصل الثالث :

القصة الفارسية

(ص ٨٧ — ٩٦)

الفصل الرابع :

الملحمة الفارسية

(ص ٩٧ — ٢٢٧)

الملحمة الفارسية ٩٧
شاهنامة الفردوسى ١٠٢
أصول الشاهنامة ١٠٤
خداينامه ١٠٦
الشاهنامات المنثورة ١١٠
نظم الشاهنامة ١٢٤
نقد رواية چهار مقاله ١٢٨
عدة أبيات الشاهنامة ١٦٨
خلاصة قصة الشاهنامة ١٦٩
موضوع الشاهنامة ١٧٤
الإلياذة والأوديسة ١٧٤
عود إلى موضوع الشاهنامة ١٨٠
عصر الأبطال ١٩١

الصفحة

قصص الحب والحكايات ٢٠١
الرسائل والأحاجى والتوقيعات ٢٠٢
أشخاص الشاهنامة ٢٠٣
الملــوك ٢٠٣
الأبطال ٢٠٩
الوزراء والموابذة ٢١١
المنجمون والسحرة ٢١٢
الأطباء والعلماء والحكماء والفلاسفة ٢١٤
النساء ٢١٥
الجن ٢١٧
الحيوانات والكائنات الخرافية ٢١٨
الملائكة والشياطين ٢١٩
العقائد ٢٢١
التقاليد والعادات. ٢٢٣

الفصل الخامس :

الملاحم بعد الشاهنامة
(ص٢٢٩—٢٩٤)

١ — ويس ورامين ٢٢٩
خلاصة القصة ٢٣٠
٢ — يوسف وزليخا ٢٣٢
ناظمو القصة بعد الفردوسى ٢٣٢
القصة قبل الفردوسى ٢٣٤
موضوع القصة ٢٣٥
نظم الجامى ليوسف وزليخا ٢٥١
٣ — خاورنامه ٢٥٨
خلاصة القصة. ٢٦٠
٤ — ظفرنامة حمد الله المستوفى ٢٧٦
مثنويات ظفرنامه بالأدب الفارسى ٢٧٩

الصفحة

٥ — منطق الطير ٢٨٠
موضوع منطق الطير ٢٨١
٦ — سلامان وأبسال. ٢٨٧
موضوع سلامان وأبسال ٢٨٨
القصة فى منظومة الجامى ٢٩٢

الفصل السادس :

الحكاية الفارسية

(ص٢٩٥ — ٣٨٢)

الحكاية الفارسية ٢٩٥
الحكاية التمثيلية ٢٩٦
الحكاية التهذيبية ٣٠١
١ — كليلة ودمنة ٣٠١
أغراض الكتاب ٣٠٩
برزويه ٣٠٩
بزرجمهر ٣١١
أصل كليلة ودمنة ٣١١
أهمية ترجمة ابن المقفع. ٣١٩
كليلة ودمنة فى ثوبه الفارسى ٣٢٠
تهذيب ترجمة أبى المعالى ٣٢٤
ابن المقفع وأبو المعالى ٣٢٦
(ا) ابن المقفع ٣٢٦
(ب) أبو المعالى ٣٢٧
٢ — سندباد نامه ٣٢٨
موضوع سندباد نامه ٣٣٠
سندباد نامه وبختيار نامه ٣٣٧
٣ — مرزبان نامه ٣٣٨
روضة العقول ٣٣٩
مرزبان نامه فى صورته الحاضرة ٣٤٤

الصفحة

سبب وضع الكتاب ٣٤٥
تحقيق فى تاريخ تأليف مرزبان نامه ٣٤٦
مرزبان نامه فى التركية والعربية ٣٥٣
يوشت فريان ومرزبان نامه ٣٥٤
٤ ، ٥ — بوستان و*كلستان ٣٥٥
٦ — جوامع الحكايات ولوامع الروايات ٣٦٠
٧ — بهارستان ٣٦٣
٨ — مقامات حميدى ٣٦٥
القصة العامية والمسرحية المذهبية ٣٦٨
التعزية ٣٦٩
مراسم التعزية فى إيران ٣٧٧
التعزية فى صورتها المسرحية ٣٧٨
تاريخ ظهور التعزية فى إيران ٣٨١

الفصل السابع :

(ص ٣٨٣ — ٤١٧)

(ا) المؤثرات الخارجية فى القصة الفارسية ٣٨٣
١ — المؤثرات الدينية ٣٨٣
٢ — المؤثرات التاريخية ٣٩٤
(ب) أعلام القصة الفارسية ٣٩٧
١ — الرودكى ٣٩٧
٢ — الدقيقى ٣٩٨
٣ — الفردوسى ٤٠٠
٤ — الأسدى الطوسى ٤٠١
٥ — الفخر الجرجانى ٤٠٢
٦ — النظامى ال* كنجوى ٤٠٣
٧ — السنائى ٤٠٥
٨ — العطار ٤٠٦
٩ — جلال الدين الرومى ٤٠٩
١٠ — السعدى الشيرازى ٤١٢
١١ — عبد الرحمن الجامى ٤١٥

شرح الرموز والحروف الفارسية المستعملة فى الكتاب

١ — هـ . ش . = السنة الهجرية الشمسية وهى مساوية للسنة الميلادية فى عدد أيامها

٢ — ش . ع . = الشاهنامة المعربة (ترجمة وتلخيص البندارى)

٣ — ط . ب . = طبعة بروخيم

٤ — حرف الواو فى الكلمات :—

« اوستا — ونديداد — ويدا — چينوات — ويس ».

ينطق مثل حرف v فى الإنجليزية تقريباً .

٥ — الحرف الفارسى (پ) ينطق مثل P.

٦ — » » (چ) » » تش ch.

٧ — » » (ژ*) » » J.

٨ — » » *گ ، گ* » » الجيم فى اللهجة المصرية أو حرف g فى كلمة garden

مقدمة

هذا بحث فى القصة الفارسية اقتضانى من العمر عشر سنين قضيتها فى الدرس والاستقصاء والجمع والتدوين واستخلاص النتائج من المقدمات ، وتحقيق ما وقفت عليه مما انتهت إليه جهود غيرى فى هذا المجال .

وقصرت بحثى هذا على القصة الفارسية ذات الطابع القومى المميز لها عن سواها ، وضربت صفحاً عن التعرض للقصة المعاصره فى الأدب الفارسى لأنها — بحكم مقوماتها الفنية وأهدافها — قصة وافدة ذات طابع غربى لايقوى على إخفائه تمويه ، ولا يمكن القول بأنها فارسية لمجرد رسم خطوطها فى البيئة الإيرانية إلا إذا جاز لنا أن نسمى أبنيتنا وأزياءنا الحديثة وسائر مرافقنا ومقومات حياتنا العصرية التى قبسناها من الغرب مصرية لخلقها بأيد مصرية ومن خامات مصرية وفى أرض مصرية .

ولما كانت القصة فرعاً من الأدب العام ، فقد مهدت للموضوع فى الفصلين الأول والثانى بالحديث عن الأدب الفارسى فى عمومه ومكان القصة من هذا الأدب لنستغنى بذلك عند الخوض فى حديث قصتنا عن كثير من الشرح والاستطراد .

ورأيت — إبرازاً لقسمات ملامح القصة الفارسية — أن أقرنها بأختها الغربية ، فتحدثت فى الفصل الثالث عن كلتيهما من حيث الشكل والموضوع والهدف والمقومات والعنصر السائد وطبيعة الشخصيات ومعين القاص وجهده الفنى فى كل منهما ، وقد أرسى فى هذا الفصل — على قصره — القواعد والأركان التى قام عليها بناء ما تلاه من فصول الكتاب .

وفى ثنايا البحث فى الملحمة الفارسية وغيرها من الآثار القصصية عرضت للروايات الأدبية المختلفة والآراء المتواترة التى يتناقلها اللاحق عن السابق فى ثقة واطمئنان حتى غدت من المسلمات، فظهر لى أن أكثرها لايثبت للتحقيق التاريخى، وتبين لى كذلك أن القضايا والأحكام المدونة فى كتب تأريخ الأدب الفارسى لايمكن الركون إليها دون إعادة النظر فيها من جديد على ضوء التاريخ لتأييد ما صح منها وتكوين آراء جديدة فيها على هدى من الدراسة الموضوعية المجردة والمنهج العلمى القويم ، أما الاستناد إلى التواتر كدليل على سلامة الأحكام فمنطق لا ترتضيه غير همم ضعيفة تؤثر الدعة والخمول على متعة البحث والتمحيص .

ولا أزعم بعد هذه الدراسة الطويلة أنى قد وفيت القصة الفارسية حقها ، بل قصاراى أن أقول إنى حددت معالمها فى وضوح لايشوبه غموض ، ونفضت عن أردانها ما بصرت به من ضلالات الأخطاء الشائعة والأوهام ، ووضعت على محجة البحث فيها الصوى والأعلام ، وأعدت كتابة تاريخ الملحمة الفارسية بالغة ذروتها فى شاهنامة الفردوسى مجرداً من التناقض والاضطراب ، فجنبت الباحث بعدى فى هذه القصة الضرب فى شعاب ومتاهات قضيت فيها من عمرى سنين ، ويسرت له الوقوف منها على معالم بارزة يتخير أيها شاء موضوعاً للدرس والبحث يحقق فيه بدراسته الجزئية المفصلة ما لاتحققه الدراسة الكلية المجملة .

وقد هيأت لى دراستى فى جامعة طهران فرصة ذهبية أتاحت لى جمع مراجع ما كان يتسنى لى معرفتها أو الحصول عليها وأنا بالقاهرة ، ومكنتنى من الأخذ والتلقى عن شخصيات علمية جليلة لها مكانتها داخل الجامعة ومختلف المحافل العلمية فأفدت ما أسعفنى به استعدادى واجتهادى من فيض علمها وفضلها ، ولقيت من بالغ اهتمامها وكريم رعايتها وسديد توجيهها ما لا يستقل بيانى بشكره ، وأعانتنى حياتى فى جو القصة الفارسية ومخالطة أهلها وصداقتهم وتفهم روحهم ومشاربهم والإلمام عن كثب بعاداتهم وتقاليدهم على تقريب شقة البحث وإن دفعت بى إلى التعمق والإيغال إلى أبعد مما كنت أرجو وأقدر .

وإذا كنت قضيت عقداً من العمر القصير كادحاً فى حقل الكفاح العلمى حتى خرجت بهذه الثمرة ، فإن الفضل كل الفضل فى تذليل قطافها للباحثين

والدارسين وشداة المعرفة راجع بلا ريب إلى « دار المعارف » والقائمين بالأمر فيها، وإلى صديقي الكبير العالم الجليل الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي الذي أحسن الظن بي وقدم هذا الكتاب « لدار المعارف » .

وجدير بي في هذا المقام أن أنوه بفضل أخي الكريم وأستاذي الفاضل محمد صادق نشأت في معاونتي على حل ما كان يعترضني من مشاكل في ترجمة النصوص الفارسية ، وتفهم المصطلحات والعبارات المذهبية الشيعية في باب (التعزية) وإمدادي بما كانت تدعو إليه الحاجة أثناء البحث من مراجع جديدة .

جزاهم الله جميعاً عن العلم وأهله خير ما يجزي العاملين المخلصين ، وهدانا وسدد خطانا إلى ما ينفع ويبقى .

دكتور أمين عبد المجيد بدوي

القاهرة في غرة رجب سنة ١٣٨٣ هـ .

الموافق ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٣ م .

القصة في الأدب الفارسي

الفصل الأول

الأدب الفارسى

حينما نتحدث عن الأدب الفارسى نعنى ذلك الإنتاج الرفيع من النظم والنثر الذى ظهر فى إيران بعد فتح العرب وتغلغل اللغة العربية وشرعة القرآن فيها وامتزاج حضارة الغالب والمغلوب ووضوح المؤثرات العقلية والحضارية والشخصية الإيرانية فى هذا الإنتاج .

والحديث عن الأدب الفارسى الإسلامى وثيق الصلة بالبحث عن الأصول القديمة لهذا الأدب ، فهى بمثابة الجذور من الدوحة الباسقة لا تبدو للعين الباصرة العابرة ولكنها تضرب فى أعماق التربة السحيقة تستخلص منها العصارات الحيوية التى تسرى فى رفق وأناة متغلغلة فى دقائق الساق والأغصان والأوراق ولا يخفى علمها على ذوى البصر والدراية ، وهذا بدوره يؤدى بنا إلى الكلام عن أهل هذا الأدب ، نشأتهم وموطنهم ولغتهم وعقائدهم قبل أن نتحدث عن آثارهم الأدبية ، ولكننا لن نقصد إلى كل هذا أو بعضه قصد الباحث المتعمق بل سنمس تلك النواحى مساً هيناً رفيقاً نتحسس به الطريق إلى الموضوع الذى أرصدنا له هذا البحث ، ولن يكون ما نعرضه فى هذه المقدمة إلا بمثابة المنظر الخلفى للصورة[1] يستعين به المصور على إبراز فكرته .

١ — نشأة الإيرانيين وموطنهم

ينتمى الإيرانيون إلى الأسرة الهندية — الأوروبية ، ولا يعلم على التحقيق أين كان هؤلاء ومن أين جاءوا وإن ذهب البعض استناداً إلى قرائن وأدلة غير قطعية إلى أنهم كانوا يسكنون أرضاً ذات مناخ برى وليس فيها من الفصول الأربعة غير

---

(١) Background.

فصلين أو ثلاثة ، ويستنبط من لغتهم أنهم كانوا سكان سهول لا جبال فيها ولا أدغال ، ولكنها لم تخل كذلك من بعض أشجار شديدة الاحتمال والمقاومة .

وجمهرة الباحثين اليوم على أن هؤلاء الأقوام جاءوا من الشمال ، ويعتقد فريق منهم أن مسكنهم الأصلى لا بد أن يكون الفلوات الواسعة شمالى خراسان ، التى كانت كما يبدو لهم أكثر خصباً فى العصور القديمة منها اليوم ؛ أو فى سهول جنوب روسيا المجاورة لهذه الفلوات والمشابهة لها ولكنها أكثر منها ماء ، كما يرى آخرون أنهم كانوا يسكنون الأرض الواقعة جنوبى غربى بحر الخزر[١] .

وربما كان تكاثر عددهم مع قسوة الجو وقلة الأرزاق وضيق الأرض بهم مما اضطرهم إلى النزوح عن موطنهم القديم منتشرين فى الأراضى الأكثر خصباً واتساعاً وملاءمة لهم .

ويهمنا من بينهم بالنسبة لموضوعنا الجماعة المعروفة بالهند وإيرانيين ، التى انفصلت عن بقية الهندوربيين حوالى الألف الثالث قبل ميلاد المسيح فيما يقال ، وأطلق أفرادها على أنفسهم الآريين أى الأشراف تمييزاً لهم عن بقية الشعوب الهندية الأوروبية .

لا يعلم على وجه التحقيق أين نزل هؤلاء الآريون بعد انفصالهم عن بقية الشعوب الهندوربية ولا علة انقسامهم بدورهم إلى شعبتين هندية وإيرانية .

ذهب البعض إلى أنهم نزلوا معاً أرضاً أسموها (أئيرينه وئجه Airyana-Vaejah) أى وطن الآريين ، ثم ظهر بينهم زردشت النبى الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، ودخل فى دينه الملك « *كشتاسپ» ورجال دولته وشنوها حرباً دينية لا هوادة فيها على مخالفيهم فى العقيدة ، فاضطر فريق ممن لم يؤمنوا بزردشت ودعوته إلى الهجرة عبر جبال هندوكوش ونزلوا أرض البنجاب[٢] .

ويقول ماكس موللر Max Müller . إن الهنود والإيرانيين كانوا يعيشون معاً حول البنجاب فلما ظهر بينهم زردشت ودعاهم إلى عبادة هُرمز دون سواه اضطر هو وأتباعه إزاء صلابة مخالفيه وعنادهم إلى الهجرة غرباً ونزلوا الأرض التى عرفت

---

(١) سايكس : تاريخ إيران ترجمة فخرداعى *كيلانى ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) بور داود : إيران وهند : ص ٢ .

فيما بعد باسم إيران ، ويدلل على رأيه هذا بسند من فقه اللغة قائم على اختلاف مدلول كلمتى (ديو) و (أهورا) عند الهنود والإيرانيين فيما بعد برغم بقاء لفظيهما متفقين فى لغتى الفريقين . فـ(دوا) أو (ديوا) فى السنسكريتية إله وفى الأبستاق شيطان و (أهورا) أو (أسورا) فى الأبستاقية إله وفى السنسكريتية شيطان مع أن لفظى (دوا) و (أسورا) اسما جنس على طائفتين من أرباب الآريين قبل تفرقهم ، وهذا فى رأى موللر دليل على الخلاف المذهبى الذى أدى إلى تشتتهم وانقسامهم ، ولكن هذا الرأى لا يجد اليوم له أنصاراً[١] .

والمعروف بما يقرب من الإجماع عند المحققين أن زردشت ظهر غربى إيران وهاجر لنشر دعوته إلى المشرق وليس العكس ، وخلاصة بحوث المحققين أن الآريين انقسموا بدورهم إلى شعبتين اتجهت إحداهما إلى الشرق عابرة جبال هندوكوش ونزلت بحوض السند ومنه توغلت فى الأراضى التى تقع شمالى الدكن وجنوبى جبال الهملايا وتمتد شرقاً وغرباً بين بحرى المشرق والمغرب [٢] . وأطلقوا عليها اسم (أريا ورتا) Aria Varta أى بلاد الآريين ولكن لما كان نزولهم أول الأمر بحوض السند فقد سماهم الإيرانيون نسبة إليه (هندو) لأن السين فى السنسكريتية تقابلها الهاء فى الأبستاقية ، وعرفت بلادهم ببلاد الهند وظل هذا الاسم يطلق قديماً على شمال الهند المعروفة لنا اليوم دون جنوبها ، وقبل آريو السند هذه التسمية فعرفوا بها إلى الآن ، أما الشعبة الأخرى وهى التى قصدنا من وراء هذه المقدمة إلى التعريف بها ، فقد نزلت آسيا الوسطى على شاطىء نهر (وخشو) Vaxshu المقدس المعروف لنا اليوم باسم جيحون ، وسموا موطنهم الجديد (أئيرينه وئجه) Airyana-Vaejah أى وطن الآريين ، ومن ذلك يتضح لنا أن كلا من الفريقين بعد الارتحال احتفظ لنفسه باسم (آرى) أى الشريف وسمى البلاد التى نزلها بهذا الاسم القومى .

ويقولون إن (أئيرينه وئجه) هذه هى خوارزم المعروفة الآن باسم (خيوه)

---

(١) تاريخ أدبى إيران : جلد أول ص ٥٥ ، ٥٦ تأليف برون وترجمة على پاشا صالح « بالفارسية » .

(٢) خليج بنغالة وبحر العرب .

فى تركستان الروسية ، وهى أقدم مهد للتمدن الإيرانى القديم وفيها أسس فريق من الإيرانيين دولة قبل ظهور دولة الميديين غربى إيران فى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد[١] ثم توغل القوم بعد ذلك شيئاً فشيئاً فى نجاد وهضاب وأراض واسعة كان يسكنها أمم من أجناس مختلفة وبسطوا عليها سلطانهم وسموها باسمهم . (أئريانا) Airyana وتحور هذا الاسم فى البهلوية إلى (أران) وفى الفارسية الإسلامية إلى (إيران) .

وكانت إيران فيما مضى أكثر اتساعاً منها اليوم بل كان مدلول هذه الكلمة أحياناً يزداد اتساعاً فيشمل البلاد الخاضعة لها[٢] .

أما اسم فارس الذى عرفت به البلاد أخيراً فمأخوذ من اسم ولاية فارس موطن (قورش) العظيم وارث ميديا ومؤسس الإمبراطورية (الهخامنشية) ومهد الساسانيين الذين أعادوا للبلاد وحدتها ومجدها ، وإليها كذلك تنسب لغة البلاد وأدبها فيقال اللغة الفارسية والأدب الفارسى .

٢ ـ لغة الإيرانيين

لا بد أن الهنود الأوروبيين أو الهندوربيين كانوا يتكلمون فى موطنهم الأول لغة مشتركة لم تصلنا منها آثار مدونة نستطيع أن نجعلها أساساً للبحث والدراسة ، وكل ما يمكن قوله إن لغتهم الأولى هى اللغة الأم لتى تشعبت منها سائر اللغات الهندوربية المعروفة فى زماننا هذا ومن بين هذه اللغات لغة الآريين الموحدة التى كانوا يتكلمونها بعد انفصالهم عن سائر الشعوب الهندوربية وقبل انقسامهم بدورهم إلى شعبتين هندية وإيرانية ، وقد تفرعت هذه اللغة بعد هجرتهم إلى الهند وإيران واستقرارهم فى الأراضى الجديدة إلى ثلاث لغات هامة أولها السنسكريتية التى دون بها (الودا) كتاب الهنود المقدس فيما بعد ولغة الأبستاق والفارسية القديمة فى إيران ، وكانت اللغة الأبستاقية فيما يبدو لغة الروحانيين ورجال الدين الإيرانيين وبها دون

---

(١) پور داود : إيران وهند ، ص ٤ .

(٢) پور داود : إيران وهند ، ص ٦ .

كتابهم الأبستاق فى أيام (الهخامنشيين) كما كانت الفارسية القديمة لغة النقوش والدولة فى العصر (الهخامنشى) كذلك ، وهذا لا يعنى عدم وجود لهجات ثانوية أخرى كانت تتحدثها هذه القبائل والشعوب ، وإنما نقصر بحثنا فى حدود هذه اللهجات الأدبية التى وصلتنا بها آثار مدونة هامة ؛ ثم تطورت الفارسية القديمة بدورها إلى ما يسمى (البهلوية) وقد عرف من هذه الأخيرة لهجتان : البهلوية الشمالية التى راجت فى عهد ملوك الطوائف والبهلوية الجنوبية أو البهلوية الساسانية التى حلت تدريجيًّا محل اللهجة الأولى، فلما زالت دولة الساسانيين على يد العرب وتغلغلت العربية وانتشر الدين الإسلامى فى إيران ، تحولت البهلوية كذلك شيئاً فشيئاً إلى الفارسية الحديثة أو الفارسية الإسلامية التى دون بها الأدب الفارسى الإسلامى وأصبحت لغة العلم والكتابة بعد تحرر الإيرانيين من سيطرة العرب[١].

٣ ـ المعتقدات الدينية

كان الآريون كأسلافهم الهندوربيين يؤلهون الظواهر الطبيعية التى كانوا يعيشون تحت تأثيرها فى موطنهم القديم فما كان منها مصدراً للخير كالسماء الصافية والنور والنار والشمس والأرض والهواء والماء والرعد والبرق عبدوه وتقربوا إليه بالابتهال والقرابين والدعاء وما كان ضاراً كالظلام والقحط والجفاف أنزلوه منزلة الشياطين والأرواح الشريرة ولعنوه واستعانوا عليه بآلهة الخير ومعاونة هذه الآلهة الخيرة بطاعتها وتقديم القرابين لها لتزداد قوة وتنتصر على قوى الشر ، وهم فى ذلك على نقيض بعض الأقوام الأخرى كالترك والمغول الذين كانوا يتقربون لآلهة الشر بالعبادة والضحايا لاسترضائها ودفع مضرتها[٢] .

وأقدم آلهة الآريين وأعلاها قدراً السماء الصافية المحيطة بالعالم واسمها فى (الرج ودا) ديا اوه Dyauh ثم صار وارون Varun أو وارونا Varuna بعد ذلك .

---

(١) رضا زادة شفق : تاريخ أدبيات إيران . ص ١٥ وما بعدها .

(٢) دكتور محمد معين : مزديسنا ص ٢٦ .

وانفرد وارونا من بين آلهة الآريين بأسمى مظاهر التقديس والجلال فأضافوا إلى اسمه فى أغلب الأحيان كلمة اسورا Asura بمعنى الكبير وولى النعمة[١] وكثيراً ما كانوا يقرنون اسم (مترا) باسم وارونا فيقولون (وارونا مترا) أو (مترا وارونا). والشمس فى زعمهم عين وارونا والبرق ابنه والسطح المرئى من السماء المتلألىء بالنجوم لباسه الملكى ، وهكذا يتخذ وارونا سمة معنوية تجمع بين مظاهر القوة المادية والمعنوية ، فهو الذى يرفع السماء بغير عمد ويحفظ الأرض أن تميد ويدبر الكون ويجرى الخير فى العالم وإليه يفزعون من الآثام بالتوبة لأنه إله رحيم وجبار ذو انتقام، وكذلك اتخذوا لكل ظاهرة أخرى رباً ، فمترا مثلا رب النور وآذر رب النار وأندرا رب البرق وهكذا ؛ وأحاطوا هذه الأرباب بهالات من الأوهام والأخيلة والأساطير وتصوروا العالم مسرحاً للصراع بين قوى الخير والشر وقدموا لنا فيما تركوا من آثار صوراً شاعرية ساذجة لا تخلو من طرافة وجمال ، فالسماء فى تصور هؤلاء البدو الرعاة مرتع أخضر بهيج والسحب قطعان سائمة من البقر وأمطارها الألبان التى تغذو الأرض .

ويتخيلون الغمام الأبيض كذلك بنات السماء الحسان وزوجات الآلهة وحاملات الماء المقدس وأمهات البروق ، ويرون الأرواح النجسة التى تحول دون سقوط المطر وتسبب القحط والمجاعات لصوصاً تغير على هذه القطعان والنساء فتمحقها أو تحبسها فى غيران مظلمة أو قلاع حصينة ، وأن الغيوم السوداء التى تعرض فى الأفق على هيئة قلل الجبال أو أسوار وبروج القلاع ذات الشرفات ليست إلا محابس للسحب الماطرة ، عندئذ يتجلى (أندرا) فى سلاحه اللامع وعجلته الحربية ذات الجياد السريعة الرمادية الوردية يرافقه صديقه الدائم (وايو) Vayu — الريح العاصف فى طبقات الجو العليا — وفى إثرهما الرياح السريعة جنود أندرا وتبدأ الحرب ، فتحمل جنود الرعد (اندرا) على تلك الجبال أو القلاع فلا يغنى حراسها شيئاً ويخرون صرعى تحت ضربات حراب أندرا النارية المتوالية وتندك قلل الجبال وتنهار أسوار القلاع فتدر ألبان الأبقار وتجود بنات السماء الأرض بمائها المقدس .

جاء الآريون إيران بعقائدهم الموروثة وانتشرت معهم عبادة آلهتهم فى موطنهم

---

(١) مزديسنا : ص ٢٧ .

الجديد وكانت هذه الآلهة ذات صفات وسمات تتميز بها عن بعضها البعض وتنقسم فى جملتها إلى فريقين يطلق على أحدهما (دوا) أو (ديو) وعلى رأسه (أندرا) إله الحرب ، ويسمون الآخر (أسورا) أو (أهورا) وكبير هذا الفريق (وارونا) Varuna الذى عرف فيما بعد باسم (مزدا) أى العالم .

وقد ظهر بين عباد (أهورا) مصلح دينى كبير اسمه (زردشت) ثار على تعدد الآلهة ونادى بأهورا مزدا — الإله العالم بكل شىء — إلهاً لجميع الطوائف والأجناس وجعل « الأهورا » مجرد صفات وتجليات لذات (أهورا مزدا) وحمل على (ديو) وعبادها الذين كانوا يقدمون لها القرابين وهم يشربون عصير نبات (الهوما) المسكر ويرون فى الهوما الإله الذى يدخل المؤمنين فى حالة النشوة والجذب ؛ فلقى من قومه عنتاً وهاجر شرقاً إلى بلاط الملك « *كشتاسپ » فى بلخ وأدخل الملك ورجال بلاطه فى دينه وخاضوا فى سبيل هذا الدين الحروب ، وانتشرت عقيدة زردشت بعد ذلك فى أنحاء البلاد ، ولكن الإيرانيين حتى آخر عهد (الهخامنشيين) و (الإشكانيين) من بعدهم لم يكونوا كلهم على دين زردشت ولم تصبح الزردشتية ديناً رسمياً للدولة إلا أيام (الساسانيين)[1] ولم يمنع هذا وجود أقلية من اليهود والنصارى لا تزال فى البلاد حتى اليوم ، وقد شاب وحدانية (أهورا مزدا) بعد زردشت نوع من الشرك فأصبحت هذه الصفات والتجليات تعبد مستقلة وتقدم لها القرابين كما يبدو ذلك جلياً فى اليشتات « يشتها »[2] .

لا يتسع المجال هنا للخوض فى تفاصيل ديانة زردشت ولكننا سنذكر باختصار أهم الأصول التى تقوم عليها :

تقوم ديانة زردشت على أصول ثلاثة :

أولها : عمارة العالم ، فبناء البيت وتكوين الأسرة وكثرة النسل وزراعة الأرض وتربية الماشية والقضاء على الحيوانات المؤذية والهوام والعناية بصحة البدن والطهارة وعدم الصوم (لأنه فى رأى زردشت يؤدى إلى ضعف الإنسان فلا يستطيع العمل) أوجب الواجبات .

---

(١) دكتور محمد معين : مزديسنا وتأثير آن در أدبيات فارسى ص ٢٤ وما بعدها .

(٢) پور داود : يشتها جلد أول ودوم .

ثانيها : الثنوية ، فأهورا مزدا الإله القادر مصدر كل خير فى هذا العالم ، يقابله (أهريمن) مصدر كل شر فى الوجود وبينهما صراع دائم ينتهى بانتصار أهورا مزدا أى تغلب قوى الخير على قوى الشر .

ثالثها : تقديس العناصر الأربعة : النار والهواء والأرض والماء ، والاحتراز من كل ما يدنسها ، والزردشتيون لهذا لا يحرقون موتاهم ولا يدفنونهم ولا يلقون بالجيف والأقذار فى الماء تحاشى تدنيس هذه العناصر ، ويضعون جثث موتاهم فى أبراج مكشوفة مسورة فوق ربوة أو بأعالى الجبال بعيدة عن العمران يسمونها « دخمه » فتنوشها سباع الطير وتأتى عليها .

وقوام الأخلاق عند زردشت ثلاثة :

الفكر الطيب ، والكلم الطيب ، والعمل الطيب .

فالزردشتى المؤمن حقاً يجب أن يكون حسن الطوية لا يتكلم ولا يعمل إلا ما فيه خير الناس ، ويعتقد الزردشتيون كذلك بالبعث والثواب والعقاب والصراط والجنة والنار والأعراف وخلود الروح :

تحوم الروح عقب الوفاة فوق الجسد ثلاثة أيام تشقى فيها أو تنعم وفقاً لسيرة صاحبها فى الحياة ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وفى اليوم الرابع تهب من الجنوب ريح طيبة تتضوع بالمسك ، وتلتقى روح المؤمن عند أول الصراط (پُل چينوات) أى جسر المفارقة ، المضروب فوق جهنم ، بفتاة بيضاء الذراعين أجمل من كل ما فى الدنيا فتسألها : من أنت ؟ فتقول : أيها الشاب الطيب السريرة ، الطيب القول ، الطيب العمل! أنا وجدانك وضميرك . ثم تمضى الروح بإرشادها وهدايتها إلى حضرة (أهورا مزدا) وهنالك تستقبل بالبشر كضيفة ، أما روح الشقى فتلتقى بامرأة كريهة المنظر ولا تستطيع العبور فتهوى فى دركات البهتان وتصير أمة لأهريمن .

وجنة زردشت موقعها أقصى شرقى جبال البرز (هرا برزايتى) Haraberasaiti ويرتفع الجبل متجاوزاً النجوم إلى عالم النور اللانهائى ويصل إلى جنة أهورا مزدا فى منزل النغم وهو أم الجبال وقمته سابحة فى العزة الأبدية حيث لا ليل ولا برد ولا مرض [1].

---

(١) دكتور محمد معين : مزديسنا وتأثير آن در أدبيات فارسى ص ٢٤ وما بعدها .

نادى ملوك الساسانيين بالزردشتية ديناً رسمياً للدولة ولكنها رغم هذا لم تكن عقيدة الإيرانيين عامة فى يوم من الأيام ، بل كانت تقوم إلى جانبها وتتصارع معها عقائد شتى : فاليهودية دخلت إيران مذ حرر (قورش) اليهود من رق البابليين وخيرهم بين العودة إلى (أورشليم) أو المقام بإيران ، فهاجر بعضهم إلى إيران وخاصة خوزستان وهمدان وإصفهان ، وعلا شأنهم حتى فى بلاط الملك نفسه .

تحدثنا التوراة أن (أستير) إحدى نسائهم توجت ملكة فى قصر « أحشويروش » الذى امتد ملكه من الهند إلى كوش ، وبلغ من حظوتها عند الملك أن حملته على صلب وزيره هامان الذى دبر مذبحة لليهود فأنقذت بذلك شعبها من دمار محقق[1] .

وانتشروا أيام الدولة الساسانية فى (تاجيكستان) وسمرقند وبخارى وأفغانستان ، وتزوج (يزد* كرد) الأول (شيشين دخت) ابنة أحد رؤساء اليهود وبنى لهم معبداً كبيراً فى إصفهان .

كذلك تسربت البوذية من الهند إلى شرقى إيران فى العصر اليونانى وفشت فى كابل فى القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد ، وكان من معابدهم المشهورة معبد النوبهار الذى توهمه بعض العرب من بيوت النار ، ويقال إن الأصل السنسكريتى لهذه الكلمة : (نوه بهاره) أى الصومعة ، والبرامكة من هؤلاء البوذيين ، وكان جدهم برمك سادن النوبهار واسمه أيضاً مأخوذ من كلمة (بره مكه) السنسكريتية ومعناها الرئيس المتولى أمر الصومعة[2]

وقبل الإسلام بحوالى خمسة قرون بشر النساطرة بدينهم فى البــلاد وأسس المسيحيون لهم مركزاً دينياً فى طيسفون عاصمة بنى ساسان ، ومراكز فرعية أخرى

---

(١) سفر أستير : الإصحاحات من الثانى إلى السابع .

(٢) ا — كريستن سن : إيران درزمان ساسانيان ترجمهٔ فارسى رشيد يا سمى چاپ دوم ص ٦٠ .

ب — دكتور محمد معين : مزديسنا وتأثير آن در أدبيات فارسى . ص ٣٢٣ — ٣٢٧ .

حـ — پور داود : يشتها جلد دوم ص ٣٢ — ٣٤ .

د — برون : تاريخ أدبى إيران جلد أول : ترجمهٔ فارسى على پاشا صالح ص ٣٧٢ — ٣٧٣ .

هـ — برهان قاطع طبعة دكتور محمد معين « برمكه » ، « نوبهار » .

و — دكتور على أكبر فياض : محاضرات عن الشعر الفارسى والحضارة الإسلامية فى إيران ص ٢٧ ، ص ٨٧ .

فى مرو وخراسان وفارس وحول الخليج الفارسى ، وتمتعوا فى أول الأمر بحرية دينية وتسامح من جانب الدولة ، ولكنهم لم يسلموا من الاضطهاد عند ما كانت العلاقات بين إيران والروم تسوء لسبب ما ، لاتهامهم بالتجسس لحساب الروم شركائهم فى العقيدة ، كما كان لتعصب الموابذة دخل كبير فى هذة الاضطهادات .

على أن الزردشتيين أنفسهم كانوا ينقسمون فيما بينهم إلى طوائف ثلاث :

(ا) الزردشتيون الذين بقوا على مذهب زردشت فى صورته الأولى .

(ب) الزروانية الذين يعتقدون بأن أهورا مزدا وأهريمن ولدا زروان أى الزمان اللانهائى.

(ح) الكيومرثية الذين يقولون بأن أهريمن ليس له وجود مستقل وإنما ظهر من شك أهورا مزدا فى وجوده .

ثم ظهرت المانوية وهى مزيج من المذاهب الآرية والسامية روعى فيها الملاءمة بين المذاهب الدينية السائدة فى ذلك العصر ، فوجدت أول الأمر تعضيداً من ملوك الساسانيين ولكنها ما لبثت أن صارت هدفاً لمقاومة عنيفة مشتركة من الزردشتيين والمسيحيين على السواء ، ووقع فى أتباعها التقتيل والتشريد ، ففر من نجا منهم إلى السند ومنها إلى الصين وأوروبا حيث قاموا بنشر دعوتهم .

وفى أيام (قباد) قام (مزدك) بدعوة اشتراكية تنادى بالمساواة بين الناس جميعاً ، فاجتذب إليه العامة والدهماء وعمت فتنته البلاد إلى أن قضى عليها (أنوشيروان) بالقضاء على مزدك وشيعته .

وإلى جانب هذا ظهرت أيام (أنوشيروان) نهضة فلسفية يونانية كان لها تأثير كبير فى تكوين العقلية الإيرانية والعقائد الدينية واتسع نطاق هذه الحركة عند ورود طائفة من الحكماء البيزنطيين خرجوا من بلادهم فراراً من الاضطهاد المسيحى فراجت أفكارهم بين الطبقات المثقفة وكان (أنوشيروان) نفسه يجالس الحكماء ويتذاكر معهم فى مسائل فلسفية ودينية . وتعطينا مقدمة كتاب كليلة ودمنة المترجم فى ذلك العصر صورة قوية لبلبلة الأفكار والعقائد زمن أنوشيروان مما حدا برجل مثل برزويه الطبيب إلى العزوف عن كل هذه المذاهب المتضاربة وانتهاج طريق إنسانى مؤداه التزام الخير واجتناب الشر .

ويبدو أن رجال الدين الزردشتيين فى أواخر العصر الساسانى كانوا على جانب كبير من الانحطاط الخلقى والثقافى فلم يفيدوا من الخلاف الذى كان قائماً بين النسطوريين واليعقوبيين للتغلب على المسيحية والنهوض بأمر دينهم [١].

صمدت الزردشتية أمام كل هذه الهزات المذهبية وإن هد من بنيانها حالة الفوضى التى تفشت فى شتى نواحى الحياة أواخر العهد الساسانى ولكن بنيانها المتداعى تحت ضربات الأحداث المتوالية انهار بانهيار دولة بنى ساسان على يد العرب وتغلغل الإسلام شيئاً فشيئاً فى البلاد ، ولم يبق على الزردشتية إلا نفر قليل عاش من بقى منهم بالبلاد مع الأقليات الدينية الأخرى فى ظل المسلمين .

ولم يخل العصر الإسلامى أيضاً من ثورات ورجات مذهبية كانت تستر وراءها أغراضاً سياسية ونزعات قومية ترمى إلى القضاء على نفوذ العرب على ما هو مفصل فى كتب التاريخ الإسلامى .

ومنذ العصر السلجوقى سادت البلاد نزعة صوفية اصطبغ بها الأدب الفارسى الإسلامى صبغة قوية كما هو مشاهد ملموس عند السنائى والعطار والمولوى والسعدى والحافظ الشيرازى وغيرهم .

والمذهب الإسلامى الذى ساد البلاد أخيراً وأصبح مذهب الدولة الرسمى منذ أيام الصفويين هو مذهب الإمامية الإثنى عشرية وكان لسيادة هذا المذهب فى إيران أثره الواضح فى إيجاد أدب حزين يصور ما نزل بآل بيت النبى على يد خصومهم من أمويين وعباسيين من نوازل ونكبات وأحداث دامية تستدر العبرات .

وفى القرن التاسع عشر ظهرت البابية ثم البهائية ولها فى إيران أتباع متحمسون بين الطبقة المثقفة حتى لتعد إيران أهم مراكز هذه الدعوة فى وقتنا الحاضر .

ويمكن تلخيص أهم المذاهب المعاصرة فى إيران فيما يلى :

(ا) الإمامية الاثنا عشرية وهى مذهب الدولة الرسمى وأكثرية المسلمين الإيرانيين .

---

(١) دكتور على أكبر فياض : محاضرات عن الشعر الفارسى والحضارة الإسلامية فى إيران ص ٨٤ وما بعدها .

(ب) قلة من المسلمين السنيين وأقليات أخرى مسيحية ويهودية وبهائية وزردشتية .

ومما هو جدير بالذكر أن الزردشتية فى إيران اليوم تمثل نزعة قومية أكثر منها دينية وفيها يتمثل معتنقوها ومؤيدوها مجد إيران الغابر .

٤ ـ الآثار الأدبية

(ا) الأدب القديم :

لعل من نافلة القول أن نذكر أن الأمم لم تهتد إلى اتخاذ الحروف والكتابة الا فى عصور متأخرة نسبياً من عصور الحضارة ، ولا سبيل الى الحديث عن الآداب التى سبقت عصر التدوين حديث الواثق المطمئن ، ولكن من البديهى كذلك أن ندرك أن الإنسان لم يصل إلى اختراع الحروف واتخاذ الكتابة إلا بدافع الحاجة الملحة إلى تدوين الآثار الأدبية التى كان يعتمد فى نقلها ونشرها على الرواية والمشافهة التى لم تعد وسيلة صالحة لتسجيل تراث أجداده المتزايد على الأيام ، وأن ما دون من هذا التراث قليل من كثير ضاع قبل التدوين .

أقدم ما وصلنا من أدب (الهند وإيرانيين) مجموعتان كبيرتان من الكتب المذهبية تعرف إحداهما باسم (ودا) Veda والأخرى باسم (أوستا) Avesta أو الأبستاق ، فهما فضلا عن لونهما اللاهوتى ثبتان حافلان بالأدب الهندى الإيرانى الذى أدرك عهد التدوين وأبقت عليه أحداث الزمان .

ويبدو من تاريخ تدوين هاتين المجموعتين أن آريى الهند لم يلقوا من سكان البلاد التى نزلوها من المقاومة والعناد ما لاقاه إخوانهم فى فلوات إيران ، فسبقوهم إلى الإستقرار والتحضر وخلصوا إلى تدوين أساطيرهم ومعتقداتهم التى جاءوا بها من وطنهم القديم وزادوا عليها قصص البطولة والكفاح فى سبيل استخلاص الوطن الجديد ، فهى على هذه الصورة سجل لما أبقت عليه الأيام من أساطير ومعتقدات

الهنود والإيرانيين فى وطنهم المشترك الأول والأصل القديم لكثير مما جاء فى الأوستا أو الأبستاق فيما بعد .

فحديثنا عن (الويدا) Veda حديث عن أدب أسلاف الإيرانيين فى وطنهم الذى انحدروا منه إلى هضاب إيران وفلواتها ، ولغة الويدا كذلك لهجة من اللغة القديمة التى كان يتكلمها الإيرانيون قبل نزوح أبناء عمومتهم إلى الهند والتى ظلوا من غير شك يتحدثونها طويلا إلى أن تطورت عندهم تدريجيًّا إلى ما يسمونه لغة الأبستاق الدينية والفارسية القديمة لغة الدولة والنقوش فى عهد الهخامنشيين .

ويقول العارفون بهذه اللغات إن ما بين لغة الويدا والأبستاق من اختلافات يسيره تجعلهما فى حكم لهجتين من لغة واحدة ، إذ فيهما يتشابه الكثير من الكلمات وأسماء الأبطال الأسطوريين وتتقارب قواعد النحو والصرف وتوجد بينهما وبين الفارسية القديمة أو لغة النقوش الهخامنشية قرابة[1] .

وقد دلل (بارتولومه) Bartholoma على ما بين السنسكريتية لغة الويدا والأبستاقية من قرابة بأن اختار جملة سنسكريتية ووضع تحت كل كلمة منها ما يقابلها فى الأبستاقية وطبق عليها قواعد النحو والصرف السنسكريتية فكون بذلك جملة أبستاقية صحيحة . وكذلك اشتغل (بورنوف) Burnouf المستشرق الفرنسى بدراسة السنسكريتية ليستطيع فهم الأبستاق وتمكن بذلك من ترجمة (اليسنا) ونشرها بالفرنسية عام ١٨٣٢ م . — ١٢٤٨ ه . ويقول العلامة إبراهيم پورداود الأستاذ بجامعة طهران إنه بفضل السنسكريتية قل أن تبقى فى الأبستاق كلمة غير مفهومة وأنه إذا أعوزنا العثور على أصل كلمة فارسية قديمة أو أبستاقية فعلينا أن ننشده فى الكتابات العديده فى تلك اللغة[2] .

فإذا تجاوزنا اللغة إلى العقائد والأفكار وجدنا فيما تركه آريو الهند وإيران من آثار ، كثيراً من العقائد والأفكار والأخيلة المشتركة : فالأرض مثلاً تنقسم عندهم إلى أقاليم سبعة تفصل بينها البحار ، والناس يقسمون إلى أربع طبقات[3] ،

---

(١) ذبيح الله صفا : حماسه سرائى در إيران . الطبعة الثانية ص ٢٣ .

(٢) إبراهيم پور داود : إيران وهند . طبعة طهران مايو ١٩٥٣ م . — ١٣٧٢ ه . ص ١٥ .

٣) مقدمة برهان قاطع طبعة الدكتور محمد معين : طهران .

والنساء والرجال يتزنرون بالحزام المقدس ويرتدون الثياب البيض ، وشراب السوما المقدس عند الهنود هو شراب الهوما عند الزردشتيين ، ووجوه الشبه بين آلهة الهنود وملائكة أهورا مزدا لا تحتاج إلى تدليل ، و (يما) عند الهنود هو (جم) أحد ملوك الأساطير عند الإيرانيين ، إلى كثير غير ذلك مما لا يتسع له المجال فى بحثنا .

أسفار الويدا

يطلق الهنود كلمة (ويدا) أى المعرفة على كل تراثهم المقدس الذى ورثوه عن أولى مراحل تاريخهم القديم[1] وقد وصل إلينا من هذا التراث أربعة أسفار ضخمة أقدمها (ريگ*ويدا) Rig Veda أى معرفة الترانيم ، ويقال إنه ألف قبل ميلاد المسيح بأكثر من ألف وخمسمائة عام وثانيها (ياجور ويدا) Yajur Veda أى معرفة الصيغ الخاصة بالقرابين ، وثالثها (سامه ويدا) Sama Vedda أى معرفة الأنغام ، ورابعها (أترا ويدا) Athra Veda أى معرفة الرقى السحرية .

وهذه الأسفار تحوى طائفة كبيرة من الأساطير والأغانى والترانيم والدعوات حملها آريو الهند من موطنهم القديم وأضافوا إليها ذكريات الحروب التى خاضوها مع سكان البلاد لبناء الوطن الجديد .

واكتسبت الويدا بتقادم العهد قداسة عند الهنود فباتوا يعتقدون أنها وحى منزل من السماء ، وتبناها البراهمة وآلوا على أنفسهم صيانتها وسدانتها ؛ وقد سلمت أسفار الويدا الأربعة من الأحداث التى أودت بالجزء الأكبر من الأبستاق فيما بعد ، ولكنها بمر الأيام أصابها ما أصاب هذه من الغموض واستعصى فهمها على الأجيال المتأخرة ، فحررت الشروح على المتن واتسعت دائرتها وتعددت وتباينت ، فجمعها البراهمة بعد تصحيحها فى كتاب أسموه (براهمانا) أى قواعد الطقوس والدعاء والرقى ثم ذيلوه حوالى عام ٥٠٠ ق. م. بال (يوپانشاد) أى المحاورات السرية وهو كتاب يتضمن تأملات لاهوتية سادت ذلك العصر ، وفيه نزعات صوفية ترمى إلى طهارة القلب وصفاء النفس والتحرر من قيود العالم المادى عن طريق المعرفة . ومع كونه

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ٣ ص ٣٨ ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود .

ناسخاً لشعائر (البراهمانا) يلحق به ويعتبر متمماً له ، وهو إلى جانب هذا ذخيرة ثمينة من الشعر والقصص .

وفى (الويدا) تتعدد الآلهة وتتنوع اختصاصاتها وأعمالها ، ولكن هذا التعدد يرتقى فى (اليوپانشاد) إلى نزعة توحيدية واضحة تصل إلى ذروتها فى سفر ا (ويدانتا) Vedanta أى خاتمة الويدا ، ففى هذا الكتاب الأخير تتبلور فكرة التوحيد فى أن الله والنفس الإنسانية شىء واحد ، ، ولا يتأتى للإنسان إدراك هذة الحقيقة حتى يحطم حدود ذاته ، ويمثلون لهذه الفكرة بالهواء الحبيس فى قدح مقلوب ، يظل منفصلاً عن الهواء الخارجى وإن كان منه حتى يتحطم القدح فيزول الفاصل بينهما ويتحدان[1] .

الأبستاق « المتن الأساسى »

الأوستا أو الأبستاق فى عقيدة قدامى الفرس ومن بقى منهم على الزردشتية إلى اليوم ، وحى منزل من السماء تلقاه نبيهم زردشت من أهورا مزدا .

مولد زردشت وزمانه

و الأقوال فى مولد هذا النبى الآرى وزمانه جد متضاربة ، فيرى المستشرق (أنكيتل دوپرون) Anquetil Duperron[2] — وكذلك كان مشايعوه إلى عهد قريب — أنه ولد فى بلخ ، ولكن أغلبهم اليوم على أن مولده غربى إيران فى ولاية (آذربيجان) وفى (*كزن) — أو شيز كما يسميها العرب — على وجه التحديد ، وهذا الرأى الأخير يطابق ما ورد فى الأبستاق والكتب البهلوية ، ويذكر أكثر المؤرخين الإسلاميين كابن خرداذبة والبلاذرى وابن الفقيه والمسعودى وحمزة الإصفهانى وأبى الفداء ، أن زردشت من آذربيجان وأنه ولد فى (أرمية) أما

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة الجزء الثالث ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود ص ٣٠ ومابعدها .

(٢) دكتور محمد معين : مزديسنا وتأثير آن درادبيات فارسى ص ٦٤ وما بعدها .

الطبرى وابن الأثير وميرخواند فيذهبون إلى أن زردشت من فلسطين ومنها هاجر إلى آذربيجان ، ويقول الشهرستانى فى الملل والنحل ، إن أباه من آذربيجان وأمه من الرى ، أما صاحب (انجمن آرا) فيروى أنه ظهر فى (أردبيل) و(سبلان) وأصله من بلد بين (مراغه) و (ز*نكان) اسمها (شيز) ثم جاء إلى الرى ومنها ذهب إلى عاصمة الملكين (لهراسب) و(*كشتاسپ) ويرى(هرتسفيلد) Herzfeld أنه من أهل ولاية فارس .

فإذا أخذنا بالروايات الزردشتية والإسلامية وأقوال غالبية المستشرقين ، يكون موطن زردشت غرب إيران ، ومن هناك هاجر شرقاً إلى بلخ حيث قام بنشر دعوته .

على أن الخلاف فى زمن وجود زردشت لا يقل عن الخلاف فى مولده ، فبعض الروايات اليونانية ترده إلى آلاف السنين قبل المسيح ، فيقول (خسانتوس) Xantus إنه كان موجوداً قبل حملة (خشايارشا) الهخامنشى على اليونان بحوالى ستة آلاف سنة ، ويقول (هرمدوروس) Hermodoros إنه عاش قبل حرب طروادة بحوالى خمسة آلاف سنة أى قبل ميلاد المسيح بحوالى ستة آلاف سنة ، ويزعم (بروسوس) Brsos المؤرخ الكلدانى الذى عاش فى القرن الثالث الميلادى أن زردشت رأس سلسلة الملوك الميديين الذين حكموا كلدة من ٢٣٠٠ إلى ٢٠٠٠ ق.م. ويقول (پرفوريوس) Porphyrios المتوفى سنة ٣٠٤ م . إن زردشت أستاذ فيثاغورس ومعلمه ، وبناء على هذا يكون قد عاش فى منتصف القرن السادس قبل المسيح .

وفى (ارداى ويرا فنامه) و (زاتسپرم) وهما من الكتب البهلوية أن بعثة زردشت كانت قبل حملة الإسكندر بثلاثمائة سنة ، وفى كتاب (بندهشن) أن بعثته كانت قبل انقراض دولة (الهخامنشيين) بنحو ٢٥٨ سنة ، وكذلك يقول البيرونى فى الآثار الباقية والمسعودى فى مروج الذهب ، وعلى هذا يكون زردشت معاصرا (قوروش) و (*كشتاسب) أبا (دارا) .

فإذا تركنا هذه الأقوال المتضاربة ورجعنا إلى ما نقل إلينا من الروايات الزردشتية وجدنا الزردشتيين يقولون إن نبيهم ولد فى حدود سنة ٦٦٠ ق.م. واعتزل الناس فى سن العشرين وبعث نبيًّا فى الثلاثين من عمره أى حوالى سنة ٦٣٠ ق. م. وتلقّى الوحى فوق جبل (سبلان) قرب بحيره (أرميه) وفى سن الثانية والأربعين أدخل الملك (كى *كشتاسپ) فى دينه ، وقد قتل فى السابعة والسبعين فى بيت النار فى بلخ عند ما أغار (أرجاسپ) الطورانى عليها .

والمستشرقون يختلفون فى تحديد زمان زردشت اختلافاً كبيراً ، فـ (دى هارله) De Harlez مثلاً يرى أن تاريخ وجود زردشت قبل القرن الرابع عشر ق. م. و (إدوارد ماير) E. Mayer وأشياعه يرونه قبل القرن العاشر ق . م. و (بارتلومه) Bartholoma و (وزندونك) Wesendonck وآخرون يذهبون إلى أنه فى القرن التاسع ق. م. ويعتقد (كريستنسن) Christensen أنه فى القرن السابع و (وست) West و (جاكسون) Jackson وآخرون يرون — اعتماداً على الروايات الزردشتية — أن زمان (زردشت) بين سنتى ٦٦٠ ، ٥٨٣ ق. م. .[١]

فزمان زردشت عند اليونان يقع ما بين سنتى ٦١٠٠ ، ٥٥٠ ق. م. وعند المستشرقين بين القرن الرابع عشر والقرن السادس ق. م.

ولعل الأقرب إلى الصواب أن نأخذ من أقوال هؤلاء وأولاء بأقرب التواريخ إلى روايات الزردشتيين أنفسهم فنقول إن نبى الفرس ظهر بين القرنين السابع والسادس ق. م. وأن أقدم أجزاء الأبستاق يرجع إلى هذا التاريخ .

* * *

وتجمع الروايات على أن ما وصلنا من صحف زردشت نزر يسير مما كانت عليه .

ذكر المسعودى فى مروج الذهب[٢] أن الأبستاق كتب فى اثنى عشر ألف مجلد بالذهب، فيه وعدووعيد وأمر ونهى وغير ذلك من الشرائع والعبادات، فلم تزل الملوك تعمل بما فى هذا الكتاب إلى عهد الإسكندر وما كان من قتله لدارا بن دارا ،

---

(١) دكتور محمد معين : مزديسنا وتأثير آن درأدبيات فارسى . ص ٦٤ وما بعدها .

(٢) المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٣ هـ . جـ ١ ص ٩٩ .

فأحرق الإسكندر بعض هذا الكتاب ثم صار الملك بعد الطوائف إلى أردشير بن بابك فجمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها أستاد ، فالفرس فى هذا الوقت لا يقرأون غير هذا الكتاب.

وينقل (پلينوس) Plinius الرومانى من مؤرخى القرن الأول الميلادى عن (هرميپوس) Hermipos المؤرخ اليونانى الذى كان يعيش فى القرن الثالث قبل المسيح ، أنه قرأ مذهب الإيرانيين بدقة فى كتابهم الدينى الذى نظمه زردشت فى ألف بيت[1] .

وجاء بالشاهنامة أن فصول الأوستا « الأبستاق » البالغ عددها ألفا ومائتى فصل كانت مكتوبة على لوحة من الذهب ، ويقول (تنسر) رئيس هرابذة « هيربدان هيربد » أردشير بابكان فى كتابه إلى (جسنسفشاه) ملك طبرستان : « تعلم أن الإسكندر أحرق كتاب ديننا البالغ اثنى عشر ألف جلد بقرة فى اصطخر ؛ وكان قد بقى منه ثلث فى الصدور ، وذلك أيضاً كله قصص وأحاديث . . . إلخ»[2]

ومهما انطوت هذه الروايات على المبالغة فإنها فى مجموعها تعطينا فكرة عن ضخامة الأبستاق فى صورته القديمة الكاملة .

على أن الروايات التى انحدرت إلينا من أعصار بعيدة فى الكتب البهلوية تقول إن أبستاق الهخامنشيين كان ألف فصل تنقسم إلى واحد وعشرين كتاباً أو نسكاً ، وعند ما جمع أيام الساسانيين كان قد بقى منه ٣٤٨ فصلاً قسموها كذلك إلى واحد وعشرين نسكاً أو كتاباً ، ويحدس (وست) West العالم الإنجليزى[3] أن أبستاق الساسانيين كان يتكون من ٧٠٠ ٣٤٥ كلمة لم يبق منها اليوم غير ٨٣٠٠٠ فى الأبستاق الحالى أى أقل من ربع أبستاق الساسانيين .

وقد ذكر فى الفصلين الثامن والتاسع من كتاب (دينكرد) اسم كل نسك من

---

(١) مزديسنا ص ١٢٣ .

(٢) نص العبارة الفارسية نقلا عن كتاب تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ج ١ ص ١٩ كما يلى : « ميدانى كه إسكندر كتاب دين ما دواز ده هزار پوست * گاو بسوخت بإصطخر ، سيكى از آن در دلها مانده بود ، وآن نيز جملة قصص وأحاديث » الجزء الأول طبعة عباس إقبال . طهرا

(٣) مزديسنا ص ١٢٤ .

هذه الأنساك وخلاصة من محتوياته وعن طريق هذا الكتاب أمكن تحديد الأنساك والأجزاء المفقودة من الأبستاق الذى جمع فى العصر الساسانى ، ويقال إن الـ (*كاتها) وهى جزء من (اليسنا) أحد الكتب الأبستاقية قد بقيت للآن على ما كانت عليه أيام الساسانيين .

أجزاء الأبستاق

والأبستاق حالياً يتكون من خمسة أجزاء هى :

١ ــ يسنا ٢ ــ ويسپرد ٣ ــ ونديداد ٤ ــ يشتها ٥ ــ خرده أوستا.

وسنتحدث فى إيجاز عن كل منها :

١ ــ يسنا

اليسنا Yasna أهم أجزاء الأبستاق ومعنى هذه الكلمة العبادة والتسبيح والصلاة والعيد . وتتلى اليسنا وقت إجراء المراسم المذهبية ، وتتكون من ٧٢ فصلا كل منها يسمى با للغة الأبستاقية (هئيتى) وتلفظ اليوم (ها) أو (هات) والـ (كستى) أو الحزام المقدس الزردشتى الذى يلف حول الخاصرة فى طيات ثلاث ينسجونه من ٧٢ خيطاً على عدد فصول اليسنا .

ويقسم الپارسيون اليسنا إلى قسمين كبيرين : أولهما من الفصل الأول إلى السابع والعشرين وثانيهما يشمل بقية الفصول ، ومن بين هذه الفصول ١٧ فصلا تعرف بالـ (*كاتها)[1] وهى أقدم أجزاء الأبستاق وأكثرها قداسة .

ومعنى الـ (*كاتها) القطع المنظومة التى تتخلل النثر ، ويعتقد الزردشتيون أنها من كلام زردشت نفسه ، غير أن بعض العلماء مثل (ميه) .Mcille أثبت أن ترانيم الـ (*كاتها) ليست كلها من نظم زردشت وأن بعضها من نظم صحابته ؛ وفصول الـ (*كاتها) تتكون من ٢٣٨ قطعة عدد أبياتها ٨٩٦ بيتاً وكلماتها ٥٥٦٠ كلمة .

---

(١) جمع (*كات) .

ويقسمون الـ (*كاتها) كذلك خمسة أقسام يسمون أولها (أهنود) وثانيها (أشتود) وثالثها (سپنتمد) ورابعها (وهو خشتر) وخامسها (وهيشتواشت).

٢ ـ ويسپرد

ويسپرد معناها (كل السراة)[١] وهو ليس كتاباً مستقلاً بذاته بل يمكن القول بأنه من ملحقات اليسنا ولا يتلى فى المراسم المذهبية بغيرها، وكل فصل من فصوله يسمى (كرده) ولا يعلم عدد فصوله على التحقيق ولكن (شپيكل*) يقسمه إلى ٢٧ (كرده) أو فصلاً و (وستر* كارد) يقسمه إلى ٢٣ فصلاً وطبعة (كجرات) فى (بمبى) تقسمه إلى ٢٥ فصلاً.

٣ ـ وندیداد

وندیداد معناها (قانون ضد الشياطين) وهذا الكتاب لا يتلى فى المراسم الدينية وعدد فصوله ٢٢ فصلا كل منها يسمى (فركرد) وكل (فركرد) منها فى جميع النسخ الخطية له رقم معين.

والفصل الأول من (الونديداد) فى خلق الأرض والأقاليم والثانى أسطورة (جم) أو (يمه) والثالث فى الصحة والمرض وأغلب الفصول حتى الحادى والعشرين فى القوانين المذهبية والأحكام الدينية كالقسم وحفظ العهود ونقضها والنظافة والغسل والتطهر وغيرها، أما الفصل الثانى والعشرون فعن جلب (أهريمن) ٩٩٩٩٩ مرضاً وإيجاد الرسول الإلهى (پيك إيزدى) ٩٩٩٩٩ علاجاً لها.

٤ ـ يشتها[٢]

كلمة (يشت) معناها العبادة والزمزمة على الطعام والتسبيح، وقد كانت (اليشتات) نظماً ثم بتوالى الأيام تداخلت الشروح فى المتون فاختلط نظمها بنثر

---

(١) ترجمة (همه سروران) مزديسنا ص ١٢٨.

(٢) جمع (يشت).

شروحها فاضطربت أوزانها ، والموجود الآن من (اليشتات واحد وعشرون (يشتا) بعضها قصير وبعضها مطول ، ولكل من هذه (اليشتات) اسم خاص ، فأولها باسم (هرمزد) والبقية بأسماءملائكتهوأعوانه ، مثل (خرداد يشت)و(مهريشت).إلخ .

فهى تسابيح للخالق وملائكته ، ويذكر البيرونى فى كتابه (الجماهر) [١] أنه كان للملوك الساسانيين سبحة من الدر الثمين عدد حباتها واحد وعشرون بعدد (اليشتات) وكانوا يسمونها (نسك شماره) أى عدد الأنساك لأنها بعدد كتبهم المعروفة بالأبستاق .

٥ ــ خرده اوستا

أى الأبستاق الصغير أو مختصر الأبستاق ، وقد ألف هذا الكتاب (آ ذربد مهر اسپند) رئيس الموابذة « موبدان موبد » زمان (شاپور الثانى) «٣١٠ ــ ٣٧٩م» .
وهو كتاب للصلاة والأدعية الخاصة بكل وقت من اليوم ، والأيام المباركة من الشهر ، والأعياد الدينية فى العام ، والمراسم الأخرى وأوقات الصحة والمرض التى تعرض فى الحياة ، وفصول هذا الكتاب وأدعيته مستخرجة من الأبستاق الكبير مع إدخال تعديل فى أول وآخر كل منها يلائم الصلاة والدعاء فى كل مناسبة ، وقد زيد عدد هذه الأدعية فيما بعد . وليس الأبستاق الصغير كله مكتوباً باللغة الأبستاقية بل إن قسماً مهمًّا منه كتب بلغة الـ (پازند) فى عصور متأخرة ، ومن هذا الكتاب قسم يسمى (سيروزه) أى ذا الثلاثين يوماً والـ (سيروزه) بدوره ينقسم إلى قسمين : الـ (سيروزه) الكبير والـ (سيروزه) الصغير ، وكل قطعة من الـ (سيروزه) خاصة بواحد من ملائكة أيام الشهر الثلاثين ، ويتلى كل منها فى اليوم الخاص به [٢] .

---

(١) مزديسنا ص ١٣١ . والعنوان الكامل لهذا الكتاب هو : (الجماهر فى معرفة الجواهر) وفيه يتكلم البيرونى عن المعادن الثمينة والأحجار الكريمة وقد نشرت مجلة الدراسات الأدبية التى تصدرها الجامعة اللبنانية فى العددين الثانى والثالث الصادرين فى مجلد واحد عام ١٩٥٩ مقالا للدكتور محمد يحيى الهاشمى عن المصادر الفارسية لهذا الكتاب .

(٢) مزديسنا ص ١٣٢ .

شروح الأبستاق

بتوالى الأيام أصبحت متون الأبستاق من الغموض بحيث احتاجت إلى شرح وتوضيح ، ولم يكن فى مقدور كل زردشتى فهم كتاب دينه المقدس ، فوضعت له شروح وتفاسير مختلفة كتب بعضها قديماً باللغة الأبستاقية فاختلطت بالمتن واشتبهت على قراء الأبستاق فخيل إليهم أن الشرح عين المتن ، ثم ترجمت هذه الشروح التى تداخلت فى المتن فأخلت بنظمه وأفسدته إلى البهلوية ، واحتاجت الشروح البهلوية كذلك إلى شروح أخرى وتفسير ، فتكونت بمرور الأيام مجموعة كبيرة من كتب التفسير عرفت بالـ (زند) و الـ (پازند) والـ (إيارده) وفيما يلى موجز عن كل منها .

١ ــ الزند

الزند هو الشرح الأول للأبستاق ، وقد شرع فى كتابته بالبهلوية منذ أواخر العصر الإشكانى عند ما بدئ بجمع الأبستاق وتدوينه من جديد فى عهد (بلاش) الأول « ٥١ ــ ٧٨ م. » على الأرجح ، واستمر تدوين الشروح بالبهلوية إلى أواخر عهد بنى ساسان وخاصة أيام قباد ومزدك « ٤٩٠ ــ ٥٣١ م. » .

كتب الزند أولاً بالبهلوية الشمالية أو البهلوية الأشكانية ، ثم نقل بعد هذا إلى البهلوية الجنوبية أو البهلوية الساسانية التى حلت تدريجياً محل الأولى فيما بعد . والزند الموجود الآن مكتوب بالبهلوية الجنوبية ، وهو مكون من ١٤١٠٠٠ كلمة أكثرها تفصيلاً تفسير الونديداد وعدد كلماته ٤٨٠٠٠ كلمة وتفسير اليسنا وكلماته ٣٩٠٠٠ كلمة .

والزند ترجمة حرفية للأبستاق مختلطة بالمتن حتى لتأتى الكلمة البهلوية وإلى جانبها الكلمة الأبستاقية دون مراعاة لقواعد النحو الأبستاقى[1] ، ويعتقد الزردشتيون أن الزند والأبستاق كليهما نزلا من السماء ، وكثيراً ما يخلط القدامى بينهما ، فالأسدى فى (لغت فرس) يقول : (وستا تفسير زندست وزند صحف إبراهيم بود) أى :

---

(١) مزديسنا ص ١٣٧ .

الأبستاق تفسير الزند وكان الزند صحف إبراهيم . ويقول صاحب (برهان قاطع) : (زند بفتح أول وسكون ثانى ودال أبجد ، نام كتابيست كه إبراهيم زردشت دعوى ميكرد از آسمان براى من نازل شده است ، وبعضى *كويند نام صحف إبراهيم است) ومعنى هذا : الزند بفتح الأول وسكون الثانى ودال أبجد كتاب كان إبراهيم زردشت يدعى أنه نزل عليه من السماء ، ويقول البعض إنه اسم صحف إبراهيم .

والمسعودى مع تحريف للألفاظ أقربهم للصواب حيث يقول : (ثم عمل زرادشت تفسيراً عند عجزهم عن فهمه « أى الأبستاق » وسموا التفسير زيدا « زند »)[1]

ونجد فى كتب المستشرقين وكتب الأدب الفارسى شواهد كثيرة على هذا التخليط والاضطراب فى مفهوم الأبستاق والزند ذكر الدكتور محمد معين أمثلة عديدة منها فى كتابه مزد يسنا ص ١٣٩ وما بعدها.

٢ ــ البازند

البازند تفسير الزند وهو تفسير كتب بالبهلوية بعد تجريدها مما يسمونه (هزوارش) أى الكلمات الآرامية التى كانت تكتب بلفظها الآرامى وتقرأ بمعناها البهلوى ، وقد ظهرت لغة البازند بعد الفتح العربى حوالى القرنين الثانى والثالث ، وهى بهذا الوضع خطوة انتقال أو حلقة تطور بين البهلوية الساسانية والفارسية الإسلامية ، فقد جردت البهلوية من تلك الكلمات الآرامية ووضع مكانها ألفاظ فارسية ، وقد أشار المسعودى إلى هذا فقال : (ثم عمل للتفسير تفسيراً وسماه بازيد « بازند »)[2] .

ولغة البازند متأثرة بالفارسية الإسلامية لحد ما ، وكانت تكتب حيناً بالخط الأبستاقى وحيناً بالخط البهلوى ، وما كتب منها بالخط البهلوى قليل الأهمية ، لأن الكلمات الغريبة المكتوبة بهذا الخط لا يمكن قراءتها بلفظها الصحيح وذلك لأن الحروف البهلوية خالية من حروف الحركة بعكس الحروف الأبستاقية ، ويوجد الآن من الآثار المدونة بلغة البازند تفسير قطع من الأبستاق وأدعية ورسائل وكتب كثيرة أخرى .

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٨ .

(٢) مروج الذهب جزء ١ : ص ٩٩ المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٣ هـ . — ١٨٨٥ م .

وفى الكتب والمعاجم كذلك أخطاء ولبس فى مفهوم الپازند على ما هو مفصل فى كتاب (مزديسنا) ص ١٤٣ وما بعدها .

٣ ـ إياردە

(إياردە) بكسر الأول وفتح الراء وكسرها وفتح الدال ، أو (ياردە) كما وردت فى مروج الذهب والتنبيه والإشراف للمسعودى ، شرح شروح الأبستاق ، فالشرح الأول للأبستاق ـ كما قدمنا يسمى (زند) وشرح الزند يسمى (پازند) والإياردە شرح الپازند ، فهو شرح لشرح الشرح أو تفسير لتفسير التفسير ، ويقول المسعودى : (ثم عمل زرادشت تفسيراً عند عجزهم عن فهمه « أى الأبستاق » وسموا التفسير زيدا ثم عمل للتفسير تفسيراً وسماه بازيد ثم عمل علماؤهم بعد وفاة زرادشت تفسيراً لتفسير التفسير وشرحاً لسائر ما ذكرنا وسموا هذا التفسير ياردە)[1].

ويستخلص من عبارة المسعودى أن الـ (إياردە) شرح للپازند وسائر الشروح الأخرى أو بتعبير آخر ، أوضح التفاسير للأبستاق .

النقوش القديمة

إلى جانب الأبستاق الذى كتب بالأبستاقية لغة الروحانيين والكتب المقدسة ، أبقت يد الزمان على طائفة أخرى من النصوص نقشت على الصخور باللغة الفارسية القديمة التى كانت تعيش جنباً إلى جنب مع أختها الأبستاقية ، ويتكلمها الملوك الهخامنشيون وعمالهم ورجال بلاطهم ، وبرغم أن هذه النصوص فى جملتها عبارات ديوانية تسجل أنساب الملوك وأعمالهم وشاراتهم وتتخذ طابعاً تاريخياً فإن المدقق فى نقوشها التى حفرت بالخط المسمارى على صخور (بيستون) و (الوند) و (اصطخر) و (الشوش) وآسيا الصغرى ومصر ، ولا تزيد كلماتها فيما يقال على أربعمائة كلمة أصلية ، لا يعدم بينها عبارات ذات مسحة أدبية روحية تعبر عن إيمان

---

(١) مروج الذهب جـ ١ ص ٩٩ . المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٣ هـ . ـ ١٨٨٥ م .

الإنسان رغم جبروته بالقدرة المهيمنة على هذا العالم ، وإحساسه بالعجز والافتقار إليها ، وتمجيده لخالقه ، ونورد فيما يلى عبارتين لدارا نقشت أولاهما على صفحة جبل (بيستون) وكتبت الأخرى على حجر بتخت جمشيد ، ١ — (يقول الملك داريوش: إن هذه الأريكة الملكية التى انتزعها « *كئوماتاى » المجوسى من قمبيز كانت من زمن قديم فى أسرتنا ، لقد انتزع « *كئوماتاى » المجوسى فارس وميديا والولايات الأخرى من قمبيز واستأثر بها وصار ملكاً .

يقول الملك دارا لم يظهر أحد من فارس وميديا أو من أسرتنا يسترد عرش المملكة من « *كئوماتاى » المجوسى ، كان الناس يخشونه لأنه قتل كثيراً من الناس الذين كانوا يعرفونه من قبل ، كان يقتلهم حتى لا يعرفوه ويعلموا أنه ليس « برديا » بن «قوروش» لم يكن أحد قط ليجترىء أن يقول شيئاً عن « *كئوماتاى » المجوسى حتى أتيت أنا ، طلبت العون من « أهورا مزدا » فأعاننى ، فى العاشر من شهر « باكياديش» قتلت أنا ونفر معى هذا الا « *كئوماتاى » المجوسى والذين كانوا على رأس أعوانه .

فى ميديا قلعة تسمى « سى‌كت هثوواتيش » Cikathauvatish فى قسم « نساى » ، هنالك قتلته واستردت المملكة ، وبفضل « اهورا مزدا » صرت ملكاً ، لقد وهبنى « اهورا مزدا » الملك)[١] .

٢ — (إنه للإله العظيم « أهورا مزدا » الذى خلق هذه الأرض ، الذى خلق تلك السماء ، الذى خلق الإنسان ، الذى خلق الهناء والسرور من أجل الناس ، الذى جعل « داريوش » ملكاً ونصبه حاكماً مطلقاً ومشرعاً فردا لكثير من أفراد البشر)[٢] .

---

(١) برون : تاريخ أدبى إيران : ترجمه ، فارسى وتحشيه وتعليق على پاشا صالح ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(ب) الأدب الوسيط

أهم الآثار الأدبية فى الأدب الوسيط ونعنى به الأدب البهلوى هى تلك الكتب الدينية المختلفة التى كتبت باللغة البهلوية أو الفارسية الوسيطة كما يسميها البعض ، وبعض هذه الكتب ترجمة بهلوية لمتون الأبستاق وبعضها شروح وتفاسير لهذه المتون عرفت بالزند والپازند والإيارده ، وقد سبق الكلام عنها عند الحديث عن شروح الأبستاق ، ومن أشهر الكتب الدينية غير ما ذكر كتاب (دينكرت) يعنى أعمال الدين ، ويحوى بحوثاً فى العقائد والآداب والطقوس والأحكام والأوامر والقصص الزردشتية ، وكتاب (بندهشن) أى الخلق ، وفيه يدور الحديث عن خلق (أهورا مزدا) وتمرد (أهريمن) عليه وخلق الخلائق وأوصافها ، فهو أشبه شيء بسفر التكوين فى التوراة ، وكتاب (مينيوى خرد) Mainyo i Xard أو (ياماينك* خرد) ومعناها أفكار الروح الصغير ويحتوى على أسطورة إجابة الروح على اثنين وستين سؤالا تتعلق بمذهب زردشت ، وكتاب (آردا ويرافنامه) وهو كتاب يصور جنة وجحيم الزردشتيين كما يصور الهرج والمرج المادى والمذهبى الذى ساد إيران إثر حملة الإسكندر والنهضة القومية والدينية فى القرن الثالث الميلادى أيام الساسانيين ويجسم العقائد الزردشتية فى الحياة الأخرى ويعطينا صورة لصراط زردشت (پل چينوَت) Pole Chinvat لا تخلو من شبه بصورة الصراط عند المسلمين وقد سبق شرح ذلك عند الحديث عن ديانةز ردشت ، وكتاب (جاماسپ نامك*) ويشتمل على جانب هام من الأساطير والقصص الخرافى عن ملوك إيران الأسطوريين إلى غير ذلك مما يطول شرحه ؛ ويقول (كريستنسن)[1] : إن كل الكتب الزردشتية الدينية المحضة الباقية باللغة البهلوية تقريباً ، قد ألفت وصنفت فى القرون التالية لانقراض الدولة الساسانية ، وقد بذل علماء الدين الزردشتيون فى القرن التاسع الميلادى (الثالث الهجرى) خاصة نشاطاً بالغاً فى تحرير الكتب .

أما الآثار البهلوية غير الدينية فمن أهمها (خداى نامك*) أو كتاب الملوك وهو

---

(١) كريستنسن : إيران در زمان ساسانيان : ترجمهٔ رشيد ياسمى چاپ دوم ص ٧٤ .

المصدر الأول للشاهنامات التى نظمها الفردوسى وغيره من شعراء الملاحم فى العصر الإسلامى ، وكتاب (ياد*كار زرير) أو (إياتكار) زريران ويسمى كذلك (شاهنامه* كشتاسپ) و (شاهنامه پهلوى) أى شاهنامة *كشتاسپ والشاهنامة البهلوية ، وكتاب (داستان خسرو كواتان وپيشخدمت وى) أى قصة كسرى بن قباد وخادمه ، و (كارنامك* أرتخشتر بابكان) أى كتاب أعمال أردشير بن بابك ، إلى كثير غير هذا مما ورد ذكره فى الكتب الإسلامية وخاصة (الأخبار الطوال) لأبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى المتوفى عام ٢٨١ أو ٢٩٠ هـ . (٨٩٤ ، ٩٠٢ م.) و (الفهرست) لأبى الفرج محمد بن إسحق البغدادى المشهور بابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ هـ . (١٠٠٤ م.) .

ويقسم (وست) West وهو أكبر مرجع فى الأدب البهلوى — كما يقول برون[١] — الآثار الأدبية البهلوية إلى ثلاث طبقات :

١ — تراجم بهلوية لمتون الأبستاق وهى عبارة عن (٢٧) سبعة وعشرين كتاباً أو رسالة ومجموع كلماتها فى حدود ١٤١٠٠٠ كلمة .

٢ — متون بهلوية فى موضوعات دينية وتشمل خمسة وخمسين كتاباً أو رسالة وكلماتها ٤٤٦٠٠٠ كلمة غير التفاسير والأدعية والروايات والنصائح والأوامر والنواهى والأوراد والأذكار وأمثالها.

٣ — متون بهلوية غير دينية وعددها أحد عشر وكلماتها ٤١٠٠٠ كلمة .

وظاهر من تحديد (وست) West لعدد هذه الآثار وكلماتها أنه يعنى الآثار البهلوية الباقية إلى يومنا هذا ، وإلا فالآثار التى ورد ذكرها أو نقلت إلينا نبذ من ترجماتها العربية فى الكتب الإسلامية تفوق تقدير (وست) بكثير.

ويعلل (برون) Browne ضياع أكثر الكتب البهلوية غير المذهبية بعدم عناية الموابذة[٢] بغير الشئون الدينية ، ولكن ضياع كثير من التراجم العربية للآثار البهلوية يدعونا إلى كثير من الحيطة والتردد فى الأخذ بتعليل (برون) على إطلاقه ،

(١) تاريخ أدبى إيران ، جلد أول : ترجمه وتحشيه وتعليق على پاشا صالح ص ١٥٨ .

(٢) رجال الدين الزردشتى .

وكل ما نستطيع قوله هو أن عدم عناية هؤلاء الموابذة كانت من جملة الأسباب التي أدت إلى ضياع هذه الآثار البهلوية كما ضاع كثير غيرها من الآثار غير البهلوية .

وجدير بالملاحظة أن الأدب البهلوى وتدوين الآثار الأدبية بالبهلوية استمر عدة قرون بعد انقراض دولة الساسانيين ، فكتاب (دينكرت) السابق الإشارة إليه مثلاً كتب فى القرن التاسع الميلادى أى الثالث الهجرى ، وكما أن الأدب القديم أو الأدب الأبستاقى كان معيناً ذاخراً استمد منه الأدب البهلوى ، كذلك كان الأدب الأخير نبعاً فياضاً ارتوى منه الأدب الحديث أو الأدب الفارسى الإسلامى ، فكان مادة غزيرة للشعر القصصى والحكايات والحكم حفلت بها كتب الفرس والعرب على السواء إلى جانب ما ذخرت به من آثار إسلامية [١] .

(حـ) الأدب الحديث

ونعنى به الأدب الفارسى الإسلامى الذى كتب بالفارسية الحديثة المتطورة عن البهلوية ، ومن أبرز خصائص هذه اللغة اتخاذ الحروف العربية ودخول كثير من الكلمات العربية فيها ، هذا فضلاً عن كلمات أخرى آرامية ويونانية ولاتينية دخلتها معربة أو من لغاتها الأصلية عن غير طريق العرب [٢] ، وألفاظ مغولية وتركية ، ولكن سائر الكلمات الدخيلة من حيث عددها تتضاءل أمام كثرة الألفاظ العربية التى تربو على نصف ألفاظ هذه اللغة وتتزايد مع مرور الأيام ، ويجنح الذوق الفارسى إلى تفضيل أكثرها على مرادفاتها الفارسية .

بدأ هذا الأدب الحديث تقليداً لأدب العرب فكانت بواكيره الأولى أبياتاً تعزى إلى هذا أو ذاك على أنها أول شعر فارسى قيل .

---

(١) اعتمدنا فيما كتبناه عن الكتب البهلوية فى هذا الفصل على ما استخلصناه من المراجع الثلاثة التالية :

ا — مزديسنا للدكتور محمد معين ، ب — حماسه سرائى در إيران للدكتور ذبيح الله صفا ، جـ — تاريخ أدبى إيران جلد أول تأليف برون Browne ترجمه وتحشيه وتعليق على پاشاصالح بالفارسية .

(٢) تاريخ أدبيات إيران ، تأليف دكتور رضا زاده شفق طبعة ١٣٢١ هـ . ش . (١٩٤٢ م) ص ٣٣ وما بعدها .

فالمستشرق الدانمركى (كريستنسن) Ghristensen مثلا يذهب إلى أن أول شعر فارسى وصلنا شعر ساذج وجده فى تاريخ الطبرى ثم فى كتب أخرى ينسب إلى يزيد بن مفرغ الحميرى ويرجع تاريخه إلى أواسط المائة الأولى للهجرة ونصه :

آب است ونبيذ است   عصارات زبيب است

سميه روسپيد است

أى : ماء ونبيذ ، عصارات زبيب

سمية بيضاء الوجه (١)

وفى تاريخ سيستان ص ٢٠٨ وما بعدها تحت عنوان :

(رفتن يعقوب بهراة و*كرفتن هرى) أى : ذهاب يعقوب إلى هراة واستيلائه على هرى ، يذكر مؤلف الكتاب أن يعقوب بن الليث مدح بشعر عربى من جملته :

قد أكرم الله أهل المصر والبلد

بملك يعقوب ذي الأفضال والعدد

فلم يفهمه وقال : لم يقال لى ما لا أفهم ؟ فشرع كاتبه محمد بن وصيف فى نظم أول شعر فارسى ولم يسبقه إلى ذلك أحد ومطلعه :

أى اميري كه اميران جهان خاصه وعام

بنده وچاكر ومولاى وسـ*كبند وغلام

ومعناه :

أيها الأمير الذى أمراء العالم من خاص وعام

عبيده وخدمه ومواليه وكلابوه ٢ وغلمانه

* * *

وقفى على أثره (بسام كرد) الخارجى ، وقد ظهر أمر الصفاريين كما هو معروف فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى .

---

(١) دكتور على أكبر فياض : محاضرات عن الشعر الفارسى والحضارة الإسلامية فى إيران ص ٤ وما بعدها .

(٢) حراس كلابه أو مروضو كلابه أو القائمون على أمر كلابه .

على أن أصحاب التذاكر [1] كذلك يحدثوننا عن شعر فارسي منسوب إلى أبي حفص السغدى الذى كان يعيش فى القرن الأول الهجرى ، وشعر آخر فى مدح المأمون عام ١٩٣ هـ . (٨٠٨ م.) منسوب إلى عباس المروزى وكل يدعى أنه أول شعر فارسي قيل ، إلى غير ذلك من روايات لا يمكن التعويل عليها ، وكل ما يمكن قوله : إن الفرس فى بداية نهضتهم الأدبية كانوا يحاكون شعراء العرب ويتخذون من شعرهم مشقا لهم ينسجون على منواله ، وأن هذه الأشعار المذكورة إن صحت نسبتها لا تعدو أن تكون نتفاً أبقت عليها الأيام من شعر كثير مثلها ضاع ، قد يكون نظم قبلها ولم نقف له ولا لقائليه على خبر ؛ ولسنا هنا فى صدد بحث مفصل عن نشأة الشعر والنثر الفارسيين ، وإنما نتحدث عن بواكيرهما وكلياتهما فى إيجاز لا يخرج بنا عن حدود هذه المقدمة .

إذا عدينا عن بواكير الأدب الفارسي وبشائره أيام الطاهريين والصفاريين ، وجدنا (بخارى) حاضرة السامانيين « ٢٦١ : ٣٨٩ هـ . — ٨٧٤ : ٩٩٨ م. » قد أصبحت مركزاً أدبياً حافلاً بالفقهاء والأدباء والكتاب ، كما اشتهرت سمرقند فى تلك الأيام بالعلم والأدب ، وأن أساس النظم والنثر فى الأدب الفارسي قد أرسيت قواعده فى ذلك العصر.

فى تلك الحقبة ظهرت أشعار (الرودكى) أبى الشعر الفارسي وناظم كليلة ودمنة ، وكتب تاريخ البلعمى أو الترجمة الفارسية لتاريخ الطبرى وترجم تفسير الطبرى كذلك إلى الفارسية ، وظهر (الدقيقى) أول من شرع فى نظم الشاهنامة التى أتمها (الفردوسى) فيما بعد ، وعرف الشاعر الحكيم (أبو شكور) البلخى صاحب البيت المشهور :

تا بدانجا رسيد دانش من
كه بدانم همى كه نادانم

أى : لقد بلغ علمى أن أعرف أنى جاهل .

* * *

(١) التراجم : ويوجد بالفارسية كتاب « تذكرة الشعراء » وكتاب « تذكرة الأولياء » وهما من كتب التراجم أولهما عن الشعراء وثانيهما عن المتصوفة .

والكاتب الشاعر (أبو المؤيد) البلخى الذى كتب الشاهنامة نثرا قبل أن ينظمها الفردوسى وورد ذكر شاهنامته فى كتاب (قابوسنامه) [١] ونظم قصة يوسف وزليخا قبل الفردوسى كذلك ؛ وفى هذا العصر أيضاً جمعت الشاهنامة التى كانت الأساس الذى اعتمد عليه الفردوسى فى نظم ملحمته ، بهمة أبى منصور المعمرى وزير أبى منصور عبد الرزاق وكتبت مقدمتها المشهورة فى كتب الأدب الفارسى .

ونافست غزنة بخارى وعلا شأنها كمركز أدبى بظهور أمر الغزنويين آل سبكتكين « ٣٦٧ — ٤٣٣ هـ . » [٢] وخاصة فى عصر محمود الغزنوى فاجتذبت إليها جمهرة أهل الفضل والأدب من شعراء وكتاب وعلماء ازدان بهم بلاط محمود « ٣٨٩ — ٤٢١ هـ . » [٣] صاحب الفتوحات المشهورة فى الهند التى جلبت عليه ثراء عريضاً ساعد على أن يكون عصره أزهى عصور ملوك الغزنويين وأحفلها بأهل الفضل والأدب .

نرى فى بلاط محمود (العنصرى) أبا القاسم حسن بن أحمد الملقب بملك الشعراء والذى بلغ من ثرائه أن اتخذ أدوات مائدته من الذهب لكثرة ما نال من صلات محمود وخلفائه والأمراء الغزنويين وقد أثر عن هذا الشاعر قصائد فى مدح الغزنويين وخاصة محمود ، كما ينسب إليه ثلاث منظومات قصصية مفقودة هى : « وامق وعذراء » و « شادبهر وعين الحياة » و « سُرْخ بُتْ وخنك بت » أى الصنم الأحمر والصنم السعيد [٤]

---

(١) ألف هذا الكتاب بين سنتى ٤٥٧ ، ٤٦٢ هـ . (١٠٢٤ ، ١٠٢٩ م .) الأمير الزيارى عنصر المعالى كيكاوس بن إسكندر بن قابوس بن وشمكير وقدمه لابنه كيلانشاه ، وقد كتبت عنه بحثاً بالفارسية حصلت به على درجة الدكتوراه من كلية آداب جامعة طهران سنة ١٩٥٦ م (١٣٧٦ هـ .) وقمت بطبع هذا البحث وطبع متن قابوسنامه بعد تصحيحه والتعليق عليه والتقديم له بطهران فى نفس السنة كما قمت بترجمة الكتاب إلى العربية بالاشتراك مع الأستاذ محمد صادق نشأت وطبعت الترجمة مع التمهيد لها بملخص البحث الفارسى بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م . (١٣٧٨ هـ .) ونشرتها مكتبة الأنجلو المصرية .

(٢) (٩٧٧ — ١٠٤١ م .)

(٣) (٩٩٨ — ١٠٣٠ م .)

(٤) الدكتور على أكبر فياض : محاضرات عن الشعر الفارسى والحضارة الإسلامية فى إيران ص ٢٧

وكذلك نرى شعراء آخرين معاصرين للعنصري كالعسجدى والغضائرى والفرخى ، ولكن كوكب هذا العصر بلا تردد هو الفردوسى ناظم كتاب الملوك ومخلد أمجاد الفرس .

كذلك ازدهرت فى هذا العصر نهضة أدبية أخرى فى طبرستان فى بلاط بنى زيار وهم أسرة حكمت هذه البلاد فى ظل الغزنويين والسلاجقة من بعدهم ، وكتب ابن اسفنديار فصلاً طويلاً فى تاريخ طبرستان عمن تخرج فى هذه الديار من شعراء وأدباء وعلماء ومتصوفة ، بل كان من بين أمراء هذه الأسرة الديلمية أدباء وشعراء أثر عنهم فى كتب الأدب بعض الشعر والنثر فضلا عن تشجيعهم واحتضانهم للشعراء والعلماء برغم ما انتاب ملكهم المتزلزل من أحداث ، ونخص بالذكر منهم شمس المعالى قابوس بن وشمگير راعى البيرونى ، وفلك المعالى منوتشهر « منوچهر » الذى أخذ من اسمه الشاعر منوتشهرى « منوچهرى » تخلصه أى اسمه المستعار ، وعنصر المعالى كيكاوس بن إسكندر بن قابوس بن وشمگير مؤلف قابوسنامه .

كذلك حفلت أيام الغزنويين بعلماء ومؤرخين حسبنا أن نذكر منهم الرئيس ابن سينا ، وأبا ريحان البيرونى ، وأبا الفضل البيهقى أصحاب التواليف المشهورة فى الطب والفلسفة والتنجيم والتاريخ .

وإذا كان ديالمة الشمال آل زيار قد جعلوا طبرستان مركزاً من مراكز الأدب الفارسى فإن ديالمة الجنوب آل بويه جعلوا من فارس حاضرة أدبية أخرى ذات مسحة عربية ولكنها لم تخل كذلك من أثارة فارسية ، فمن شعرائهم بالفارسية : المنطقى ، والخسروى ، والبندارى ، والبختيارى ، كما كان أبو الفتح البستى من شعرائهم ذوى اللسانين الذين نظموا الشعر بالفارسية والعربية .

وما أهل القرن الخامس الهجرى وظهرت دولة السلاجقة العظام حتى سادت إيران فترة استقرار نسبى استمرت طوال القرنين الخامس والسادس الهجريين تقريباً ، وفى هذه الفترة من تاريخ إيران بلغ الأدب الفارسى ذروة نضجه وتعددت جوانبه وظهرت فيه آثار تصوفية ودينية هامة كانت أبرز هذه الجوانب ، ويكفى أن نذكر

من بين شعراء التصوف فى هذا العهد ، بابا طاهر الهمدانى صاحب الرباعيات المشهورة ، وأبا سعيد بن أبى الخير ، وعبد الله الأنصارى والسنائى والعطار .

أما الشعراء الآخرون فنذكر منهم : الأسدى ناظم (*كرشاسپنامه) والحكيم ناصر خسرو مؤلف (سفرنامه) أى كتاب الرحلات ، و (زاد المسافرين) وداعية المذهب الإسماعيلى المشهور ، وقطران التبريزى ، ومسعود سعد ، والحكيم العالم الرياضى المنجم عمر الخيام ، والمعزى ، وفخر الدين الجرجانى ناظم ملحمة (ويس ورامين) والأنورى شاعر القصيد .

ويلاحظ فى هذا العصر أن المراكز الأدبية لم تقتصر على الشرق والشمال والجنوب ، بل نرى (آذربيجان) فى غربى إيران تصبح حاضرة أدبية هامة ويتخرج فيها شعراء كبار كالخاقانى ، ومجد الدين البيلقانى ، ولكن أعظم شعرائها غير منازع هو (النظامى ال*كنجوى) صاحب المنظومات القصصية الخمس المشهورة فى الأدب الفارسى باسم (خمسهٔ نظامى) وأحد الأربعة المقدمين العظام : الفردوسى ، والسعدى ، والحافظ ، والنظامى[١] .

ولم تقتصر النهضة الأدبية فى العصر الذى اصطلحت كتب تاريخ الأدب على تسميته بالعصر السلجوقى على الشعر بل شملت النثر أيضاً فظهر فى التصوف كتاب كشف المحجوب ، وأسرار التوحيد ، وتذكرة الأولياء ، وفى التاريخ كتاب زين الأخبار ، ومجمل التواريخ والقصص ، وراحة الصدور ، ومن كتب الأخلاق والسياسة والأدب والطب : قابوسنامه ، وسياستنامه ، وكيمياى سعادت ، وترجمة كليلة ودمنة ، وتشهار « چهار » مقاله ، وحدائق السحر فى دقائق الشعر ، ومقامات حميدى ، و (ذخيرة خوارزمشاهى) فى الأدوية والسموم والأمراض ، ومرزبان نامه ، وهو كتاب قصصى أخلاقى شبيه بكليلة ودمنة ، إلى غير ذلك من آثار عديدة تدل دلالة واضحة على وفرة الإنتاج الأدبى ونضجه ولا يتسع المجال للحديث عنها بشرح وإسهاب ؛ ولكن هذا النضج الأدبى والازدهار الذى عم الحواضر المختلفة بالبلاد كان بمثابة الكمال الذى يدنى من النقصان ، أو الذروة التى يعقبها الإنحدار ويذكرنا بقول الشاعر :

---

(١) الدكتور على أكبر فياض : محاضرات عن الشعر الفارسى والحضارة الإسلامية فى إيران ص ٣٤ .

إذا تم أمر دنا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم

فما طلع القرن السابع الهجرى حتّى اجتاحت تلك الربوع الزاهرة جحافل المغول المخربة المدمرة فأتت فيها على الأخضر واليابس.

عند ما أهل القرن السابع الهجرى كانت الدولة الخوارزمية قد حلت محل السلاجقة فى إيران وامتد ملكها فى سرعة عجيبة فشمل معظم البلاد ، وهددت الخلافة العباسية فى بغداد، وأصبح الخوارزمشاهيون أمام المغول وجهاً لوجه ، وكان يعاصرهم ويتاخمهم فى الجنوب دويلة الأتابكة السلغريين حكام ولاية فارس ، ويبدو أن اتساع رقعة الدولة الخوارزمية أيام السلطان علاء الدين محمد قد ملأه غروراً أفقده الاتزان وحسن التقدير للأمور وتدبر العواقب فاستهان بقوة المغول واتبع سياسة خرقاء أحفظت عليه تشنـ*كيزخان « چنـ*كيزخان» الذى مد له يد المسالمة فخاشنه وأبى إلا أن يشهر فى وجهه السيف ، فأقبلت جحافل چنـ*كيزخان تكتسح فى طريقها كل شىء ، ولم يغن غرور السلطان محمد عنه شيئاً ، ففر من الميدان تاركاً ملكه العريض الزاهر فى مدرجة السيل المدمر الرهيب ، وثبت خليفته (جلال الدين منكبرتى) فى شجاعة وتهور أذهلا چنـ*كيزخان نفسه ، ولكن عدد رجاله وعدتهم ما كانا ليغنيا شيئاً أمام سيول المغول المتدفقة المتلاحقة ، فاختفت الدولة الخوارزمية من الوجود عام ٦٢٨ هـ . (١٢٣٠ م). . وكانت فى سرعة ازدهارها وقصر عمرها كدولة الورد .

أما أتابكة فارس فانحنوا أمام الإعصار وقدموا الطاعة والخراج فسلم عود ولايتهم الغض من دمار محقق ، وظلوا يحكمون إلى أن دالت دويلتهم بدورها فى حدود عام ٦٨٦ هـ . (١٢٨٧م .) .

وهدأت العاصفة واستقر المغول بالبلاد كما يستقر السيل بعد انحداره بالبطحاء، فتخلى المغيرون المتعطشون للدماء والدمار شيئاً فشيئاً عن ضرواتهم ووحشيتهم ومالوا إلى حياة التحضر ، فأسس أحفاد چنـ*كيزخان بإيران دولة (الإيلخانيين) التى كان أول سلاطينها هو لاكو ، وكان من بينهم (غازان) أول من اعتنق الإسلام من سلاطين المغول ، وظل الإيلخانيون يحكمون حتّى أواسط القرن الثامن الهجرى ، وبانقراض هذه الدولة ظهرت دويلات فى نقاط متفرقة من إيران ، كالجلائريين،

والسربداريين ، وآل كرت ، والمظفريين ، وقره قوينلو « القطيع الأسود » ، وآق قوينلو « القطيع الأبيض » وفقدت البلاد وحدتها طيلة النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى ، إلى أن أعاد إليها وحدتها السابقة (تيمور لنك*) بتأسيسه دولة التيموريين ، التى حكمت البلاد طوال القرن التاسع الهجرى وأوائل القرن العاشر أى إلى بداية حكم الصفويين .

كانت القرون الثلاثة السابع والثامن والتاسع الهجرية من تاريخ إيران برغم ما حاق فيها بالبلاد من تخريب وتقتيل وتشريد فترة حافلة بإنتاج أدبى وفير ، وذلك لأن النهضة الأدبية التى أرسيت قواعدها أيام السامانيين ، ودرجت فى سبيل الرقى والكمال أيام الغزنويين والسلاجقة ، ما كان لها أن تنمحى من الوجود دفعة واحدة مهما بلغ الدمار والتخريب ، فقد سلم من الغارة كتب كثيرة ، ونجا جمع من العلماء والفضلاء من القتل لجأوا إلى البلاد التى أبقت على أمنها الحادثات ، كولايتى فارس وآذربيجان ، كما فر فريق منهم إلى الهند وأسسوا هناك نهضة أدبية فارسية تميزت بطابع خاص عرف فى تاريخ الأدب الفارسى بالطابع أو الأسلوب الهندى « سبك هندى » ، كذلك قرب الإيلخانيون والتيموريون — بعد أن روضتهم حضارة الإسلام وإيران — فريقاً من العلماء والفضلاء ، واستوزروا بعضهم فساهموا فى هذه النهضة ورعوا بدورهم أهل الفضل والأدب ، وبعبارة أخرى ، كان قد بقى من العصور السابقة ذخيرة أدبية كبيرة ، استمد منها ذلك العصر فى دور الاستقرار ، وبرز منها جانبان واضحان هما : التاريخ والتصوف ، كما بدأ تدوين التذاكر الأدبية مثل لباب الألباب الذى ألفه العوفى فى القرن السابع ، وتذكرة الشعراء التى كتبها دولتشاه فى القرن التاسع الهجرى .

كان من أبرز شعراء العصر الذى نتحدث عنه السعدى الشيرازى المعلم الصوفى والمصلح الأخلاقى رب البيان وإمام الصنعة البيانية والبديعية ونبى الغزل الذى عاش فى القرن السابع ، وكان يعاصر السعدى الشيرازى مولانا جلال الدين الرومى المعروف بمولوى صاحب الطريقة المولوية بقونية فى آسيا الصغرى وناظم المثنوى المشهور الذى يسميه البعض (قرآن الفرس) ، وديوان شمس تبريزى ، وكذلك ظهر فى القرن الثامن الحافظ الشيرازى الملقب بلسان الغيب ، وترجمان الأسرار ، وهو

صاحب الغزليات الصوفية المشهورة (بغزليات حافظ) وإلى جانب هؤلاء حفل العصر المغولى التيمورى بعدد وافر من الشعراء مثل كمال الدين إسماعيل وهمام ، التبريزى ، والجامى ، والأوحدى المراغى ، والشبسترى ، وخواجو الكرمانى ، ويتميزون جميعاً بطابعهم الصوفى الذى طبع أدب هذا العصر .

أما الآثار التاريخية فيكفى أن نذكر منها (تاريخ جهان كشا) تأليف علاء الدين عطا ملك الجوينى ، وطبقات ناصرى تأليف أبى عمرو عثمان ، والترجمة الفارسية لتاريخ يمينى ، وجامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله ، وتاريخ وصاف ، وتاريخ گزيده ، وروضة الصفا ، إلى آخر ما هنالك من كتب تاريخية عديدة ، ولا نكون مغالين إذا أطلقنا على هذا العصر الأدبى اسم عصر التاريخ والتصوف ، وظهر فى هذا العصر أيضاً كتب أخلاقية منثورة كأخلاق ناصرى ، وأخلاق جلالى ، وأخلاق محسنى ، وأنوار سهيلى ، وهذا الأخير نهج فيه مؤلفه حسين الكاشفى نهج كليلة ودمنة فجعله حكايات على ألسنة الحيوان .

وفى أوائل القرن العاشر الهجرى بدأ الانحلال واضحاً فى وحدة الدولة التى أسسها تيمور ، وبدأت دويلات تطل برأسها من جديد ، ونشبت ثورات هنا وهناك ، وكان من بين الثائرين شاب من أحفاد الشيخ صفى الدين الأردبيلى ، عرف فيما بعد باسم الشاه إسماعيل الصفوى ، أسس دولة قوية أعادت إلى البلاد وحدتها من جديد وعرفت فى التاريخ باسم الدولة الصفوية نسبة إلى جده صفى الدين ، وظلت تحكم البلاد حوالى مائتين وأربعين سنة ، واتخذت من إصفهان حاضرة لها ، وقد شاخت هذه الدولة وضعفت فتمكن الأفغان من غزو إيران والاستيلاء على عاصمتها إصفهان ، إلى أن تمكن (نادر شاه أفشار) من طردهم وأسس الدولة الأفشارية عام ١١٤٨ هـ . (١٧٣٥ م). ولكن ما لبث (كريم خان زند) سنة ١١٦٣ هـ . (١٧٤٩ م .) أن تغلب على الأفشاريين ، ولم يدم حكم الأفاغنة والأفشاريين والزنديين جميعاً أكثر من نصف قرن ، إذ ظهر (محمد خان قاجار) عام ١١٩٣ هـ . (١٧٧٩ م .) فقضى على الدولة الزندية وأسس الأسرة القاجارية التى ظلت تحكم إيران حوالى قرن ونصف .

لم تقض حملة المغول على الحياة الأدبية أو تضعفها وإن أوقفت نموها ، لأن ذخراً كبيراً من العصور الأدبية السابقة سلم إبان الحملة من الضياع ، وأحسن

المغول الإفادة منه إبان عهد الاستقرار ، فظهرت تلك الآثار الأدبية التى أشرنا إليها والتى اتجه فيها أدب هذا العصر إلى تسجيل تاريخ السادة الحاكمين تزلفا إليهم ، أو إلى العزوف عن الدنيا واليأس منها لكثرة ما حاق بالبلاد من نكبات أيأست الناس من هذا العالم المتقلب فابتغوا الوسيلة إلى عالم الروح والحياة الباقية ، فسادت الحياة الصوفية ولونت الأدب بلونها وطبعته بطابعها ، ولكن المغول لم يضيفوا شيئاً إلى الكنز المذخور بل استنفدوه ، فما بدأ القرن العاشر حتى بدت آثار غارة المغول واضحة فى الأدب أيام الصفويين والقاجاريين ، ولم نعد نرى شعراء عظاماً كالسعدى والحافظ ، وزاد فى ضعف الأدب الفارسى فى هذا العصر الأخير أن الصفويين اتجهوا فى حكومتهم إتجاهاً مذهبيًّا فأعلنوا المذهب الشيعى مذهباً رسميًّا للدولة وتعصبوا له وصرفوا الشعراء عن قصائد المديح وأغروهم بمدح الأنبياء والأئمة ونظم المراثى فى آل الرسول ، وانصرف العلماء إلى جمع أخبار وآثار الشيعة والتأليف فى الفقه الشيعى والحديث وكثرت التآليف فى المسائل الدينية باللغة الفارسية بعد أن كانت مقصورة على العربية ، وهجر كثير من الشعراء البلاد ويمموا أقطار الهند ليلتمسوا صلات أحفاد التيموريين الذين أسسوا هنالك دولة رعت الأدب الفارسى وروجته ، ودام حكمها فى البنجاب حوالى ثلاثة قرون[١].

اتخذ الأدب فى هذا العصر لوناً قاتماً ، فهو فى جملته أدب باك حزين يدور حول مراثى الأئمة وما نزل بآل البيت من تقتيل وظلم وتشريد ، ولكنه فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى[٢] بدأ يتحرر من هذا الوضع ويتجه وجهة أخرى ، فأخذ الشعراء يحاكون أسلافهم المتقدمين مثل منوتشهرى « منوچهرى » والعنصرى ، وفرخى ، ومعزى ، وأنورى ، وخاقانى . وظهر من بينهم شعراء مقلدون مُجيدون مثل نشاط ، وقا آنى ، وقائم مقام ، وعُرفى الشيرازى ، وصائب التبريزى . ونستطيع أن نسمى أدب هذه الحقبة أدب التقليد والبعث ، إذ لا تجديد فيه ولا ابتكار ولا هدف لأصحابه غير إحياء سنة المتقدمين .

---

(١) أسس بابر هذه الدولة سنة ٩٣٢ هـ . (١٥٢٥ م .)

(٢) أيام القاجاريين .

وإلى جانب الشعر نجد فى النثر كتباً تاريخية مثل كتاب حبيب السير ، وزبدة التواريخ ، وناسخ التواريخ وغيرها وكتباً فى التذاكر أى التراجم مثل تحفهٔ سامى ، ومجالس النفائس ، ورياض العارفين ، ومجمع الفصحاء وكتباً دينية مثل جامع عباسى فى الفقه ومعاجم لغوية مثل فرهنگ جهانگير ، ومجمع الفرس، وبرهان قاطع ، وفرهنگ رشيدى ، وغياث اللغات إلى غير ذلك .

واستمر التقليد أيضاً فى الأدب الفارسى فى العصر الحديث أو عهد الدستور الذى أعلن عام ١٣٢٤ هـ . (١٩٠٦ م .) ولكنه اتجه أخيراً إلى الغرب ، فنقلت الأفكار الأوروبية واقتنى الإيرانيون آثار الأوروبيين مما لا يدخل فى بحثنا [١].

---

(١) دكتور رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات إيران طبعة ١٣٢١ هـ . ش (١٩٤٢ م) . ص ٢٥٨ وما بعدها .

الفصل الثانى

مكان القصة من الأدب الفارسى

١ ـ نشأة القصة :

إذا تحدثنا عن القصة الفارسية فإنما نتحدث عن أوسع جوانب الأدب الفارسى وأكثرها إشراقاً وأرسخها أركاناً وأقواها تعبيراً عن الحياة الفارسية نفسها .

ويمكننا أن نتخيل أسلاف الإيرانيين القدامى فى حياتهم البدوية الغابرة التى سبقت هبوطهم هذه الأرض التى أسموها باسمهم « إيران » وهم يتحلقون ليلا أو نهاراً فى مجالسهم بعد الفراغ من السعى وراء العيش طيلة النهار أو طرفاً منه يتحدثون ويسمرون ، ففيم كان حديثهم وسمرهم ؟ .

قد يكون الحديث فى شأن من شئون الحياة أو تدبير أمر من أمور الجماعة ، ولكن أحاديث الفراغ ــ أكثر ما تكون ــ ترفيهاً عن النفس واجتراراً للذكريات واستحضاراً لما مر بالإنسان من غرائب الاتفاقات ، وقد تكون الوقائع من السذاجة بحيث لا تسترعى سمعاً ولا تجلب اهتماماً ، فيفتن المحدث فى عرضها بصورة محببة ، يضيف إليها أو ينقصها من أطرافها ويقدم ويؤخر فيها ، وقد لا يرضيه كل هذا ولا يجد فيه غنية فيستميح خياله ويستوحى أوهامه ، فيخرجها فى صورة جديدة تتفاوت قرباً وبعداً عن حقيقتها ، وقد ينضب معينه أو يستهويه الحرص على إعجاب سامعيه والتفوق على أقرانه فيتحدث بما لم يكن ، وتسعفه قريحة خصبة واستعداد مواتٍ وطبع خلاق ، فيأتى بما يفوق الحقائق روعة وجمالاً ، ويسدر طويلاً فى هذا الطريق فيأتى بالعجب العجاب ، وقد يقع تحت تأثير ظاهرة من الظواهر الطبيعية كريح صرصر عاتية أو سحاب مركوم يجلجل بالرعود المدوية ، ويمض بالبروق الخاطفة ، ويخرج الودق من خلاله فتحيا به الأرض بعد موتها وتخلع أطمارها الغبراء ، وتتبدى كالعروس فى حلل قشيبة خضراء ، توشيها الورود ، وتتأرج أردانها بالعبير ، وهو لا يدرى من سر هذا قليلاً أو كثيراً ، فيستسلم

للأوهام ويستلهمها التعليل ، فتوحى إليه شياطينها بالخرافات والأساطير ، ويحدث عنه القوم بما سمعوا ، وتدور هذه الأحاديث على ألسنة الناس يتراوونها شفاهاً جيلا بعد جيل ويضيفون إليها بدورهم ما يضيفون ، وينسون منها ما طال به العهد وانقطعت به الرواية ، ويسيحون فى الأرض فتنداح بهذا دائرة الأقاصيص وتتخذ ألواناً جديدة ، ولكنهم فيما يروون أو يبدعون لا يخرجون عن إطار بيئتهم ، فهى التى تتحكم فى كل ما يأتون ويدعون ، وما هذا القصص إلا انعكاسات لأضواء هذه البيئة فى حياة القوم وتعبير عن هذه الحياة نفسها .

وقد يؤدى شعور الإنسان البدائى بالعجز أمام الظواهر الكونية وجهله أسرارها إلى التقرب منها بالعبادة جلباً لرضاها ودفعاً لأذاها ، فيتخذها أربابا ، فإذا رسخت عقائد القوم فيها واتخذت معالم واضحة وحدودا مرسومة ، نفر من بينهم فئة لرعاية هذه العقائد وتبصير الناس بها وأصبح لكل من هذه الأرباب مقام معلوم وأجريت لعبادته طقوس معينة ، وحاك سدنته حوله الأساطير ، وعللوا ما يصيب الناس من خير وشر برضاه وسخطه ، فيتخذ كل إله سمة معنوية أسطورية تصبح محوراً لقصص دينى وفير يأخذ صوراً متعددة بمر الأيام وانتقال القوم من مكان إلى مكان ، ويصير فيما بعد مادة لكتب دينية .

وقد مر أسلاف الإيرانيين بهذه المرحلة من حياة البشرية وسجلت لنا اليشتات إشارات أسطورية تختلف طولا وقصراً عن الشمس والقمر والأمطار وغيرها من الظواهر[1] .

وقد ذكرنا عند الحديث عن نشأة الإيرانيين أن الأقوام الهندوربية التى كانت تعيش فى مكان واحد قد هاجرت وانتشرت فى الأرض واستولت على أوطان كانت لغيرهم ، ولعل من أسباب هجراتهم المتعاقبة وانشعابهم إلى شعب متعددة خلاف شجر بينهم على الرياسة أو المرعى ، وما كان هذا وذاك ليتم دون صراع فى سبيل العيش أبلى فيه أفراد أظهروا من ضروب البطولة ما جعلهم موضع إعجاب قومهم فتناقلوا ما أتوا به من أعمال باهرة زاد فيها الرواة شيئاً فشيئاً حتى ابتعدت عن أصلها وأصبحت من خوارق الأعمال وقصص الأجيال .

---

(١) پور داود : يشتها جلد أول .

انفصل الآريون عن بقية الشعوب الهندوربية وعاشوا زماناً فى وطن واحد نقلوا إليه كثيراً من الشعبيات[1] التى جاءوا بها من وطنهم الأول وأضافوا إليها كثيراً فى وطنهم الجديد بل حوروا وبدلوا فيما نقلوا ، فتلون قصصهم كذلك بلون البيئة الجديدة ، ثم انقسموا فيما بعد لعلة ما ، فنزلت طائفة منهم سهول البنجاب ، وهبطت طائفة أخرى فلوات إيران ونجادها ، وجاء كل من الفريقين إلى الأرض الجديدة بذخيرة كبيرة من القصص والأساطير المشتركة تطرقت إليها فيما بعد تغييرات نجمت عن تغيير الأفكار والعقائد والبيئة وأضافوا إليها قصص المعارك العنيفة التى أبلوا فيها مع سكان البلاد التى هاجروا إليها ، فلما توفرت لهم أسباب الاستقرار وتخلوا عن عيش البداوة واطمأنوا إلى حياة التحضر وتعلموا الكتابة ، كان قد تجمع لديهم قدر كبير من الحكايات والأساطير وقصص البطولة بلغ مرحلة من النضج والكمال تجعله صالحاً للتدوين وجديراً بالمحافظة عليه من الضياع .

ب ــ تدوين القصة :

إذا أدخلنا فى حسابنا أن الإنسان لم يهتد إلى الكتابة إلا فى عصور متأخرة نسبيًّا من تاريخ الحضارة ، أدركنا أن كثيراً من القصص الذى كان يتناقله الناس شفاهاً عبر الأجيال قد انطوى فى غياهب النسيان وعفى عليه الزمان وأن ما دون منه على صفحات الكتب نزر يسير مما كان مسطوراً على صفحات الصدور .

وكما قدمنا فى الفصل الأول ، كان الهنود أسبق من إخوانهم الإيرانيين إلى تسجيل تراثهم بعدة أجيال ، فظهرت أسفار الويدا ــ أقدم آثارهم الأدبية ــ قبل الأبستاق بحوالى ثمانية قرون ، إذ يرجع تاريخ أقدم أجزائها « رج ودا » Rigveda إلى أكثر من ألف وخمسمائة عام قبل الميلاد [2]

فأسفار الويدا على هذا ، أقدم سجل لقصص الإيرانيين وأساطيرهم التى كانت متداولة بينهم فى وطنهم الأول الذى عاشوا فيه حقبة مع إخوانهم الهنود ، كما أن الويدا ــ على ما قدمنا ــ حفظت لنا من تراث الإيرانيين ما لم تحفظ الأبستاق

---

(١) الفولكلور ؛ وقد آثرت استعمال هذه الكلمة العربية لأدائها نفس المعنى وسهولة لفظها .

(٢) دپور داود : إيران وهند ص ١٣ .

صحف النبي الإيرانى زردشت ، لأنها لم تتعرض لمثل الأحداث والغير التى ذهبت بالجانب الأكبر من كتاب زردشت .

وقد بقى فى الأبستاق بعض القصص والأساطير التى لها أصول فى الويدا وإن أخذت صورة أخرى بمرور الأحقاب وتغيير البيئة واختلاف الأفكار والعقائد ، ومن بينها أساطير « جمشيد » و « فريدون » وأبيه « آبتين » وغيرها [1].

وعند ما استقر المقام بالإيرانيين فى إيران وتوطد سلطانهم وشرعوا فى تدوين الأبستاق كان قد تجمع لديهم على مر الأيام قدر كبير من القصص بعضه موروث عن بيئتهم القديمة « إيران وائجه » والبعض الآخر عن أبطالهم وملوكهم الذين أسسوا الوطن الجديد وخاضوا فى سبيل تأسيسه المعارك واقتحموا الأهوال ، وقد أفاد كتّاب الأبستاق من هذه المجموعة القصصية والتاريخ الأسطورى فرووا منها روايات تختلف إيجازاً وتفصيلا ، واكتفوا أحياناً بإشارات وإيماءات إلى بعض هذه الروايات والأساطير مما يدل على رواجها وذيوعها عند تحرير الأبستاق رواجاً وذيوعاً لم تدع معهما حاجة إلى السرد والإسهاب ، وبديهى أن ما ورد فى الأبستاق من إشارات وعبارات قصصية موجزة ، كانت لها أصول مفصلة مطولة لا نستطيع الحكم على أسلوبها ، أنثراً كان أم شعراً ، لضياع متونها ؛ ولكن تدوين الأبستاق وغيره من الكتب الدينية لم يوقف استمرار الرواية الشفوية بل وتدوينها فى كتب أخرى كانت مرجعاً وأساساً لتاريخ إيران الأسطورى وملاحمها المنظومة فيما بعد .

ج — مكان القصة من الأدب القديم :

يقول تنسر هربذ أردشير بن بابك « أردشير بابكان » فى كتاب إلى (*كشنسپ شاه) ملك طبرستان: « ميدانى كه أسكندر كتاب دين ما دوازده هزار پوست *كاو بسوخت باصطخر ، سيكى از آن در دلها مانده بود وآن نيز جمله قصص وأحاديث ، وشرايع وأحكام ندانستند ، تا آن قصص وأحاديث نيز ، ازفساد مردم روز *كار وذهاب ملك وحرص بر بدعت وتمويهات وطمع فخر از ياد خلايق چنان فروشد كه از صدق آن الفى نماند . » [2]

---

(١) دكتور ذبيح الله صفا : حماسه سرائى در إيران چاپ دوم ص ٢٥ .

(٢) ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان طبعة عباس إقبال جـ ١ ص ١٩ .

وترجمة هذه العبارة : « تعلم أن الإسكندر أحرق فى إصطخر كتاب ديننا البالغ اثنى عشر ألف جلد بقرة ، وكان قد بقى منه ثلث فى الصدور[١] وذلك أيضاً كله قصص وأحاديث ، ولم يعرفوا الشرائع والأحكام ، حتى إن ذلك القصص والأحاديث أيضاً قد ذهب من أذهان الخلق بحيث لم يبق من حقيقته حرف (ألف) وذلك لفساد أهل الزمان وذهاب الملك والحرص على البدع والتمويهات والطمع فى الفخر » .

ومن عبارة تنسر هذه يتضح بجلاء أن الجزء الذى بقى من الأبستاق محفوظاً فى الصدور بعد غارة الإسكندر وإحراقه المتن المكتوب كان كله قصصاً وأحاديث وأنه لم يكن قد بقى من هذا المحفوظ أيضاً حرف واحد عند ظهور أمر الساسانيين للأسباب التى ذكرها تنسر فى عبارته ، وهذا يدل على أهمية الجانب القصصى فيما تبقى من الأبستاق بعد فتح الإسكندر لإيران ، ولا بد أن ذلك القصص وتلك الأحاديث التى وعتها الصدور كانت أكثر تفصيلاً من تلك العبارات الموجزة والإيماءات المبهمة التى وردت فى أبستاق العهد الساسانى الذى بدئ فى جمعه منذ أواخر عصر الأشكانيين .

وقد تسنى للساسانيين جمع واحد وعشرين نسكاً من الأبستاق القديم ضاع معظمها عند فتح العرب للبلاد ولم يبق منها إلا خلاصة فى كتاب (دينكرد)[٢] وبعض قطع من الأنساك المفقودة .

د ـ مكان القصة من الأدب الوسيط :

تختلف أنساك الأبستاق الحالية من حيث القيمة القصصية والأسطورية بعضها عن البعض الآخر ، فلا يوجد مثلا فى الـ (خرده أو ستا) والـ (ويسپرد) شىء يعول عليه ، والأنساك الثلاثة الأخرى وهى : (ونديداد ، يشتها ، يسناها) بينها من هذه الناحية إختلاف كبير ، فقل أن يرد ذكر للروايات القديمة فى اليسنا ، والقسم الذى ورد فيه ذكر لشىء من هذه الروايات هو (هئوم يشت) المكون من الفقرات

---

(١) الترجمة الحرفية : « فى الأفئدة » .

(٢) ألف هذا الكتاب بعد فتح العرب لإيران ؛ كتبه كبير الموابذة « موبد موبدان » (آذر فرنبغ) بن (فرخ زاذ) ثم أضيف إليه فصول وزيادات بعد ذلك ، وأعاد كتابته من جديد الموبذ (آذر بد) بن (حمد) . « نقلا عن كتاب دينكرد تأليف الأستاذ الدكتور محمد جواد مشكور ص ٢٠٢ » .

« ها » ٩ ، ١٠ ، ١١ ، والفقرة التاسعة من حيث المقارنة بين عقائد وروايات الإيرانيين فى عهد الأبستاق القديم والهنود فى عهد الويدا ، على جانب كبير من الأهمية ، إذ يرد فيه ذكر أبطال وأساطير مشتركة بين الإيرانيين والهنود ، ومنه يمكن التدليل على أن هؤلاء القوم كانوا يعيشون معاً فى يوم من الأيام .

تحدثنا اليسنا فى الفقرة التاسعة عن نثار عصارة نبات (الهوما) المقدس عند الهنود والإيرانيين وأساس العبادة والتسبيح عند الفريقين فى الويدا والأبستاق على السواء، كما تحدثنا عن أساطير جمشيد والضحاك وفريدون و* كرشاسپ وكذلك تحدثنا الفقرة السابعة عشر وال* كاتها من اليسنا نفسها عن زردشت و* كشتاسپ وأصحابهما وأقاربهما .

وفى الفقرة الثانية من الونديداد نرى أسطورة جم وحصن جم (ورجم) الذى يكاد يكون صورة من سفينة نوح وقصة الطوفان .

أما اليشتات فهى أهم أنساك الأبستاق من حيث تدوين وحفظ الروايات والأساطير المذهبية ، : ففى (ابان يشت) مثلا ورد ذكر كثير من أبطال الإيرانيين والطورانيين مثل هوشنـ* ك ، والضحاك ، وفريدون ، وأفراسياب ، وكثير غيرهم ، كما ذكرت ناهيد ربة الماء وعبادها .

فى الفقرة الأولى من (ابان يشت) نرى أهورا مزدا يقول لنبيه زردشت : « يازردشت اسپنتمان ! مجد من أجلى اردويسور ناهيد هذه، إن تلك التى تمتد فى كل مكان تهب الدواء لأعداء الشياطين ومطيعى المذهب الأهورائى، بجديرة بأن تمجد فى العالم المادى وقمينة بأن تسبح فيه، إنها للمقدسة التى تبارك فى الأرواح والقطعان والثروة والمملكة » .

وفى الفقرة الثانية يقول : « إنها التى تطهر نطف الرجال وتطهر مشيمات النساء من أجل الولادة ، إنها التى تيسر وضع أولات الأحمال ، إنها التى تعطى الحوامل اللبن عند الحاجة » .

وتقدم لنا فقرات (ابان يشت) ناهيد فى صورة الماء السماوى ، فهى نهر فى اتساع جميع أمواه سطح الأرض ، ينحدر من أعلى جبل (هكر) إلى بحر (فراخ كرت) فيحدث فى الأقيانوس دوياً هائلاً واضطراباً وهيجاناً ، وهذا النهر جار

صيف شتاء ، ينشعب منه ألف نهر وبحر أخرى ، كل منها من العظمة بحيث يقطعه الفارس على جواد سريع فى أربعين يوماً ، وأحد هذه الأنهار والأبحر ، يروى كل أقاليم الدنيا السبعة ، وعلى شاطئ كل من هذه الأنهار والبحار قصر ذو ألف عمود ، وألف نافذة متلألئة مضيئة من أجل ناهيد ، وفى كل قصر فراش نظيف معطر مفروش على ديوان من أجل ناهيد ؛ ثم تقدمها لنا بعد ذلك فى صورة امرأة شابة جميلة الأعضاء ، فارعة القامة ، قوية حسناء الوجه ، كريمة خيرة الطبع ، عضداها البيضاوان بضخامة كتف الفرس ، ناهدة الصدر ، مشدودة الوسط بمنطقة ، وقد أمسكت من فوق عربتها بيدها أعنة أربعة جياد موحدة اللون والقد ، وتسوقها ، وجيادها الأربعة هى : الريح والسحاب والمطر والندى ؛ وناهيد محلاة بالجواهر ، على رأسها تاج ذهبى على شكل دائرة ، مرصع بمائة جوهرة مضيئة ، ويتدلى من جوانبه أشرطة مجعدة ، وحول عنقها طوق من الذهب ، وبأذنيها قرطان ذوا أربعة جوانب ، وقد أحكمت بقدميها ربط نعلين لا معين بأربطة ذهبية ، وارتدت جبة حيكت من جلد ثلاثين ببرا ، تتلألأ كالفضة والذهب ، ولبست ثوباً كثير التجاعيد ، واستقرت فى أعلى طبقات السماء ، وقد جعل أهورا مزدا مقرها فى كرة الشمس .

وتنزل ناهيد بأمر الخالق المطر والبرد والجليد والندى من السماء ، وعلى أثر استغاثة العباد والأتقياء تسارع بالنزول من فلك النجوم أو من أعلى جبل (هكر) إلى الحضيض فتطهر نطف الرجال ومشيمات النساء ، وتسهل وضع الوالدات ، وتصفى اللبن وتزيد فى عدد القطعان ، وتفيد كل البلاد — بفضلها — من الخير والنعمة والثروة .

وجميع هذه اليشتات البالغ عددها واحداً وعشرين يشتاً مشحونة بأسماء الملوك والأبطال ومشاهير الأساطير ، من (*كيومرث) أبى البشر وأول الملوك البيشداديين ، إلى (*كشتاسپ) حامى زردشت وأسرته مما يطول بنا شرحه إذا تناولناها الواحدة تلو الأخرى بالحديث[1] .

---

(١) پور داود : يشتها جلد أول و دوم .

دكتور ذبيح الله صفا : حماسه سرائى در إيران چاپ دوم . از ص ٣١ تا ص ٣٨ .

والقصة فى الأدب الوسيط لا تقل أهمية عنها فى الأدب القديم، فهذا الأدب من ناحيته الدينية ترجمة وشروح للأبستاق الذى أوضحنا أهميته من الناحية القصصية والأسطورية ، وفى غير الناحية الدينية نجد الجانب الأكبر منه قصصاً وأساطير ، لأن الروايات والقصص التى كانت ذائعة شائعة عند تدوين الأبستاق فى عهد الهخامنشيين ، كانت ما تزال مكنون الصدور وورد الألسنة عند إعادة جمع كتاب الفرس المقدس أيام بنى ساسان الذين أقاموا ملكهم على أساس من وحدة الملك والدين كما يقول الفردوسى على لسان الملك الساسانى أردشير بن بابك فى نصيحته لابنه شاپور :

نه بى تخت شاهى بود دين بپاى
نه بى دين بود شهر يارى بجاى
دو بنياد يك بر دگر بافته . . .
بر آورده پيش خرد تافته
نه از پاد شا بى نيازست دين
نه بى دين بود شاهرا آفرين
چنان پاسبان يكد يگر ند . . . :
تو گوئى كه در زير يك چادرند
نه آن زين نه اين زآن بود بى نياز
دو انباز ديد يمشان نيك ساز

* * *

ومعنى هذه الأبيات :
لا قيام للدين بغير الملك ولا بقاء للملك بغير الدين .
فكلا الأسين قائم على الآخر ، ومتماسكان بإحكام فى نظر العقل .
فلا الدين بمستغن عن السلطان ، ولا تمجيد للسلطان بغير الدين .

---

(١) شاهنامهٔ فردوسى چاپ بروخيم جلد هفتم ص ١٩٩٤ .

فكلاهما حارس للآخر وكأنهما تحت خيمة واحدة .

فلا غنى لذلك عن هذا ولا غنى لهذا عن ذاك ، وقد شهدناهما شريكين على خير وفاق .

* * *

وقد روى المسعودى ما يفيد هذا المعنى عند حديثه عن كتاب (الكرنامج) « كارنامهٔ اردشير » فقال : « ولأردشير بن بابلك كتاب يعرف بكتاب الكرنامج فيه ذكر أخباره وحروبه ومسيره فى الأرض وسيره ، وكان مما حفظ من وصية أردشير لابنه سابور عند نصبه إياه للملك أنه قال له : يابنى إن الدين والملك أخوان ، ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه ، فالدين أس الملك ، والملك حارسه ، وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع [1] » .

* * *

وقد أضفى الأبستاق — بفضل ما ورد فيه من إشارات وروايات أسطورية — على القصة الفارسية مسحة من قدسيته زادت فى تعلق الناس بها فحرصوا على تذاكر تراثهم القصصى وحفظه من الضياع حتى لنجد أكثر الكتب المذهبية البهلوية مثل « دينكرت » و « بندهشن » و « ارداويرافنامه » زاخرة بالروايات الشعبية والقصص الحماسى ، وقد دون فى أواخر العهد الساسانى كثير من كتب التاريخ والأساطير والقصص والروايات المذهبية ورد ذكر الكثير منها فى الكتب الإسلامية كالفهرست وعيون الأخبار ، ويمكننا تقسيم هذه الآثار القصصية إلى قسمين : موجود ومفقود ، فمن أهم الكتب البهلوية الموجودة :

١ — ایاتکارزریران « یاد *کارزریر » ويعد أول كتاب كتب بعد الأبستاق بلجمع جانب من الروايات الإيرانية ، وعدد كلماته ثلاثة آلاف كلمة ، وقد دون أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس الميلادى نقلا عن متن قديم قد يكون أحد اليشتات المفقودة أو إحدى الروايات القديمة الحماسية التى كانت موجودة فى

---

(١) مروج الذهب ، بتحقيق محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٦٧ هـ . — ١٩٤٨ م . ص ٢٤٨ . مطبعة السعادة .

غربى إيران ، ويبدو أنه كان منظومة حماسية اختل وزنها بتداخل عبارات الشروح فى متنها ، أما الأصل الذى نقل عنه الكتاب فيرجع تاريخه إلى قبيل القرن الثالث الميلادى فى العصر الإشكانى ، ويبدو كذلك أن هذه المنظومة الحماسية الإشكانية نظمت تقليداً لمنظومة أخرى من العهد الهخامنشى ، وموضوع الكتاب الحرب التى دارت بين الإيرانيين والطورانيين من أجل دين زردشت ، وخلاصة القصة أن (*كشتاسپ) الملك وأتباعه اعتنقوا دين هذا النبى الآرى فثار لذلك (ارجاسپ) ملك خيونان « الترك» فأرسل اثنين من خواصه هما الساحر (ويد رفش) و (نامخواست) ابن (هزار) إلى *كشتاسپ ليثنيه عن اتباع ملة زردشت فلم يستجب *كشتاسپ لأرجاسپ ، وبمشورة أخيه الأكبر (زرير) أعد العدة للحرب ، وقد قتل زرير أخو *كشتاسپ كما قتل قائد جيوشه بعد أخيه على يد ويدرفش الساحر ولكن (بستور) Bastawar بن زرير يثأر لأبيه بقتله ويدرفش الساحر ، وفى النهاية ينتصر الإيرانيون على الطورانيين بهمة بستور هذا و (اسفنديار) بن *كشتاسپ و (*كراميك كرت) Gramik-Kart بن الوزير جاماسپ ، وقد نظمت أول قصة فى شاهنامة الفردوسى وهى قصة حرب *كشتاسپ وارجاسپ التى نظمها (الدقيقى) من هذا الكتاب ،ويسمى(ياد*كار زرير) أحياناً (شاهنامه *كشتاسپ) وقد ترجمه (*كيـ*كر) Geiger إلى الألمانية سنة ١٨٩٠ م . « ١٣٠٨ هـ . »[١] .

٢ – <u>كارنامه ٔ اردشير بن بابلك</u> « كارنامه*كـ ارتخشير بابكان »[٢] وقد ألف فى حدود سنة ٦٠٠ م . وهو قصة أسطورية عن حياة الملك الساسانى أردشير بن بابلك وعدد كلماته خمسة آلاف وستمائة كلمة ، وهذا الكتاب مذكور فى مروج الذهب باسم الكرنامج ، ويقول المسعودى « ولأردشير بن بابلك كتاب يعرف بكتاب الكرنامج فيه ذكر أخباره وحروبه ومسيره فى الأرض وسيره »[٣]

وهناك كتب مذهبية ما زالت باقية دونت فيها الروايات الإيرانية القديمة على

---

(١) حماسه سرائى : ص ٤٢ ، ص ١٢٢ وما بعدها .

(٢) نشر الدكتور محمد جواد مشكور المتن البهلوى لهذا الكتاب مقروناً بالترجمة الفارسية فى طهران عام ١٩٥٠ م . – ١٣٧٠ هـ .

(٣) مروج الذهب : تحقيق محيى الدين عبد الحميد الطبعة الثانية ص ٢٤٨ .

الصورة التى كانت عليها أيام الساسانيين وتعد على جانب كبير من الأهمية لحفظها الشطر الأكبر من الروايات الشعبية الإيرانية بل وبعض القطع المفقودة من الأبستاق، وقد دون بعض هذه الكتب الهامة فى القرون الأولى من العصر الإسلامى كما دون بعضها قبل هذا العصر أى أواخر أيام بنى ساسان ومن أهمها :

١ — دينكرت : وهو أهم الكتب البهلوية المذهبية الباقية وأكثرها تفصيلاً ، وقد وضع هذا الكتاب فى تسعة مجلدات فقد مجلدان اثنان منها والاسم الأصلى للكتاب (زند اكاسيه) Zenda-Akasih ولكنه مشهور فى الأدب البهلوى بدينكرت وعدد كلماته مائة وتسع وستون ألف كلمة ، وقد ألف هذا الكتاب (آتور فرنبغ فرخزتان) واسمه بالفارسية الحديثة (آذر فرنبغ بن فرخزاد) وهو نفس الرجل الذى ناظر (ابالش) فى حضرة المأمون ووضع فى هذه المناظرة كتاباً اسمه (كجستك ابالش) أى : ابالش الملعون ، وقد عاش آذر فرنبغ فى القرنين الثانى والثالث الهجريين ويرجع زمان تأليف كتابه إلى هذا التاريخ ، ويعد دينكرت موسوعة كبرى فى المعارف الدينية والعادات والعقائد والروايات والتاريخ والأدب المزديسنائى ، وفى المجلد الثانى منه ملخص لأنساك أبستاق العهد الساسانى البالغ عددها واحداً وعشرين نسكاً ، وبذلك أمكن الوقوف على فحوى المفقود من هذه الأنساك[1].

٢ — بندهشن : وقد ورد بهذا الكتاب فصول عن الخلق أشبه ما تكون بسفر التكوين فى التوراة ، ومسائل دينية وتاريخية وجغرافية، وأهم فصوله بالنسبة لموضوعنا الفصل الثالث والثلاثون وعنوانه (اندر*كزند هزاره هزاره كه بايرانشهر رسيد). أى : فى آلاف النوازل التى أصابت إيران . فى هذا الفصل حقبة من تاريخ إيران الأسطورى ، ثم يستمر حتى آخر العهد الساسانى ، وهذا الفصل كخلاصة للأساطير الإيرانية على جانب خاص من الأهمية ، وقد ترجم (دارمستتر) قسما من هذا الفصل فى المجلد الثانى من كتاب (زند اوستا) وعلق عليه ، وجاء فى الفصل الخامس والثلاثين منه أصل ونسب الكيانيين ، وفى الفصل الحادى والثلاثين ورد ذكر النواحى الهامة من إيران التى كانت مقر الكيانيين ، وقسم من الفصل الرابع عشر يدور حول انفصال المجد الملكى (فرشاهى) عن جمشيد ،

---

(١) حماسة سرائى ص ٥١ وما بعدها .

وفى الجملة يوجد فى هذا الكتاب موضوعات هامة تتعلق بتاريخ وجغرافية إيران القديمة ، وقد نقل عنه فى كتاب تاريخ سيستان شيء عن عجائب سيستان ، وقد ترجمه آنكيتل دى پرون Anquetil du Perron كما ترجمه وستر*كارد Westergard و هو*ك Haug و ونديشمن Windishmenn ، و وست West وطبعت نسخة كاملة من هذا الكتاب فى بومباى بواسطة (اروارد تهمورث دينشاجى انكلساريا) Ervard Tahmurds Anklesaria وقدم لها (بهرام كورتهمورث انكلساريا .)

٣ — داتستان دينيك : ويقع فى حوالى مائتين وست وثمانين ألف كلمة ، وهو من الكتب البهلوية الكبرى ألفه الموبذ (يودان يم) Yûdanyim

٤ — روايت پهلوى : يقع هذا الكتاب فى ستة وعشرين ألف كلمة ، وتوجد فيه بعض الروايات القديمة مثل قصة (داستان *كرشاسپ وجم) .

٥ — اردا ويراف نامه : ويشتمل على ثمانية آلاف وثمانمائة كلمة وفيه إشارات تاريخية أسطورية هامة عن حملة الإسكندر من قبل أهريمن على إيران وقضائه على دين مزديسنا ، ويظهر من مقدمة الفصل الأول منه أنه ألف فى أواسط القرن التاسع الميلادى ، ويرجع تاريخ أقدم نسخه الخطية إلى القرن الرابع الهجرى . وقد نظم هذا الكتاب بالشعر الفارسى (زردشت بهرام پژ*دو) من شعراء القرن السابع الهجرى ، وأول أبياته :

سر دفتر بنام پاك يزدان
ز*كهدار زمين وچرخ *كردان

أى : افتتاح الكتاب باسم الله القدوس ، حافظ الأرض والفلك الدائر .

* * *

وقد ترجمه (پوپ) لأول مرة سنة ١٢٣٢ هـ . — ١٨١٦ م . ثم ترجمه (بارتلمى) N.A. Barthelemy سنة ١٣٠٥ هـ . — ١٨٨٧ م . إلى الفرنسية .

٦ — مينوى خرد : Mainyoixard

هذا الكتاب على جانب كبير من الأهمية لاحتوائه على مواضيع أخلاقية وأسطورية ومعلومات دينية .

وقد نقل الموبد الهندى (نريوسنک*) متن تفسيره « پازند » إلى السنسكريتية والأبستاقية ، كما ترجمه (وست) إلى الإنجليزية وقدم له وطبع متنه بالحروف اللاتينية وكتب له معجماً مع شرح قواعد لغة الا (پازند) ونشره سنة ١٨٧١ م. — ١٢٨٨ هـ. وأهم فصوله الفصل السابع والعشرون ويتضمن أهم أعمال الملوك الإيرانيين حتى (*كشتاسپ) مثل القضاء على ثلثى شياطين (مازندران) على يد (هوشنک*) وظهور الخط على يد (طهمورث) بعد أن تعلمه من الشياطين ،وبناء حصن جم (ورجم كرد) وعدم موت المخلوقات مدة ستمائة سنة وستة شهور وخمسة عشر يوماً من حكمه وأمثال ذلك .

٧ — زات اسپرم : Zat Sparam

عدد كلمات هذا الكتاب حوالى تسعة عشر ألف كلمة ، وهو فى ثلاثة فصول ، وأهم فصوله قصتان عن (كاى اوس) Kai-Us و (سريتو) Sarito البطل ، وقد ترجمه وست إلى الإنجليزية .

٨ — اثو* كمد ئيچا : Aogemadaêtchâ

وهذا الكتاب ترجمة لبعض قطع الأبستاق وتفسير لها ، وفيه إشارات إلى قصص (هوشنک*) و (تهمورث) و(جمشيد) و (الضحاك) و (فريدون) ، وقد ترجمه (*كيكر*) Geiger إلى الألمانية مع شرحه وتفسير كلماته ، كما ترجم (دارمستتر) Darmesteter قسما منه إلى الفرنسية [١].

* * *

هذه هى أهم الكتب البهلوية ذات القيمة القصصية التى ما زالت موجودة للآن ، وهنالك كتب عديدة أخرى فى الأدب البهلوى ترجم الكثير منها إلى العربية وضاعت

---

(١) استقيت معلوماتى عن هذه الكتب البهلوية الثمانية من كتاب حماسه سرائى در إيران ، للدكتور ذبيح الله صفا ص ٥١ وما بعدها . الطبعة الثانية .

أصولها وترجماتها ووصلتنا أخبارها عن طريق كتب العهد الإسلامي ، العربية منها والفارسية ، وأهم المراجع العربية التي أشارت إلى هذه الكتب أو نقلت إلينا شيئاً منها هي :

١ — عيون الأخبار وكتاب المعارف لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ. — ٨٨٩ م .

٢ — الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينورى المتوفى بين سنتي ٢٨١ ، ٢٩٠ هـ . (٨٩٤ ، ٩٠٢ م.) .

٣ — تاريخ محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ. — ٩٢٢ م.

٤ — مروج الذهب والتنبيه والإشراف لابن الحسن على بن الحسين بن على المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ. — ٩٥٧ م .

٥ — تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة بن الحسن الإصفهانى المتوفى حوالى سنة ٣٦٠ هـ. — ٩٧٠ م.

٦ — الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحق المشهور بابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ هـ. — ٩٩٥ م.

٧ — تجارب الأمم لأبي على بن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ. — ١٠٣٠ م.

٨ — غرر أخبار ملوك الفرس المنسوب إلى أبي منصور بن محمد الثعالبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ. — ١٠٣٧ م.

٩ — الآثار الباقية عن القرون الخالية ، لأبي ريحان محمد بن أحمد البيرونى المتوفى حوالى سنة ٤٤٠ هـ. — ١٠٤٨ م.

١٠ — تلخيص الشاهنامة لقوام الدين الفتح بن على بن محمد البندارى الإصفهانى الذى ترجم بالشام وقدم إلى الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، بين سنتي ٦٢٠ ، ٦٢١ هـ. (١٢٢٣ ، ١٢٢٤ م.) .

١١ — كامل التواريخ لأبي الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى المتوفى سنة ٦٣٠هـ. ١٢٣٢ م .

أما المراجع الفارسية فمنها :

١ — ترجمة تاريخ الطبرى لأبى على محمد البلعمى وزير عبد الملك بن نوح ومنصور بن نوح السامانيين ، وقد تمت الترجمة حوالى سنة ٣٥٢ هـ . — ٩٦٣ م .

٢ — زين الأخبار لا*كرديزى [١] المؤلف بين سنتى ٤٤٠ ، ٤٤٤ هـ. (١٠٤٨ ، ١٠٥٢ م.) .

٣ — مجمل التواريخ والقصص [٢] المؤلف حوالى سنة ٥٢٠ هـ . — ١١٢٧م .

٤ — تاريخ سيستان [٣] المؤلف بين سنتى ٤٤٥ ، ٧٢٥ هـ. (١٠٥٣ ، ١٣٤٣ م.) .

وأخيراً الشاهنامات والمنظومات القصصية الفارسية التى لا تعدو أن تكون ترجمة شعرية لبعض الكتب الپهلوية المفقودة .

وسنذكر هنا إيفاء للبحث طرفاً من أهم الكتب الپهلوية المفقودة التى أشارت إليها الكتب الإسلامية ونقلت عنها :

١ — قصة بهرام جوبين التى يقول ابن النديم إن جبلة بن سالم بن عبد العزيز كاتب هشام بن عبد الملك المتوفى سنة ١٢٥ هـ. — ٧٤٢ م. ترجمها إلى العربية ، وقد وردت هذه القصة مفصلة مطولة بشاهنامة الفردوسى ، كما نظمها أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى المتوفى بين سنتى ٢٨١ ، ٢٩٠ هـ. (٨٩٤ ، ٩٠٢ م.) . بتفصيل نسبى فى الأخبار الطوال ، وقد ذاعت قصة بهرام فى الأدب العربى على أثر تعريبها ، وتذكرنا قصة هذا البطل بقصة بهرام *كور التى ينسب إلى بطلها أشعار عربية من جملتها قوله يوم ظفر بالخاقان وقتله :

أقول له لما فضضت جموعه ... كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فإنى حامى ملك فارس كلها ... وما خير ملك لا يكون له حامى

---

(١) طبع هذا الكتاب فى طهران سنة ١٣٢٧ هـ. ش. (١٩٤٨ م .) وقدم له العلامة القزوينى .

(٢) هذا الكتاب مؤلفه مجهول وقد طبع فى طهران سنة ١٣١٨ هـ . ش . (١٩٣٩ م .) بتصحيح ملك الشعراء بهار .

(٣) مؤلف هذا الكتاب مجهول وقد طبع فى طهران بتصحيح ملك الشعراء بهار سنة ١٣١٤ هـ . ش . (١٩٣٥ م .)

وقوله :

لقد علم الأنام بكل أرض   بأنهم قد اضحوا لى عبيدا
ملكت ملوكهم وقهرت منهم   عزيزهم المسود والمسودا
فتلك أسودهم تقعى حذارى   وترهب من مخافتى الورودا
وكنت إذا تشاوس ملك أرض   عبأت له الكتائب والجنودا
فيعطينى المقادة أو أوافى   به يشكو السلاسل والقيودا[1]

٢ — قصة رستم واسفنديار : وقد وردت فى فهرست ابن النديم بين الكتب التاريخية التى نقلت إلى العربية ، وينسب تعريبها إلى جبلة بن سالم ، وقد كانت هذه القصة معروفة مشهورة عند بعث النبي ، وكان النضر بن الحارث من أهل مكة يروى هذه القصة لقومه نقلاً عن أهل القرات كما نقلها الثعالبى فى غرره .

٣ — قصة پيران ويسه :

٤ — كتاب السكسيكيين : وقد ذكره المسعودى بتصحيف عند الكلام عن تغلب (زو) على (افراسياب) فقال : « وللفرس كلام طويل فى قتل فراسياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس والترك من الحروب والغارات وما كان من قتل سياوخش وخبر رستم بن داستان ، وهذا كله مشروح فى الكتاب المترجم بكتاب (السيكيكين) ترجمه ابن المقفع من الفارسية الأولى إلى العربية ، وخبر اسفنديار ابن *كشتاسپ بن لهراسپ وقتل رستم بن دستان له وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار لرستم وغير ذلك من عجائب الفرس الأولى وأخبارها ، وهذا الكتاب تعظمه الفرس لما تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم »[2].

ويتضح من رواية المسعودى أنه كان بهذا الكتاب قدر كبير للغاية من الروايات المتعلقة بالعهد الكيانى وأبطال سيستان وأنه كان من أكبر الكتب القصصية الحماسية

٥ — كتاب پيكار : أى كتاب الحرب وكان فيه قصص عن الكيانيين نقل بعضها إلى العربية ويرى ماركوارت Marquart أن اسم كتاب اا (بنكش)

---

(١) مروج الذهب ج ١ ص ١١٣ . الطبعة الأولى : المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٣ هـ . (١٨٨٥ م .)

(٢) مروج الذهب بتحقيق محى الدين عبد الحميد الطبعة الثانية ص ٢٢٦ .

الذى ذكر المسعودى أن موضوعه حروب اسفنديار وفتح (روئين دز*) أى القلعة الفولاذية ، وسائر أعمال اسفنديار هو تصحيف كتاب پيكار [١] ، وسواء صح هذا أو لم يصح فإن موضوع الكتاب يطابق اسمه إذ يشتمل على حروب اسفنديار والإيرانيين مع الطورانيين وحروب اسفنديار فى خراسان ، وسيستان ، وزابلستان ، وغيرها وقد ترجمه إلى العربية عبد الله بن المقفع .

٦ — نامه تنسر ، أو كتاب تنسر ، وموضوعه الدفاع عن أعمال أردشير بابكان وإجابة تنسر رئيس الهرابذة « هيربذان هيربذ » على كتاب (*كشنسب شاه) أحد أمراء مازندران ، وقد ترجمه عبد اللهبن المقفع إلى العربية ، ووقعت نسخة من هذه الترجمة فى أوائل القرن السابع الهجرى بيد محمد بن الحسن بن اسفنديار مؤلف تاريخ طبرستان فترجمها إلى الفارسية وأثبت هذه الترجمة فى الباب الأول من كتابه تاريخ طبرستان [٢].

٧ — آيين نامه و*كاهنامه : ترجم عبد الله بن المقفع كتاب (آيين نامه) إلى العربية وكان كتاباً ضخماً فى الرسوم والآداب المتبعة فى البلاط وبين الشعب ، والأسمار والأخبار ومراتب الدولة على أيام الساسانيين ، وكتاب (*كاهنامه) جزء من (آيين نامه) يتضمن شرح رتب رجال البلاط ودرجات الطبقات المختلفة وأسماء الولاة وعمال الدولة ، ويقول المسعودى عن هذين الكتابين : « وللفرس كتاب يقال له (كهنامه) فيه مراتب مملكة فارس وأنها ستمائة مرتبة مرتبة على حسب ترتيبهم لها ، وهذا الكتاب من جملة (آئين ناماه) تفسير (آئين ناماه) كتاب الرسوم ، وهو عظيم فى الألوف من الأوراق ، لا يكاد يوجد كاملاً إلا عند الموابذة وغيرهم من ذوى الرياسات » [٣].

وقد أفاد كثير من المؤرخين المسلمين من ترجمة ابن المقفع لهذا الكتاب عند شرحهم لتشكيلات البلاط والمجتمع فى إيران ، كما نقل ابن قتيبة جزءاً من هذا

---

(١) حماسه سرائى در إيران ص ٤٧ .

(٢) ص ١٢ وما بعدها . وقد وصلنا الكتاب عن طريق هذه الترجمة الفارسية بعد ضياع ترجمة ابن المقفع .

(٣) التنبيه والإشراف : طبعة دار الصاوى سنة ١٣٥٧ هـ . — ١٩٣٨ م ص ٩١ .

الكتاب فى عيون الأخبار تحت عنوان (آداب الفروسية) وقسماً كبيراً فى فصل : (مذاهب العجم فى العيافة والاستدلال بها) .

ومن المحقق أيضاً أن الثعالبي عند ذكره مراتب رجال البلاط من عهد جمشيد إلى عهد أنو شيروان ، وكذلك المسعودى عند تكلمه عن مراتب رجال البلاط الساسانى وطبقات الإيرانيين أفادا من هذا الكتاب .

٨ ــ كتاب الصور ، أو كتاب صور ملوك بنى ساسان أو كتاب الصورة :

ذكر هذا الكتاب عدة مرات فى مجمل التواريخ والقصص ص ٣٣ و ص٣٧، وهو كتاب كبير يحتوى على كثير من أخبار الملوك وأبنية وسياسات الفرس ، وكان من حيث العظم فى درجة (خداينامه) و (آيين نامه) و (*كاهنامه) ، وشاملاً أخباراً لم يرد ذكرها فى هذه الكتب المذكورة ، ويبدو أن المسعودى كان يشير إلى هذا الكتاب فى قوله : « ورأيت بمدينة اصطخر من أرض فارس سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ م .) عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس ، كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم ، لم أجدها فى شىء من كتب الفرس كخداى ناماه ، وكهناماه ، وغيرها ، مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكاً ، منهم خمسة وعشرون رجلاً وامرأتان ، قد صور الواحد منهم يوم مات ، شيخاً كان أو شاباً ، وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه ، وأنهم ملكوا الأرض أربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وشهراً وسبعة أيام ، وأنهم كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيئته ورفعوه إلى الخزائن كى لا يخفى على الحى منهم صفة الميت ، وصور كل ملك كان فى حرب قائماً وكل من كان فى أمر جالساً ، وسيرة كل واحد فى خواصه وعوامه ، وما حدث فى ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة ، وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد فى خزائن ملوك فارس للنصف من جمادة الآخرة سنة ١١٣هـ . (٧٣١ م .) ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية إلى العربية ، فكان أول ملوكهم فيه أردشير ، شعاره فى صورته أحمر مدنر ، وسراويله لون السماء ، وتاجه أخضر فى ذهب ، بيده رمح ، وهو قائم ، وآخرهم يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز ، شعاره أخضر موشى وسراويله موشى لون السماء ، وتاجه أحمر ، قائم بيده رمح

معتمد على سيفه بأنواع الأصباغ العجيبة التى لا يوجد مثلها فى هذا الوقت ، والذهب والفضة المحلولين ، ونحاسه محكوك والورق فرفيرى اللون عجيب الصنع ، فلا أدرى أورق هو أم رق لحسنه وإتقان صنعه »[١] .

وصرح حمزة الإصفهانى باسم كتاب الصور عند حديثه عن ملوك الساسانيين ، فذكر كل واحد منهم على صفته التى رآه بها فى الكتاب المذكور ، فيقول مثلا : « وفى كتاب صور ملوك بنى ساسان شعار أردشير مدنر وسراويله أسما نجونى[٢] وتاجه أخضر فى ذهب وبيده رمح قائم » ثم يقول عن شاپور بن أردشير : « وفى كتاب صور ملوك بنى ساسان أن شعاره كان (أسمانجونى) وسراويله وشى أحمر فى خضرة وهو قائم بيده رمح » ثم يتحدث عن هرمز فيقول : « وشعاره فى كتاب الصور أحمر موشى وسراويله أخضر وتاجه أيضاً أخضر فى ذهب ، وفى يمناه رمح وفى يسراه ترس وهو راكب أسداً » ويستمر فى وصف صورة كل واحد من الملوك الساسانيين على هيئته التى رآه بها فى الكتاب ويقال إن مترجم هذا الكتاب لهشام ابن عبد الملك هو جبلة بن سالم[٣] .

٩ — خدا ينامه : كان هذا الكتاب أهم أثر تاريخى أسطورى أثر عن عهد الساسانيين ، وقد نقل عنه مؤرخو المسلمين الذين تعرضوا لتاريخ الفرس فى كتبهم ، لا سيما مؤرخو القرنين الثالث والرابع ، كما نقل عن هؤلاء مؤرخو القرون التالية .

ويفهم مما ورد فى التوراة من إشارات أنه كان للفرس منذ أيام الأكمينيين (الهخامنشيين) كتب دونت فيها أخبار أسلافهم ، فقد جاء فى الإصحاح الرابع من سفر عزرا : « هذه صورة الرسالة التى أرسلوها إليه إلى أرتحشتا الملك ، عبيدك القوم الذين فى عبر النهر ، إلى آخره ، ليعلم الملك أن اليهود الذين صعدوا من عندك إلينا قد أتوا إلى أورشليم ويبنون المدينة العاصية الردية ، وقد أكملوا أسوارها ورمموا أسسها ، ليكن الآن معلوماً لدى الملك أنه إذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها ، لا يؤدون جزية ولا خراجاً ولا خفارة ، فأخيراً تضر الملوك ، والآن بما أننا نأكل ملح

(١) التنبيه والإشراف طبعة دار الصاوى سنة ١٣٥٧ هـ . — ١٩٣٨ م . ص ٩٢ ، ٩٣ .
(٢) معرب (اسما نگون) ومعناها : سماوى أو بلون السماء .
(٣) حماسه سرائى در إيران چاپ دوم ص ٥٨ .

دار الملك ، لا يليق بنا أن نرى ضرر الملك ، لذلك أرسلنا فأعلمنا الملك لكى يفتش فى سفر أخبار آبائك ، فتجد فى سفر الأخبار وتعلم أن هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد ، وقد عملوا عصياناً فى وسطها منذ الأيام القديمة لذلك أخربت هذه المدينة[١] » .

وتفيد الآيات من ١٧ إلى ٢٤ ، أن الملك رد على هذه الرسالة وأمر بإيقاف البناء بعد أن فتش فى الكتاب المشار إليه ونحقق من صحة ما ورد فى الرسالة ، وظل بناء أورشليم معطلاً حتى السنة الثانية من ملك دارا .

وجاء فى آخر الإصحاح الثانى من سفر أستير فى سياق الحديث عن الملك أحشويروش الفارسى : « من تلك الأيام بينما كان مردخاى جالساً فى باب الملك ، غضب بغتان وترش خصيا الملك حارسا الباب ، وطلبا أن يمدا أيديهما إلى الملك أحشويرش[٢] فعلم الأمر عند مُردخاى فأخبر أستير الملكة فأخبرت أستير الملك باسم مُرداخاى ففحص عن الأمر ووجد فصلب كلاهما على خشبة وكتب ذلك فى سفر أخبار الأيام أمام الملك[٣] »

وجاء فى أول الإصحاح السادس : « فى تلك الليلة طار نوم الملك فأمر بأن يؤتى بسفر تذكار أخبار الأيام فقرئت أمام الملك فوجد مكتوباً ما أخبر به مُردخاى عن بغتانا وترش خصيى الملك حارسى الباب اللذين طلبا أن يمدا أيديهما إلى الملك أحشويرش »[٤].

وفى أول الإصحاح العاشر : « ووضع الملك أحشويرش جزية على الأرض وجزائر البحر ، وكل عمل سلطانه وجبروته وإذاعة عظمة مُردخاى الذى عظمه الملك أما هى مكتوبة فى سفر أخبار الأيام للملوك مادى وفارس[٥] »

ويفهم من العبارة الأخيرة أن أخبار الملوك فى إيران كانت تسجل منذ أيام الميديين كذلك .

---

(١) الآيات من ١١ إلى ١٥ .
(٢) أن يعتديا عليه .
(٣) الآيتان ٢١ ، ٢٢ .
(٤) الآيات من ١ إلى ٣ .
(٥) الآيتان ١ ، ٢ .

ومما ذكره المسعودى وحمزة الإصفهانى عن كتاب الصور نتبين مدى مبالغة الساسانيين فى تسجيل مآثر ملوكهم ، ويؤثر عن (ا*كاتياس) Agathias الشاعر والمؤرخ اليونانى فى القرن السادس الميلادى أنه كان فى عهد كسرى أنوشيروان دفاتر فى القصر لتسجيل الأحداث والوقائع [١] .

ومن مقدمة بايسنقر يتضح أن كتب التواريخ الساسانية لم تكن مقصورة على ذكر ملوك بنى ساسان بل كانت تشمل تاريخ الملوك جميعاً من (*كيومرث) أبى البشر وأول ملك پيشدادى — على بعض الروايات — حتى آخر أيام (خسرُوْ پرْويز) وأنه قد تم جمع هذه التواريخ والأخبار وترتيبها وتبويبها أيام (يَزْدَ*كرْد) ، وفيما يلى نص العبارة التى تشير إلى هذا من المقدمة المذكورة :

« چون زمان يزدجرد شهريار رسيد [مجموع آن اخبارى كه در عهد أنوشيروان *كرد آوردند] در تواريخ متفرقه در خزانه جمع شده بود . دانشور دهقان را كه از جملهٔ اكابر مداين بود وشجاعت وحكمت باهم جمع داشت بفرمود تا آن تواريخ را فهرستى نهاده از ابتداى دولت *كيومرث تا انتهاى دولت خسرو پرويز بر ترتيب يادكرد وهر سخن كه در آنجا مذكور نبود از موبدان واديبان پرسيد وآنرا ملحق *كردانيد وتاريخى جمع شد در غايت كمال » .

وترجمة هذه العبارة :

« فلما كان زمان يزدجرد بن شهريار كانت جميع الأخبار التى جمعت فى عهد أنوشروان ، قد جمعت فى تواريخ متفرقة بالخزانة ، فأمر (يزدجرد) الدهقان دانشور [٢] — الذى كان من جملة أكابر المدائن وجمع بين الشجاعة والحكمة — فوضع لهذه التواريخ فهرستاً من أول دولة جيومرث إلى انتهاء دولة كسرى أبرويز ، وذكرهم بالترتيب ، وكل ما لم يكن مذكوراً هنالك سأل عنه الموابذة والأدباء وألحقه به ، فتجمع تاريخ فى غاية الكمال » .

---

(١) حماسه سرائى در إيران چاپ دوم ص ٥٩ .

(٢) يخالف الدكتور ذبيح الله صفا *زول مول ونلدكه فى أن كلمة (دانشور) التى بمعنى العالم ، اسم الدهقان أو لقبه ، ويرى أنها صفة للدهقان : «حماسة سرائى ص ٦١» .

وفى مقدمة شاهنامة أبى منصور المعروفة بالمقدمة القديمة أن (فرخان) رئيس الموابذة « موبدان موبد » على عهد يزدجرد و (ورامين) غلام يزدجرد يعدان من مؤلفى تاريخ إيران[1] . وهذا يؤيد صحة ما يقال عن جمع التواريخ والأخبار والروايات وتضمينها بطون الكتب أيام الساسانيين .

ولكن كتاب التاريخ الذى جمع وألف فى عهد يزدجرد وبلغ غاية الكمال ، ما هو ؟ وأى كتاب كان ؟ .

تشير بعض كتب التاريخ التى ألفت فى القرون الأولى الهجرية إلى كتاب تاريخ كبير كتب بالبهلوية وكان موجوداً فى إيران منذ قبل الفتح الإسلامى وقد نقله عبد الله بن المقفع كما ترجمه آخرون أيضاً إلى العربية ويسمى هذا الكتاب فى تلك المصادر : « خداى نامه » ، و « خداى ناماه » . وقد حفظت لنا المصادر الإسلامية الهامة مثل : سنى ملوك الأرض ، وتاريخ الطبرى وترجمته الفارسية ، ومجمل التواريخ والقصص ، وتاريخ سيستان ، والآثار الباقية ، وعيون الأخبار نقولا من هذا الكتاب .

وبمقارنة هذه النقول بالروايات القديمة وبما جاء بالشاهنامة ، يمكن القول بأن كتاب « عهد يزدجرد » هو عينه « خدا ينامه » الذى ترجم إلى العربية باسم « سير الملوك » وإلى الفارسية باسم « شاهنامه » وكلمة خداى نامه أو خداى ناماه هى التلفظ الجديد للاسم البهلوى « خوتاى نام*ك » .

وقد جمع فى هذا الكتاب كما تقدم ، تواريخ وسير ملوك إيران من « *كيومرث » إلى أواخر ملوك الساسانيين ، وضُمن قصصاً وروايات وأساطير قومية ومذهبية وحقائق تاريخية ، وقد امتزج فيه التاريخ بالقصص الذى جمع من الأبستاق ونقل عن الرواة وتشابها ، فأصبح هذا القصص فى نظر الإيرانيين حقائق مقررة وأدرج فى كتب تاريخهم .

وقد لقى هذا الكتاب فى أوائل العهد الإسلامى شهرة فائقة ، وكانت توجد منه نسخ متعددة تختلف فيما بينها اختلافاً بيناً :

يقول موسى بن عيسى الكسروى : « إنى نظرت فى الكتاب المسمى خداى نامه وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية إلى العربية سمى كتاب تاريخ ملوك الفرس ،

---

(١) حماسه سرائى ص ٦٠ .

فكررت النظر فى نسخ هذا الكتاب وبحثتها بحث استقصاء فوجدتها مختلفة، حتى لم أظفر منها بنسختين متفقتين وذلك كان لاشتباه الأمر على الناقلين لهذا الكتاب من لسان إلى لسان »[١] .

ويقول بهرام الموبذ : « إنى جمعت نيفا وعشرين نسخة من الكتاب المسمى (خداى نامه) حتى أصلحت منها تواريخ ملوك الفرس من لدن* كيومرت والد البشر إلى آخر أيامهم بانتقال الملك عنهم إلى العرب » [٢] .

وكما تعددت نسخ (خداى نامه) تعددت كذلك ترجماته العربية، وتصدى لترجمته غير ابن المقفع كثير من المترجمين مثل محمد بن الجهم البرمكى، وزادويه ابن شاهويه الإصفهانى، ومحمد بن بهرام بن مطيار الإصفهانى ، وهشام بن قاسم الإصفهانى ، وموسى بن عيسى الكسروى، وبهرام بن مردانشاه موبد مدينة شاپور من بلاد فارس ، وإسحق بن يزيد ، وعمر بن الفرخان ، وبهرام الهروى المجوسى ، وبهرام بن مهران الإصفهانى إلى غير هؤلاء من المترجمين والمهذبين[٣] الذين ورد ذكرهم فى الآثار الباقية، وسنى ملوك الأرض، والفهرست، ومجمل التواريخ والقصص والمقدمة القديمة للشاهنامة ومقدمة تاريخ الطبرى[٤] .

يقول حمزة الإصفهانى : « وملوك الفرس على تطاول أيام ملكهم مع اجتماع كلمتهم كان يلزم طبقاتهم الأربع أربعة أسماء : الفيشدادية، والكيانية، والأشغالية والساسانية .

وتواريخهم كلها مدخولة غير صحيحة لأنها نقلت من مائة وخمسين سنة من لسان إلى لسان ، ومن خط متشابه رقوم الأعداد إلى خط متشابه رقوم العقود ، فلم يكن لى فى حكاية ما يقتضى هذا الباب ملجأ إلا جمع النسخ المختلفة النقل ، فاتفق لى ثمانى نسخ هى سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكى، وكتاب تاريخ ملوك الفرس المستخرج من خزانة المأمون، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه الإصبهانى، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل أو جمع محمد بن بهرام بن مطيار الإصبهانى، وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من نقل أو جمع هشام بن قاسم الإصبهانى،

---

(١) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ١٥ .
(٢) نفس المصدر ص ١٩ .
(٣) الذين هذبوا هذه الكتب ونقحوها .
(٤) حماسة سرائى ص ٢٩ .

وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من إصلاح بهرام بن مردانشاه موبد كورة شابور من بلاد فارس »[١] .

ويرى البارون (روزن) Baron V. Rosen أن جميع هذه التراجم نقلت من البهلوية مباشرة ويقسم المترجمين إلى ثلاث طوائف :

١ — مترجمين لم يغيروا فى عبارة الكتاب ولم يتصرفوا فيه تصرفاً ذا بال وهم : ابن المقفع ، ومحمد بن الجهم البرمكى ، وزادويه بن شاهويه الإصفهانى .

٢ — مترجمين غيروا وبدلوا فى بعض المواضع والأبواب من الكتاب تبديلاً كاملاً وزادوا فيه تواريخ وقصصاً من كتب بهلوية أخرى مثل : محمد بن بهرام ابن مطيار الإصفهانى وهشام بن قاسم الإصفهانى .

٣ — مترجمين قابلوا بين النسخ المختلفة واختاروا أصحها مثل موسى بن عيسى الكسروى ، وبهرام بن مردان شاه ، وكان هؤلاء بعد مقابلة وتصحيح النسخ يزيدون عليها أبواباً وجدوها فى كتب أخرى ، وفى حالة وجود تناقض بين القصص والروايات المتشابهة ، يغيرون ويبدلون فيها ظانين أنهم بذلك قد أعادوها إلى صورتها الأولى[٢] .

ورأى روزن هذا وعبارة حمزة الإصفهانى من قبل يفسران فى وضوح علة الاختلاف بين التراجم العربية ، وقد ضاعت هذه التراجم مع أصولها البهلوية فلم يبق منها إلا روايات متفرقة مبعثرة فى الكتب الإسلامية ، ولعله من أسباب إختلاف المتون البهلوية والترجمات العربية لكتاب (خداينامه) فوق ما ذكر عدم مبالاة النساخ ، فغيروا وبدلوا وزادوا أو حذفوا ولم يراعوا الأمانة فى النقل ، وقد كان من أثر ترجمة هذا الكتاب إلى العربية ذيوع القصص الفارسى بين المسلمين فحفلت به كتب التاريخ والأدب العربية منها والفارسية على السواء .

وقد وصلنا علاوة على ما ذكر أسماء كتب قصصية أخرى ضاعت فيما ضاع

(١) سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٩ . ويلاحظ أن عدد الكتب التى ذكرها سبعة لا ثمانية ولعل اسم أحدها سقط فى النسخ أو الطبع .

(٢) حماسه سرائى ص ٦٩ ، ٧٠ ، إيران در زمان ساسانيان ص ٧٧ وما بعدها .

من الكتب البهلوية مثل مزدك نامه، وكتاب التاج[1]،وقصة شهر براز مع پرويز ، وقصة دارا والصنم الذهبي (دارا وبت زرّين) وكتاب أعمال أنوشروان (كارنامه* أنو شيروان) وقد ترجم إلى العربية ونقل عنه أبو على بن مسكويه فى كتابه تجارب الأمم ، وكتاب لهراسب أو (لهراسپ نامه) الذى ترجمه على بن عبيدة الريحانى ، إلى كثير غير ذلك .

وباستعراض ما ذكر من أسماء الكتب البهلوية الموجودة والمفقودة ، يتضح لنا أن الأدب البهلوى استمر نشاطه طيلة القرون الثلاثة الهجرية الأولى وأنه حتى القرن السابع كان هناك من يعرف البهلوية ويترجم عنها، فقد نظم (زرتشت بهرام *پژدو) من شعراء القرن السابع الهجرى ، كتاب (اردا ويرافنامه) البهلوى بالشعر الفارسى ، وكذلك يتبين بجلاء أن القصة كانت العنصر السائد فى هذا الأدب .

هـ – مكان القصة من الأدب الحديث :

بظهور الأدب الفارسى الحديث ونضجه واتضاح معالمه كان القصص البهلوى مادته الغزيرة ، وكان جمهرة شعرائه العظام ومقلدوهم شعراء قصة ، كما شغلت الشاهنامات أو كتب الملوك وأخبارهم أكبر حيز منه ، وبرزت إلى جانب الروايات القومية الحماسية والعاطفية والمثنويات المطولة التاريخية والمذهبية ، القصة القصيرة التى ملأت كتب الأدب والنصيحة والسياسة والأخلاق وأصبحت لازمة من لوازم الكتاب والشعراء الذين ألفوا أو نظموا فى هذه الأبواب كما يشاهد ذلك جلياً فى : قابوسنامه، وتشهار مقاله « چهار مقاله » ، وسياستنامه، ونصيحة الملوك، و*كلستان وبوستان ، وأنوار سهيلى ، وجامع الحكايات ولوامع الروايات ؛ كذلك ذاعت

---

(١) فى العربية كتاب بهذا الاسم منسوب للجاحظ ، نشره أحمد زكى باشا سنة ١٣٢٢ هـ . – ١٩١٤ م . وترجمه إلى الفارسية آقاى حبيب الله نوبخت سنة ١٣٣٠ هـ . ش (١٩٥١ م .) وهو غير كتاب التاج فى سيرة أنو شروان الذى ترجمه ابن المقفع عن البهلوية ، وذكر العلامة أحمد زكى باشا فى مقدمته للكتاب عدة كتب عربية تحمل هذا الاسم لم يصلنا غير أسمائها (ص ٣٤ وما بعدها) وقد كتب الأستاذ الدكتور محمد محمدى رئيس قسم اللغة الفارسية وآدابها بالجامعة اللبنانية مقالا مفصلا بالفارسية عن كتاب التاج فى سيرة أنو شروان نشر بالعدد الثالث من السنة الثالثة من مجلة الدراسات الأدبية التى تصدرها الجامعة اللبنانية (خريف سنة ١٩٦١ م .)

القصة القصيرة فى كتب المتصوفة مثل : حديقة الحقيقة ، ومثنوى مولوى ، مما سيأتى تفصيله .

ما أهل القرن الثالث الهجرى حتى أخذت معالم الأدب الفارسى الحديث تتضح وتقوى رويداً رويداً ، وظهر فيه شعراء مثل حنظلة الباد غيسى ، ومحمد ابن وصيف ، وفيروز المشرقى، وأبى سليك الجرجانى ، نقلت لنا كتب الأدب عنهم قطعاً وأبياتاً متفرقة لا تعدوا أن تكون تقليداً ومحاكاة لشعراء العرب، غير أنه حوالى منتصف هذا القرن بدأ شعراء الفرس يتحررون من رق التقليد واصطنعوا نوعاً من الشعر عرف بالمثنوى كان ظهوره تلبية لاتجاههم إلى نظم مطولات شعرية عرفت فيما بعد بالمثنويات ، وقل أن وجد من بينهم شاعر عظيم لم يؤثر عنه شيء منها ، والأدب الفارسى الحديث ذاته لم يكن إلا انبثاقاً من نزعة قومية تحررية عارمة استهدفت خلع نير العرب واستعادة مجد سليب ، فكان أول ظهوره داعية هذه النزعة وترجمانها الأمين ، وتلفت الفرس — شأن كل أمة ناهضة مجاهدة — إلى ماضيهم يستلهمونه الهداية ويستمدون منه القوة الروحية لمواجهة حاضرهم، فحملوا هذا الأدب ثروة قصصية طائلة لم تكن فى عقيدتهم إلا تاريخ آبائهم منذ أول ملوكهم (*كيومرث) أبى البشر حتى آخر أيام بنى ساسان الذين دالت دولتهم على يد العرب المسلمين .

واتفق أن ظهر على مسرح إيران السياسى دولة إيرانية خالصة تصل نسبها ببهرام جوبين القائد الثائر على مليكه الساسانى خُسرُوْ پَرْويز (كسرى برويز) وتعتز بهذا النسب ، ولعبت دورها فى التاريخ طوال القرنين الثالث والرابع الهجريين إلا قليلاً ، فشجع قيام هذه الدولة — التى عرفت بالدولة السامانية[1] — على جمع التراث البهلوى ونقله إلى الأدب الفارسى الحديث، ووجد فيه الشعراء مادة وفيرة لنظم المثنويات القصصية المطولة ، وكان أول مثنوى قصصى عرف فى الفارسية

---

(١) بدأ أمر الدولة السامانية بأحمد بن أسد السامانى عام ٢٠٤ هـ . — ٨١٩ م .
وكان أول أمرائها العظام نصر بن أحمد السامانى الذى حكم من سنة ٢٥٠ إلى سنة ٢٧٩ هـ . (٨٦٤ — ٨٩٣ م .) وآخر أمرائها أبو إبرهيم إسماعيل المنتصر بن نوح الذى قتل سنة ٢٩٠ هـ . — ٩٠٢ م .

الحديثة هو مثنوى كليلة ودمنة الذى ترجمه ابن المقفع قبل ذلك من البهلوية إلى العربية ، ويعزى نظم هذا المثنوى إلى أبى جعفر الرودكى أول الشعراء الفرس العظام وأبى الشعر الفارسى وشاعر نصر بن أحمد السامانى أظهر أمراء بنى سامان شأناً، وتروى كتب الأدب أن شاعراً اسمه المسعودى المروزى نظم لأول مرة شاهنامة فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وحوالى هذا التاريخ كتبت شاهنامات منثورة مثل شاهنامة أبى على البلخى وشاهنامة أبى المؤيد البلخى المذكورة فى مقدمة قابوسنامه . وفى أواسط هذا القرن جمعت شاهنامة أبى منصور محمد بن عبد الرزاق الطوسى حاكم طوس ، كذلك يروى أن كلا من أبى المؤيد البلخى — صاحب الشاهنامة المتقدم ذكرها — والبختيارى من شعراء القرن نفسه ،نظم مثنوياً ضمنه قصة يوسف وزليخا المعروفة فى القرآن وكتب التفسير ، وقد غيب الزمان كل هذه المجموعة القصصية فى غياهب المجهول فلم يصلنا منها إلا أخبار تروى . وقد نبغ شاعران عظيمان من أهل طوس انبريا لنظم أخبار الملوك فاعتمدا على تلك الشاهنامات الضائعة والروايات الذائعة والكتب الأخرى التى كانت ما تزال موجودة على أيامهما ، وهما أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقى المتوفى سنة ٣٦٤ هـ . — ٩٧٤ م . (كما سيلى فى ترجمته) وأبو القاسم الفردوسى المتوفى بين سنتى ٤١١ ، ٤١٦ هـ . (١٠٢٠، ١٠٢٥ م.) فشرع الدقيقى فى نظم كتاب الملوك بأمر منصور بن نوح السامانى[1] وبدأه بقصة (*كشتاسپ) وظهور (زردشت) فى ألف بيت، ولكن المنية عاجلته على يد غلامه وبقى عمله كما تركه إلى أن جاء الفردوسى فشرع من حيث انتهى الدقيقى وأكمل نظم الكتاب فى خمس وثلاثين سنة ،[2] فخلد بذلك مجد الفرس ولغتهم فى شاهنامته المشهورة البالغ عدد أبياتها نحو ستين ألف بيت ، وسجل اسمه كذلك فى سجل الخالدين :

جهان كرده أم از سخن چون بهشت
ازين پيش تخم سخن كس نكشت

---

(١) حكم من سنة ٣٥٠ إلى سنة ٣٦٦ هـ . (٩٦١ — ٩٧٦ م .)

(٢) سنعرض لهذا تفصيلا عند البحث فى تاريخ تأليف الشاهنامه .

بناهای آباد *گردد خراب . . . .
زباران واز تابش آفتاب . . . .
پی افکندم از نظم کاخ بلند . . .
که از باد و باران نیابد *گزند
نمیرم از ین پس که من زنده ام
که تخم سخن را پراکنده ام . . . .

* * *

أى :

لقد صيرت الدنيا بكلامى كالجنة، ولم يزرع أحد من قبل هذا بذور الكلام
تتخرب الأبنية العامرة من المطر وحر الشمس .
فأرسيت من النظم قصراً شامخاً لا يضيره الريح والمطر .
لن أموت بعد هذا فإنى حى إذ بذرت بذور الكلام .

* * *

وينسب إلى الفردوسى كذلك نظم مثنوى يوسف وزليخا الذى بأيدينا ، ومع أن الفردوسى لم يكن أول ناظم للشاهنامة والمثنويات القصصية فإنه أول شاعر عبقرى بلغ بهذا الفن ذروته وتجاوب مع روح عصره وعبر بأقوى عبارة عن مشاعر أمته فنسخ آثار المتقدمين وغدا قدوة المتأخرين .

بلغت الروح الحماسية القومية فى إيران أقصى مداها فى منتصف القرن الرابع الهجرى، ولكن لم يقدر لها المضى فى فورتها إذ حدث ما غير مجرى التاريخ فبدأ زمام الحكم ينتقل إلى أيدى العناصر التركية منذ أواخر القرن المشار إليه، وظهر الغزنويون[1] ثم السلاجقة ثم الدولة الخوارزمية التى أخلت مكانها بدورها للمغول فى أوائل القرن السابع واستمر هؤلاء وأحفادهم الإيلخانيون والتيموريون يسيطرون على البلاد حتى مطلع القرن العاشر الهجرى فلم يكن طبيعياً أن تشجع هذه الحكومات

---

(١) من الأخطاء الشائعة أن شاهنامة الفردوسى كتبت فى عصر محمود الغزنوى ، وسنتناول هذه المسألة بالتفصيل عند الحديث عن الشاهنامة فيما بعد .

التركية على استمرار الحركة التحررية الإيرانية ففترت ثم ركدت ثم قضى عليها إلى حين .

كذلك كان من أثر تغلغل الإسلام فى النفوس طيلة هذه القرون واطمئنان قلوب الإيرانيين إليه من جهة ، واضطراب الأوضاع وعدم استقرار الأمور بالبلاد إلى حد أيأس الناس من إصلاحها من جهة أخرى ، أن سادت البلاد روح إسلامية صوفية ولكنها روح استسلامية كذلك ، فترك الناس الدنيا لحكامها المتجبرين المتناحرين بعد يأس من صلاح الأمور على أيديهم وعجزهم عن تغيير هذه الحال ، واتجهوا بآمالهم وأمانيهم نحو عالم الروح والدار الباقية ، وبلغ من أمرهم أخيراً أن نظروا إلى آبائهم المجوس نظرتهم إلى المشركين الفاسقين عن أمر ربهم ، متقربين إلى الله بنعمة الإسلام وولائهم له ، فنرى السعدى الشيرازى شاعر القرن السابع الهجرى يقول :

اى كريمى كه از خزانهٔ غيب
گبر وترسا وظيفه خور دارى
دوستان را كجا كنى محروم
توكه با دشمنان نظر دارى

* * *

أى :
يا كريماً ترزق المجوسى والنصرانى من خزانة الغيب !
كيف تحرم الأولياء يا من ترعى الأعداء ؟

* * *

ولم نعد نرى المجوس أحبار التراث الإيرانى القديم وحفظة الروايات والتاريخ فى شاهنامة الفردوسى شاعر القرن الرابع ، غير خمارين وأصحاب حانات عند الحافظ الشيرازى شاعر القرن الثامن الهجرى :

دلم ز صومعه بگرفت وخرقهٔ سالوس
كجاست دير مغان وشراب ناب كجاست

والمعنى :

لقد ضاق صدرى « قلبى » بالصومعة وخرقة الرياء والنفاق ، فأين دير المجوس والشراب الخالص أين ؟

* * *

من از ورع ، مى ومطرب نديدمى زين پيش
هواى مغبچه*كا نم درين ون انداخت
كنون بآب مى لعل خرقه ميشويم
نصيبهٔ ازل از خود نمى توان انداخت
م*كر *كشايش حافظ درين خرابى بود
كه بخشش ازلش در مى مغان انداخت

* * *

ومعناها :

لم أكن أرى الخمر والمطرب قبل هذا تورعا
فألق بى هوى صبية المجوس فى هذا وذاك
والآن أغسل خرقة التصوف بالصهباء
إذ لا يمكننى التخلص من نصيبى الأزلى
لعل فرج الحافظ كان فى هذا الخراب.
فألقت به مغفرة الأزل فى خمر المجوس .

* * *

ومع ذلك فإن الدفعة القوية التى دفعت بالأدب الفارسى الحديث فى طريق إحياء القصص الحماسى القديم إذكاء للروح القومية استمر أثرها حتى أوائل القرن السادس الهجرى ، ففى أواسط القرن الخامس نظم أبو نصر على بن أحمد الأسدى الطوسى ملحمة (*كرشاسپ) المعروفة باسم «*كرشاسپ نامه» أوشاهنامهٔ *كرشاسپ ، *وكرشاسپ هذا بطل من أبطال سيستان وملوكها وهو الجد الأكبر لرستم البطل الأول فى شهنامة الفردوسى ومحورها .

وفى أواخر هذا القرن وأوائل القرن السادس نظمت ملاحم أخرى ذكر بعضها فى مجمل التواريخ والقصص المؤلف حوالى سنة ٥٢٠ هـ . — ١١٢٦ م . مثل (بهمن نامه) وناظمها كما يقول صاحب مجمل التواريخ والقصص (ايرانشاه بن أبى الخير) وينسب مؤلف مجمع الفصحاء هذه الملحمة إلى (جمالى المهريجردى) «مهري*كردى» من شعراء القرن الخامس ، وتوجد منها مخطوطات نادرة إحداها محفوظة بالمتحف البريطانى . ومثل (فرامرز نامه) التى توجد منها نسخة فى مكتبة باريس الأهلية ، إلى كثير غير هذه الملاحم ورد ذكرها بتفصيل فى الفصل الثانى من كتاب (حماسه سرائى در إيران) .

وعلى أثر ضعف الفكرة القومية والتعصب العنصرى اتجه الشعراء إلى نظم المثنويات العاطفية والملاحم التاريخية ، فنظم الفخر الجرجانى من شعراء القرن الخامس قصة (ويس ورامين) كما نظم الحكيم أبو محمد إلياس يوسف المعروف بالنظامى ال*كنجوى من شعراء القرن السادس قصة خسرو وشيرين ، وليلى والمجنون، وهفت پيكر ، وقلده فى ذلك شعراء القرون التالية، كذلك نظم خواجو الكرمانى من شعراء القرن الثامن قصة هما وهمايون ، ونظم عبد الرحمن الجامى شاعر القرن التاسع وآخر الشعراء الفرس العظام : سلامان وابسال ، وليلى والمجنون ، ويوسف وزليخا ، وهذه الأخيرة قصة عاطفية دينية سبقه إلى نظمها الفردوسى وشاعران آخران هما أبو المؤيد البلخى والبختيارى كما تقدم . وكل هذه ملاحم عاطفية افتن الشعراء الفرس فى صياغتها وعرضها فى صور مختلفة وقلد المتأخرون فى نظمها المتقدمين على سبيل المعارضة كما كان الشعراء العرب يفعلون فى معارضة القصائد العربية .

وإذا كنا سلكنا الملاحم التاريخية فى باب القصص فما ذلك إلا لغلبة الخيال القصصى فيها على الوقائع التاريخية فاكتست بذلك ثوباً أسطورياً يجعلها أقرب إلى القصص منها إلى التاريخ فهى لا تعدوا أن تكون قصصاً تاريخياً .

ولعل شخصية الإسكندر الأكبر أبرز شخصية تاريخية أحيطت بهالات أسطورية ونظم فيها شعراء عديدون ، وقد يكون من دواعى ذلك ذكر هذه الشخصية فى القرآن وكتب التفسير وتأثر شعراء الفرس بالإسلام والثقافة العربية ، فتباروا فى نظم هذه القصة كما تباروا فى نظم قصة يوسف وزليخا وليلى والمجنون .

كان أول من تعرض لنظم هذه الملحمة النظامى الكنجوى المتقدم ذكره ، وقلده فى ذلك شعراء الفارسية بالهند وإيران على السواء ، كالأمير حسن الدهلوى الهندى ناظم (آيينهٔ سكندرى) أى المرآة السكندرية ، وعبد الرحمن الجامى صاحب (خردنامهٔ سكندر) وتبعهم فى هذا الطريق آخرون .

ولكن أهم الملاحم التاريخية ملحمة (ظفرنامه) أى كتاب الظفر ؛ التى تتضمن تاريخ إيران منذ الفتح الإسلامى حتى تاريخ نظمها أى أواسط النصف الأول من القرن الثامن الهجرى وقد نظمها حمد الله المستوفى القزوينى المتوفى عام ٧٥٠ هـ . (١٣٤٩ م.) . وتعتبر هذه الملحمة ذيلا للقسم التاريخى من شاهنامة الفردوسى . وتلا ذلك نظم شاهنامات تاريخية عديدة لا مجال هنا لذكرها كلها أو جلها .

ومنذ أواخر القرن التاسع الهجرى ظهرت ملاحم مذهبية شجع على رواجها فيما بعد اتخاذ المذهب الشيعى الإثنى عشرى مذهباً رسمياً للدولة فى مستهل القرن العاشر ؛ وأقدم ما بأيدينا منها (خاوران نامه) وهى من القصص الحماسى الشيعى وتدور حول بطولة على بن أبى طالب وبلائه فى حرب الإنس والجن فى ثوب خرافى أسطورى يجسم عقلية عوام الشيعة وعقيدتهم فى شجاعة على بن أبى طالب وشخصيته الدينية . وناظم هذه الملحمة هو محمد بن حسام الدين المشهور بابن حسام من شعراء القرن التاسع المتوفى سنة ٨٧٥ هـ. — ١٤٧٠ م .

ومن الملاحم المذهبية أيضاً (صاحبقران نامه) وموضوعها حياة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم النبى ، وقد نظمت عام ١٠٧٣ هـ. — ١٦٦٢ م. و(حملهٔ حيدرى) وتتناول حياة الرسول وابن عمه على بن أبى طالب ؛ وناظمها ميرزا محمد رفيع خان باذل المتوفى عام ١١٢٤ هـ. — ١٧١٢ م.

وكما حفل الأدب الفارسى أخيراً بالكثير من القصص الحماسى المذهبى بعد استقرار المذهب الشيعى بإيران وإعلانه مذهباً رسمياً للدولة ، ظهر كذلك لون باك حزين من الأدب مادته الكوارث والنكبات التى لحقت بأهل بيت الرسول على يد خصومهم وأعدائهم عرف باسم (تعزيه) لا يخرج عن أن يكون قصصاً وصفيا فى صورة مراث تتلى منغمة فى مجالس العزاء الشيعية ويتخذ بعضه صورة مسرحية شعبية يمثلها الشعب نفسه كل عام فى ذكرى مقتل الحسين .

وهنالك نوع آخر من القصة الفارسية سار فى موازاة الرواية الحماسية والمطولات القصصية التى استأثر بها الشعر فى المثنويات وبقيت لنا صورتها الشعرية واستغنى الناس بها عن أصولها المنثورة فكان ذلك من جملة ما أدى إلى إهمال تلك الأصول ثم ضياعها ، وهذا النوع نراه منبثاً بين أبواب الكتب المختلفة منثورها ومنظومها ولا يوجد قائماً بذاته إلا فى كتب قليلة معدودة مثل : *كلستان ، وبهارستان ، وپريشان ، ومقامات حميدى ، وجامع الحكايات ولوامع الروايات ، ومرزبان نامه ، وكليلة ودمنة المترجم من العربية إلى الفارسية الحديثة ، ويذكر غالباً تحت عنوان « حكايت » خلال الموضوعات وفى سياقها للاستشهاد والتمثيل ، وهو قصص قصير مختصر قد لا تجاوز الحكاية منه بضعة أسطر .

وإذا كان الشعر قد استأثر بالقصة الفارسية الطويلة فإن هذه القصص القصيرة أو الحكايات توجد منثورة ومنظومة على السواء ، فنراها منثورة مثلا فى قابوسنامه ، وچهارد مقاله « تشهار مقاله » ، وسياستنامه ، ونصيحة الملوك ، وجامع الحكايات ولوامع الروايات ، و*كلستان ، وبهارستان ، وپريشان ، ومرزبان نامه وغيرها ، كما نراها منظومة فى كتب المتصوفة مثل حديقة الحقيقة ، ومثنوى مولوى ، وبوستان ، ومنطق الطير وبعض حكايات *كلستان .

والنتيجة التى نخرج بها من بحثنا هذا هى أن القصة الفارسية أبرز جوانب الأدب الفارسى قديمه ووسيطه وحديثه وأكثرها وضوحاً وأنها تشغل الحيز الأكبر من هذا الأدب فى مختلف أدواره وعصوره ، وأن جمهرة شعراء الفرس العظام كالفردوسى والدقيقى ، والنظامى ، والسنائى والعطار ، والسعدى وجلال الدين الرومى ، والجامى ومقلديهم كانوا شعراء قصة ، وأن مؤلفى كتب التاريخ والسياسة والنصيحة والأخلاق والأدب والتصوف عالجوا القصة كذلك .

وإذا وضعنا نصب أعيننا أن الأدب الفارسى الحديث إلا أقله أدب قصصى صوفى حكمى أخلاقى ، وأن شعراء الفرس ومتصوفتهم وحكماءهم ومؤلفى كتب النصيحة والأخلاق بل وكتاب الأدب والسياسة والتاريخ كذلك استعانوا على إبراز معانيهم وتوضيح مراميهم وتقوية قضاياهم بالحكايات أدركنا فى وضوح خطر القصة فى هذا الأدب .

الفصل الثالث

القصة الفارسية

نعني بالقصة الفارسية هذا الجانب القصصي من الأدب الفارسي الإسلامي غير المتأثر بالأدب الأوروبي الحديث، ومجال بحثنا على وجه التحديد يبدأ بالقرن الرابع الهجري وينتهي بانتهاء القرن التاسع وطرف من القرن العاشر أي أوائل عهد الصفويين وقد وقفنا عند هذا الحد لأن الأدب الفارسي بعد القرن التاسع — باستثناء الأدب المذهبي — لم يعد محاكاة المتأخرين للمتقدمين ، ولا يتميز عهد ازدهار الدولة الصفوية إلا بغلبة الأدب الشيعي الحزين ، فإذا ما تقدمنا بعد ذلك إلى أوائل القرن الرابع عشر (١٣٢٤ هـ. ١٩٠٦ م .) بدأت إيران عهداً جديداً يعرف بعهد الدستور وتطلعت في نهضتها الجديدة إلى الغرب تقبس من حضارته وأفكاره ما يساعدها على السير في ركب الحياة المعاصرة ، فكان لذلك أثره وانعكاسه في الأدب الفارسي وعقول أدبائه وكتابه . وقد نقل الإيرانيون فيما نقلوا عن الغرب آثاراً قصصية اتخذوها فيما بعد مثالا احتذوه وأنشأوا على غراره فلم تكن القصة الفارسية بعد ذلك إلا تقليداً للقصة الأوروبية وتطبيقاً لأصول الفن القصصي الأوروبي وقواعده على البيئة الإيرانية .

وقد يجمل بنا قبل الخوض في موضوعنا أن نلم إلمامة عابرة بالقصة المعاصرة لنستطيع عن طريق هذا العرض السريع إبراز الجوانب التي تتميز بها القصة الفارسية ذات الطابع القومي الأصيل من غيرها .

يتخذ معاصرونا من القصة فنًّا يهدف إلى عرض فكرة أو تسجيل صورة من صور الحياة او إبراز جانب منها أو رسم شخصية أو تصوير عاطفة من العواطف أو تعبير عن صراع بين أحاسيس مختلفة تختلج بها النفس البشرية في حال من الأحوال ، ويقاس نجاح القصة بمدى تأثيرها في القارىء واستغراقها لمشاعره ونقلها إياه إلى جوها فيشارك القاص أفكاره ويشهد صوره ويندمج في شخصياته ويحس

إحساسه وتجيش نفسه بعواطفه وانفعالاته فإذا لم يوفق الكاتب إلى شيء من هذا لم يكن عمله من الفن القصصي في شيء .

وتنقسم القصة المعاصرة من حيث القالب والصورة إلى : أقصوصة وقصة ورواية وحكاية .

فالأقصوصة وتسمى بالفرنسية Conte وبالإنجليزية Novelette قصة قصيرة يتناول فيها الكاتب ناحية من نواحي الحياة أو جانباً من جوانب شخصية فيقتصر على واقعة أو وقائع محدودة تكون موضوعاً قائماً بذاته مستقلاً بشخصياته ، ومجال القاص في هذا النوع ضيق يعتمد على التركيز ولا يسمح بالإطالة والتفصيل ويتطلب عرض الموضوع في إيجاز ووضوح تام .

والقصة وهي بالفرنسية Nouvelle وبالإنجليزية Novel يعالج فيها الكاتب موضوعاً أكثر اتساعاً من الأقصوصة وأقل فسحة من الرواية فهي حد وسط بينهما ولا تكاد تختلف عن الأقصوصة إلا من حيث الكم .

والرواية ويقال لها بالفرنسية Roman وبالإنجليزية Romance يعالج فيها القاص موضوعاً كاملاً من جوانبه المتعددة ويعرضه على القارئ عرضاً شاملاً من شتى نواحيه ويتسع فيه المقام للإطالة والتفصيل ويستغرق فيه زمناً كافياً يمكنه من التعريف بشخصياته والإلمام بشتى مراحل موضوعه وتطور الحياة في قصته بحيث لا ينتهي القارئ منها إلا وقد أحاط بالصور والشخصيات والبيئة والأفكار التي قدمها إليه القاص إحاطة تامة .

وأما الحكاية واسمها بالفرنسية Recit وبالإنجليزية Short Story فلا تخرج عن سرد واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية وهي أكثر ما تكون منقولة عن الغير ويرسل الحاكي الكلام فيها على سجيته إرسالاً دون تقيد بقواعد فنية دقيقة .

وتتألف القصة عادة من ثلاثة عناصر رئيسية : الموضوع والشخصيات والحوار . ويراعى الكتاب فيها أصولاً عامة أهمها الوحدة الفنية وهي أن يبرز القاص فكرته الأساسية في جلاء ويحصر عمله القصصي في جوهر الموضوع دون أن تتشعب قصته إلى موضوعات أخرى وتفاصيل زائدة تطغى على الموضوع الأصلي وتشتت ذهن

القارئ فلا يخرج من القصة بصورة محدودة واضحة المعالم ، ثم على القاص أن يعتمد فى عرض الموضوع على التلميح متحاشياً التصريح ما أمكن ، فلا يسهب فى الشرح والتحليل بحيث لا يترك للقارئ مجالا لإعمال فكره ومشاركة القاص فى جهده الفنى فتبدو قصته مهلهلة مكشوفة لا تحرك ساكن الفكر ولا تخرج عن كونها حديثاً مكتوباً لشغل وقت الفراغ دون الإحساس بمتعة القراءة . كذلك يلزمه العناية بتصوير شخصياته تصويراً صادقاً يجعلها تصدر فى أعمالها وأقوالها عن واقع الحياة التى تعيش فيها وأن تظل حية قوية فى حركاتها وسكناتها خلال قصته وأن يكون لكل منها مميزات مستقلة تتميز بها من سواها فيحمل قارئه على مخالطتها والاندماج فيها والعيش معها فى جو القصة كما يعيش بين الأحياء فى عالمه الواقعى . ولا تخلو القصة كذلك من هدف أو مغزى وإلا كانت لغواً، ولا يغفل كتاب القصة فى فنهم القصصى عوامل الإثارة والتشويق لاستجماع انتباه القارئ والاستئثار باهتمامه لمتابعة فصول القصة وتطور أحداثها دون سأم أو ملل .

وكذلك لا تخلو القصة الناجحة من مؤثر قوى ينطبع فى نفس القارئ فى وضوح تام ويطغى على ما عداه من جوانبها وهذا المؤثر هو مدار القصة ومحورها ويعبر عنه بالعنصر السائد فيها .

فقد تدور القصة حول سلسلة من الأحداث أو شخصية من الشخصيات أو فكرة من الأفكار أو تجرى فى بيئة معينة ، فيكون العنصر السائد فى القصة ، سلسلة الحوادث أو الشخصية أو الفكرة أو البيئة .

فى القصة التى تسود فيها الأحداث لا يوجه القاص كبير عناية إلى تصوير البيئة أو رسم الشخصيات أو تجسيم فكرة ، كل ما يعنيه أن يقدم للقارئ سلسلة من المواقف الحرجة والأحداث المثيرة تتوالى تباعاً وتترك فى النهاية أثراً واضحاً فى نفس قارئها .

وتبرز الشخصية وتسيطر على الحوادث فى قصة ما ، فلا يهتم الكاتب إلا بإبراز الجوانب المختلفة من هذه الشخصية ولا يعنى بما عداها إلا بالقدر الذى يساعده على تجسيم شخصيته وبعث الحركة والقوة والحياة فيها فيقع القارئ تحت تأثيرها وقد يندمج فيها ويذهل عما سواها .

وفى القصة التى تسود فيها الفكرة تتوارى الأحداث وتختفى البيئة وتحتجب الشخصية وراءها ، وكثيراً ما تكون الغاية من قصة كهذه الإصلاح الاجتماعى أو السخرية من نقائص المجتمع أو الزراية بفكرة دخيلة طارئة فيعمد الكاتب إلى تجسيم العيوب والنقائص وعرضها إلى جانب الفضائل والمثل لتزداد وضوحاً ، وقد ترتكز مثل هذه القصة كذلك على فكرة فلسفية تعبر عن النظرة الإنسانية إلى الخير والشر أو القضاء والقدر وما شابه ذلك .

وعند ما تسود البيئة فى القصة يصرف الكاتب جل همه إلى تصوير القوى والعوامل التى تحيط بحياة الفرد أو الجماعة وتوجهها وتؤثر فيها وتكيفها تكييفاً خاصاً يخضع له الإنسان فلا يعود سيد نفسه بل يرى نفسه عضواً فى مجتمع يعيش وفقاً لأوضاعه وأداة طيعة تسيطر عليها يد القدر الخفية[١] .

ومما تقدم يستخلص أن القصص المعاصر من حيث الشكل والصورة ذو شقين متمايزين : شق فنى يعبر عنه بالقصة وآخر غير فنى أو لا يقوم على أصول فنية دقيقة يسمى بالحكاية وليس للقاص فيه غالباً غير النقل والرواية .

ويستمد هذا القصص مادته وموضوعه من عالمنا الذى نعيش فيه وحياة الإنسان فى شتى صورها وأطوارها والنفس البشرية وما تجيش به من انفعالات وتضطرم به من عواطف وأحاسيس وما يكمن فيها من غرائز ودوافع واتجاهات ، وهدفه التعبير عن كل هذا تعبيراً صادقاً قوياً وتصويره تصويراً واضحاً دقيقاً والاستيلاء على مشاعر القارىء واحتوائه فى جو القصة فيعيش فيها أثناء قراءتها ولا ينتهى منها حتى تكون نفسه قد تأثرت بمؤثر قوى انطبع فى قرارتها .

وقد يلجأ القاص المعاصر إلى أحداث التاريخ والشخصيات التاريخية والأدبية فيأخذ منها موضوعاً لقصة فنية يطبق عليها أصول الفن القصصى الجديد كما نرى

---

(١) Encyclopaedia Britannica. Fourteenth Edition 1929. Fiction : vol. 9. P. 220.
Novel : vol. 16. P. 572. Romance : vol. 19, P. 424. — Short Story : vol. : 20. P. 580.

محمود تيمور : فن القصص ١٩٤٨ م . — ١٣٦٨ هـ .

دكتور محمد يوسف نجم : فن القصة ١٩٥٦ م . — ١٣٧٦ هـ .

فى روايات جورجى زيدان ومسرحيات شوقى ومن جرى فى إثرهما من كتابنا المعاصرين .

وإذا استعرضنا القصص الفارسى الإسلامى فى المجال الذى حددناه أول هذا الفصل ، استطعنا تقسيمه من حيث الشكل والصورة إلى قسمين رئيسيين : الأول الرواية وتسمى فى الفارسية (دستان) أو (داستان) والثانى الحكاية ويسميها الفرس (حكايت) .

فالرواية نعنى بها القصة المطولة التى استأثر بها الشعر فيما بعد فتحولت إلى ما يسمى فى عصرنا الحاضر بالملحمة ويسمى فى الأدب الفارسى (حماسه) وقد ضاعت أصول الرواية القديمة المنثورة فلم يبق لنا منها غير الصورة الشعرية المنظومة .

وقد ينظم الشاعر الملحمة ابتداء دون الرجوع إلى أصل منثور مستمداً موضوعه من الأحداث الجارية فى عصره وكتب التاريخ كما حدث أخيراً فى الشاهنامات التاريخية مثل (ظفر نامه) لحمد الله المستوفى القزوينى وتتضمن هذه الشاهنامة تاريخ إيران منذ ظهور الإسلام إلى عهد مؤلفها وناظمها أى أواسط النصف الأول من القرن الثامن الهجرى وتعتبر تتمة لشاهنامة الفردوسى المشهورة .

وقد يكون موضوع الرواية حماسياً يدور حول الحروب وأبطالها كقصة رستم أو عاطفياً يدور حول الحب مثل (ويس ورامين) لفخر الدين الجرجانى أو دينيا يتناول قصة قرآنية مثل (يوسف وزليخا) المنسوبة للفردوسى [1] ونظمها كذلك عبد الرحمن الجامى ، أو تاريخياً مثل (اسكندرنامه) للنظامى الكنجوى أو مذهبياً مثل (خاورنامه) لابن حسام من شعراء القرن التاسع الهجرى وهى قصة تدور حول بطولة الإمام على وبلائه فى حرب الإنس والجن .

أما الحكاية وهى القصة الفارسية القصيرة فقد ساهم فيها النثر والشعر على السواء وتزخر كتب الأدب الفارسى نثره وشعره بما لا يمكن حصره منها وقد توجد مستقلة

---

(١) الأستاذ سعيد نفيس فى مقدمته لكتاب (حماسه ملى إيران) تأليف (تئودور نولدكه) وترجمة (بزرگ علوى) طبع جامعة طهران — يقطع بأن ناظم هذه القصة هو الشاعر الخراسانى المتخلص بـ (امانى) من شعراء بلاط شمس الدولة طغانشاه بن ألب أرسلان السلجوقى وأنه أتم نظم هذه القصة فى حدود سنة ٤٧٦ هـ . — ١٠٨٣ م .

قائمة بذاتها كما هو الحال فى كتاب (مرزبان نامه) الذى ألفه المرزبان ابن رستم ابن شيرويه فى أواخر القرن الرابع الهجرى على غرار كليلة ودمنة و(*كلستان) السعدى الشيرازى وكتاب (جامع الحكايات ولوامع الروايات) للعوفى ، أو ترد منبثة خلال فصول الكتب وخاصة كتب النصيحة والتصوف وبعض كتب التاريخ فى مناسبات خاصة حتى لتعد لازمة من لوازم هذه الكتب كما هو مشاهد فى (قابوسنامه) و(سياستنامه) و (حديقة الحقيقة) و (مثنوى مولوى) و (مجمل التواريخ والقصص) .

والحكاية الفارسية أكثر طواعية للقاص من الرواية ، يستخدمها فى شتى الأغراض والمواضيع ويحملها ما شاء من الأفكار والإشارات والتلميحات ويتمثل بها فى شتى المناسبات فيجريها مجرى الحكم والأمثال والأبيات السائرة فى أدبنا العربى .

وإذا قسمنا الرواية أو الملحمة من حيث الموضوع إلى : حماسية وعاطفية ودينية وتاريخية ومذهبية ، فإن الحكاية قد تناولت كل هذه المواضيع فى إيجاز ولا تختلف فى هذه الناحية عن الرواية إلا من حيث تناولها لجانب أو جزئية من الجوانب والجزئيات بينما تعالج الرواية موضوعها وتعرضه عرضاً شاملا مفصلاً فإذا تحدثت الرواية عن كسرى أنوشيروان أو الإسكندر مثلا عرضت علينا حياته عرضاً كاملاً من شتى نواحيها أما الحكاية فتقتصر على ذكر واقعة واحدة من الوقائع العديدة التى تؤثر عن عدل أنوشيروان أو حكمة الإسكندر .

وما أشبههما فى هذا بالرواية من جهة والأقصوصة والقصة من جهة أخرى فى القصص المعاصر على النحو الذى تقدم .

ولعل خير مثال للحكاية الحماسية حكاية نظمها السعدى الشيرازى فى أول الباب الخامس من (بوستان)[1] بعد مقدمة قصيرة مؤداها أن أحد الناس عاب عليه نظمه فى كل باب وفن عدا الحرب والقتال فتحداه الشاعر بنظم هذه الحكاية ليدلل على قدرته فى القصص الحماسى كذلك .

وتدور الحكاية حول بطل محارب من أصحاب الشاعر على قوله ومطلعها :

مرا در سپاهان يكى يار بود ... كه جنك* آور وشوخ وعيار بود

مدامش بخون دست وخنجر خضاب ... برآتش دل خصم از وچون كباب

نديدمش روزى كه تركش نبست ... زپولاد پيكانش آتش نجست

---

(١) طبعة فروغى ص ١٥٤ .

أي : كان لي في أصفهان صديق محارب جريء وعيار ، *
يده وخنجره على الدوام مخضوبان بالدماء وقلب خصمه بسببه على النار كالشواء ،
لم أره يوماً لا يحمل كنانة سهامه أولا يتطاير الشرر من فولاذ سنانه .

* * *

ويمضي في وصف هذا الصديق في عدة القتال وصولته وجولاته في الميدان مما لا مجال هنا لتفصيله ، ثم يفترق الصديقان ويعود السعدي إلى إصفهان بعد رحلة طويلة وحياة اغتراب في العراق والشام فيرى صديقه شيخاً محطماً ويسأله عن حاله فيروي له قصة بلائه في حرب التتار وهول المعركة ، ويقدم لنا الشاعر صورة صاخبة للميدان وكر الجنود وفرهم على نحو ما يفعل الفردوسي في وصف حروب الشاهنامة وأبطالها ، وتنتهي الحكاية بغلبة الضعف والشيخوخة على بطلها واعتزاله حياة الحرب والقتال .

ويكفينا مثلا للحكايات العاطفية على كثرتها في الأدب الفارسي مجموعتان من هذه الحكايات وردت أولاهما في الباب الثالث من (بوستان) تحت عنوان (درعشق ومستي وشور) أي في العشق والسكر والوله ، والثانية في الباب الخامس من (*كلستان) تحت عنوان (درعشق وجواني) أي في العشق والشباب .

وتمثل الحكاية الدينية تلك الحكايات التي تروي عن الأنبياء والأماكن المقدسة والأولياء في مختلف الكتب ، كحكاية النبي (ص) والمرأة العجوز في بيت عائشة بالفصل الثالث عشر ص ٦٦ من (قابوسنامه)[١] وحكاية الدرويش والكعبة ص ٦٠ وحكاية عبد القادر الـ*كيلاني في حرم الكعبة ص ٦١ في الباب الثاني من (*كلستان) وكذلك حكاية موسى عليه السلام والدرويش ص ١٠٤ من الكتاب المذكور[٢] وحكاية عيسى عليه السلام في الباب الرابع من (بوستان) ص ١٢٤[٣]

---

* رجل عيار كثير التطواف (المصباح المنير) .

(١) قابوسنا مه باتصحيح ومقدمه وحواشي دكتر أمين عبد المجيد بدوى سنة ١٣٣٥ . هـ . ش. (١٩٥٦ م .) طهران ، بحث درباره* قابوسنامه تأليف دكتر أمين عبد المجيد بدوى سنة ١٣٣٥ هـ. ش. (١٩٥٦ م .) طهران .

(٢) طبعة عبد العظيم قريب .

(٣) طبعة فروغي .

أما الحكاية التاريخية فقد روى الكثير منها عن ملوك إيران الأقدمين والإسكندر والساسانيين والخلفاء والولاة والأمراء وغيرهم نذكر منها على سبيل المثال : حكايات (هوشنگ*) والضحاك وأفريدون (ضحاك وفريدون) و (*گشتاسپ وزرتشت) والإسكندر وأرسطو (اسكندر وارسطوطاليس) و(بهرام *گور) وعمر بن عبدالعزيز (عمر عبد العزيز) فى (جامع الحكايات ولوامع الروايات) للعوفى .

وحكايات (قابوسنامه) التاريخية مثل حكاية كيكاوس وأبى الأسوار فى الباب السابع ص ٣٣ وحكاية هرون الرشيد والمعبر ص ٣٦ فى نفس الباب وحكاية السلطان مسعود ونوشتكين فى الباب الرابع عشر ص ٧٢ وحكاية معاوية والمجرم فى الباب الثلاثين ص ١٣٠ (١) إلى كثير غير هذا :

ومن الحكايات المذهبية حكاية عن على بن أبى طالب فى الباب الرابع ص ١٤٩ من (بوستان) (٢) وحكاية (شهربانو) فى الباب السابع والعشرين من (قابوسنامه) ص ١١٦ (٣) .

وتبدو الحكاية الفارسية على اختلاف مواضيعها أكثر اتصالا بحياة الناس من الرواية وتقوم فى الأدب الفارسى بدورين هامين أحدهما تهذيبى والآخر تمثيلى ، ويمكن تقسيمها على هذا الأساس إلى : حكاية تهذيبية وحكاية تمثيلية . والعنصر السائد فى كلا النوعين هو الفكرة فالقاص يتخذ من الحكاية التهذيبية وسيلة لإصلاح المجتمع وتهذيب النشء ويعرض فكرته فى حكايات مختلفة على صور شتى تزيدها وضوحاً ولا ينتهى القارئ من متابعة حكاياته حتى يحس أثر الفكرة منطبعاً فى نفسه يراود خياله ويداعب تفكيره . و*گلستان السعدى الشيرازى خير معرض للحكايات التهذيبية .

أما الحكاية التمثيلية فيذكرها القاص فى ثنايا الحديث يقوى بها فكرته ويؤيدها أو يزيدها وضوحاً فى ذهن القارئ ويقربها إلى إدراكه وفهمه وكثيراً ما استعان بها

---

(١) و (٣) قابوسنامه باتصحيح ومقدمه وحواشى دكتر أمين عبد المجيد بدوى سنة ١٣٣٥ هـ. ش. (١٩٥٦ م.)

(٢) طبعة فروغى .

الصوفية فى شرح مطالبهم وتقريب مراميهم كما هو مشاهد فى حديقة سنائى ومثنوى مولوى ومنطق الطير للعطار .

وإذا كانت الفكرة هى العنصر السائد فى الحكاية فإن الشخصية هى العنصر السائد فى الرواية فهى محورها وقطب رحاها وليست أحداث الرواية إلا مجالا لحركاتها وسكناتها . ولا يعنى القاص فى الرواية بتصوير البيئة أو عرض الفكرة ، كل ما يهمه تقديم أبطاله فى أروع صورة وإجراء الحوار على ألسنتهم فى أقوى عبارة .

والفن القصصى الفارسى بوجه عام يقوم على دعائم ثلاث : العرض والتصوير والحوار .

فقد يتناول الموضوع الواحد أكثر من شاعر أو قاص كما هو مشاهد فى مثنويات يوسف وزليخا وليلى والمجنون وفرهاد وشيرين ومع ذلك فإنا نرى لكل شاعر وقاص طريقته فى عرضه للموضوع وتصويره لمواقفه ومشاهده وإجرائه الحوار على ألسنة أبطاله فيكتسى الموضوع المكرر على هذا النحو جدة تبعد عن القارىء سأم الحديث المعاد .

وإذا استعرضنا قصة ويس ورامين مثلاً فى مثنوى الجرجانى رأيناها على طولها يستغرق التصوير والحوار الحيز الأكبر منها ، فإذا جردناها من صور المشاهد المتتابعة التى وقف الشاعر طويلا عند كل منها واستبعدنا منها الحوار الطويل الذى يجرى بين أشخاص القصة تكاد تنزل من حيث الكم إلى حكاية مطولة بعض الشىء .

وأشخاص القصة المعاصرة هم بنو البشر يعيشون فى جوها كما نعيش على هذه الأرض وموضوعها الحياة الواقعية أو الأحداث والأشخاص التاريخية والأدبية والقاص فيها فنان مبتدع لا متبع فى أكثر الأحيان ، أما قصتنا الفارسية فأشخاصها من الإنس والجن والبهائم والطير والسباع والجوارح والمخلوقات الخرافية كالتنين والهما (١) والسيمرغ (٢) ويأتى أبطالها بالمعجزات وخوارق العادات ، والقاص الفارسى غالباً متبع

---

(١) الهما عند الفرس طائر خرافى مبارك لا يقع ظله على إنسان إلا ويصير ملكاً ، ويقابله عند العرب (البلح) « بضم الباء وفتح اللام » وهوطائر يتيمنون به و بظله . فن أمثالهم : آنس من الملح وأيمن من البلح ومن أقوالهم مر البلح فسحنى تمثاله أى وقع على ظله (أقرب الموارد) .

(٢) طائر خرافى كذلك وتقابله (العنقاء) عند العرب ومعنى (سيمرغ) الثلاثون طائراً .

لا مبتدع فهو يعتمد على النقل والرواية ويركز فنه فى عرض الموضوع وتصوير مشاهده وإجراء الحوار فيه دون أن يتدخل فى أصل الموضوع وجوهره .

والقصة الفارسية بصفة عامة تستمد موضوعها من ثلاثة مصادر أساسية : أساطير الأولين وأخبار الماضين من مختلف الأمم ، والكتب الدينية ، والأدب العربى .

ولئن كانت القصة الفارسية الحديثة تأثرت بالقصة الأوروبية وجرت فى مضمارها ونهجت نهجها فإن قصتنا التى اتخذناها موضوعاً للبحث تلونت بألوان هندية ويونانية وسامية وإسلامية وظلال باهتة أخرى نتيجة لاختلاط الفرس فى تاريخهم الطويل بأقوام وأمم مختلفة كما قدمنا .

هذا عرض عام للقصة الفارسية وسنأخذ من كل فن منها مثالا نجعله موضوعاً مفصلاً للبحث والدراسة فى الفصول التالية إن شاء الله .

* * *

الفصل الرابع

الملحمة الفارسية

مرت أمة الفرس — كغيرها من الأمم القديمة — فى مراحل تاريخها وطريق تكوينها بأحداث جسام وأيام مشهودة ما كانت لتثبت لها لو لم تكن تحمل فى جوهرها مقومات البقاء ، فقد ألجأتهم ضرورات الحياة إلى النزوح عن موطنهم الأول (إيران واثجه) إلى هضاب إيران وفلواتها الواسعة المترامية ليتخذوا منها موطناً جديداً أكثر خصباً ورخاء ، فاشتبكوا مع أهل البلاد فى نضال طويل انتهى بغلبة الغزاة واستقرارهم آخر الأمر . ودارت الأيام دورتها فإذا هؤلاء الغزاة المتوطنون يدفعون بدورهم عن أرضهم الجديدة عادية المغيريين من آريين وغير آريين يوافيهم النصر تارة وتدهمهم الهزيمة أخرى ، وفى غمرات الصراع من أجل الحياة وحب البقاء وبسطة الملك وقهر الأعداء والغلبة على غيرهم من الأمم والشعوب ، برز من بينهم رجال صارعوا الأهوال وأبلوا فى الحرب والنزال وقراع الخطوب بلاء جعلهم حديث الحلقات وسمر الندوات وتناقلت قصص بطولتهم الركبان والجماعات ، وبتوالى الأزمان ابتعدت هذه القصص عبر الأجيال عن أصولها شيئاً فشيئاً بما زاد فيها الرواة ونسج حولها الخيال ، فأصبحت أساطير تجمع أشتاتاً من الخوارق والمعتقدات والأوهام والخرافات وصوراً مختلفة من حياة الجماعة وتدور حول هؤلاء الأبطال الذين تمثلت فيهم أمانى القوم وأحلامهم ومثلهم العليا وأخلاقهم واعتزازهم بأرومتهم ومقدساتهم ، ثم ما لبثت — بمر الغداة وكر العشى — أن تلاشت فواصل الزمان والمكان بين هذه الأساطير التى سايرت خطى الدهر كثرة واتساعاً ، فأخذت وضعاً ساعد على ترابطها وجمع شتاتها وتبويبها فى نسق دقيق ثم تدوينها فإذا هى فى عقيدة القوم تاريخ الآباء والأجداد وسجل المفاخر والأمجاد ، تمهد فيه المقدمات للنتائج والعلل للمعاولات .

وقد أدى ضياع ملك الفرس فى الأعصار التاريخية على يد الإسكندر أولا

والعرب ثانياً إلى يقظة الأحاسيس الوطنية التى أرثها وأذكاها أردشير قبل الإسلام والثائرون على العرب والخلافة فيما بعد ، لإحياء الأمجاد القديمة واسترداد الملك الذاهب . ومن ثم ازداد تعلق الفرس بهذه الثروة القصصية التى كانت تغذى فيهم هذه النزعات الاستقلالية الحبيسة وحرصوا كل الحرص على تخليدها وصونها من الضياع .

واتفق لهم إبان تأجج هذه الروح الحماسية العارمة شعراء أوتوا من دقة الحس وقوة البيان ونضج الشاعرية ما جعلهم لسان صدق للتعبير الدقيق عن كل ما كانت تجيش به الصدور وتختلج النفوس ومن ثم اتخذوا من هذه الروايات موضوعاً للشعر الحماسى ، شعر البطولة فى مظاهرها المختلفة فخلعت الرواية الفارسية ثوبها النثرى الساذج البسيط وخرجت على الناس فى موكب الشعر وضجيج موسيقاه ولكن دون أن تفقد شيئاً من أصالتها وطابعها ومن غير زيف فى جوهرها ، فصارت أقرب إلى الطباع وألصق بالقلوب ، وانصرف الناس عن الرواية فى صورتها الدارجة الأولى فتوارت عن الأذهان وعفى عليها الضياع والنسيان .

فالملحمة الفارسية — كغيرها من ملاحم الأمم الأخرى — ليست إلا الصورة الشعرية الصادقة البارزة القسمات القوية التعبير لروايات المجد والبطولة والمغامرات أيًّا كان ميدانها وعلى أية صورة كانت ، يستوى فى ذلك أن يكون موضوعها حربيًّا أو عاطفيًّا أو دينيًّا أو فلسفيًّا أو تاريخيًّا إلى غير ذلك من المواضيع التى تكون مجالا لبطولة الأفراد أو الجماعات .

والملحمة بصفة عامة مجموعة من أعمال البطولة لفرد أو جماعة تكونت منها رواية مترابطة الأجزاء كاملة غير مبتورة تبدأ من نقطة وتنتهى عند غاية ، وعمل الشاعر لحم أجزائها ونظم وقائعها دون التدخل فيها أو توجيهها ، فهو يعرض أحداثها عرضاً فنيًّا ويصف مشاهدها وصفاً شاعريًّا يستولى على النفوس ويستهوى الأفئدة ويلذ الأسماع من غير أن يمس جوهرها أو يبتعد بها عن أصلها .

ومن خصائص الملاحم مرور أحقاب طويلة بين وقوع أحداثها ونظمها ، فالإلياذة والأوديسا مثلا مدارهما أحداث وقعت قبل هومير بعدة قرون وكذلك

الشأن فى قصص الملاحم الفارسية التى تبدأ بأعصار ما قبل التاريخ ومنظومتى الرامايانا والمهابهارتا عند الهنود اللتين تحملان فى ثناياهما ذكريات المجتمع الهندى الإيرانى فى الوطن المشترك القديم[1] .

ذلك لأن الأبطال فى نظر معاصريهم ليسوا إلا بشراً ممتازين ، وما يأتون به من أعمال لا يتعدى نطاق الطاقة البشرية ، ولكن النتائج الخطيرة التى قد تترتب على أعمالهم فيما بعد كبناء أمة أو دفع كارثة أو إحراز نصر مؤزر حاسم ، تزيد من خطرهم فى نظر الأجيال التالية فيجسمون هذه الأعمال ويزيدون عليها فتأخذ تدريجياً صورة روائية أسطورية خارقة يتطلب تكاملها واستواؤها مضى زمن طويل ، وتتلاشى فواصل الزمان والمكان بين أحداثها على مر السنين فتتوالى وتترابط ببعضها البعض وتبدو كأنها وقعت فى صعيد واحد وعصر واحد .

ومع بعد الشقة بين عصرى أبطال الملحمة وناظمها فإنه لا بد من وجود مشتركات عامة بين العصرين يتحقق بها وجودها ويكتب لها البقاء ، فالعقائد والأفكار والإحساسات التى كانت سائدة فى عصر الأبطال ينبغى أن لا تكون قد درست جملة فى عصر نظم الملحمة وأخذت غيرها مكانها وإلا انعدم التجاوب بين الشاعر والجماهير فلا تعيش ملحمته طويلاً .

وليست الملحمة مجرد سرد لأعمال البطولة ووصف لمشاهد الحروب والإشادة بالأبطال بل هى كذلك معرض لعقائد الأمة وأفكارها ومدنيتها وآلامها وآمالها وأخلاقها ومثلها وأحلامها وأمانيها .

ينقل إلينا شاعر الملحمة كل هذا عفواً أثناء حديثه عن الحب والحرب واللهو والجد وحين يصور الصراع بين الخير والشر وتطلع أهل الأرض إلى السماء إذا حزب الأمر ، وليست الملحمة الفارسية فى هذا بدعاً مما نقل إلينا من ملاحم الهنود واليونان .

وقد تختلط الموضوعات التاريخية وتمتزج امتزاجاً كلياً بالأساطير والأوهام والخرافات الشعبية فتضيع معالمها ويسودها الإبهام ولكنها فى الوقت نفسه تحتفظ بنسق تاريخى فترد سير الملوك والأبطال والأفراد مرتبة مسلسلة ويظهر كل منهم على

---

(١) حماسه سرائى ص ٨ .

مسرح الحوادث ويختفى فى وقت معين ودون اضطراب أو إخلال بالسياق ، وكلما قل الإبهام والغموض فى مثل هذه الملحمة وازدادت الناحية التاريخية فيها وضوحاً وتحديداً فقدت مقوماتها الحماسية الشعبية وصارت إلى التاريخ أقرب منها إلى الملاحم ، وفى الشاهنامة شواهد على هذا إذ تبدأ بالأساطير البحتة عن الخلق وعمارة الكون وتأسيس الملك ثم تمتزج فيها الأساطير بالتاريخ بظهور زردشت وتأخذ المعالم التاريخية فى الوضوح بظهور الأكينيين وتزداد بالتدريج وضوحاً إلى أن تنتهى بنا إلى التاريخ البحت فى عصر الساسانيين وإن لم يخل هذا التاريخ من مسحة أسطورية فى سير بعض الملوك كأردشير وبهرام *كور .

وانبهام الزمان والمكان خصيصة تنماز بها الملاحم من التاريخ ، فتتقارب الحدود وتتباعد دون قيد جغرافى ويرد ذكر الأماكن دون تحديد لمواقعها من البسيطة ويتنقل الأبطال فى أقطار المعمورة وكأنهم على رقعة شطرنج وتقطع الفلوات وتجتاز العقبات دون قيد زمنى .

وقد يستغرق الوصول من مكان لآخر شهورا إذا سير إليه من طريق فإذا بهذه الشهور تنكمش إلى أيام إذا سلك إليه طريق آخر .

ويسود ذلك الإبهام الملحمة ويزداد شيوعاً فيها كلما ضعفت أو انعدمت الناحية التاريخية منها ويبلغ مداه فى الملاحم القديمة ، نرى مصداق هذا فى شاهنامة الفردوسى إذ يلتقى تور وسلم وأولهما فى المشرق والآخر فى المغرب وبينهما مملكة إيرج وقتما شاءا وأينما أرادا وكأنهما ملكان متجاوران لا يفصل بين أرضيهما فاصل ولا يتطلب لقاؤهما كبير وقت ، وكذلك نرى رستم يسلك فى سفره إلى مازندران طريق (هفتخوان) فى أربعة عشر يوماً وكان مسيره إليها يقتضيه ستة شهور لقطع الطريق المألوف ، ولما بلغ مازندران لإنقاذ كيكاوس وقتال الجنى الأبيض (ديوسفيد) قطع مائة فرسخ حتى وصل إلى مقر الملك كيكاوس ثم قطع مائة فرسخ أخرى ليصل إلى غار الجنى حال كون مازندران لا تزيد على ثلاثين فرسخاً عرضاً ومائة فرسخ طولا[١] إلى غير ذلك من إشارات زمانية ومكانية مبهمة نلمسها فى تنقلات الإيرانيين والتورانيين فى مختلف حروب الشاهنامة .

---

(١) حماسه سرائى ص ٢٤١ .

وأنسب الأوقات لظهور الملاحم قرب الأمة من عهد البساطة والبداوة وإبان اشتداد الروح الوطنية والبعث القومى والحماس الدينى وقبل تغلب الآداب الارستقراطية على الأدب الشعبى وخموله وانصراف الناس عنه ، فإذا حاول شاعر نظم ملحمة فى غير هذه الظروف المواتية لم يكتب لملحمته الذيوع والبقاء مهما أوتى من القدرة وقوة البيان لأن الأمة هى التى تصنع ملحمتها وليس للشاعر فيها غير الفن والصياغة فإذا لم تستمد منظومته الحماسية حياتها من روح الشعب ولدت ميتة .

وقد لايتاح لأمة من الأمم ظهور الملاحم فى أدبها رغم توافر عناصرها ومقوماتها ووفرة مادتها لأنه لم يتهيأ لها شاعر تؤهله مواهبه واستعداده للنهوض بهذه المهمة أو لأن هذا الشاعر لم يتح لها قبل نضجها العقلى ورسوخ قواعد الأدب المدرسى وعزوف ذوقها العام عن تذوق الأدب الشعبى أو لأن طبيعة شعرها وأصوله المقررة المرعية فى المحافل الأدبية لا تساعد على إنشاء المنظومات الحماسية المطولة كما هو الحال فى أدبنا العربى .

ويتفق أحياناً — كما قدمنا فى حديثنا عن القصة الفارسية — أن يستمد الشاعر موضوع ملحمته من الأحداث التاريخية أو الانقلابات الاجتماعية والثورات المذهبية والروايات العاطفية والكتب الدينية فيسود موضوع بعينه جو الملحمة ويستقطبها ولكنه لا يجردها من كيانها الأسطورى الذى تتلاقى وتتداخل فيه مثل هذه الموضوعات وما عداها من جوانب الحياة الإنسانية فتتراءى لنا حول الموضوع السائد أطيافاً وألواناً تتفاوت وضوحاً وإبهاماً وكأنها أضغاث أحلام .

وقد عرفت كتب الروايات والملاحم فى الأدب الفارسى بالشاهنامات أى كتب الملوك ولا غرابة فى هذا لأن أبطالهم الأسطوريين كما تصورهم هذه الكتب كانوا ملوكاً ذوى عروش وتيجان يدينون لملك الملوك « شاهنشاه » بالإخلاص والولاء ، يتفانون فى خدمته ويحاربون تحت رايته ويستمدون وجودهم من التفافهم حول عرشه وتفديته بالمهج والأرواح ، له الأمر وعليهم الطاعة ، ولكن الحديث عن هذه الشاهنامات ينصرف بالأذهان قصداً إلى ملحمة الفرس الكبرى التى استكملت كل مقومات الملاحم الحية الخالدة واستوعبت شتى مواضيع الحياة ، إلى شاهنامة الفردوسى ، فهى بحق ملحمة أمة وحياة شعب وقلب شاعر .

شاهنامة الفردوسى

تمهيـــد :

لم تكن هذه الشاهنامة أول الآثار الحماسية فى أدب الفرس وإن تكن الذروة التى انتهت إليها الملحمة الفارسية الإسلامية ، فاليشتات وهى أهم أقسام الأبستاق التى بين أيدينا بالنسبة لموضوعنا لاحتوائها على عناصر أسطورية هامة تبرز فى بعضها قسمات واضحة للملحمة فى الأدب الأبستاقى ، وهذه اليشتات ـ كما يقول الدكتور ذبيح الله صفا[١] نقلاً عن كريستنس[٢] ـ منظومة بشعر هجائى أو مقطعى « سيلابى » انطمست معالم صورته الشعرية نتيجة لتداخل كلمات المفسرين والشراح فى المتن الأصلى ، وقد استطاع الباحثون أخيراً تمييز هذه الكلمات الدخيلة وأعادوا كثيراً من اليشتات إلى صورتها المنظومة .

وفقرات « مهريشت » أو يشت مهر إله النور والحرب ـ على سبيل المثال ـ تعطينا صورة من بطولة مهر المدجج بالسلاح وآلات القتال وعربته الحربية التى يتقدم بها موكب الشمس وبلائه فى حرب ناقضى المواثيق والعهود وهزيمته لأهريمن الذى يمثل قوى الشر على ما هو مفصل فى تلك الفقرات .[٣] كذلك يحدثنا نلدكه[٤] عن روايتين حماسيتين تعرف إحداهما باسم «ياد*كار زريران» وتدور حول بطولة زرير ـ أخى الملك *كشتاسب حامى زردشت وظهير دعوته ـ وبلائه فى محاربة أرجاسپ خصم هذه الدعوة العنيد ، وقد دونت هذه الرواية فى حدود القرن السادس الميلادى نقلاً عن متن قديم قد يكون أحد اليشتات المفقودة أو رواية من روايات شرقى إيران[٥] وقد ذهب بنونيست Benveniste بعد التحقيق الدقيق إلى أن

---

(١) حماسه سرائي ص ١١٢ .

(٢) Christensen : Etude Sure Le Zoroastrisme de Le Perse Antique

(٣) پور داود : يشتها جلد أول من ص ٤٢٣ إلى ص ٥٠٣ .

(٤) حماسهٔ ملى إيران ترجمهٔ بزرك* علوى ص ٨ .

(٥) حماسهٔ سرائى ص ١٢١ .

(اياتكار زريران) منظومة من العصر الأشكانى طرأت عليها تغييرات فى زمن الساسانيين حولتها إلى صورتها التى عليها الآن[١] .

والأخرى (كارنامهٔ اردشير بابكان) وتصور قصة حياة أردشير مؤسس ملك بنى ساسان ومغامراته فى سبيل الوصول إلى الملك والقضاء على الأشكانيين *

فإذا تقدمنا إلى العصر الإسلامى طالعتنا كتب الأدب الفارسى بحديث يروى عن شاهنامة المسعودى المروزى كأول محاولة لنظم الملاحم الفارسية الإسلامية وقد نقل المقدسى فى كتابه (البدء والتاريخ) الذى ألفه عام ٣٥٥ هـ. سنة ٩٦٥ م. بضع أبيات منها وأردفها بقوله : (وإنما ذكرت هذه الأبيات لأنى رأيت الفرس يعظمون هذه الأبيات والقصيدة ويصورونها ويرونها كتاب تاريخ لهم)[٢] .

ويفهم من كلامه هذا أن شاهنامة المروزى كانت مشهورة ومتداولة فى ذلك الوقت ولا بد أن تكون نظمت قبل ذلك بسنوات قد ترجع إلى أوائل القرن الرابع وتناقلها الرواة والناسخون السنين الطوال حتى بلغت هذه الشهرة وحلت من نفوس الناس هذا المكان من التقدير والاحترام . ورغم شهرة هذه الشاهنامة لا نكاد نعرف عن صاحبها غير اسمه وأعجب من هذا أن صاحب لباب الألباب لم يشر إليه بكلمة على كثرة ما ذكر فى لبابه من أسماء شعراء وأشباه شعراء مغمورين .

ومرة أخرى نلتقى باسم المسعودى المروزى فى غرر الثعالبى المؤلف بين سنتى ٤٠٨ ، ٤١٢ هـ. (١٠١٧ ، ١٠٢١ م.) فى موضعين ، جاء فى أولهما عند الحديث عن طهمورث : (وزعم المسعودى فى مزدوجته الفارسية أن طهمورث بنى قهندز مرو) وذكر فى ثانيهما خلال حديثه عن بهمن بن اسفنديار وحروبه مع زال : (فعفا عنه « أى عن زال » وأمر برده إلى منزله والإفراج له عن مسكة من ماله، وذكر المسعودى المروزى فى مزدوجته الفارسية أنه قتله ولم يبق على أحد من ذويه[٣]) .

---

(١) حماسه سرائى ص ١٢٢ .

(٢) نفس المصدر ص ١٦٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٣ .

* نشر ذبيح الله صفا «يا د* كار زريران» مع التقديم له فى مجلة سخن ، السنة الأولى ، الأعداد من ٦ إلى ١٠ . ونشر الدكتور محمد جواد مشكور المتن البهلوى والترجمة الفارسية لكارنامهٔ اردشير بابكان بطهران سنة ١٩٥٠ م .

وهذا يدل على أن المسعودى وشاهنامته كانا ما يزالان حتى أوائل القرن الخامس الهجرى محتفظين بشهرتهما السابقة ، ومع ذلك لا نعرف عن حياته ونشأته إلا أنه ينتسب إلى أولاد وأعقاب عبد الله بن مسعود الهذلى الصحابى المعروف المتوفى سنة ثلاث وعشرين هجرية[1].

ونطالع فى كتب الأدب الفارسى كذلك أن المحاولة الثانية لنظم ملحمة فارسية إسلامية قام بها أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقى البلخى شاعر بنى سامان . ولد هذا الشاعر فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى بين سنتى ٣٢٠ ، ٣٣٠هـ. (٩٣٢ — ٩٤١ م.) وقد مدح آل محتاج كما مدح بعض أمراء السامانيين ومن بينهم منصور بن نوح (٣٥٠—٣٦٦ هـ.)— (٩٦١—٩٧٦ م.) ويقال إنه شرع فى نظم الشاهنامة بأمر منصور بن نوح ولكن المنية عاجلته على يد غلام له فى حدود سنة ٣٦٤ هـ. — ٩٧٤ م.

وقد بدأ بنظم قصة *كشتاسپ وتدور حول حروب الملك *كشتاسب ظهير دين زردشت ضد ارجاسپ الملك الطورانى المناهض لهذا الدين .

واختلف فى عدد أبيات هذه القصة فيقول حمد الله المستوفى فى تاريخ *كزيدة إنها ثلاثة آلاف بيت ويقول محمد العوفى عشرين ألف بيت، وقد سجل الفردوسى فى شاهنامته هذه القصة فى ألف بيت تحت عنوان (پادشاهى *كشتاسپ) أى سلطنة *كشتاسپ، على أنها كل ما نظم الدقيقى :

ز*كشتاسپ وأرجاسپ بيتى هزار   بـ*كفت وسرآمد بـــرو روز*كار

* * *

أى : نظم ألف بيت عن *كشتاسپ وأرجاسپ وانقضت أيامه .

أصول الشاهنامة

ما دمنا قد اتخذنا شاهنامة الفردوسى أساساً لدراسة الملحمة الفارسية فى العصر الإسلامى لأنها تمثل طور النضج والكمال فى حياة هذه الملحمة فلا مندوحة لنا

(١) هزاره فردوسى ص ٥٠ .

عن التنويه بالأصول القديمة التى رجع إليها الفردوسى وغيره من شعراء الملاحم فيما نظموا.

سبق أن ذكرنا فى الحديث عن (مكان القصة من الأدب الفارسى) أن الفرس عنوا بتدوين أخبارهم وتواريخهم منذ زمن بعيد وأن فى التوراة إشارات تدل على وجود كتب تاريخية مدونة منذ أيام الميديين والأكمينيين ، ونقلنا نص فقرات التوراة التى تضمنت تلك الإشارات كما نقلنا عبارات عن المسعودى وحمزة الإصفهانى تؤيد وجود مثل هذه الكتب المدونة فى العصر الساسانى ، وقد ذكر الكثير من أسماء هذه الكتب والروايات فى المصادر الإسلامية العربية والفارسية كما ترجم عدد وافر منها إلى العربية(١) فاتسعت دائرة القصص الفارسى بين المسلمين عن طريق هذه الترجمات والروايات الشفاهية وكذلك أخذ القصص الفارسى طريقه إلى الشعر العربى فانبرى أبان بن عبد الحميد اللاحقى الرقاشى البصرى المتوفى سنة ٢٠٠ هـ. — ٨١٥ م. لنظم الكتب الفهلوية ومن جملة ما نظم كليلة ودمنة وسيرة أردشير وسيرة أنوشيروان وكتاب سندباد كما نظم البلاذرى كتاب عهد أردشير (٢) .

ويبدو أن هذا اللون من الشعر القصصى لم يكن له مكان مرموق فى أدب العرب فلم نسمع أن الشعراء الكبار اتخذوه موضوعاً لشعرهم وظلت القصيدة بفنونها المختلفة عماد الشعر العربى فى مختلف العصور بينا نرى المثنوى مذ نضج الشعر الفارسى يتبوأ المكانة الأولى فى أدب الفرس لارتباطه بالقصة الفارسية التى تشغل المكان الأول من هذا الأدب .

ومن بين ما يستدل به نلدكه على وجود مثل هذه الكتب أن الملك هرمزد بعد عزله كان يرجو أن يأتى إليه فى محبسه عالم متبحر يقص عليه من نبأ الملوك الغابرين ، وينقل كذلك عن مقدمة بايسنقر أنه فى أيام يزد*كرد الثالث آخر ملوك الساسانيين الذى قتل حوالى ٦٥١ م . (٣١ هـ.) ألف الدهقان دانشور نقلاً عن كتب سابقة تقويماً تاريخياً كاملاً لملوك إيران من لدن *كيومرث حتى خسرو الثانى(٣).

---

(١) فى مقال تقى زادة بهزارهٔ فردوسى ثبت حافل بأسماء هذه الكتب والمصادر العربية والفارسية التى ذكرت فيها .

(٢) هزارهٔ فردوسى ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) حماسهٔ ملى إيران ص ٢٣ ، ٢٤ .

ومما ذكره المسعودى وحمزة الإصفهانى يتضح أن أهم كتب العصر الساسانى بالنسبة لموضوعنا ثلاثة هى : آئين نامه، وكتاب الصور، وخدا ينامه، والأخير منها أكثرها اتصالا بالقصص الفارسى عامة ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالملحمة الفارسية خاصة .

خداينامه :

ألف خداينامه فى أواخر العصر الساسانى وعرف فى الأدب الفهلوى باسم « خوتاى نام*ك » وهو نفس الكتاب الذى تشير إليه مقدمة بايسنقر، وليست كلمة شاهنامه أو كلمة خداينامه إلا ترجمة فارسية للاسم الفهلوى وقد ترجم إلى العربية عدة ترجمات أقدمها وأشهرها ترجمة ابن المقفع، وقد عرفت هذه الترجمات باسم تاريخ ملوك الفرس أو سير ملوك الفرس أو سير الملوك وهى تسمية تطابق موضوع الكتاب .

وأصبح كتاب سير الملوك مرجع المتأدبين وطلاب الثقافة العالية بين العرب والفرس على السواء، يقول الجاحظ نقلاً عن الشعوبية : « ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب والعبر والمثلات والألفاظ الكريمة والمعانى الشريفة فلينظر إلى سير الملوك »[1] .

ويقول الأمير عنصر المعالى الديلمى يعلم ابنه (*كيلانشاه) آداب المنادمة : (وينبغى كذلك أن تكون قد قرأت كثيراً سير الملوك لتحكى عند مولاك خصال الملوك الماضين فتؤثر فى قلب الملك ويكون لعباد الحق تعالى فى ذلك نفع وتفريح)[2]

ويقول نلدكه إن هذا الكتاب دخل الأدب العربى على أثر ترجمة ابن المقفع له فى أواسط القرن الثامن الميلادى ومنذ ذلك الوقت عُرف لدى المسلمين أهم أشخاص عصر البطولة فى إيران وكذلك عدد من الساسانيين واشتهروا حتى خارج إيران بحيث كان شعراء العرب أحياناً يستطيعون الإشارة إليهم فى شعرهم أيضاً[3] .

---

(١) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٠ طبعة السندوبى . ١٣٥١هـ . - ١٩٣٢م .

(٢) قابوسنامه : تعريب محمد صادق نشأت ودكتور أمين عبد المجيد بدوى ص ١٩٩

(٣) حماسه ملى إيران ص ٢٦ .

ولا أستطيع المرور بكلام نلدكه هذا دون تعليق موجز تحاشى الإطالة فى الاستطراد فأقول: إن صلات العرب بالفرس ترجع إلى قرون قبل الإسلام وقبل ابن المقفع وكانت أسماء أبطال فارس وملوكهم معروفة للعرب فى جاهليتهم وإسلامهم على السواء وقبل ترجمة الخداينامه .

جاء فى سيرة ابن هشام : «وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن كان يؤذى رسول الله صلعم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسبنديار فكان إذا جلس رسول الله عم مجلسا فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبل من الأمم من نقمة الله ، خلفه فى مجلسه إذا قام ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه فهلم أنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثاً منى ؟ »[1] .

وقد أكثر شعراء الجاهلية فى ذكر الحضر وصاحبه فقال أبو دؤاد الأيادى :

وأرى الموت قد تدلى من الحضر على رب أهله الساطرون[2].

وقال الأعشى :

ألم تر للحضر إذ أهــله بنعمى وهل خالد من نعم
أقام به شاهفور الجنــو د حولين يضرب فيه القدُم[3]

ويقول بشار بن برد :

قومى اغبقينا فما صيغ الفتى حجرا لكن رهينة أحجار وأرماس
روى مشاشى فإن الدهر ذو عبر أفنى قباذا وأدهى ملك بشتاس[4]

إلى كثير غير هذا مما لا مجال للإفاضة فيه ؛ وصلات الأكاسرة بالمناذرة وتربية بهرام *كور بينهم واعتلاؤه عرش بلاده بسيوفهم أمر معروف ولا يحتاج إلى تبيـــان .

---

(١) سيرة ابن هشام طبعة جوتنجن سنة ١٨٥٨ م . — ١٢٧٥ هـ .

(٢) ، (٣) ، (٤) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم طبعة باريس سنة ١٩٠٠ م . ١٣١٨هـ. صفحة ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٣٧٧ على التوالى .

وهنالك عامل آخر بعث على سيرورة قصص الأبطال وأسمائهم وانتشارها وهو أبعد أثراً من ترجمة كتب الملوك فى رواج ذلك القصص وذيوعه ألا وهو الشعوبية وشعراء الموالى الفرس الذين كانوا يفاخرون العرب بأمجادهم القديمة وفى طليعة هؤلاء إسماعيل بن يسار مولى بنى تميم ، المتوفى سنة ١٠١ هـ. — ٧١٩ م. أنشد يوماً هشاما بن عبد الملك قصيدة منها :

من مثل كسرى وسابور الجنود معا ... والهرمـــزان لفخر أو لتعظيم
أسد الكتائب يوم الروع إن زحفوا ... وهم أذلوا ملوك الترك والروم(١)

وقال يفاخر العرب بقومه :

رب خال متوج لى وعـــم ... ماجد مجتدى كريم النصاب
إنمـــا سمى الفـــوارس بالفر ... س مضاهـــاة رفعة الأنساب
فاتركى الفخـــر يا أمام علينا ... واتركى الجور وانطقى بالصواب
واسألى إن جهلت عنا وعنكم ... كيف كنا فى سالف الأحقاب
إذ نربى بناتنـــا وتدســـو ... ن سفاها بناتكم فى التراب(٢)

ولعل هذه الشعوبية وحاجة الفرس إلى الفخر بالآباء والأجداد إزاء العصبية العربية كانت من أهم العوامل — إن لم تكن أهمها — فى ترجمة سير الملوك والأبطال . ولنعد الآن إلى موضوعنا فنقول :

اعتمد مؤلفو « خداينامه » فى جمع مادته على الأبستاق والروايات والأساطير الشفاهية التى كانت تدور حول الملوك والأبطال والعقائد وبلغت من النضج والكمال والتسلسل والترابط فى عصر تأليف الكتاب حدًّا جعلها صالحة للتدوين فى صورة تاريخية ، وظاهر مما نقله إلينا الأصفهانى عن موسى بن عيسى الكسروى وبهرام الموبذ ، أن نسخ « خداينامه » كانت تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً نتيجة لتصرف الناسخين وعدم دقتهم فى النقل مما جعل المهتمين بجمع وتحقيق أخبار الفرس وتواريخهم لا يعتمدون على نسخة واحدة ويلجأون إلى مقابلة عدة نسخ ببعضها البعض لاستخراج تاريخ يطمئنون إليه .

---

(١) ، (٢) حماسه سرا فى ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

فوسى ابن عيسى الكسروى يقول : (إنى نظرت فى الكتاب المسمى خداينامه وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية إلى العربية سمى كتاب تاريخ ملوك الفرس فكررت النظر فى نسخ هذا الكتاب وبحثها بحث استقصاء فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر بنسختين متفقتين ، وذلك لاشتباه الأمر « كان » على الناقلين لهذا الكتاب من لسان إلى لسان)[١] ويقول بهرام الموبذ : (إنى جمعت نيفا وعشرين نسخة من الكتاب المسمى خداى نامه حتى أصلحت فيها تواريخ ملوك الفرس من لدن كيومرث والد البشر إلى آخر أيامهم بانتقال الملك عنهم إلى العرب)[٢] .

ويعزو نلدكه وقوع هذا الخلاف إلى عدم وضوح الخط الفهلوى وصعوبته واختلاف دلالاته[٣] كما أرجع الكسروى هذا الاختلاف إلى اشتباه الأمر على المترجمين ، ولكن لا يبعد عقلا أنه كان بين النسخ الفهلوية ذاتها اختلافات كذلك ترتب عليها اختلافات مماثلة فى الترجمات العربية والفارسية على السواء .

وكان إلى جانب خداينامه كتب أخرى مستقلة تتداولها الأيدى وإليها يرجع نلدكه ما يوجد من اختلافات بين الشاهنامه والمصادر العربية فى بعض المطالب مما يدل على اقتباسها من كتاب غير الخداينامه ويضرب لهذا مثلاً « نهاية الملك فيروز » فإنها فى المصادر العربية التى نقلت عن « خداينامه » مثل عيون الأخبار وكتاب المعارف لابن قتيبة ، تختلف عما جاء فى غرر الثعالبى وشاهنامة الفردوسى ، كما يشير إلى خلاف بين روايتى الفردوسى والثعالبى كذلك ، مما يجعله يستبعد أن يكون الفردوسى والثعالبى اعتمدا على « خداينامه » فى هذه الرواية ، ويضيف إلى هذا أن فى الطبرى روايات تاريخية جيدة للغاية عن أردشير الأول وعن آخر ملوك الساسانيين لا بد وأن تكون اقتبست من مصدر قديم فارسى أو فهلوى ولم تكن يقينا فى خداينامه ، وأنه كان يوجد فضلا عن ذلك أنواع من القصص والروايات الفهلوية من الممكن القول بأنها كانت بعد تدوين « خداينامه » جزءاً من كتاب تاريخى كامل وقد يكون من الممكن أيضاً أن يقال مثل هذا عن « كارنامه* ك أردشير » الذى ما زال باقياً ورواية بهرام جوبين التى يمكن تأليف أجزائها المتفرقة من الكتب

(١) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء طبع برلين شركة كاويانى ص ١٥ .

(٢) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ١٩ .

(٣) حماسه ملى إيران ص٢٦ .

العربية وترجمة الطبرى الفارسية والشاهنامة [١] .

الشاهنامات المنثورة : كتاب خداينامه هذا بنسخه المختلفة والكتب الأخرى التى يشير إليها نلدكه فضلاً عن المصادر الإسلامية من فارسية وعربية والروايات الشفاهية الشعبية كانت فى العصر الإسلامى مادة لكتب قصصية تاريخية منثورة عرفت فى تاريخ الأدب الفارسى بالشاهنامات .

وعلى هذه الشاهنامات اعتمد شعراء القصة — أساساً — فى نظم ملاحمهم فاتخذوا منها موضوعاً للشعر الحماسى القصصى .

ومن هذا يتبين أن اسم « شاهنامه » كان يطلق فى البداية على تلك الكتب التى حوت سير الملوك والأبطال وقصصهم وأخبارهم دون نظر إلى أسلوب تأليف الكتاب — نظماً كان أو نثراً — ولم يراع فى إطلاق هذه التسمية غير مطابقتها للموضوع ولكن هذا الاسم اقتصر فيما بعد — وخاصة بعد ضياع الأصول المنثورة — على الصورة المنظومة لهذه الكتب ، فكلمة « شاهنامه » الفارسية بمفهومها الحالى تقابل كلمة « ملحمة — Epic » التى نطلقها اليوم على الصورة الشعرية لروايات البطولة فى الاصطلاح القصصى المعاصر[٢] .

وأقدم ما عرف من الشاهنامات المنثورة شاهنامة أبى المؤيد البلخى وأول كتاب فارسى تحدث عن هذه الشاهنامة ترجمة البلعمى لتاريخ الطبرى التى يرجع تاريخها إلى سنة ٣٥٢ هـ — ٩٦٣ م.[٣] . وذلك بمناسبة الحديث عن « نهاية أمر جمشيد » وفى مقدمة قابوسنامه المؤلف بين سنتى ٤٥٧ ، ٤٦٢ هـ. (١٠٦٤ ، ١٠٦٩ م.) ورد ذكر هذه الشاهنامة على لسان مؤلفه الأمير عنصر المعالى وهو يقول لابنه (*كيلا نشاه) : « وكان جدك الأعلى الملك شمس المعالى قابوس بن وشم*كير حفيد ارغش بن فرهادان وفى عهد كيخسرو كان له ملك *كيلان وقد أورد أبو المؤيد البلخى ذكره فى الشاهنامة »[٤] كما أشير بالصفحة الثانية من مقدمة كتاب مجمل

---

(١) نفس المصدر ص ٢٧ .

(٢) ترجم كتاب الثعالبى « غرر أخبار ملوك الفرس » إلى الفارسية الأستاذ محمود هدايت سنة. ١٣٦٩ هـ . — ١٩٤٩م . وسماه بالفارسية «شاهنامه ثعالبى» جرياً على التسمية القديمة لكتب الملوك المنثورة.

(٣) هزاره فردوسى ص ٥١ .

(٤) الترجمة العربية لقابو سنامه ص ٤٧ طبعة القاهرة ١٣٧٨ هـ سنة ١٩٥٨م . مكتبة الأنجلو.

التواريخ والقصص الذى ألف حوالى سنة ٥٢٠ هـ. ١١٢٦ م. إلى هذه الشاهنامة بعبارة « نثر أبو المؤيد » وذلك فى معرض ذكر المصادر التى رجع إليها مؤلف الكتاب فى جمع مادته[1] .

وأشار ابن اسفنديار فى تاريخ طبرستان المؤلف فى حدود سنة ٦١٣ هـ. ١٢١٦ م. عند حديثه عن رويان وقصة ملك فريدون وأبنائه « سلم وتور وإيرج » إلى شاهنامة أبى المؤيد بهذه العبارة (چنانكه در شاهنامها ى نظم ونثر فردوسى ومؤيدى شرح دادند) [2] . أى : كما هو مفصل فى شاهنامتى الفردوسى وأبى المؤيد المنظومة والمنثورة .

وأبو المؤيد صاحب هذه الشاهنامة من مشاهير شعراء بنى سامان وهو أول من نظم قصة يوسف وزليخا المعروفة ، ومع هذا لا نجد فى كتب الأدب والتذاكر شيئاً نستطيع الوقوف منه على حياة هذا الشاعر وكل ما نظفر به فى هذه الكتب أبيات معدودة تؤثر عنه ولم يزد صاحب اللباب فى كلامه عن أبى المؤيد شيئاً غير هذه الأسطر : (بناى معانى بدين مؤيد مشيد بود وباز وهماى معنى در دام بيان أو مقيد ، ودر صفت از*كشت معشوقه مي*كويد :

غزل

از*كشت را زخون دل زند خضاب	كنى كزو بلاى تن وجان هركسست
عناب وسيم ا*كر نبودمان روا بود	عناب بر سبيكهٔ سيمين اوبسست

* * *

ومعناها :

بناء المعانى بهذا المؤيد مشيد ، وبازى وهُما المعنى فى شرك بيانه مقيد ، يقول فى وصف بنان المعشوقة :

---

(١) طبعة خاور تصحيح ملك الشعراء بهار . طهران سنة ١٣١٨ هـ. ش . — ١٩٣٩ م .

(٢) طبعة خاور بتصحيح عباس إقبال جـ ١ ص ٦٠ طهران سنة ١٣٢٠ هـ. ش . — ١٩٤١ م .

غزل

يخضب بنانه من دم القلب ،
الكف الذى منه بلاء جسد وروح كل إنسان
إذا لم يكن لنا عناب وفضة فجائز ،
يكفى العناب على سبيكته الفضية

* * *

وكل ما نستطيع استخلاصه من هذه المراجع التى ورد فيها ذكر شاهنامته أن الشاعر كان يعيش فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى لأن ترجمة البلعمى وهى أول مرجع فارسى أشار إلى هذه الشاهنامة يرجع تاريخها إلى سنة ٣٥٢ هـ. ومن نسبته يفهم أنه من أهل بلخ ويدل نقل المؤرخين عنه على أن الرجل كان يتمتع بشهرة ومكانة أدبية كبيرة ، وحديث ابن اسفنديار عنه فى تاريخ طبرستان المؤلف فى حدود سنة ٦١٣هـ. يدل على استمرار ذيوع شهرة شاهنامته حتى أوائل القرن السابع الهجرى .

وهنالك شاهنامة أبى على البلخى ولم يرد ذكر هذه الشاهنامة غير مرة واحدة فى كتاب الآثار الباقية لأبى ريحان البيرونى أثناء الحديث عن *كيومرث حيث قال: (هذا على ما سمعته من أبى الحسن آذرخور وقد ذكر أبو على محمد بن أحمد البلخى الشاعر فى الشاهنامة هذا الحديث فى بدء الإنسان على غير ما حكيناه .. إلخ) [1]

ولا نعرف شيئاً عن هذا الشاعر كذلك ولكن يستدل من ذكر اسمه فى الآثار الباقية المؤلف فى حدود سنة ٣٩١ هـ . على أنه كان يعيش قبل العقد الأخير من القرن الرابع الهجرى .

ويذهب البارون روزن إلى أن هذه الشاهنامة من الممكن أن تكون نفس شاهنامة أبى منصور بن عبد الرزاق المشهورة [2] التى سيرد الحديث عنها فيما بعد ، ولا يقطع تقى زاده بصحة رأى روزن هذا ولكنه فى نفس الوقت لا يستبعد صوابه

(١) ص ٩٩ طبعة ليبزيج .
(٢) ص ٥٤ هزاره‌ء فردوسى .

ويناقش عبارة روزن فى حذر بالغ دون أن يقطع أولا بقبولها أو رفضها فيقول إن : اسم أبى على البلخى لم يرد ضمن أسماء مؤلفى شاهنامة أبى منصور الأربعة الذين ورد ذكرهم فى مقدمة بايسنقر كما أن رواية هذه المقدمة التى كتبت سنة ٨٢٩ هـ. — ١٤٢٥ م. ليست حجة قاطعة ويستشهد بقول الفردوسى :

زهر كشورى موبدى سالخورد   بياورد كين نامه را* كردكرد

* * *

چوبشنيد از يشان سپهبد سخن   يكى نامور نامه افكند بن

* * *

والمعنى :

أتى من كل بلد بموبذ مسن حتى جمع ذلك الكتاب

لما سمع الإصبهبذ منهم الكلام وضع أس كتاب مشهور

* * *

ويردف ذلك بقوله: من الممكن أن يكون هؤلاء العلماء الزردشتيون الذين جمعوا فى طوس لدى أبى منصور لم يكن الغرض من جمعهم إنشاء وتأليف كتاب فارسى بل للترجمة الشفوية والتحريرية من الفهلوية، خاصة وأنه كان لدى كل منهم جزء أو نسخة من الخداينامه كما يقول الفردوسى :

يكى نامه بود از* كـــه باستان   فراوان بدو اندرون داستان

پراكنـــده دردست هر موبدى   از وبهره اى برده هر بخردى

* * *

أى : كان هنالك كتاب منذ الزمن القديم به قصص كثيرة ، مفرق فى يد كل موبذ وقد أصاب كل عاقل منه حظًّا .

ثم يقول : « فيمكن على الأقل أن يكون الموابذة الزردشتيون قد ترجموا الكتب الفهلوية وشرحوا الروايات الشفاهية وتولى شخص أو عدة أشخاص من ذوى اللسانين بأمر الحاكم المذكور تأليف وتدوين هذه الروايات بالفارسية وقابلوها بالمصادر العربية وسير الملوك والله أعلم . ويؤيد هذا الحدس أن البيرونى يتحدث عن شاهنامة أبى على بلفظ الشاهنامة على إطلاقه دون قيد ولما كان البيرونى تكلم فى موضعين

عن شاهنامة أبى منصور بلفظ شاهنامة على إطلاقهوكان المقصود فى كلا الموضعين شاهنامة أبى منصور ، لهذا يمكن أن نتصور أنه لو كان يقصد غير تلك الشاهنامة لما ذكرها بهذا اللفظ على إطلاقه » .

كذلك لا يرى تقى زاده فى عدم ذكر الفردوسى ، بشاهنامته التى نظمها عن شاهنامة أبى منصور ، الأساطير المتعلقة بخلق العالم والمنقولة عن شاهنامة أبى على ، ما ينافى الأخذ بوجهة نظر روزن وعلل هذا باحتراز الفردوسى أومترجمى الخداينامه من ذكر ما لا يتفق وميول المسلمين .

أما ذبيح الله صفا فيدلل على عدم صحة حدس روزن بتصريح البيرونى بشاهنامة أبى على البلخى وأبى منصور فى موضعين ونقله عبارة من كل منهما ، ثم بعدم ورود اسم أبى على فى مقدمة أبى منصور الموجودة وعدم وجود رواية شاهنامة أبى على عن *كيومرث فى شاهنامة الفردوسى التى نظمت على التحقيق عن شاهنامة أبى منصور ، ويخالف فى صراحة تامة تقى زاده الذى كاد أن يصرح بأن أبا على كان مدوناً لروايات الموابذة فى شاهنامة أبى منصور وبالتالى لا يستبعد أن تكون شاهنامته التى ذكرها البيرونى فى الآثار الباقية هى عين شاهنامة أبى منصور .

أما عبارات البيرونى التى يدور حولها هذا الخلاف فأولاها صرح فيها كما سبق ذكره باسم أبى على وشاهنامته فقال : (هذا ماسمعته من أبى الحسن آذرخور وقد ذكر أبو على محمد بن أحمد البلخى الشاعر فى الشاهنامة هذا الحديث فى بدء الإنسان على غير ما حكيناه بعد أن زعم أنه صحح أخباره من كتاب سير الملوك الذى لعبد الله بن المقفع والذى لمحمد بن الجهم البرمكى والذى لهشام بن القاسم والذى لبهرام بن مردانشاه موبذ مدينة سابور والذى لبهرام بن مهران الإصفهانى ثم قابل ذلك بما أورده بهرام الهروى المجوسى)[1] .

والذى أراه وتشهد به هذه العبارة أن أبا على البلخى كان مؤلفاً محققاً يجمع الأخبار ويقابلها بمصادرها المختلفة كما أن فى تصريح البيرونى باسم أبى على وشاهنامته على هذه الصورة ، ما يقطع بأن هذه الشاهنامة كانت تأليفاً مستقلاً بذاته ويؤكد

---

(١) الآثار الباقية ص ٩٩ .

هذا فى غير أدنى لبس تصريحه باسم أبى منصور وشاهنامته فى العبارتين التاليتين : قال عند حديثه عن الأشكانيين : (ووجدنا تواريخ هذا القسم الثانى فى كتاب شاهنامة المعمول لأبى منصور بن عبدالرزاق على ما أودعناه أيضاً فى هذا الجدول)[1] .

وقال فى موضع آخر عند الكلام عن وضع الأنساب : (كما فعل لابن عبد الرزاق الطوسى من افتعال نسب له فى الشاهنامة ينتمى به إلى منوشجهر)[2] .

ولا تدع هذه العبارات الثلاث لمتشكك أدنى ريب فى أن شاهنامة أبى على البلخى غير شاهنامة أبى منصور .

أما ثالثة الشاهنامات المنثورة التى سمعنا عنها وأشهرها وأجمعها باتفاق الروايات المعول عليها فهى شاهنامة أبى منصور التى جمعت مادتها فى النصف الأول من القرن الرابع فى طوس من بلاد خراسان بأمر حاكم هذه الولاية أبى منصور محمد ابن عبد الرزاق بن عبد الله بن فرخ الطوسى بإشراف وزيره أبى منصور المعمرى ، وقد بلغت هذه الشاهنامة بعد قليل من تأليفها شهرة واسعة وعليها اعتمد الدقيقى ومن بعده الفردوسى فى نظم الشاهنامة ، ويقول ذبيح الله صفا إن الثعالبى فى تأليفه كتاب (غرر أخبار ملوك الفرس) حوالى سنة ٤١٢ هـ . — ١٠٢١ م . رجع إلى هذه الشاهنامة وأخذ عنها وأشار إليها فى موضعين من غرره ، فقال عند الحديث عن أرجاسپ : (فقال الطبرى : إنه خوزاسف وقال ابن خرداذبه إنه هزارسف وقال صاحب كتاب شاهنامة إنه أرجاسف وهو الأشهر) وفى بداية حديثه عن الأشكانيين : (فذكر الطبرى فى بعض رواياته أن أول من ملك منهم أشك بن أشكان وكان ملكه إحدى وعشرين سنة ووافقه فى هذه الرواية صاحب كتاب شاهنامه إلا أنه خالفه فى مدة الملك فقال كانت عشر سنين)[3] .

ويستدل ذبيح الله صفا على أن الشاهنامة التى يشير إليها الثعالبى دون قيد هى شاهنامة أبى منصور ، بأن الفردوسى صرح فى هذين البيتين التاليين من شاهنامته بعدم درايته بتاريخ وعدد سنوات حكم الأشكانيين :

---

(١) ص ١١٦ .

(٢) ص ٣٨ من نفس المصدر .

(٣) حماسة سرائى ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

چوكوتاه شـــد شاخ وهم بيخشان *نكويد جهانديده تاريخشان
ازيشـــان بجز نام نشنيده ام. نه در نامهٔ خسروان ديده ام

* * *

والمعنى :

لما قصر فرعهم وأصلهم لا يذكر الخبير تاريخهم
لم أسمع عنهم غير اسمهم ولم أرهم فى كتاب الملوك .

* * *

ويقول إن الفردوسى على ما يظهر لم يرجع فى باب الأشكانيين إلى شاهنامة أبى منصور . وله دليل آخر هو أن شاهنامة الفردوسى لم تكن عند تأليف الغرر من الشهرة والذيوع بحيث يرجع إليها الثعالبى . بمطلق اسم شاهنامه دون قيد فى نفس الوقت الذى كانت شاهنامة أبى منصور ذات شهرة واسعة وإليها أشار البيرونى فى الآثار الباقية بمجرد لفظ شاهنامه دون حاجة إلى تخصيص وتعريف .

ولكن هذا الدليل يتهافت تلقائياً إزاء الروايات المختلفة عن شاهنامة الفردوسى والسلطان محمود وتسابق الكبراء والعلماء إلى نقلها ونسخها فى حياة الشاعر ، وإذا عرفنا أن نسخ الشاهنامة التى بين أيدينا أرخ الفردوسى تاريخ انتهائه من بعضها بعام ٣٨٤ هـ. ٩٩٤ م. ومن البعض الآخر بعام ٣٨٩ هـ. ٩٩٨ م. وعام ٤٠٠ هـ. ١٠٠٩ م. أدركنا أن شاهنامة الفردوسى كانت تتمتع بشهرة واسعة قبل تأليف الغرر بسنوات كما أن لفظ الشاهنامة المجرد الذى ذكره البيرونى فى موضعين كان يسبقه أو يلحقه ما يفيد نسبتها إلى أبى منصور على ما تقدم فى المثالين السابقين ولم يكن تجريداً على إطلاقه .

أما عن دليله الأول فقد تناول تقى زاده بمقاله فى هزارهٔ فردوسى (ص ٦١) مسألة نقل البيرونى جدولاً بأسماء الملوك الأشكانيين وسنوات حكمهم من شاهنامة أبى منصور فى كتابه الآثار الباقية وعدم مطابقة ذلك الجدول لما جاء فى شاهنامة الفردوسى من أسماء الملوك وعددهم على السواء واقتصار الفردوسى على ذكر تسعة من ملوك الأشكانيين وتحديد مدة ملكهم إجمالاً بمائتى سنة نقلاً عن رواية دهقان مدينة الشاش (چاج) وختامه حديث الأشكانيين ودولتهم بالبيتين السابقين فى

اختصار موجز ، وعلل هذا الخلاف بين البيرونى والفردوسى حال كونهما — كما هو مشهور ومعروف — اعتمدا على شاهنامة أبى منصور ، بأن الفردوسى فى مثل هذه المواضع التى يبلغ الخلاف بين الروايات فيها أعلى درجاته حتى يمكن القول بأنه لا توجد من بينها روايتان متفقتان لم ير ضرورة فى التزام رواية شاهنامة أبى منصور ورأى الإلمام بهذه الفترة التى تمثل تدهور إيران إلمامة عابرة وأن مقصوده بقوله إنه لم يسمع عنهم غير أسمائهم ولا يقف على شىء من تاريخهم أن هذه الفترة من تاريخ البلاد لا تستحق أن تكون موضوع شعر حماسى ولا أهمية لها فى نظم ملحمة الملوك .

وقد رجعت إلى الشاهنامة فوجدت أن هذه الفترة من تاريخ إيران لم تحتل من ملحمة الفردوسى غير عشرين بيتاً[1] وقد مر بها الشاعر دون اكتراث .

وأغلب ظنى أن (صاحب كتاب شاهنامه) الذى ذكر بالغرر على هذه الصورة هو أبو المؤيد البلخى صاحب الشاهنامة المشهورة ، لأن كلمة صاحب هنا معناها المؤلف وأبو منصور لم يكن مؤلفاً وإنما كان أميراً حاكماً أمر بجمع قصص الملوك فى دفتر أو سفر اشترك فى تأليفه له أشخاص عديدون فهو ليس صاحب كتاب ولا مؤلف كتاب حتى يشار إليه بمثل هذه العبارة أما شاهنامة الفردوسى فلم يحدد فيها سنوات حكم كل ملك من الأشكانيين كما رأينا وكذلك لم تكن شاهنامة أبى على البلخى — على ما يظهر — من الذيوع بحيث يشار إليها بمطلق لفظ شاهنامه وفوق هذا لم يرد ذكر هذه الشاهنامة غير مرة واحدة فى الآثار الباقيـــة .

ذكرت شاهنامة أبى منصور كذلك فى المقدمة القديمة للشاهنامة وهذه المقدمة على رواية كتب تاريخ الأدب الفارسى أقدم ما وصلنا من النثر الفارسى وتوجد فى صدر بعض نسخ الشاهنامة التى لا يتأخر تاريخ نسخها عن القرن الثامن الهجرى والنسخ المنقولة عنها[2] ومطلعها :

---

(١) ص ٨٥ ، ٨٦ جـ ٤ طبعة خاور .

(٢) بيست مقاله قزوينى جلد دوم ص ٥ .

(سپاس وآفرين خداى راكه اين جهان وآن جهان آفريد)

أى : (الشكر والحمد لله الذى خلق الدنيا والآخرة) وقد كتبت فى المحرم سنة ٣٤٦ هـ. سنة ٩٥٧ م. لشاهنامة أبى منصور أى قبل ترجمة تاريخ الطبرى الفارسية التى تمت سنة ٣٥٢ هـ. ٩٦٣ م. بحوالى ست سنوات وألحق بآخرها حديث عن الفردوسى والسلطان محمود مما جعل البعض يظن أنها كتبت لشاهنامة الفردوسى. وقد حقق العلامة القزوينى نصاً لها بمقابلة ست نسخ خطية فى مكتبات لندن وباريس وبرلين وكمبردج وطبع النص مع بحث ضاف له عنها فى الجزء الثانى من كتاب (بيست مقالهٔ قزوينى) أى : مقالات القزوينى العشرين. وجاء فيها : (آغازكار شاهنامه از *كردآوريدهٔ أبو منصور المعمرى دستور أبو منصور عبد الرزاق عبد الله فرخ . . . إلخ). والمعنى : ابتداء أمر الشاهنامة التى جمعها أبو منصور المعمرى وزير أبى منصور بن عبد الرزاق بن عبد الله بن فرخ ... إلخ.

وكذلك أشير إلى اسم أبى منصور فى عدة مواضع منها . . وهنالك مصدر ثالث يتحدث عن شاهنامة أبى منصور هو مقدمة بايسنقر التى كتبت على المشهور فى حدود سنة ٨٢٩ هـ.—١٤٢٥ م. بأمر بايسنقر بن شاهرخ بن الأمير تيمور *كوركان المتوفى سنة ٨٣٧ هـ. ١٤٣٣ م. وتعرف بالمقدمة الجديدة للشاهنامة.

ويشير القزوينى بمناسبة الحديث عن هاتين المقدمتين — القديمة والجديدة — إلى مقدمة ثالثة أحدث عهداً من الأولى وأقدم من الثانية وقد صدرت بها بعض نسخ الشاهنامة ويسميها بالمقدمة الوسطى[1] ولكن لم يذكر شيئاً عن صلتها بشاهنامة أبى منصور وأغلب الظن أن كاتبها استند فى تحريرها إلى المقدمة القديمة كما فعل كتاب مقدمة بايسنقر ، ولم ينقل القزوينى فى مقاله شيئاً منها.

وخلاصة قصة شاهنامة أبى منصور نقلاً عن المقدمة القديمة هى أن الأمير أبا منصور بن عبد الرزاق أعجب بما سمعه من نقل أنوشيروان لكليلة ودمنة من الهندية إلى الفهلوية وترجمة هذا الكتاب إلى العربية بأمر المأمون « كذا » على يد ابن المقفع (كاتب الخليفة المأمون)[2] وتكليف نصر بن أحمد السامانى وزيره

(١) المصدر السابق ص ٦.

(٢) قتل ابن المقفع حوالى سنة ١١٦ هـ. = ٧٣٤ م. ولم يدرك عصر المأمون الذى ولى الخلافة من سنة ١٩٨ إلى سنة ٢١٨ هـ. (٨١٣ — ٨٣٣ م.)

البلعمى بنقله إلى الفارسية ونظم الرودكى للكتاب عن الترجمة الفارسية مما خلد ذكرهم جميعاً . فتمنى أن يبقى منه على الزمان ذكرى فى هذه الدنيا، فأمر وزيره أبا منصور المعمرى أن يجمع أصحاب الكتب من الدهاقين والحكماء والمحنكين من أطراف البلاد ، فامتثل أمره وبعث برسول بكتاب منه إلى مدن خراسان وأتى بالنوابغ من كل مكان مثل (شاج بن خراسانى) من هرات ومثل (يزدانداد بن شاپور) من سيستان ومثل (ما هوى خورشيد بن بهرام) من نيشاپور ومثل (شاذان بن برزين) من طوس، وجمع من كل صوب كتب الملوك وأعمالهم وسيرهم من أول *كيومرث (كى نخستين) إلى يزد*كرد شهريار آخر ملوك العجم .

وفى المحرم سنة ٣٤٦ هـ . — ٩٥٧ م . تم جمع وتأليف كتاب الشاهنامة لينظر فيه العلماء ويفيدوا من سير المتقدمين .

ويقول نلدكه إن أصحاب هذه الأسماء الأربعة كانوا من غير شك من الزردشتيين لأنهم وحدهم هم الذين كانوا يستطيعون قراءة الكتب الفهلوية التى كان يتحتم الرجوع إليها[1] .

والذى أعرفه أنه كان بين المسلمين كذلك من يعرف الفهلوية وترجم عنها إلى العربية أمثال جبلة بن سالم كاتب هشام بن عبد الملك وعبد الله بن المقفع ومحمد بن الجهم البرمكى ومحمد بن بهرام بن مطيار وهشام بن قاسم الإصفهانى وغيرهم[2] .

وقد وضع مؤلفو المقدمة القديمة نسباً لأبى منصور بن عبد الرزاق ارتقوا به إلى (جمشيد) كما افتعلوا نسبا آخر لوزيره أبى منصور المعمرى انتهوا به إلى (كنار*نك) أحد قواد (خسرو پرويز) وذكروا تاريخ هذا القائد وما قام به من فتوح وأبلى فيه من حروب إلى أن قتل فى أيام (يزد* كرد) الثالث بعد أن عاش مائة وعشرين عاماً وكان ينتمى من جهة أمه إلى (طوس بن نوذر) قائد الملك كيخسرو .

ثم جاء فى آخر المقدمة (ونسب هذين الشخصين « أبى منصور ووزيره »

---

(١) حماسه ملى إيران ص ٢٨ .

(٢) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٩ .

كان كما ذكرنا) ومن هذه العبارة لا يبقى أدنى شك فى أن هذه المقدمة وضعت لشاهنامة أبى منصور لا لشاهنامة الفردوسى .

ويقول نلدكه إن هذه الشاهنامة كانت ديوانا لتاريخ إيران من بدء الدنيا إلى انقضاء ملكها مع إضافة عدة وقائع حماسية أخرى وأن الموضوعات الرئيسية بها لا بد وأن تكون قد أخذت من كتاب جامع أو من الخداينامه أو كتاب شبيه بالخداينامه ، ولكن يتخللها قصص صغيرة مستقلة من جملتها القصص المتعلقة ببهرام * كور فإنه من الممكن أن تكون موجودة فى مجموعة من الروايات كانت مصدرا للمجموعات العربية القديمة . وقد دخل فيها كذلك كثير من الحكم وخاصة بعض الفصول كالفصل المتعلق بخسرو أنوشيروان الذى يتضمن الحض على الورع وتوجد بها مجموعة أخرى من المعميات وغيرها ، وقد ضم إلى كتاب الملوك بعض قصص فهلوية أخرى وضعت بعد الإسلام مثل قصة المجىء بلعبة الشطرنج من الهند والإتيان بكتاب كليلة ودمنة من الهند لإيران فى زمان خسرو أنوشيروان . ويحدس نلدكه كذلك أن مؤلفى شاهنامة أبى منصور نقلوا كذلك عن بعض الكتب الفارسية الإسلامية ، ومن جملة ما نقلوا قصة الإسكندر ، وبهذا يعلل مطابقة ألفاظ بعض الكلمات مثل « ضحاك » و « قباد » و « كسرى »[1] .

شاهنامة أبى منصور هذه التى استقت مادتها من الخداينامة والكتب الفهلوية المماثلة وروايات الموابذة والدهاقين كانت باتفاق الروايات المصدر الأساسى الذى عول عليه الفردوسى فى نظم شاهنامته وقد ذكرها فى عدة مواضع منها بأسماء متعددة مثل « نامهٔ خسروان » أى كتاب الأكاسرة و « نامهٔ خسروى » أى الكتاب الكسروى و « نامهٔ پهلوى » أى الكتاب الفهلوى و « نامهٔ شهريار » أى كتاب الأمير و « نامهٔ باستان » أى الكتاب القديم و « نامهٔ راستان » أى كتاب الصادقين و « نامهٔ شاهوار » أى الكتاب الملكى أو مجرد « نامه » أى الكتاب أو « دفتر » .

وقد أوجز الفردوسى قصة جمع وتدوين شاهنامة أبى منصور فى الأبيات التاليـــة :

---

(١) حماسهٔ ملى إيران من ص ٣٠ إلى ص ٣٣ .

يكى نامه بود از*كه باستان | فراوان بدو اند رون داستان
پراكنده دردست هرموبدى | از و بهره اى برده هر بخردى
يكى پهلوان بود دهقان نز*اد | دليرو بزر*ك وخردمند وراد
پز* و هنده* روز*كار نخست | *كذشته سخنها همه باز جست
ز هر كشورى موبدى سالخورد | بيا ورد كاين نامه را*كرد كرد
بپر سيد شان از نز*اد كيان | وز آن نا مداران فرخ *كوان
كه* كيتى بآغاز چون داشتند | كه ايدربما خوار *بكذاشتند
چ*كونه سراى بنيك اخترى | بريشان همه روز كند آورى
بـ*كفتنـــد پيشش يكايك‌مهان | سخنهاى شان و*كشت جهان
چوبشنيـــد از ايشان سپهبدسخن | يكى نامـــور نامه افكند بن
چنان يا د*كارى شد اندرجهان | برو آفرين از كهان ومهان(١)

وفيما يلى ترجمة البندارى لهذه الأبيات :

«كان من آثار الغابرين كتاب مملوء بالقصص ، تقسمته أيدى الموابذة وحرص كل عاقل على قطعة منه ، وكان من نسل الدهاقين بطل عاقل ذكى جواد ، يتحرى آثار الأولين ويتبع قصص الماضين . فدعا إليه كل موبذ حنكته السنون ، قد وعى أثارة من هذا الكتاب ، وسألهم عن أنساب الملوك والأبطال النابهين وكيف صرفوا أمور العالم من قبل ثم خلوه لنا صاغرين ؟ وكيف مهد لهم الجد فملأوا الأيام بمآثرهم ؟ فقص عليه هؤلاء الكبراء قصص الملوك ، وأخبروه عن غير الزمان ، فلما سمع منهم شرع يؤلف من ذلك كتاباً عظيماً ، فترك ذكراً ذائعاً فى الآخرين ، وأثنى عليه الأكابر والأصاغر أجمعين »(٢) .

* * *

على شاهنامة أبى منصور إذا اعتمد الفردوسى — بعد مقتل الدقيقى — فى مواصلته لنظم الشاهنامة المنسوبة إليه وقد جد حثيثاً حتى وفق إلى الحصول على نسخة منها ، ولكنها لم تكن المصدر الوحيد لملحمة الفردوسى ، وغير بعيد أن يكون اعتمد فيما نظم من ملحمته قبل مقتل الدقيقى بسنوات على الشاهنامات الأخرى والكتب الأسطورية والروايات الشفاهية ثم ضم كل هذا إلى ما نظمه من شاهنامة

(١) شاهنامه ج ١ ص ٨ طبعة بروخيم . (٢) تعريب الشاهنامة للبندارى ص ٩ .

أبى منصور عند تبويب ملحمته وإفراغها فى القالب النهائى على الصورة التى بين أيدينا اليوم .

ويؤخذ مما ذكره نلدكه فى حديثه عن شاهنامة الفردوسى ومقابلة ما جاء بها بما ذكر فى المصادر الإسلامية الأخرى التى تعرضت لأخبار ملوك الفرس كالطبرى والغرر ، أن قصة (بيز*ن ومنيز*ه) وحرب رستم لأكوان الجنى وأسطورة رستم وسهراب نقلت عن مصدر خاص ودلل على هذا بأن الثعالبى لم يذكر شيئاً عن حرب رستم وأكوان الجنى وحروب رستم فى مازندران وكذلك لم يذكر المؤرخون الآخرون على الإطلاق قتال رستم لأكوان ثم يؤكد بأنه لم يكن هناك مرجع هام يتحدث عن الخوارق التى أتى بها رستم ومن ثم لم يذكر الثعالبى وغيره من المؤرخين العرب شيئاً عن قصة رستم وسهراب ، ويرى كذلك أن قصة تغلب داراب على شعيب بن قتيب وجيوش العرب من وضع أحد الخراسانيين بدافع البغض للعرب الفاتحين الذين تم لأهل خراسان الغلبة عليهم بزعامة أبى مسلم الخراسانى ، وأن اسم قتيب هذا ليس إلا ذكرى للقائد العربى البغيض قتيبة بن مسلم ، ويضيف كذلك أن الفردوسى أخذ قصة الإسكندر وبهرام*كور من مأخذ آخر وأن حكم ونصائح الفردوسى لم تكن كلها من شاهنامة أبى منصور[1] .

ونحن نسلم مع نلدكه بأنه كانت إلى جانب شاهنامة أبى منصور قصص وروايات كثيرة شفاهية ومكتوبة ذائعة شائعة بين الخاصة وعامة الشعب بل من البديهى أن شاهنامة أبى منصور مهما جمعت ووعت لا تستطيع أن تجمع وتعى كل شىء ، وأن قصص البطولة والخوارق تتحور وتنمو وتزداد كل يوم بما يزيده عليها الرواة والناقلون عنهم ولا تبقى جامدة فى حيز المدون منها ، وليس من الطبيعى أن يقف شاعر قاص كالفردوسى إزاء هذه الروايات والأساطير لا يستهويه منها رواية أو أسطورة أو تخلو شاهنامة أبى منصور بالغة ما بلغت من الإحاطة والكمال من هنات وثغرات ونقائص يلجأ الشاعر إلى إحكامها وسدها وتكميلها من روايات أخرى مسطورة أو جارية على الألسن ، كل هذه بسائط وأوليات يتقبلها العقل دون كبير جهد أو إعمال فكر ، ولكن الأدلة التى ساقها نلدكه لتأييد هذه الدعوى

---

(١) حماسه ملى إيران ص ٧٣ وما بعدها .

ليست من القوة بحيث تكفي للإقناع أو تبعث على الرضى والتسليم ، فقد يكون السبب فى عدم ذكر الثعالبي وغيره من مؤرخى العرب هذه القصص تحاشيهم نقل مثل هذه الروايات لما فيها من إغراق فى الخيال إن استمال الشاعر والأديب لا يروق المؤرخ ولا يرضى ذوقه القريب بطبعه إلى التدقيق والتحقيق ولا يسيغ الأسطورة إلا حين تحوزه وقائع التاريخ .

كذلك ليس من الحتم أن يلتزم الثعالبي وغيره نقل جميع ما ورد فى شاهنامة أبي منصور على علاته ، إن صح نقلهم عنها ، وأنه لم تكن لديهم كتب أخرى مدون بها قصص وأخبار مشتركة متداولة ، أو أنهم لم يعتمدوا على تراجم الخداينامة وغيرها من الكتب الفهلوية المعربة دون الشاهنامات الفارسية .

ثم إذا سلمنا بأن شاهنامة أبي منصور كانت مرجع هؤلاء جميعاً فن أين أتى لنا أن النسخ التى كانت بأيديهم لم يكن بينها خلاف ولم يتصرف فيها الناسخون بالحذف والزيادة ، والتغيير والتبديل وفق ميولهم وأهوائهم ؟

أما القول بأن قصة داراب وحروبه مع شعيب بن قتيب والعرب من وضع أحد الخراسانيين بدافع البغض للعرب وقتيبة بن مسلم خاصة ، فيكفى لرده أو التردد فى الأخذ به أن نقول بأن أهم أحداث الشاهنامة ووقائعها يدور حول صراع الإيرانيين مع الأمم المحيطة بهم والمهاجمة لهم منذ فجر تاريخهم ومن بينهم العرب وأن أقدم قصة صراع فى الشاهنامة بين الإيرانيين وغيرهم من الشعوب وقعت بين جمشيد الفيشدادى والضحاك النزارى اليمنى ثم بين هذا الضحاك العربى الذى استولى على ملك جمشيد ألف عام وفريدون الإيرانى الذى ثأر لجده جمشيد وقضى على دولة الضحاك .

وقصة الإسكندر على صورتها الحالية بالشاهنامة قصة يونانية الأصل إسلامية الصورة تناقلها اليونان والعرب والفرس على السواء وتحمل آثار هذه الأمم وقد راجت بين الإيرانيين لا سيما فى المشرق[1] رواجاً كبيراً ، ولا تقل قصة بهرام* كور عنها شهرة بين الفرس والعرب كليهما ، فهو ربيب المناذرة وعنوان المودة والتآلف بين

---

(١) حماسه سرائى ص ٣٤٣ .

الأمتين فى عصره ، و بمؤازرة العرب جلس على عرش أبيه وقد أخذت شخصيته التاريخية فى أدب الشعبين صورة شاعرية أسطورية طريفة تجعلها محببة إلى النفس سهلة الرواية .

وليس هنالك ما يمنع تصور تدوين هذه القصص والحكم التى أشار إليها نلدكه وأشباهها فى شاهنامة أبى منصور أو كتب غيرها أو وجودها قائمة بذاتها ، وقد أشار نلدكه نفسه فى موضع آخر إلى أن قصة الإسكندر كانت من جملة ما نقله مدونو شاهنامة أبى منصور عن المصادر الفارسية الحديثة[١]. وغير بعيد عندى أن يكونوا قد أفادوا كذلك من التراجم العربية للكتب الفهلوية ويرجح هذا مطابقة لفظ بعض الأسماء فى الشاهنامة مثل الضحاك وقباد وكسرى للفظها فى الكتب العربية وهذا أقرب إلى الفهم من تعليل نلدكه هذه المطابقة اللفظية بالأخذ عن المصادر الفارسية الجديدة[٢] .

كذلك ذكر نلدكه[٣] عند حديثه عن موضوع شاهنامة أبى منصور أن القصص المتعلقة ببهرام *كور من بين القصص التى نقلها كتابها من مصدر آخر غير الخداينامه . ويكفى هذا التناقض فى أقوال نلدكه لتداعى ما ساقه من أدلته .

نظم الشاهنامة

بعد ذيوع شاهنامة أبى منصور والحديث عنها بمطلق لفظ «شاهنامه» وإقبال الناس على استماع ما يقرأ عليهم من قصصها فى مجالسهم، تصدى شاب أبوه بائع دقيق[٤] لنظمها وانبرى فى حماس يقول للناس سأنظم هذا الكتاب فأدخل قوله هذا السرور على قلوبهم :

چو از دفتر اين داستانها بسى	همى خواند خواننده بر هركسى
جهان دل نهاده بدين داستان	همه بخردان نيز وهم راستان
جوانى بيامد *كشاده زبـــان	سخن *كفتن خوب وروشن روان
بنظم آرم اين نامه را *كفت من	ازو شادمان شددل انجمن[٥]

* * *

(١ ، ٢) حماسه ملى إيران ص ٣٢ . (٣) نفس المصدر ص ٣٠ .
(٤) هزاره فردوسى ص ٦٣ . (٥) الشاهنامه طبعة بروخيم المجلد الأول ص ٩ ، ٨

ومعناها كما ترجمها البندارى.

«فلما قرئت هذه القصص على الناس أعارتها الدنيا سمعها وقلبها وأولع بها العقلاء والحكماء حتى ظهر فتى فصيح اللسان حسن البيان ذكى الفؤاد ، فقال سأنظم هذا الكتاب ففرح الناس به أى فرح[١] » .

ولكن سوء سيرة هذا الشاعر الشاب وحياة الفساد التى كان يحياها مع الأشرار وضعت خاتمة لحياته فقتل على يد غلام دون أن يتم نظم الكتاب .

جوانيش را خوى بديار بود ابا بد هميشه بپيكار بــود
برو تاختن كرد نا*كاه مر*ك بسر بر نهادش يكى تيره تر*ك
بدان خوى بد جان شيرين بداد نبود از جهان دلش يك روزشاد
يكا يك ازو بخت بر*كشته شد بدست يكى بنده بركشته شد
برفت او واين نامه نا*كفته ماند چنان بخت بيدار او خفته ماند[٢]

ومعنى هذه الأبيات :

كان الخلق السيئ خدن شبابه وكان فى نضال دائم مع الشر
فعدا عليه الموت بغتة ووضع على رأسه خــوذة سوداء[٣]
وأسلم الروح اللطيفة لذلك الخلق الذميم ولم يهنأ قلبه يوماً واحداً بالدنيا
تحول عنه البخت كلية فقتل على يد غلام
ومضى وبقى هذا الكتاب غير منظوم كما نام بخته اليقظان .

* * *

ولم يزد ما نظمه الدقيقى من شاهنامة أبى منصور على ألف بيت تضمنت قصة *كشتاسف وأرجاسف :

ز*كشتاسپ وارجاسپ بيتى هزار *بكفتم سرا آمد مرا روز*كار[٤]

* * *

نظمت من « قصة » *كشتاسف وأرجاسف ألف بيت وانقضت أيامى .

(١) تعريب الشاهنامه ج ١ ص ٩ .
(٢) شاهنامه طبعة بروخيم ج ١ ص ٩ .
(٣) أى اسودت أيامه وساء مصيره .
(٤) شاهنامه ج ٦ ص ١٤٩٥ طبعة بروخيم .

وقدر لهذه الملحمة التى بدأها الدقيقى بنظم هذه القصة أن يتم فصولها ويضم إليها ما نظم من مصادر أخرى شاعر آخر هو أبو القاسم الفردوسى فاقترنت الشاهنامة باسمه وبقى على الزمان ذكره وقد أدرج الفردوسى ما نظمه سلفه فى شاهنامته :

كنـــون من *بكويم سخن كو *بكفت
منم زنده او *كشته باخاك جفـــت[١]

* * *

فالآن أذكر ما قاله ، فأنا حى وقد صار هو ضجيع التراب .

* * *

ولا يذكر الفردوسى والشاهنامة دون ذكر سلطان عظيم الخطر فى تاريخ إيران والهند هو السلطان محمود الغزنوى (٣٨٤ هـ — ٤٢١ هـ) [٢] وذلك لأن الفردوسى قدم هذا الكتاب إليه وبث مديحه فى ثناياه .

وفى كتب التذاكر والتاريخ والأدب روايات مختلفة تربط بين شاعرنا وملحمته ومحمود برباط وثيق ، من بينها ما ذكر فى تذكرة دولتشاه وآتشكده ومجالس المؤمنين وحبيب السير وتاريخ *كزيده[٣] .

وكأن خيال الرواة أبى إلا أن يضيف إلى مجد محمود الحربى مجداً أدبياً خالداً ، فجسموا واقعة اتصال الشاعر بهذا السلطان وعرضوها فى صور مختلفة جعلت الكثيرين يرون الفردوسى أحد شعراء بلاطه والشاهنامة من آثار عصره[٤] .

بيد أنا إذا تتبعنا قصة نظم هذه الملحمة نجد موقف محمود من شاعرنا موقفاً سلبياً لا يتعدى حرماله الفردوسى وسخطه عليه وفرار الشاعر خوفاً من بطشه وهجاءه له ، وكذلك نرى السنين الطوال التى انقضت فى نظم هذه الملحمة — وهى تتراوح بين ٢٥ سنة كما يقول العروضى السمرقندى[٥] وبين ٣٠ و ٣٥ كما ذكر بالشاهنامة — تكاد تقع كلها فى العصر السامانى .

---

(١) ش . ج ٦ ص ١٤٩٦ .

(٢) (٩٩٤ — ١٠٣٠ م .)

(٣) هزاره فردوسى ص ٨٦ .

(٤) برون ومن نقلوا عنه من مؤرخى الأدب الفارسى يدرجون اسم الفردوسى وملحمته بين أسماء شعراء العصر الغزنوى وآثارهم .

(٥) چهار مقاله ص ٧٥ .

ولعل أقدم قصة تربط بين محمود والفردوسى (حكاية) چهار مقاله ، ومن حق البحث علينا أن نقف عندها ملياً نلخصها وننقدها ونميز الجانب التاريخى من الجانب الأسطورى فيها .

وقد ذهب كاتبها إلى نيسابور سنة ٥١٤ هـ. — ١١٢٠ م . أى بعد وفاة الفردوسى بحوالى مائة عام وجمع مادتها فى ذلك التاريخ كما يفهم من عبارته (درسنه أربع عشرة وخمسماية بنشاپور شنيدم از امير معزى . . . . إلخ)(١) أى : فى سنة أربع عشرة وخمسمائة سمعت من الأمير معزى . . . . إلخ .

وفيما يلى أهم ما تضمنته هذه الحكاية بالنسبة لبحثنا :

أولاً : كان الفردوسى من مزارعى « باز* » إحدى قرى طوس وكان فى خفض من العيش بما تدره عليه ضياعه .

ثانياً : لم يكن له من الولد غير ابنة واحدة وكان ينظم الشاهنامة وكل أمله الحصول على صلة يجهز بها ابنته .

ثالثاً : استغرق نظم الشاهنامة خمسة وعشرين عاماً .

رابعاً : كان نساخه على الديلمى وراويته أبو دلف وراعيه حُيىّ بن قتيبة عامل طوس .

خامساً : نسخ على الديلمى الشاهنامة فى سبعة مجلدات ، وصحب الفردوسى أبا دُلَف إلى غزنة .

سادساً : عرضت الشاهنامة على السلطان ونالت لديه قبولا بوساطة وزيره أحمد حسن الكاتب « الميمندى » .

سابعاً : كان للوزير خصوم يدسون له لدى السلطان فقللوا من شأن الشاهنامة واقترحوا إعطاء الشاعر خمسين ألف درهم واتهموه بأنه رافضى ومعتزلى وأثر كلامهم فى السلطان .

---

(١) نفس المصدر ص ٨١ .

ثامناً : لم يصل الشاعر غير عشرين ألف درهم فغضب وقسم المبلغ بين حمامى وفقاعى استخفافاً بها وهرب ليلاً خوفاً من بطش محمود واختفى ستة أشهر عند إسماعيل الوراق وبعث السلطان فى طلبه ولم يظفر به .

تاسعاً : لما أمن الشاعر الطلب ذهب إلى طوس وأخذ الشاهنامة وذهب إلى الإصبهبذ شهريار ملك طبرستان من آل باوند واقترح تقديم الشاهنامة باسمه وأطلعه على مائة بيت هجا بها محموداً ، فنصحه بالعدول عن ذلك واشترى منه الهجاء بمائة ألف درهم وغسله ولم يبق منه غير ستة أبيات ذكرت بالكتاب وأفهمه أن الوشاة كانوا سبب حرمانه وحفظ السلطان هذه المنة لشهريار .

عاشراً : رضى السلطان عن الشاعر بسعى الوزير أحمد حسن الكاتب وأرسل إليه بطوس نيلا على الجمال السلطانية قيمته ستون ألف دينار ، ولكن الجمال دخلت (طبران) من باب (رودبار) بينما كان نعش الشاعر يخرج من باب (رزان) ولم يسمح بدفنه فى مقابر المسلمين لأنه رافضى فدفن ببستان له .

حادى عشر : عرضوا الصلة على ابنة الفردوسى فرفضتها وقالت لست فى حاجة إليها، وبنوا بها رباط (چاهه) على طريق نيسابور ومرو .

نقد رواية چهار مقاله

أولاً : تجمع كل الروايات ــ كما يقول نلدكه [1]ــ على أن الشاعر طوسى وكانت (طابران) مقر حاكم طوس[2] ويقول ياقوت إن طبران (إحدى مدينتى طوس لأن طوس عبارة عن مدينتين أكبرهما طبران والأخرى نوقان)[3] أما القرية التى ولد فيها فيقول دولتشاه فى تذكرة الشعراء إنها « شاذاب » وجاء فى مقدمة بايسنقر إنها « رزان »[4] ورواية چهار مقاله أقدم الروايات وأولاها ــ فى هذا ــ بالاطمئنان والأخذ بها .

---

(١) حماسه ملى إيران ص ٤٣ .

(٢) ص ٤٤ من نفس المصدر .

(٣) مدخل الشاهنامة للدكتور عزام ص ٥٠ .

(٤) هزاره فردوسى ص ٦٥ .

ثانياً : ثابت من الشاهنامة أنه كان للفردوسى ابن توفى بالغاً من العمر السابعة والثلاثين ونجد رثاءه فى الشاهنامة بالجزء التاسع فى صفحة ٢٧٩٩ طبعة بروخيم ويفهم من مطلع هذه المرثية أنها قيلت وقد أربى الشاعر على الخامسة والستين :

مرا سال *بكذشت بر شصت وپنج نه ليكوبود*كر بيازم ب*كنج

* * *

لقد تجاوزت بى السن الخامسة والستين

فلا يحسن بى إذا تطلعت إلى المال .

* * *

ويقول فى تحديد سن ابنه المتوفى ، بصفحة ٢٨٠٠ :

جوان را چو شد سال برسى وهفت نه برآرزو رفت* كيتى برفت

* * *

لما تجاوزت السنون بالفتى السابعة والثلاثين

ولم تسر الدنيا وفق المـــراد ذهب .

* * *

أما اشتغال الشاعر بنظم الشاهنامة خمساً وعشرين سنة ليحصل بعد هذه السنين الطويلة على جهاز لابنته وانتظار ابنته طوال هذه السنين ليتم جهازها فخيال ساذج سقيم .

ثالثاً : إتمام الفردوسى نظم الشاهنامة بعد خمس وعشرين سنة لا يتفق مع قول الشاعر تارة بأنه قضى فى ذلك ثلاثين عاماً وتارة أخرى خمسة وثلاثين ، والأولى الاعتماد فى ذلك على قول الفردوسى .

رابعاً وخامساً : على ديلم وأبو دلف ليسا شخصين أحدهما نساخ والآخر راوية بل هما بقول الشاعر نفسه فى ختام إحدى نسخ الشاهنامة شخص واحد هو على الديلمى الملقب بأبى دلف وكان أحد رعاة الفردوسى وحماته :

از آن نامور نامداران شهر على ديلمى بو دلف راست بهر

كه همواره كارم بخوبى روان همى‌داشت آن مرد روشن روان(١)

* * *

والمعنى : من أعلام المدينة المشهورين لعلى الديلمى أبى دلف نصيب

(١) جـ ٩ ص ٣٠١٧ ط . بروخيم .

فإن ذلك الرجل المستنير كان يُنجح أمرى على الدوام .

وعلى هذا يكون اصطحاب الفردوسى أبا دُلف إلى غزنة قولاً واهياً لا سند له .

سادساً : جاء فى ختام الترجمة العربية للشاهنامة أن الشاعر قضى فى نظمها ثلاثين سنة آخرها عام ٣٨٤ هـ-٩٩٤ م. ثم يلى ذلك مدح للسلطان محمود ، وثابت من رواية ابن الأثير لأحداث هذا العام أن الأمير نوحا السامانى أسند إلى محمود ولاية نيسابور وخراسان فى تلك السنة ولقبه بسيف الدولة . وكان وزير محمود منذ عام ٣٨٤ إلى عام ٤٠١ هـ. (١٠١٠ م.) هو أبو العباس الفضل بن أحمد الاسفرائينى الذى جعل الفارسية لغة الديوان طوال أيام وزارته ولم يل أحمد بن حسن الكاتب المعروف بالميمندى وزارة محمود إلا بعد عزل أبى العباس ، وعلى ذلك يكون الفردوسى قدم الشاهنامة إلى السلطان محمود وهو أمير خراسان وفى وزارة أبى العباس ، ويؤيد هذا مدحه لهذا الوزير على عادته فى مدح رعاته وكل من أسلف إليه عارفة . وفيما يلى الأبيات التى مدحه بها :

كجا فضل رامسند ومرقد است؟ — نشستنْ*كه فضل بن احمداست
نبد خسروان را چنان كدخداى — بپرهيز وداد وبدين وبراى
كه آرام اين پادشاهى بدوست — كه او برسر نامداران نكوست
*كشاده زبان ودل وپاكدست — پرستندهٔ شاه ويزدان پرست
زدستور فـــرزانهٔ داد*كــر — پراكنده رنج من آمد بسر[١]

* * *

وترجمة هذه الأبيات :

أين مسند الفضل ومرقده ؟ إنه مجلس الفضل بن أحمد
لم يكن للملوك وزير مثله فى التقوى والعدل والدين والرأى
إن به استقـــرار هذا الملك ، لأنه خير من يكون على رأس الأعلام
طلق اللسان كبير القلب طاهر اليد محب لمليكه عابد لربه
لقد انتهت متاعبى المتفرقة بفضل الوزير الحكيم العادل .

---

(١) حماسه سرائى ص ١٨٥ .

سابعاً : اتهام الفردوسى فى عقيدته ثابت فى هجاء الشاعر لمحمود وفى الأبيات التى يؤكد بها ولاءه للرسول وآل بيته وخاصة على وبنيه ومنها :

مرا غمـــز كر دنـــد كان بد سخن
بمهـــر نبى وعـــلى بد كهـــن
هر آنكس كه در دلش كين عليست
ازو درجهان خوار تر*كوكه كيست ؟
مـــنم بنـــدهٔ هر دو تار ستخـــيز
ا*كـــرشه كنـــد پيكـــرم ريز ريز
من از مهـــر اين هردوشه *نكذرم
ا*كـــر تيـــغ شه بـ*كـــذرد برسرم(١)

* * *

ومعناها :

لقد عابونى قائلين إن ذلك الوقح شاب على حب النبى وعـــلى،
كل من يكون فى قلبه بغض على ، قل من فى الدنيا أذل منه ؟
إننى عبد كليهما إلى يوم الحشر وإن قطع الملك جسدى إرْباً إرْباً،
لا أتحول عن حب هذين الملكين وإن مر سيف الشا ه على رأسى .

* * *

ثامناً : ضآلة المبلغ الذى وصل الشاعر ظاهر من قوله فى هجائه :

بپاداش *كنج مرا در*كشاد بمن جز بهـــاى فقاعى نداد
فقاعـــى نيرزيدم از*كنج شاه از آن من فقاعى خريدم براه(٢)

أى :

مكافأة لى فتح كنزى « أى كتابى » ولم يعطنى غير ثمن فقاع
لم أستحق من كنز الملك فقاعاً ولذلك اشتريت فقاعاً بالطريق .

* * *

ويبدو أن قصة تقسيم الصلة بين الحمّامى والفقاعى منشؤها هذان البيتان . أما

(١) شاهنامه ط . خاور ملحقات ج ٥ ص ١٨١ وما بعدها . (٢) المصدر السابق ص ١٨٣ ، ١٨٤

هرب الشاعر واختفاؤه فيكفى أن نرده إلى الدسائس واتهامه فى عقيدته فمثل هذه الدسائس والتهمة وحدها فى ذلك العصر كانت كافية لقتله .

تاسعاً : لم يكن الشاعر فى حاجة للعودة إلى طوس لأخذ الشاهنامة لأنها كانت معه فعلا وقد ذهب بها إلى محمود ليقدمها له .

أما ذهابه إلى الإصبهبذ شهريار ملك طبرستان وعدم تحديد القصة لتواريخ الوقائع التى ترويها عن الشاعر فيدعونا إلى بحث هذه النقطة تاريخيًّا وسأسير فى هذا البحث على هدى تاريخ ختم الشاهنامة الذى حدد فى ترجمتها العربية ، وقد انفردت خاتمة هذه الترجمة دون سائر خواتيم النسخ الفارسية بتحديد عام ٣٨٤ هـ. نهاية للثلاثين عاماً التى قضاها الشاعر فى نظم هذه الملحمة كما يلى :

(وكم غصص تجرعت فى نظم هذا الكتاب مدة ثلاثين سنة آخرها سنة أربع وثمانين وثلثمائة وهو يشتمل على ستين ألف بيت وجعلته تذكرة للسلطان أبى القاسم محمود بن سبكتكين لا زال نافذ الأمر عالى القدر وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين)[1] وظاهر من هذه العبارة أن هذه الترجمة نقلت عن نسخة عدد أبياتها ستون ألف بيت تذكرة للسلطان وفيها مدحه ، فيكون فرار الشاعر وذهابه إلى الإصبهبذ فى طبرستان بعد هذا التاريخ . وإذا رجعنا لسلسلة آل باوند فى معجم الأنساب نرى فى الدولة الأولى منهم وآخرها شروين بن محمد ثلاثة أمراء يتسمون بشهريار :

١ — شهريار الأول بن شروين تولى عام ١٨١ هـ. ٧٩٧ م.

٢ — شهريار الثانى بن شروين تولى عام ٣١٨ هـ. ٩٣٠ م.

٣ — شهريار الثالث بن دارا تولى عام ٣٥٨ هـ. سنة ٩٦٨ م. وقتل سنة ٣٩٦هـ. سنة ١٠٠٥ م.

وذكر فى المعجم أنه قتل على يد قابوس بن وشمكير .

أما دولة آل باوند « ملوك الجبال » فتبدأ عام ٤٦٦ هـ. ١٠٧٣ م . أى بعد زمن الشاعر المتوفى بين سنتى ٤١١ ، ٤١٦ هـ. ، ١٠٢٠ = ١٠٢٥ م. ومحمود

---

(١) ج ٢ ص ٢٧٦ .

الغزنوى الذى توفى في ١١ صفر عام ٤٢١ هـ . — ١٠٣٠ م. على رواية ابن الأثير أو سنة ٤١٨ هـ. — ١٠٢٧ م . كما يقول الراوندى فى راحة الصدور أثناء حديثه عن ابتداء أمر السلاجقة(*)، بحوالى نصف قرن وليس من بين أمرائها من يسمى شهريار .

وعلى ذلك يكون الإصبهبذ شهريار الذى ذكر فى حكاية « چهار مقاله » هو شهريار الثالث بن دارا وليس شهريار بن شروين كما يقول نلدكه[1] نقلاً عن ابن الأثير .

وشهريار بن دارا هذا لازم قابوس بن وشمگير فى منفاه ثمانية عشر عاماً كما يقول ابن اسفنديار فى هذه العبارة : (دارا ابن رستم ملك الجبال بود باندك مدتى وفات يافت ، پسرش اصفهبد شهريار بن دارا ملك الجبال بود وهجده سال كه قابوس بخراسان بود اونيز همراه بود تا آخر شمس المعالى قابوس ، شهريار را بنواحى شهريار كوه فرستاد تابرستم بن المرزبان كه والى آنجابود مصاف داد وبشكست وولايت را مستخلص كرد)[2] .

ومعناها : (كان دارا بن رستم ملك الجبال « قوهستان » ومات بعد قليل ، وكان ابنه الإصفهبد شهريار بن دارا ملك الجبال ، وفى الثمانى عشرة سنة التى كان قابوس بخراسان كان هو أيضاً مرافقاً له ، وأخيراً بعث شمس المعالى قابوس بشهريار إلى نواحى شهريار كوه فحارب رستم بن المرزبان وهزمه واستخلص الولاية) .

* * *

أما قابوس بن وشمگير فولى إمارة جرجان وطبرستان سنة ٣٦٦ هـ. — ٩٧٦ م. وقد أجلاه عنها عضد الدولة البويهى عام ٣٧١ هـ. — ٩٨١ م. ولم يعد إليها إلا عام ٣٨٨ هـ. ٩٩٨ م . وكان طوال هذه المدة بخراسان يعمل لاسترداد ملكه . وقد جاء بحوادث سنة ٣٧١ هـ. بتاريخ ابن الأثير :

---

* ص ٩٤ طبعة إقبال بتصحيح مجتبى مينوى .

(١) حماسهٔ ملى إيران ص ٥٢ .

(٢) تاريخ طبرستان جـ ٢ ص ٢٥ ، ٢٦ .

(فى هذه السنة « يعنى ٣٧١ » أستولى عضد الدولة على بلاد جرجان وطبرستان وأجلى عنها صاحبها قابوس بن وشمكير) . ثم يقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٨٨ هـ. ، ٩٩٨ م. (فى هذه السنة عاد شمس المعالى قابوس بن وشمكير إلى جرجان وملكها . . . . . وقد ذكرنا كيف أخذت منه « يشير إلى حوادث سنة ٣٧١ هـ. » ومقامه بخراسان وإنفاذ ملوك السامانية الجيوش فى نصرته مرة بعد أخرى فلم يقدر الله تعالى عود ملك إليه ، ولما ولى سبكتكين خراسان اجتمع به ووعده أن يسير معه الجيوش ليرده إلى ملكه فمضى إلى بلخ ومات ، فلما كانت هذه السنة بعد موت فخر الدولة سير شمس المعالى قابوس الإصبهبذ شهريار بن شروين ؟ «الصواب ابن دارا»[1] إلى جبل شهريار وعليه رستم بن المرزبان خال مجد الدولة بن فخر الدولة فاقتتلا فانهزم رستم واستولى اصبهبذ على الجبل وخطب لشمس المعالى) .

وبعد ذكر سلسلة الحروب التى اشترك فيها شهريار مع قابوس لاسترداد ملكه يقول : (ثم إن الإصبهبذ حدث نفسه بالاستقلال والتفرد عن قابوس واغتر بما اجتمع عنده من الأموال والذخائر فسارت إليه العساكر من الرى وعليها المرزبان خال مجد الدولة فهزموا الإصبهبذ وأسروه ونادوا بشعار شمس المعالى لوحشة كانت عند المرزبان من مجد الدولة وكتب إلى شمس المعالى وانضافت مملكة الجبل جميعها إلى ممالك جرجان وطبرستان فولاها شمس المعالى ولده منوجهر ففتح الرويان وسالوس وراسل قابوس يمين الدولة محموداً وهاداه وصالحه واتفقا على ذلك) .

وفى حوادث عام ٤٠٣ هـ. — ١٠١٢ م. يقول ابن الأثير : (فى هذه السنة قتل شمس المعالى قابوس بن وشمكير) وبعد ذكر الأسباب التى أدت إلى عزله ومبايعة الجند ولده فلك المعالى منوچهر ونزوله عن الملك لابنه يقول : (واتفقا « أى قابوس ومنوچهر » على أن ينتقل إلى قلعة جناشك يتفرغ للعبادة إلى أن يأتيه اليقين وينفرد منوچهر بتدبير الملك ، وسار إلى القلعة المذكورة مع من اختاره من خدمه وسار منوچهر إلى جرجان وتولى الملك وضبطه ودارى أولئك الأجناد وهم نافرون خائفون من شمس المعالى ما دام حياً ، فما زالوا يحتالون ويجيلون الرأى حتى دخلوا على منوجهر وخوفوه من أبيه مثل ما جرى لهلال بن بدر مع أبيه وقالوا له مهما

---

(١) المؤلف .

كان والدك فى الحياة لا نأمن نحن ولا أنت واستأذنوا فى قتله فلم يرد عليهم جواباً . فمضوا إلى الدار التى هو فيها وقد دخل إلى الطهارة متخففاً فأخذوا ما عنده من كسوة وكان الزمان شتاء وكان يستغيث إعطونى ولو جل دابة فلم يفعلوا فمات من شدة البرد) .

ويتفق ابن اسفنديار مع ابن الأثير فى تاريخ عودة قابوس إلى ملكه فيقول : (ودرشعبان سنهٔ ثمان وثمانين وثلثمايه درمسند ملك ومستقرخويش ممكن بنشست)[١]

يعنى : (وفى شعبان سنة ٣٨٨ هـ جلس متمكناً فى مسند ملكه ومستقره .)

ويتفق رواية ابن اسفنديار كذلك مع رواية ابن الأثير فى خروج شهريار على قابوس فجاء فيها : (وشمس المعالى باستخلاص فلاع آن نواحى پرد اخت وجمله باتصرف *كرفت و بمعتمدان خويش سپرد ونواصى آن صياصى در قبضهٔ مراد حاصل كرد واصفهبد شهريار درأثناء اين حال سلسلهٔ مخالفت بجنبانيد وبكثرت لشكر ووفور مال مغرور شد وسپاه بسيار فراهم آورد ، واز رى رستم مرزبان را باصناديد ديلم بمحاربت او فرستادند وبيستون بن تيجاسف راكه پيش ازين بتهمت موالات قابوس *كرفتارشده بود، درجملهٔ آن لشكر بفرستادند واصفهبدرا بشكستند واسير * كرفتند)[٢] .

أى : (واشتغل شمس المعالى باستخلاص تلك النواحى واستولى عليها كلها ووكل بها ثقاته وصارت نواصى تلك الصياصى فى قبضة مراده، وفى أثناء هذه الحال حرك الإصبهبذ شهريار سلسلة الخلاف واغتر بكثرة عسكره ووفرة ماله وجمع جنداً كثيراً فسيروا رستم ابن المرزبان من الرى مع صناديد الديلم لمحاربته وبعثوا من جملة العسكر بيستون بن تيجاسف الذى كان قد قبض عليه بتهمة موالاته لقابوس فهزموا الإصبهبذ وأسروه) ويقول كذلك عن قابوس ما معناه : إن الجند لم يهدأ لهم بال حتى دخلوا عليه فى فراشه ورأوه ميتاً[٣] .

---

(١) تاريخ طبرستان جـ ٢ ص ٨ .

(٢) ص ١١ .

(٣) آخر صفحة ١٣ .

ولكن لم تفصح عبارة ابن اسفنديار عن كيفية موته كعبارة ابن الأثير .

وخلاصة ما تقدم : أن قابوس بن وشمكير استولى على بلاد جرجان وطبرستان عام ٣٦٦ هـ . — ٩٧٦ م . وأجلاه عنها عضد الدولة البويهى عام ٣٧١ هـ . — ٩٨١ م . ولم يعد إليها إلا عام ٣٨٨ هـ . — ٩٩٨ م . بعد حروب طويلة . وقد أقام فى خراسان ثمانية عشر عاماً يعمل لاسترداد ملكه ، وكان يرافقه ويعاونه فى حروبه طوال هذه المدة شهريار بن دارا إلى أن انشق عليه شهريار فهزمه أعوان قابوس وأسروه عام ٣٨٨ هـ . — ٩٩٨ م . ويؤخذ من عبارة معجم زامباور « قتله قابوس بن وشمكير » وتولّى ابنه رستم عام ٣٩٦ هـ . — ١٠٠٥ م . أنه بقى فى الأسر ثمانى سنوات قبل مقتله . وقد بقى قابوس من عام ٣٨٨ هـ . حتى عام ٤٠٣ هـ . — ١٠١٢ م . حيث توفى أو قتل على النحو المتقدم .

ويلاحظ أن ابن اسفنديار ذكر أن شهريار صاحب قابوس بن وشمكير هو شهريار بن دارا بينا يقول ابن الأثير إنه شهريار بن شروين ، وواضح من سنوات تولّى أمراء آل باوند الثلاثة الذين يحملون اسم شهريار أن صاحب قابوس هو شهريار ابن دارا على التحقيق وأن ابن الأثير سها فى كتابة هذا الاسم وعنه أخذ تلدكه . ومما يجدر ذكره أن ابن اسفنديار متقدم على ابن الأثير فأولهما توفى عام ٦١٣ هـ . ١٢١٦ م . وابن الأثير توفى عام ٦٣٠ هـ . ١٢٣٢ م . والأول يكتب تاريخاً خاصًّا والثانى يكتب تاريخاً عامًّا ، وفرصة التحرى والدقة تكون عادة أكثر توافراً فى المواضيع المحدودة منها فى المواضيع العامة .

وقد خضنا هذا البحث التاريخى فى اختصار ووضوح لنستطيع مناقشة واقعة فرار الفردوسى إلى مازندران .

وينقل الدكتور عزام — فى مدخله لتعريب البندارى لشاهنامة الفردوسى — عن مقدمة بايسنقر أن الفردوسى (هرب إلى مازندران وأصلح الشاهنامة وألحق بها مديح والى مازندران وكان إذ ذاك من أبناء شمس المعالى قابوس بن وشمكير بن منوچهر « الصواب أن منوچهر بن قابوس »[1] بن شمس المعالى وابنه صهر السلطان وهو ابن بنت مرزبان بن رستم بن شروين مؤلف مرزبان نامه وكان من غلاة الشيعة فسر الوالى به وبالغ فى إكرامه وأراد أن يمسكه عنده لولا خوف السلطان

---

(١) المؤلف .

محمود فوصله واعتذر إليه وأمره بالرحيل) [١] .

ويعارض نلدكه رواية بايسنقر ويقول : يجب أن يكون اسم الاصبهبذ شهريار هو الصحيح وأن ما جاء فى مقدمة بايسنقر من ذكر اسم قابوس الذى كان ملكاً على شهريار مكان اسم شهريار خطأ محض[٢] .

ويلاحظ أن بين الدكتور عزام ونلدكه خلافاً فيما نقلا عن مقدمة بايسنقر فبناء على نقل أولهما : أمير مازندران أحد أبناء قابوس ، وبناء على ما نقله ثانيهما : قابوس الذى كان ملكاً على شهريار .

ويبدو أن كلا منهما نقل عن نسخة تختلف عن النسخة التى نقل عنها الآخر . فإذا أخذنا بما نقله الدكتور عزام نجد أن ابن قابوس الذى صاهر ابنه السلطان محموداً هو إسكندر بن قابوس ، لأن ابنه كيكاوس أو قابوس الثانى مؤلف قابوسنامه كان صهر السلطان محمود وكانت أم كيكاوس ابنة المرزبان بن رستم مؤلف مرزبان نامه ، ويقول كيكاوس فى مقدمة كتابه قابوسنامه لابنه *كيلانشاه: (وجدتك — أمى — كانت بنت الأمير مرزبان بن رستم بن شروين مصنف مرزبان نامه وجدها الثالث عشر كابوس بن قباد ، كان أخا نوشيروان العادل ، وأمك ابنة الملك الغازى محمود بن ناصر الدين)[٣] .

وإسكندر هذا تولى من سنة ٤٣٤ هـ . — ١٠٤٢ م . إلى سنة ٤٤١ هـ . —١٠٤٩ م . بينما توفى محمود سنة ٤١٨ هـ. — ١٠٢٧ م. أو سنة ٤٢١ هـ . — ١٠٣٠ م. وعلى ذلك تكون الرواية على هذا الأساس باطلة .

وإذا أخذنا بنقل نلدكه وقبلنا واقعة فرار الشاعر إلى مازندران وناقشنا رأيه فالمنطق أن يلجأ الفردوسى إلى قابوس لا إلى تابعه شهريار ، لأن شهريار كان أميراً صغيراً من أمراء قابوس ولم يكد يشعر بقوته حتى أخذته جيوش أميره ومتبوعه قابوس وأسر ومات أو قتل فى أسره .

ولكن قابوس بدوره وكذلك تابعه شهريار بقيا بخراسان منذ عام ٣٧١ هـ.

---

(١) ص ٤٥ .

(٢) حماسه ملى إيران ص ٥٣ .

(٣) الترجمة العربية ص ٤٧ .

٩٨١ م . يعملان لاسترداد الملك الذى غصبه البويهيون ولم يعودا إلى الملك المغصوب إلا عام ٣٨٨ هـ . — ٩٩٨ م . كما تقدم ، والشاهنامة — كما يؤخذ من خاتمة الترجمة العربية ويؤيدها قول الشاعر فى خواتيم بعض النسخ الفارسية — تمت عام ٣٨٤ هـ. — ٩٩٤ م . وكانت أبياتها — كما يقول الشاعر — ستين ألف بيت أى كانت نسخة تامة وليست خلاصة كما ذهب إلى ذلك الدكتور ذبيح الله صفا[1] فتكون بهذا قد قدمت لمحمود وهو أمير خراسان ، قدمها الشاعر لأمير الولاية التى تضم بلده طوس، وكان وزير محمود وقتئذ أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرائينى كما تقدم ، ولا يبعد أن يكون هذا الوزير قدم الفردوسى إلى محمود فى ذلك الوقت كشاعر نبغ فى ولايته، وقد مدحه الشاعر بأبيات مر ذكرها . أما الوزير أحمد بن حسن الكاتب الشهير بالميمندى فلم يل وزارة محمود إلا بعد نكبة سلفه الإسفرائينى عام ٤٠١ هـ . — ١٠١٠ م . فإذا قبلنا واقعة هرب الشاعر خوفاً من بطش السلطان به وتركه بلاط محمود يائساً محروماً فى عام ٣٨٤ هـ. أو العام الذى يليه فإن قابوس ومعه شهريار كانا عندئذ بعيدين عن طبرستان يكافحان فى سبيل استردادها ولم يعودا إليها قبل عام ٣٨٨ هـ. كما سبق إيضاح ذلك استناداً إلى روايتى ابن الأثير وابن اسفنديار ، وكانت طبرستان فى ذلك الحين بيد البويهيين ومن المعقول أن يحتمى الشاعر بأمراء أقوياء لا يخضعون لنفوذ محمود ، ولكن إلى أى أمير من أمراء بنى بويه لجأ الشاعر ؟

بعد وفاة مؤيد الدولة البويهى عام ٣٧٣ هـ.—٩٨٣ م. خلفه فخر الدولة على جرجان والرى وبقيا فى يده إلى أن توفى سنة ٣٨٧ هـ. — ٩٩٧ م .

يقول ابن الأثير فى أحداث عام ٣٧٣ هـ . تحت عنوان « ذكر موت مؤيد الدولة وعود فخر الدولة إلى مملكته » : (فلما وصلت الأخبار « أخبار موت مؤيد الدولة » إلى فخر الدولة سار إلى جرجان فلقيه العسكر بالطاعة وجلس فى دست ملكه فى رمضان بغير منة أحد) .

ويقول فى أحداث سنة ٣٨٧ هـ . تحت عنوان « ذكر وفاة فخر الدولة بن

---

(١) حماسه سرائى ص ١٨٣ .

بويه وملك ابنه مجد الدولة » : (فى هذه السنة توفى فخر الدولة أبو الحسن على بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه بقلعة طبرق فى شعبان) .

ويقول فى حوادث سنة ٣٨٨ هـ. تحت عنوان « ذكر عود قابوس إلى جرجان » : (ولما ملك فخر الدولة بن بويه جرجان والرى أراد أن يسلم جرجان إلى قابوس فرده عن ذلك الصاحب بن عباد وعظمها فى عينه ، فأعرض عن الذى أراده ونسى ما كان بينهما من الصحبة بخراسان وأنه بسببه خرجت البلاد عن يد قابوس) .

وهنالك عبارة فى تاريخ ابن اسفنديار تفيد أن طبرستان كانت ضمن أملاك فخر الدولة وفيما يلى نص هذه العبارة : (چون عضد الدولة وفات يافته بود كار عراق بسبب نا موافقى فرزندان عضد الدولة بيسامان شده فخر الدولة باعراق رفت وبسى برنيا مدكه درری وفات كرد ، قابوس باز *بكر* كان معاودت كرد ومعارف ومشاهير طبرستان را باخودخواند ودست كرم *كشاده كرد)(١) ومعناها : — لما توفى عضد الدولة اختلت أوضاع العراق بسبب شقاق أبنائه ، وذهب فخر الدولة إلى العراق ولم يمض طويل حتى مات بالرى ، فعاد قابوس إلى جرجان واستدعى إليه معارف ومشاهير طبرستان وبسط يد الكرم .

ولكننا لانجد لفخر الدولة ولالأحد من حاشيته أو وزرائه ذكراً فى شعر الفردوسى وعلى هذا لا أجد أى دليل على اتصال الشاعر ببلاط فخر الدولة بطبرستان أو الرى ، ولكن بين يدى فى مثنوى يوسف وزليخا للشاعر مدح لأمير العراق دون التصريح باسم هذا الأمير أو تاريخ لقائه . يقول تحت عنوان « *كفتار اندرياد كردن سبب اين قصة » أى : مقال فى سبب ذكر هذه القصة « قصة يوسف وزليخا »

شنيدم كه آن روز نوروز بود	يكى روز بس كشورافروز بود
خداوند فرخ أمير عراق	كه تختش سپهرست واسپش براق
جها *نكير قطب و دل بجرجاه	*نكهدار دولت ستون سپاه(٢)

---

(١) جـ ٢ ص ٥ .

(٢) طبعة أكسفورد سنة ١٩٠٨م . ص ١٩ .

ومعناهـــا :

سمعت أن ذلك اليوم كان يوم النوروز ، وكان يوماً كثير الإشراق على البلاد ، والملك الميمون أمير العراق ، الذى سريره الفلك وحصانه البراق ، القطب الغازى وقلب بحر الجاه ، حامى الدولة وعماد الجيش .

* * *

إلى آخر ما جاء فى مدح هذا الأمير ، ثم نجد فى سياق المدح هذه الأبيات :

قضارا يكى روز أخبار آن همى راند مش بى غرض برزبان

بنزد ديك تاج زمانـــه أجـــل موفـــق سپهروفا و محل

زمن اين حكايت بواجب شنيد پس آ*نكه‌سوى‌من‌يكى بنه*كريد[1]

أى :

واتفق أن كنت أجرى أخبارها لغير غرض على لسانى

عند تاج الزمان الأجل الموفق فلك الوفاء والمحل .

فاستمع إلى هذه الحكاية منى كما يجب ثم نظر إلى عندئذ نظرة .

إلى آخر القصة .

وبالبحث بين أسماء رجال دولة بنى بويه وجد أن الموفق هذا هو أبو على ابن إسماعيل، وكان والى واسط ووزير بهاء الدولة البويهى من سنة ٣٨٨ هـ. إلى سنة ٣٩٠ هـ. (٩٩٨ — ٩٩٩ م.)[2] .

ويقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٨٨ هـ. تحت عنوان « ذكر مسير بهاء الدولة إلى واسط وما كان منه » : (فى هذه السنة عاد أبو على بن إسماعيل إلى طاعة بهاء الدولة وهو بواسط فوزر له ودبر أمره) .

وفى حوادث سنة ٣٩٠ هـ. تحت عنوان « ذكر القبض على الموفق أبى على بن إسماعيل » : (قد ذكرنا مسيره إلى قتال بن بختيار فلما عاد أكرمه بهاء الدولة ولقبه

---

(١) ص ٢١ .

(٢) معجم الأنساب لزمباور ص ٣٢٥ .

بنفسه ، فاستعفى الموفق من الخدمة فلم يعفه بهاء الدولة فألح كل منهما فأشار أبو بكر محمد بن مكرم على الموفق بترك ذلك فلم يقبل ، فقبض عليه بهاء الدولة وأخذ أمواله) ويقول بعد ذلك : (ثم إن بهاء الدولة قتل الموفق سنة أربع وتسعين وثلثمائة) .

وجاء فى حاشية حوادث سنة ٣٩٤ هـ. — ١٠٠٣ م . (وممن مات فى هذه السنة من الأعيان أيضاً أعنى سنة أربع وتسعين وثلثمائة ، أبو على بن محمد بن إسماعيل الإسكافى الملقب بالموفق ، وكان مقدماً عند بهاء الدولة فولاه بغداد فأخذ أموالاً كثيرة من اليهود ثم هرب إلى البطيحة فأقام بها سنتين ثم قدم بغداد فولاه بهاء الدولة الوزارة وفوض إليه أموره وقام بتدبير ملكه وكان شجاعاً مقداماً لا يتوجه فى أمر إلا وينصر ، وارتفع أمره حتى قال رجل لبهاء الدولة : يا مولانا ! زينك الله فى عين الموفق ! ولا زال الناس به حتى قبض عليه بهاء الدولة وخنقه)[1] .

ومن هذه العبارة يفهم أن الموفق قبل توليته الوزارة سنة ٣٨٨ هـ . — ٩٩٨ م. كان والياً على بغداد من قبل بهاء الدولة وأنه هرب بأموال اليهود إلى البطيحة سنة ٣٨٦ هـ. — ٩٩٦ م . ثم عاد بعد سنتين من هربه إلى طاعة بهاء الدولة ووزر له ، ولا بد أن يكون قضى فى بغداد قبل سنة ٣٨٦ هـ . مدة كافية لتقوية نفوذه حتى أصبح من السلطان والقوة بحيث يستطيع فرض مشيئته على اليهود والاستيلاء منهم على أموال طائلة والهرب بها . وبذلك تتفق رواية الشاعر مع الوقائع التاريخية ونستطيع أن نقول : إن الفردوسى التقى بالموفق وهو عامل بغداد وقبل خروجه على بهاء الدولة لا بعد عودته إلى طاعته ووزارته له وانشغاله بقتال ابن بختيار .

لأن الشاعر خرج فاراً من محمود فى أواخر سنة ٣٨٤ هـ. — ٩٩٤ م . أو فى خلال سنة ٣٨٥ هـ . — ٩٩٥ م. بأقوى احتمال .

أما ما يقوله نلدكه من أن الشاعر العجوز ذهب إلى بهاء الدولة أو ابنه سلطان الدولة الذى تولى بعد أبيه سنة ١٠١٢ م . « ٤٠٣ هـ. » وهنالك نظم قصة يوسف وزليخا[2] فليس صحيحاً من الناحية التاريخية كما هو واضح من رواية ابن الأثير ،

---

(١) الكامل فى التاريخ طبعة القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ . ١٩٣٤ م .

(٢) حماسه ملى إيران ص ٥٣ .

وكذلك لا نستطيع موافقة ذبيح الله صفا فيما ذهب إليه من أن واقعة سفر الفردوسى إلى بغداد ونظمه قصة يوسف وزليخا وعودته من طريق إصفهان ولقائه حاكم خان لنجان مختلقة ومن مبتكرات أصحاب الأساطير [١] . لأن الفردوسى نفسه يقرر هذا فى منظومته يوسف وزليخا وخاتمة بعض نسخ الشاهنامة . وبعد هذا التحقيق التاريخى يمكن فى تحفظ الاطمئنان إلى قول تقى زاده فى «هزاره فردوسى» [٢] ودكتور رضا زاده شفق فى « تاريخ أدبيات إيران » بأن الفردوسى سنة ٣٨٤ هـ . أو بعدها سافر إلى جنوب إيران والتقى بالموفق فى بغداد ، وبناء على طلبه نظم قصة يوسف وزليخا وفى حدود سنة ٣٨٨ أو ٣٨٩ هـ . ذهب إلى خان لنجان قرب إصفهان وقابل حاكمها أحمد بن محمد بن أبى بكر ولقى منه كل ترحيب وإكرام .

غير أنى أرجح أن سفره إلى خان لنجان كان قبل ذلك التاريخ وربما كان بعد فرار الموفق فجأة بأمواله من بغداد بقليل فسافر خلال سنة ٣٨٦ أو أول ٣٨٧هـ. بعد ذهاب الرجل الذى كان يعيش فى رعايته وحمايته ، كما أن عدم استقرار الأوضاع بالعراق يجعلنى أميل إلى القول بأن مدة إقامة الشاعر ببغداد كانت قصيرة وأن كتاب الملوك لم يصادف هوى من أصحاب السلطان ولم تكن بغداد البيئة الملائمة لهذا الكتاب الذى يشيد بأمجاد الفرس ويقدمهم على سائر الأمم، لأنها مقر الخلافة العربية ، ولئن كان الأمر بيد البويهيين الفرس فإنهم كانوا يستمدون شرعية قيامهم بالأمر فى بغداد من الخليفة العربى المغلوب على أمره ، ولعلهم لم يكونوا فى حاجة إلى مزيد من عصبية فارسية وقد أصبح السلطان وصاحبه الشرعى كلاهما فى قبضتهم، وقد أوعز الموفق إلى الشاعر بنظم قصة قرآنية يقبل عليها أهل بغداد وأولو الأمر فيها، فجد الفردوسى خلال إقامته القصيرة فى نظم قصة يوسف وزليخا عاه يظفر بصلة تعوضه ما فوته عليه أهل السعاية والحسد ببلاط محمود ، ولكنه ما كاد يفرغ منها حتى اضطر إلى ترك بغداد فقصد أمير خان لنجان؛ ويبدو أن خروج الموفق على بهاء الدولة وفراره فجأة جعل الشاعر يخرج من بغداد محروماً كما خرج من نيسابور

---

(١) حماسه سرائى در إيران ص ١٧٦ . چاپ دوم .

(٢) ص ٧١ .

(٣) الطبعة الأولى ص ٨١ ، ٨٢ .

فبلغ خان لنجان فى حالة رثة ، لأنه يقول فى خلال مدحه لهذا الأمير :

چو درخان لنجان فراز آمدم   بهرچه *بكوبى نياز آمدم[١]

أى : لما بلغت خان لنجان كنت فى حاجة إلى كل ما تقول .

وظاهر من سياق المديح كذلك أن الشاعر لقى من إكرام هذا الأمير وكثرة عنايته به ما حبب إليه طول الإقامة فى رحابه ، وأعرب عن شكره لراعيه الجديد بكتابة نسخة من الشاهنامة فرغ منها سنة ٣٨٩ هـ . — ٩٩٨ م . كما يقول فى مطلع الأبيات التى مدحه بها فى ختام النسخة المذكورة .

چوشد أسپرى داستان بزر*گ   سخنهاى آن خسروان ستر*گ

بروز سپم شنبدى چا شت*گاه   شده پنج ده پنج روز آن زماه

كه تازيش خوانند محرم بنام   كه از ارجمنديش ماه حرام

ا*گرسال نيز آرزوت آمدست   نهم‌سال وهشتاد باسيصدست[٢]

وترجمة الأبيات :

لما تمت هذه القصة الكبرى وهى أحاديث الملوك العظام فى ضحى يوم الثلاثاء انقضى خمسة وعشرون يوماً من ذلك الشهر الذى يسميه العربى المحرم وهو لعظمته شهر حرام وإذا أردت السنة أيضاً فهى سنة تسع وثمانين وثلثمائة .

* * *

أما واقعة ذهابه إلى طبرستان كما يقول صاحب چهار مقاله ولقائه لقابوس كما نقل نلدكه عن مقدمة بايسنقر[٣] فيمكن للتوفيق بين الروايتين — بعد استبعاد ما ثبت عدم صحته تاريخياً منهما — أن يقال إن الشاعر بعد طول مقامه بخان لنجان عاوده الحنين إلى وطنه ولم يكن طريق العودة ميسوراً ومحمود غاضب عليه فلجأ إلى رحاب قابوس وقد ازدحم ببابه الشعراء والعلماء وذوو الفضل عله يصيب من فضله ويجد فرجاً من ضيقه ؛ وقد أثمر هذا اللقاء تمكين الشاعر من عودته إلى بلده بشفاعة قابوس بن وشم*گير ورضاء السلطان عنه آخر الأمر ، ولكنا لا نجد فى

(١ ، ٢) شاهنامه ج ٩ ص ٣٠١٩ طبعة بروخيم .

(٣) حماسهٔ ملى إيران ص ٥٣ .

أية نسخة من الشاهنامة ذكراً لقابوس كما لم يصل إلينا شعر للفردوسى فيه مدح لهذا الأمير وربما كان هذا راجعاً إلى نصح قابوس للشاعر بإبقاء الشاهنامة كما هى باسم محمود وعدم المساس بمدحه فيها أو لعل إقامته القصيرة بطبرستان لم تمكنه من كتابة نسخة أخرى من الشاهنامة وإهدائها لقابوس كما فعل مع أمير خان لنجان وقد يكون مدحه بشعر مستقل لم يصلنا بعد .

عاشراً : سبق أن بينا أن أحمد بن حسن الكاتب الشهير بالميمندى لم يل وزارة محمود إلا بعد نكبة سلفه الأسفرائينى سنة ٤٠١ هـ — ١٠١٠ م . فإذا سلمنا بأن هذا الوزير كان من العاملين على استرضاء السلطان عن الشاعر وجب أن نقبل كذلك بأن اغتراب الفردوسى منذ فراره من نيسابور سنة ٣٨٤ هـ . أو بعد ذلك بقليل وإقامته ببغداد وخان لنجان ثم سفره إلى طبرستان استغرق على الأقل سبعة عشر عاماً كانت كافية لمحو جريرته فى نظر محمود ورضائه عنه وإرسال صلة إليه ، ولكنا نتساءل لم كانت هذه الصلة نيلا محمولاً على الجمال السلطانية ولم تكن ذهبا وهل كان الفردوسى تاجراً أرسل إليه السلطان بهذه البضاعة ليتجر فيها ؟ الذى نستخلصه من الأسطورة بصفة عامة أن محموداً رضى عن الشاعر وأرسل إليه صلة ، ولكن الأجل كان قد وافاه قبل أن يراها فمات محروماً كما عاش محروماً .

حادى عشر : رفض ابنة الشاعر الفقير لهذه الصلة الكبيرة غير معقول خاصة وأنه لم يكن فى قبولها أى ضير عليها أو مساس بكرامتها :

وهنالك رواية أخرى عن الفردوسى وملحمته كان يجدر بنا أن نقف عندها طويلاً ننقدها ونحللها ونبين الزيف والصحة فيها وأعنى بها مقدمة بايسنقر ، ولكن الدكتور عبد الوهاب عزام أغنانا عن هذا بتلخيصها ولقدها فى مقدمته لترجمة الشاهنامة العربية فليرجع إليها من شاء ، وقد اقتبست من تلخيص الدكتور عزام هنا ما كنت فى حاجة إليه فى بحثى واقتصرت على هذا تحاشياً للإطالة فيما لا تدعو إليه ضرورة .

فإذا تركنا چهار مقالة ومقدمة بايسنقر التقينا فى تاريخ سيستان برواية تتفق معهما فى أن الشاعر فارق محموداً غاضباً محروماً مغضوباً عليه فخرج من المدينة

خائفاً يترقب يلتمس النجاء بروحه ، وقد أشير على السلطان بقتله فأرسل فى طلبه ولم يظفر به وفيما يلى نص العبارة :

(وحديث رستم برآن جمله است كه أبو القسم فردوسى شاهنامه بشعر كرد ، وبرنام سلطان محمود كرد ، وچندين روز همى برخواند ، محمود *كفت : همه شاهنامه خود هيچ نيست *مكر حديث رستم ، واندرسپاه من هزار مرد چون رستم هست ، ابو القسم *كفت : زند *كا نى خداوند درازباد ، ندا نم اندرسپاه او چند مرد چون رستم باشد ، اما اين دانم كه خداى تعالى خويشتن را هيچ بنده چون رستم دي *كر نيا فريد ، اين *كفت وزمين بوسه كرد وبرفت ، ملك محمود وزيررا *كفت : اين مردك مرا بتعريض دروغ زن خواند ، وزيرش *كفت ببايد كشت ، هر چند طلب كردند نيافتند)[1] .

ومعنى العبارة : وحديث رستم على هذا النحو : نظم أبو القاسم الفردوسى الشاهنامة وجعلها باسم محمود وقرأها عليه فى عدة أيام فقال محمود : الشاهنامة كلها ليست شيئاً إلا حديث رستم ، وفى جيشى ألف رجل كرستم ، فقال أبو القاسم : أطال الله بقاء مولاى ! لا أعرف أن فى جيشه عدة رجال كرستم ، ولكنى أعرف أن الله لم يخلق له عبداً مثل رستم مرة أخرى ، قال هذا وقبل الأرض وانصرف ، فقال محمود : لقد رمانى هذا الرجيل بالكذب تعريضاً ، فقال الوزير : يجب قتله فطلبوه فلم يدركوه) .

ويؤيد رواية تاريخ سيستان قول الشاعر فى هذه الأبيات :

چوشد ساخته بردمش نـــرد شاه
بدان تامـــرا زو دهـــد دستـ *كاه .

مرا *كفت رستم كه بودست و *كيو
فـــريدون وكيخسرو آن شاه نيو

چـــو شاهى مرا در زمانـــه نوست
بسى بنـــد * كا نم چو كيخسرو ست[2]

---

(١) ص ٧ ، ٨ .

(٢) شاهنامه طبعة خاور ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ . ج ٥ .

ومعناها :

لما نظمت « الشاهنامة » حملتها إلى الملك

ليمنحـــنى منـــه جـــاهـــا وثروة

فقال لى : من يكون رســـتم و*كيـــو

وفريدون وكيخسرو ذلك الملك الشجاع ؟

ما دام لى الملك القشيب فى الزمان ، فإن كثيراً من عبيدى مثل كيخسرو .

* * *

وقد سجل الشعر قصة حرمان الفردوسى وعدم تقدير محمود له ، فقال عبد الرحمن الجامى شاعر القرن التاسع الهجرى فى إيران :

برفت شوكت محمود ودر زمانه نمانـــد

جزين فسانه كه نشناخت قدر فردوسى [1]

أى : مضت شوكة محمود ولم يبق على الدهر غير قصة جهله قدر الفردوسى .

* * *

ومن ثم يتضح بجلاء أن الفردوسى لم يكن من شعراء بلاط محمود ولم يكن لمحمود أى فضل على الشاهنامة وصاحبها غير قيامه بدور البطولة فى تلك الروايات الخيالية التى دارت حولها وتذكرنا بتلك القصص والنوادر التى جمعت بين النواسى والرشيد فى أدبنا العربى[2] ، وليس هناك شك فى أن هذه الملحمة الكبرى من آثار العهد السامانى وأن الفردوسى الشاعر ربيب ذلك العصر درج ونضج واكتملت شاعريته فيه وأدرك زمن الغزنويين وهو على قمة مجده الأدبى فهو شاعر مخضرم .

والآن وقد عرفنا من مناقشة أهم ما دار حول صلة الفردوسى بالسلطان محمود نعود إلى مواصلة الحديث عن نظم الشاهنامة فنقول إن الشاعر بناء على ما جاء فى خاتمة الترجمة العربية بدأ نظمها عام ٣٥٤ هـ . ٩٦٥ م . ويبدو أنه كان أول الأمر ينظم قصصاً مستقلة وروايات ذائعة على ألسنة الناس ولا يبعد أن يكون رجع

---

(١) دكتور على أكبر فياض : محاضرات عن الشعر الفارسى والحضارة الإسلامية ص ٢٢ .

(٢) ابن منظور المصرى : أخبار أبى نواس مطبعة الاعتماد ص ٢١٤ إلى ٢١٧ ، ديوان أبى نواس طبعة محمود كامل فريد ص ١٣ وما بعدها .

إلى شاهنامة أبى المؤيد المتقدم ذكرها كذلك بل أرجح أنه فعل هذا، لأنه إلى موت الدقيقى حوالى سنة ٣٦٤ هـ. — ٩٧٤ م . لم تكن لديه نسخةمن شاهنامةأبى منصور؛ وقد جد بعد موت سلفه فى الحصول على نسخة منها فأمده بها صديق حميم من أهل بلده وشجعه على المضى فى إتمام نظمها وما كان أشد فرحه بالحصول عليها ولنستمع إليه يقول :

دل روشن من چو بر*كشت ازوى　　سوى تخت شاه جهان[1] كرد روى
كه اين نامه را دست پيش آورم　　زدفتر ب*كفتار خويش آورم
بپرسيدم از هركسى بى شمار　　بترسيدم از *كردش روز*كار
م*كر خود درن*كم نباشد بسى　　ببايد سپردن بدي*كر كسى[2]

* * *

بشهرم يكى مهربان دوست بود　　تو*كفتى كه بامن بيك پوست بود
مرا*كفت خوش آمد اين راى تو　　بنيكى *كرايد همى پاى تو
نبشته من اين نامهٔ پهلوى　　بپيش تو آرم م*كر نغنوى
*كشاده زبان وجوانيت هست　　سخن *كفتن پهلوانيت هست
تواين نامهٔ خسروان باز *كوى　　بدين جوى نزد مهان آبروى
چو آورد اين نامه نزديك من　　برا فروخت اين جان تاريك من[3]

* * *

وقد أحسن البندارى ترجمة هذه الأبيات فقال :

(فلما يئس قلبى منه « الدقيقى » توجه تلقاء ملك العالم لعلى أظفر بهذا الكتاب فأنظمه ، ساءلت أناساً لا يحصيهم العد وأنا أوجس خيفة من غير الزمان وأخشى ألا تمتد بى الحياة فأتركه لغيرى . . .

وكان فى المدينة صديق لى كأنى وإياه نفس واحدة فقال : لقد هديت للرشاد وسارت قدمك فى سبيل السداد ، أنا كفيل بهذا الكتاب الفهلوى فلعلك لا تنام

(١) بخارى عاصمة السامانيين وكان الأمير السامانى وقتئذ نوح بن منصور (٣٦٦ — ٣٨٧ هـ) .
(٢) شاهنامه جـ ١ ص ٩ . طبعة بروخيم .
(٣) شاهنامه جـ ١ ص ١٠ ط بروخيم .

عنه فأنت فصيح اللسان غض العمر جدير أن تقص من أنباء الأبطال فاقصص كتاب الملوك كرة أخرى وابغ المكانة عند العظماء بهذه الذكرى ، فلما أحضر لى هذا الكتاب أضاءت روحى المظلمة الجناب»[1] .

وشرع الفردوسى فى نظم الكتاب تحت رعاية أمير مدحه فى الشاهنامة بأبيات تحت عنوان « اندرستايش ابو منصور بن محمد » أى : فى مدح أبى منصور ابن محمد .

وقد كان أبو منصور هذا باراً بالشاعر غاية البر ولكن يد القدر اختطفته فى فتنة هوجاء فذهب مجهول المصير وبكاه الشاعر بكاء الثكلى فجمع فى هذه الأبيات بين ثغر يفتر عن ثناء وقلب يقطر بالدماء .

بدين نامه چون دست كردم دراز	يكى مهترى بود *كردن فراز
جوان بود واز *كوهر پهلوان	خردمند وبيدار وروشن روان
خداوند راى وخداوند شرم	سخن *كفتن خوب وآواى نرم
مرا *كفت كز من چه بايد همى	كه جانت سخن بر *كرايد همى
بچيزى كه باشد مرا دسترس	بكوشم نيازت نيارم بكس
همى داشتم چون يكى تازه سيب	كه از باد نايد بمن برنهيب
بكيوان رسيدم زخاك نز*ند	از آن نيكدل نامدار ارجمند
بچشمش همان خاك وهم سيم وزر	بزر*كى بدو يافته زيب وفر
سراسرجهان پيش او خوار بود	جوانمرد بود ووفادار بود
چنان نامور *كم شد از انجمن	چو از باد سرو سهى ازچمن
نه زو زنده بينم نه مرده نشان	بدست نهن*كان مردم كشان
دريغ آن كمر بند وآن *كرد *كاه	دريغ آن كيى برز وبالاى شاه
*كرفتار زو دل شده نا اميد	روان لرز لرزان بكردار بيد
يكى پند آن شاه ياد آورم	زكز*ى روان سوى داد آورم
مرا *كفت كاين نامهٔ شهريار	*كرت *كفته آيد بشاهان سپار
دل من ب*كفتار او رام شد	روانم بدين شاد وپدرام شد[2]

(١) تعريب الشاهنامه ص ١٠ . (الجزء الأول) .

(٢) شاهنامه جـ ١ ص ١٠ ، ١١ ط بروخيم .

وفيما يلى تعريب البندارى لهذه الأبيات :

« فلما ظفرت بهذا الكتاب أتيح لى أحد الكبراء فتى من ذرية الأبطال عاقل حازم ذكى سديد الرأى شديد الحياء فصيح المنطق حلو الحديث ، قال : ماذا أفعل ليفرغ بالك للنظم ؟ سأواسيك بما تملك يداى ولا أفضى إلى أحد بحاجتك ، فلبثت فى كنفه كالتفاحة الغضة يحاذر أن يمسنى من الرياح ضر وسموت من التراب إلى كيوان بسعى هذا الفاضل الخير النابه الذى يستوى فى يده الذهب والفضة والتراب وقد أصاب المجد فيه أحسن زينة ورواء ، جواد وفى يحتقر الدنيا وما فيها فواحسرتاه أن يفتقد مثل هذا الرجل النابه كما يفتقد فى الحديقة السرو الباسق ، لست أجد أثراً منه حياً أو ميتاً . اغتالته أيدى التماسيح السفاكة الدماء ، فوا أسفا على هذا الشطاط العالى ووا أسفا على هذه الطلعة الملوكية ، لقد انقبض قلبى وملكه اليأس ورجفت روحى كالقصبة * فى مهب الريح ، أذكر نصيحة منه تعدل بى إلى سواء الطريق ، قال : إذا يسر الله لك ، هذا كتاب الملوك فاهده إلى الملوك ، لقد اطمأن قلبى إلى قوله وانشرح صدرى لرأيه »[1] .

* * *

وفى ختام إحدى نسخ الشاهنامة نرى الشاعر فى الخامسة والستين يشكو أوصاب الشيخوخة ومتاعبها وحاجته إلى التكسب بكتاب الملوك الذى أنفق فى نظمه السنين الغوالى من العمر ، وذاعت شهرته فكان عظماء المدينة يتسابقون إلى نسخه ونقله والشاعر ينظر إليهم من بعيد وكأنه أجير لهم دون أن ينقدوه ذهباً ولا فضة ولم يسمع منهم غير كلمة أحسنت التى انفطرت منها مرارته وقد زروا رءوس البدر على الأموال فوهن قلبه المشرق ولكن كان من بين هؤلاء رجلان كريمان مدحهما الشاعر معدداً ما أسلفا إليه من عوارف ، أحدهما على الديلمى الملقب بأبى دلف والآخر حُيَيّ ابن قتيبة أو حسين بن قتيبة كما فى بعض النسخ المتأخرة[2] . ويقول صاحب

---

* صحة الترجمة : كشجرة الصفصاف .

(١) ترجمة الشاهنامة حـ١ ص ١٠ ، ١١ .

(٢) هزارة فردوسى ص ٦٩ .

چهار مقاله : إن حُيي قتيبة هذا كان عامل طوس[1] وفيما يلي عبارة الفردوسى :

چو بگذشت سال از برم شصت و پنج	فزون کردم اندیشهٔ درد و رنج
بتاریخ شاهان نیاز آمدم	بپیش اختر دیر ساز آمدم
بزرگان و بادانش آزادگان	نبشتند یکسر همه رایگان
نشسته نظاره من از دورشان	تو گفتی بدم پیش مزدورشان
جز احسنت ازیشان نبد بهره ام	بکفت اندر احسنت شان زهره ام
سر بدره های کهن بسته شد	وز آن بند روشن دلم خسته شد
از آن نامور نامداران شهر	علی دیلمی بودلف راست بهر
که همواره کارم بخوبی روان	همی داشت آن مرد روشن روان
حُیَیّ قتیبست ز آزادگان	که از من نخواهد سخن رایگان
ازویم خورو پوشش وسیم وزر	ازو یافتم جنبش پای و پر
نیم آگه از اصل وفرع خراج	همی غلطم اندر میان دواج

* * *

ومعنى هذه الأبيات :

لقد مر على خمسة وستون عاماً فازداد فكر وصبي وعنائي . واحتجت إلى « كتاب » تاريخ الملوك وواجهت الطالع البعيد الإسماح والوفاق . ونسخ العظماء والأحرار العلماء جميعهم « الكتاب » دون أجر . وجلست أنظر إليهم من بعيد وكأنني كنت أجيراً لهم من قبل . ولم يكن نصيبي منهم غير أحسنت فانشقت مرارتي من قولهم أحسنت . لقد زُرت رءوس البدر العتيقة فوهن من ذلك قلبي الوضيء ولعلى الديلمى أبي دلف « وهو » من أعلام المدينة المعروفين نصيب . فقد كان هذا الرجل المستنير يحسن إنجاح أمرى على الدوام . وحُيي ابن قتيبة من الأحرار الكرام لا يريد مني كلاماً بلا مقابل . منه طعامى وكسائى وفضتى وذهبى ، ومنه لقيت نهوض قدمى وجناحى . لا علم لى بأصل وفرع الخراج وإني لأتقلب فى الفراش الوثير .

ومن هذا البيت الأخير يتبين لنا أن حي بن قتيبة أعفى الفردوسى من الخراج

(١) ص ٧٧ طبعة محمد معين . ١٣٣٣ هـ ش . = ١٩٥٤ م .)

(٢) شاهنامه جـ ٩ ص ٣٠١٦ ، ٣٠١٧ ط بروخيم .

وهذا يؤيد قول العروضى السمرقندى فى چهار مقاله عنه بأنه كان عامل طوس[(١)].

وإذا كان الشاعر اقتصر فى مدح هذين الرجلين على هذه الأبيات فإننا نلتقى فى سياق خاتمة نسخة أخرى من خواتيم الشاهنامة براع آخر له اسمه أحمد بن أبى بكر الخانلنجانى نسبة إلى خان لنجان قرب إصفهان، ويفهم من قول الفردوسى أنه لقى من بره به وعطفه عليه وذوده شانئيه وحساده عنه ما حببه فى المقام لديه فأطال الإقامة كما أطال المدح له ولابنه الذى كان لا يقل عن أبيه حباً للشاعر الوافد عليهما . يقول الفردوسى :

چو خواهش *كرى ونيازم نمود	بدين پرسشم بر زبان بر*كشود
همايون نهادو پسنديده *كل	خردمند وارميده ونيك دل
*كرانمايه احمد كه همسال او	بجويد بهرجا ازو آل او
زباباش جوبى تونام درست	ابو بكرش آخر محمد نخست
سپاهانى وخان نشستن *كهش	بنزد بزر*كان ستوده رهش
چو در خان لنجان فراز آمدم	بهر چه ب*كوبى نياز آمدم
مراسوى خان خرد داد راه	چو بامن بديد او بجز*كاه داد
خداوند اين دفترم بنده كرد	لب هر مرادم پراز خنده كرد
زپوشيدنى وز *كستردنى	ز افكندنى وهم از خوردنى
پسند يده وپاك درخورد من	بدادى نشستى زدل درد من
بد انديش بر من زبان بر*كشود	چو خرز*از* هر زشتئ مى سرود
ب*كوشم رسيد و *كرفتم كران	كه تا دلش برمن ز*كردد*كران
مرا خواند واز من نپوشيد چيز	چه بايدت *كفتا ببخشيم نيز
چو بد*كوى دانم كه بدخواه تست	بد انديش بر شيوه وراه تست
توبى بى باش ومشو دورما	كه بد * كو نشايد بمزدور ما
كه همواره رنجور بادا تنش	چو مادرش بد نام هرجا زنش
چو از پرد*كيش آ*كهى يافتم	سوى خدمتش تيز بشتافتم

(١) « حبى قتيبه عامل طوس بود . » ص ٧٨ طبعة معين .

بهر کار فرمان‌بر او شدم — بنیکو نهادیش خستو شدم
بفرزند او *کرچه شا *کرده‌ست — ز *کر تا کجا مهربانیش هست
بهاران سوی رود زرین شدیم — ز بهر نشاط و بآیین شدیم
بآب اندر افتادم از نا *کهان — ز یاران بپیشم کهان ومهان
بماندم *کرفتار *کرداب سخت — تو *کفتی که‌بر *کشت‌بیدار بخت
چو آ *کاه شد برسرمن دوید — بموی *کرفت ومرا برکشید
دلش *کشت بردیدنم نیك شاد — سبك *کوسفندی بدرویش داد
پس از خواست دادار یزدان پاك — شد ایمن ازوجان من از هلاك
کنون *کر بد ستم بود جان وتن — ند ارم دریغ ار بخواهد ز من
که یزدان نیکی دهش یار باد — بداندیش وبد *کوی‌او خوار باد(١)

* * *

وترجمة الأبيات :

لما عرض لى الرجاء والحاجة ، بسطت لسانى بهذا السؤال « إلى » .
الميمون النقيبة المحمود الجبلة ، العاقل الرزين الطيب القلب .
أحمد الكريم الجوهر الذى تربه ، ينشده آله فى كل مكان .
إذا بحثت عن اسم أبيه الصحيح ، فآخره أبو بكر وأوله محمد .
إصفهانى ومقره الخان ، ونهجه ممدوح لدى الكبراء .
لما دخلت خان لنجان ، كنت فى حاجة إلى كل ما تقول .
فأفسح لى الطريق إلى خان العقل ، ولما رآنى أدخلنى السرادق .
تعبدنى صاحب هذا الدفتر ، وملأ بالابتسام شفتى كل رغابى .
مما يلبس ومما يبسط ، ومما يفرش ومما يؤكل كذلك .
ومنحنى ما يعجب ويطيب ويليق بى وسكنت آلام قلبى .
وأطلق الكاشح على لسانه ، وكان يتغنى بكل قبيح كنهيق الحمار .
فبلغ ذلك سمعى وانزويت ، حتى لا يقسو قلبه على .

---

(١) شاهنامه ج ٩ ص ٣٠١٩ ، ٣٠٢٠ ط بروخيم .

فدعاني ولم يخف عنى شيئاً ، وقال ماذا تريد فأمنحه أيضاً ؟
لما كنت أعلم أن المغتاب النمام شانئ لك عدو لطريقتك ومذهبك .
فابق أنت خلى البال ولا تذهب بعيداً عنا لأن المغتاب لايليق أن يكون أجيراً لنا.
فليجعل الله جسده عليلاً على الدوام وليجعل امرأته كأمة سيئة السمعة فى كل مكان .

فلما اطلعت على سريرته سارعت إلى خدمته ،
وصرت طوعاً له فى كل أمر وأقررت بطيبة قلبه .
وانظر إلى ولده مع أنه تلميذ « صغير » إلى أى مدى بلغ عطفه .
ذهبنا فى الربيع إلى نهر « زرين » [1] للهو والمرح وأخذنا زينتنا .
فسقطت فى النهر فجأة وكان معى من الصحاب الصغار والكبار .
فبقيت أعانى فى دوامة عنيفة وكأن البخت اليقظان قد انقلب .
فما عرف حتى سارع إلى وأمسك بشعرى وجذبنى .
وسر قلبه غاية السرور بمرآى وأعطى حملا للفقراء .
وبعد مشيئة الله العادل القدوس أمنت بفضله روحى من الهلاك .
فالآن إن تكن روحى وجسدى بيدى لا أضن بهما إذا طلبهما منى .
كان الله الواهب الحبر ناصراً ومعيناً له ، وليكن عدوه ومغتابه ذليلين .

* * *

ومن هذا نرى أن أولياء الشاعر الذين أعانوه على نظم ملحمته وأحاطوه ببرهم ورعايتهم ليتفرغ إلى عمله هم : صديقه الحميم وبلديه ولم يصرح باسمه ، وأبو منصور ابن محمد الذى مدحه ورثاه فى مقدمة الشاهنامة ؛ وأبو دلف : وحيى بن قتيبة ، وأحمد ابن محمد بن أبى بكر الخانلنجانى الذين حدثنا عنهم حديث الثناء وعرفان الجميل فى خواتيم ومقدمة نسخه المختلفة .

وإذا كانت الروايات جميعاً اتفقت على عدم بر السلطان محمود بالفردوسى الذى نثر در مدائحه له بين فصول الشاهنامة فإن الشاعر كذلك يؤيد ما أجمعت

---

(١) رود زرين أى النهر الذهبى والمراد به زاينده رود أى النهر المتجدد وتقع مدينة أصفهان على هذا النهر .

عليه هذه الروايات ، وليس بين مدائحه بيت واحد يفهم منه أنه ظفر بصلة أو نوال وعلى العكس من ذلك نراه شاكياً منه ذا منًّا له مصوراً إعراضه عن كتابه وخيبة أمله فيما كان يرجو منه وشكواه من اتّهام السلطان له فى دينه وعقيدته ووشاية حساده به ثم هجاءه لمحمود هجاء اليائس الثائر المتحدى فيقول :

نكردى دراين نامهٔ من ن*كاه　　ب*كفتار بد*كوى*كشتى زراه
هر آنكس كه شعر مراكردپست　　ز*كيردش *كردون*كردنده‌دست

* * *

نه زين *كونه دادى‌مرا تونويد　　نه اين بودم از شاه *كيتى اميد
بد انديش كش روز نيكى‌مباد　　سخنهاى نيكم ببد كرد ياد
بر پادشه بيكرم زشت كرد　　فروخنده اخ*كر چواز*كشت‌كرد

* * *

والمعنى :

لم تعر كتابى هذا التفاتاً وعدلت عن الطريق بقول الواشى المغتاب .
ألا كل من حط من قدر شعرى لاأخذ الفلك الدوار بيده .

* * *

لم تزف إلى بشرى من هذا القبيل ولم يكن هذا أملى فى سلطان العالم .
لقد ذكر الواشى — لا أراه الله يوماً طيباً — كلامى الجميل بالسوء .
فقبح صورتى لدى السلطان وجعل جمرتى المتوقدة كالفحم .

* * *

هر آن شه كه در بند دينار بود　　بنزديك اهل خرد خار بود
* كرايدونكه شاهى‌ب*كيتى تراست　　ز*كوئى كه‌اين‌خيره*كفتن‌چراست ؟
نديدى تو اين خاطر تيز من　　نينديشى از تيغ خونريز من ؟
كه بد دين وبدكيش خوانى مرا　　منم شير نرميش خوانى مرا ؟
مرا غمز كر دند كان پرسخن　　بمهر نبى و على شد كهن
هر آنكس كه‌دردلش كين عليست　　ازو درجهان خوارتر*كوكه كيست

منم بندهٔ هردو تارستخیز ا گرشه کند پیکرم ریز ریز
من از مهر این هردوشه نگذرم ا گر تیغ شه بگذرد برسرم

* * *

منم بندهٔ اهل بیت نبی ستایندهٔ خاك پای وصی
مراسهم دادی که درپای پیل تنت رابسایم چو در پای نیل
نترسم که دارم زروشن دلی بدل مهر جان‌نبی وعلی

* * *

ومعنى هذه الأبيات :

كل ملك يكون فى إسار الدينار يكون حقيراً عند ذوى الألباب .
إذا كان لك الملك فى الدنيا الآن ، ألا تقول لم هذا الكلام الوقح ؟
أما رأيت ذهنى الحاد هذا ؟ ، ألا تخشى سيفى السافك للدماء ؟
فتدعونى فاسد الدين سيئ المذهب وتسمينى أنا الأسد الذكر نعجة ؟.
لقد عابونى قائلين إن هذا الثرثار شاب على حب النبى وعلى .
كل من يكون فى قلبه بغض على ، قل لى من فى الدنيا أحقر منه ؟ .
أنا عبد كليهما حتى يوم الحشر وإن قطع الملك جسدى إرباً إرباً .
إنى لا أعدو حب هذين الملكين وإن مر سيف السلطان على رأسى .

* * *

أنا مولى أهل بيت النبى مداح تراب قدم الوصى .
لقد خوفتنى قائلا : سأسحق جسدك تحت قدم الفيل كالنيل تحت القدم .
لاأخاف فإن لى من نور البصيرة حب روح النبى وعلى فى قلبى .

* * *

وهذه الأبيات فضلا عما فيها من التحدى لمحمود وإظهار التمسك بالعقيدة والاستماتة فى البقاء عليها تؤيد ما ذكره صاحب چهار مقاله عن تهام الفردوسى بالرفض والتشيع .

ويبدأ الشاعر بعد هذا هجومه على السلطان فيصفه بالجهل وضعة الأصل

ويعلل عدم إقباله على كتابه ويحقر صلته التى أمر له بها ويتهمه فى دينه ثم يعبر بعد ذلك عن يأسه منه فيقول :

بدانش نبد شاه را دستگاه	وگرنه مرا برنشاندی بگاه
چو دیهیم دارش نبد در نژاد	ز دیهیم داران نیاورد یاد
اگر شاه را شاه بودی پدر	بسر بر نهادی مرا تاج زر
وگر مادر شاه بانو بدی	مراسیم وزر تابزانو بدی
چو اندر تبارش بزرگی نبود	نیارست نام بزرگان شنود
بپاداش گنج مرا در گشاد	بمن جز بهای فقاعی نداد
فقاعی نیرزیدم از گنج شاه	از آن من فقاعی خریدم براه
پشیزی به از شهریاری چنین	که نه کیش دارد نه آئین ودین
پرستار زاده نیاید بکار	اگر چند دارد پدر شهریار

* * *

والمعنى :

لم يكن للملك حول وطول فى العلم وإلا لأجلسنى على العرش .

ولما لم يكن فى أرومته صاحب عرش لم يذكر أصحاب العروش .

لو كان أبو السلطان ملكاً لوضع على رأسى تاجاً من ذهب .

ولو كانت أم السلطان سيدة لكانت الفضة والذهب حتى ركبتى .

لما لم تكن العظمة فى جوهره لم يستطع سماع ذكر العظماء .

مكافأة لى ، فتح كنزى « أى كتابى » ولم يعطنى غير ثمن فقاع .

لم أستحق من خزانة الملك فقاعا ولذا اشتريت فقاعا بالطريق

إن دانقاً أكرم من مثل هذا الملك الذى لا مذهب له ولا شرعة ولا دين .

لا يفلح ابن الأمة وإن يكن أبوه ملكاً [1] .

* * *

لم يمدح الفردوسى من رجال محمود غير وزيره أبى العباس الفضل بن أحمد الإسفرائينى ولعله مدحه ليكون وسيلته إلى باب السلطان .

---

(١) أبيات الهجاء منقولة عن هجوية الفردوسى المدرجة بآخر الجزء الخامس من الشاهنامة طبعة خاور .

ولا ندرى كيف استطاع الشاعر بعد هذا الهجاء المقذع العود إلى وطنه والمقام فيه إلى آخر أيامه تحت سلطان محمود وولاته ؛ لم تختلف الروايات فى أنه مات ودفن ببلده طوس ، وأغلب الظن — كما حدس نلدكه[١] — أن هذا الهجاء لم يعلم به محمود فى حياة الشاعر وأنه ألحق فيما بعد بالشاهنامة ويمكن الاعتماد فى ذلك على قول النظامى العروضى السمرقندى إن شهريار اشترى الهجاء من الشاعر وغسله «[٢]» ، ولكن بقاء هذا الهجاء إلى اليوم يدل على أن الفردوسى كان يحتفظ بنسخة أخرى من هجويته ولم يغسلها كذلك كما قال النظامى ، ولعل الشاعر المغيظ المحنق لم يستطع كتمانه فأفشاه وأذاعه بين الناس تنفيساً عن ألم مكبوت وتسكيناً لثورة نفسية عنيفة اجتاحت منطق العقل والحكمة ولم تدع سبيلاً لتدبر العواقب، وقد بلغ الهجاء سمع محمود ولكن السنين الطوال التى أعقبت تلك الخصومة كانت كافية لإطفاء جذوة غضب محمود ونقمته على الفردوسى بل ورضاه عنه .

بقى لنا أن نحقق كم من السنين قضى شاعرنا فى نظم ملحمته ومتى بدأها وفى أى سنة انتهى منها ؟

أقرب طريق أمامنا هو الرجوع إلى قول الشاعر نفسه دون سواه ما دام قد صرح بهذا ، فإذا تركنا رواية چهار مقاله التى تقول بأن الفردوسى قضى فى نظم الشاهنامة خمسا وعشرين سنة[٣] وجدناه مرة يقول إنه نظم ملحمته فى ثلاثين عاماً ويكرر هذا فى هجويته لمحمود[٤] :

١ — به سى سال اندر سراى سپنج چنين رنج بردم باميد *كنج

أى : احتملت العناء ثلاثين عاماً فى هذه الدار الفانية بأمل الكنز .

٢ — بسى رنج بردم درين سال سى عجم زنده كردم بدين پارسى

والمعنى : احتملت كثيراً من العناء فى هذه السنوات الثلاثين فأحييت العجم بهذا « الكتاب » الفارسى .

---

(١) حماسه ملى إيران ص ٥٣ .

(٢) چهار مقاله ص ٨١ . طبعة معين .

(٣) ص ٧٥ نفس المصدر .

(٤) آخر ج ٥ . ش . ط . خاور .

٣ ــ چوسى سال بردم بشهنامه رنج　　　كه شاهم ببخشد بپاداش *گنج

ومعناه :

لما احتملت العناء ثلاثين عاماً ليكافئنى السلطان على ذلك بالكنز .

ولكنه يعود فيقول بأنه نظمها فى خمسة وثلاثين عاماً :

٤ ــ سى وپنج سال از سراى سپنج　　　بسى رنج بردم بأميد *گنج (١)

أى : احتملت عناء كثيراً مدة خمس وثلاثين سنة من هذه الدار الفانية بأمل الكنز .

* * *

ونلمس مثل هذا التناقض فى تاريخ ختام الشاهنامة المصرح به فى خواتيم نسخها المختلفة على ما هو مفصل بمقال تقى زادة بهزارهٔ فردوسى صفحة ٧٠ .

ولكن هذه النسخ المختلفة المشار إليها بالمقال آنف الذكر لم تخرج فى تعيين تاريخ ختم الشاهنامة عن ثلاثة تواريخ : ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠ هـ .

فقد جاء فى بعضها :

سرآمد كنون قصهٔ يزد*گرد　　　بماه سفندارمذ روز ارد

زهجرت شده سيصد از روز*گار　　　چوهشتاد وچار از برش برشمار

* * *

انتهت الآن قصة يزدجرد فى شهر اسفندار مذ يوم ارد .

وقد انقضى منذ الهجرة ثلثمائة عام من الزمان مضافاً إليها أربع وثمانون سنة .

* * *

وقد تكرر ذكر هذا التاريخ فى عدة نسخ وخاصة فى أقدم نسخ محفوظة بلندن ومقيدة تحت الأرقام : Or 1408 ، Add 5600 ، Or 4384

وجاء فى ختام الشاهنامة المعربة : (وكم تعب تحملت وكم غصص تجرعت حتى تسنى لى نظم هذا الكتاب فى مدة ثلاثين سنة آخرها سنة أربع وثمانين وثلثمائة)

---

(١) ش . حـ ٩ ط . بروخيم ص ٣٠١٧ .

وقد عربت هذه النسخة من الشاهنامة بين سنتى ٦٢٠ ، ٦٢٤ هـ . (١٢٢٣ — ١٢٢٦ م .) ويُعد تعريبها فى نظر تقى زاده بمثابة نسخة قديمة يرجع تاريخها إلى القرن السادس الهجرى .

وقد يسرت لنا خاتمة الشاهنامة المعربة معرفة تاريخ البداية إذ نصت على أن عام ٣٨٤ هـ . هو آخر السنين الثلاثين التى قضاها الفردوسى فى نظم هذه الملحمة ، ولم تعد بنا حاجة إلى الأخذ بحدسيات نلدكه ومول ومن خذا حذوهما فى استنتاج تاريخ ابتداء الشاعر نظم هذا الكتاب وإضاعة الوقت فى تحقيق ما ذهبوا إليه دون الوصول إلى نتيجة علمية يُطمأن إليها إزاء هذا النص الصريح القاطع فى نسخة تعد من أقدم نسخ الشاهنامة التى بين أيدينا إن لم تكن أقدمها ؛ وعلى ذلك يكون الشاعر بدأ نظم كتاب الملوك عام ٣٥٤ هـ . — ٩٦٥ م . وكذلك أعانتنا هذه الشاهنامة المعربة على معرفة سن الشاعر وتاريخ ميلاده ، فقد جاء فى ختامها : (قال الفردوسى صاحب الكتاب الذى كتابنا هذا ترجمته : لم أترك مما طالعت من أخبار ملوك العجم حديثاً إلا نظمته وفى سلك البيان رصفته وكأنى قد نشرت بهذا الكتاب السلاطين الماضين والملوك الأقدمين بعد ما طالت عليهم أدوار الزمان وطوى ذكرهم فى تضاعيف النسيان وها أنا بعد خمس وستين سنة أنفقتها من عمرى قاعداً حزيناً كئيباً لا أرى سوى أحسنت من أبناء الزمان نصيباً ، ربقوا على الحقيقة أعناق البدر العتيقة فعيل صبرى وضاق صدرى وكم تعب تحملت وكم غصص تجرعت حتى تسنى لى نظم هذا الكتاب فى مدة ثلاثين سنة آخرها سنة أربع وثمانين وثلثمائة وهو يشتمل على ستين ألف بيت وجعلته تذكرة للسلطان أبى القاسم محمود بن سبكتكين لا زال نافذ الأمر عالى القدر ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين) .

ويؤخذ منها فوق ما تقدم أن هذه الشاهنامة قدمت لمحمود سنة ٣٨٤ هـ . وكانت نسخة كاملة ، إذ المشهور عن الشاهنامة أن عدد أبياتها ستون ألف بيت وإن تفاوتت نسخها الحاضرة قلة وكثرة عن هذا العدد .

فنستطيع القول بأن الشاعر فى سنة ٣٨٤ هـ . كانت سنه خمسا وستين سنة وعلى ذلك يكون مولده فى حدود سنة ٣١٩ هـ . وإذا كان الشاعر توفى بين سنتى

٤١٦،٤١١ هـ . شيخاً نيف على التسعين كما يقول برون نقلا عن أصحاب التذاكر[1] يكون سنه عند وفاته فى سنة ٤١١ هـ. ٩٢ سنة وفى سنة ٤١٦ هـ . ٩٧ سنة وتجمع المصادر التى رجعت إليها على أن الفردوسى مات شيخاً ناهز التسعين أو نيف عليها .

وقد حدس نلدكه – بعد رجوعه إلى حديث الشاعر عن سنه فى عدة مواضع من الكتاب – أن ميلاده يقع بعد سنة ٣٢٠ هـ . وعلى وجه التقريب فى سنة ٣٢٣ أو ٣٢٤ هـ .[2] وكذلك يقول فروزا نفر[3] بأن ميلاد الفردوسى على ما يظهر سنة ٣٢٣ هـ. وهذا الحدس فى تحديد تاريخ ميلاد الشاعر على وجه التقريب بعد البحث الطويل لا يبعد كثيراً عن سنة ٣١٩ هـ . التى تعين ميلاده على التحقيق من واقع عبارته الصريحة فى ختام الشاهنامة المعربة .

وأمامى مسألة جديرة بالنظر وهى أن الدكتور عبد الوهاب عزام فى تعليقه على ترجمة هذه الخاتمة يقول : (فى ترجمة الخاتمة هنا نقص ومخالفة لنسخ الشاه التى عندى ولذا ترجمتها من نسختى مول وتبريز وعارضتها على ترجمة ورنر وأثبتها هنا) . ثم ذكر ترجمته فى الحاشية[4] .

وترجمة الدكتور عزام هذه كما يصرح هو فى عبارته المذكورة ترجمة لخاتمة ملفقة من عدة خواتيم لنسخ مختلفة ، تختلف عن النسخة القديمة التى ترجم عنها البندارى وليست ترجمة لنص بعينه ولا يمكن التعويل عليها فى تحقيقنا .

وإذا تقدمنا خطوة أخرى أو أخيرة فى تحقيق النتائج المستخلصة من الخاتمة المعربة وعدنا إلى مقدمة الشاهنامة الفارسية ، نرى الفردوسى يقول إنه بعد موت الدقيقى سعى فى الحصول على نسخة من شاهنامة أبى منصور فأمده بها صديق حميم وشجعه على المضى فى نظمها قائلاً :

---

(١) تاريخ الأدب فى إيران . تعريب الدكتور ابراهيم أمين الشواربى ص ١٦٨ . ونقل نلدكه عن دولتشاه أن وفاة الفردوسى سنة ٤١١ هـ . وقال : وذكر غيره سنة ٤١٦ هـ . (حماسه ملى إيران ص ٥٨) .

(٢) حماسهٔ ملى إيران ص ٤٣ .

(٣) سخن وسخنوران جـ ١ ص ٢٩ ونص العبارة (ولادتش ظاهرا درسال ٣٢٣ هـ) .

(٤) حاشية ص ٢٧٥ جـ ٢ شاه .

نبشته من اين نامهٔ پهلوى   بپيش تو آرم مگر نغنوى
گشاده زبان وجوانيت هست   سخن گفتن پهلوانيت هست[1]

* * *

والمعنى : لقد نسخت أنا هذا الكتاب الفهلوى وسآتيك به علك لا تنام «عنه»
فأنت فصيح اللسان وشاب وتعرف الكلام الفهلوى .

* * *

ومن هذا يتبين أن الفردوسى عند ما شرع فى نظم شاهنامة أبى منصور بعد مقتل الدقيقى كان شابا ، فمتى توفى الدقيقى ؟

لا أجد فيما اتفق لى عن الدقيقى شيئاً ذا غناء ، وتتحدث عنه المراجع المختلفة حدساً وتخميناً وتجمع فى حدسها على أنه قتل أوائل عهد نوح بن منصور (٣٦٦— ٣٨٧ هـ = ٩٧٦ — ٩٩٧ م .)[2] وعلى ذلك فمقتله يقع خلال سنة ٣٦٦ هـ . أو بعدها بقليل .

وينقل برون عن العتبى أن الدقيقى كان من أكابر شعراء نوح بن منصور[3] كما ذكر بيتين للشاعر من قصيدة يخاطب فيها هذا الأمير[4] ، غير أنه يوجد بالشاهنامة المعربة نص صريح يفيد أن الفردوسى قضى بعد مقتل الدقيقى عشرين عاماً فى نظم كتاب الملوك ، إذ يقول فى مدحه لمحمود وحديثه عن نظم الدقيقى للمحمة (گشتاسپ‌نامه) : « فلبثت عشرين عاماً أدخر الكلام وأفتش عن الجدير بكنز التؤام أبى القاسم الملك الكريم . . . . إلخ »[5] .

ثم نراه يقول فى ختام هذه الشاهنامة : « وكم تعب تحملت وكم غصص تجرعت حتى تسنى لى نظم هذا الكتاب فى مدة ثلاثين سنة آخرها سنة أربع وثمانين

---

(١) ش . جـ ١ . ص ١٠ . ط بروخيم .
(٢) نلدكه : حماسهٔ ملى إيران ص ٣٤ ورضا زاده شفق : تاريخ أدبيات إيران ص ٥١ (الطبعة الأولى) و ذبيح الله صفا : حماسه سرائى الطبعة الثانية ص ١٦٤ .
(٣) ص ٦٧١ جـ ١ ترجمة على پاشا صالح .
(٤) ص ٦٧٢ من نفس المصدر .
(٥) الشاهنامة المعربة الجزء الأول ص ٣٣٦ .

وثلثمائة وهو يشتمل على ستين ألف بيت وجعلته تذكرة للسلطان أبي القاسم محمود ابن سبكتكين» [1] .

وقد قدمنا أن الفردوسي كان يعالج نظم قصص الملوك قبل الدقيقي وأن الشاهنامة الحالية تشتمل على روايات وقصص أضافها الفردوسي إلى شاهنامة أبي منصور ، فهذه السنوات الثلاثون انقضت في نظم الشاهنامة كلها لا في إتمام الكتاب الذي تركه الدقيقي ، ومن كلا العبارتين نستخلص أن الدقيقي قتل سنة ٣٦٤ هـ . — ٩٧٤ م . وأنه لم يدرك ولاية نوح بن منصور (٣٦٦ — ٣٨٧ هـ) [2] كما يقول برون نقلا عن العتبي ، فإذا كان الفردوسي — بناء على ما جاء في خاتمة الشاهنامة المعربة — ولد سنة ٣١٩ هـ . — ٩٣١ م . تكون سنه عام ٣٦٤ هـ . خمساً وأربعين سنة ولا يمكن اعتباره في هذه السن شيخاً بأي حال .

ونستطيع الآن أن نقول في اطمئنان بأن النتائج التي خرجنا بها من خاتمة الشاهنامة المعربة قد ثبتت للامتحان الفاحص والتحقيق الدقيق ، والأخذ بالنص الصريح المحقق أولى وأوفق من الاعتماد على الحدسيات والفروض .

فإذا تركنا الخاتمة المؤرخة بعام ٣٨٤ هـ . نرى الفردوسي يؤرخ في خاتمة أخرى بعام ٣٨٩ هـ . (٩٩٨ م .) فيقول :

چوشد اسپرى داستان بزر*ك	سخنهاى آن خسروان ستر*ك
بروز سيم شنبدى چاشت*كاه	شده پنج ره پنج روزان زماه
كه تازيش خوانند محرم بنام	كه از ارجمنديش ماه حرام
ا*كرسال نيز آرزوت آمدست	نهم سال وهشتادو باسيصدست
زتاريخ دهقان ب*كويمت نيز	زأنديشه دل را بشويمت نيز [3]

---

(١) الشاهنامة المعربة الجزء الثاني ص ٢٧٦ .

(٢) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي للمستشرق زامباور ، إخراج الدكتور زكي محمد حسن وآخرين الجزء الثاني ص ٣٠٦ (بنو سامان) .

(٣) ش . جـ ٩ . ص — ٣٠١٩ ط . بروخيم .

وترجمة الأبيات :

أما وقد تمت القصة الكبرى وهى أحاديث الملوك العظام

فى يوم الثلاثاء ضحى ، وقد انقضى خمسة وعشرون يوماً من ذلك الشهر

الذى يسميه العربى المحرم لأنه لعظمته شهر حرام ،

وإذا أردت السنة أيضاً فهى سنة تسع وثمانين وثلثمائة ،

فإنى محدثك أيضاً عن تاريخ الدهاقين فأرحض كذلك الهم والفكر عن قلبك .

* * *

وهذه الأبيات ذكرت فى مقدمة « مديحه لأمير خانلنجان » الذى سبق ذكره مع ترجمته .

وكذلك يؤرخ الفردوسى خاتمة إحدى النسخ بعام ٤٠٠ هـ. فيقول :

سر آمد كنون قصهٔ يزد*كرد   بماه سفندارمذ روز ارد

زهجرت شده پنج هشتادبار   كه *كفتم من اين نامهٔ شهريار [١]

* * *

أى : تمت قصة يزدجرد فى شهر اسفندارمذ يوم أرد

وقد مضى على الهجرة أربعمائة عام حين نظمت أنا كتاب الملوك هذا .

* * *

والباحث يقف لأول وهلة حائراً أمام هذا التناقض الظاهر فى هذه الروايات والاختلاف البين فى عدد سنى نظم الملحمة وتواريخ ختمها المختلفة ، ولكنه بتتبعه لتاريخ تأليف كتاب الملوك لا يعييه الوصول إلى تعليل معقول يوفق فيه بين هذه الأقوال توفيقاً يزيل ما بها من اضطراب ظاهرى دون مساس بسلامة التحقيق العلمى :

صرح الشاعر فى خاتمة الشاهنامة المعربة أنه قضى فى نظمها ثلاثين عاماً ختامها سنة ٣٨٤ هـ . ثم عاد فى مقدمته لمديح أحمد بن أبى بكر الخانلنجانى فقال إنه فرغ منها سنة ٣٨٩ . والفرق بين هذين التاريخين (٣٨٤ ، ٣٨٩ هـ.) خمس

---

(١) ص ٣٠١٧ نفس المصدر .

سنين وهو عين الفرق بين المدتين (٣٠ ، ٣٥ سنة) ولم يؤثر عن الفردوسى رقم آخر يحدد مدة نظمه للملحمة الفارسية .

ويؤخذ من هذا أنه خلال اغترابه وأثناء مقامه بخا نلنجان عكف على إعادة النظر فى الشاهنامة وجود فيها ونسخ منها هذه النسخة التى ختمها بمدح هذا الأمير الذى أحسن إليه وأنفق فى هذا العمل خمس سنوات أخرى فوق الثلاثين التى انقضت من قبل فى نظم وكتابة نسخة الشاهنامة التى ذهب لتقديمها لمحمود فى خراسان عام ٣٨٤ هـ .

أما عام ٤٠٠ هـ. الذى ذكر فى إحدى النسخ كتاريخ للانتهاء من نظم الكتاب فيحتمل أن يكون تاريخ الفراغ من كتابة مخطوط من الشاهنامة كان الفردوسى يزمع تقديمه لقابوس بن وشمكير عند ذهابه إلى طبرستان كما تقدم، وقد يكون السبب فى عدم ذكره اسم قابوس نصيحة قابوس له بإبقاء الشاهنامة باسم محمود وقد أورد صاحب چهار مقاله ما دار بين هذا الأمير والشاعر مع ذكر اسم شهريار بدل اسم قابوس على النحو التالى :

(پس محمود را هجا كرد در ديباچه بيتى صد وبر شهريار خواند و كفت : من اين كتاب را از نام محمود بنام تو خواهم كردن كه اين كتاب همه اخبار وآثار جدان تست ، شهريار اورا بنواخت ونيكوييها فرمود و كفت : يا استاد ! محمود برآن داشتند ، وكتاب ترا بشرطى عرضه نكردند ، وترا تخليط كردند ، وديكر تو مرد شيعى ، وهركه تولى بخاندان پيامبر كند اورا دنياوى بهيچ كارى نرود ، كه ايشان خود نرفته است ، محمود خداوند كار من است ، توشاهنامه بنام اورها كن ، وهجو او بمن ده تابشويم وترا اندك چيزى بدهم ، محمود خود تراخواند ورضاى تو طلبد ورنج چنين كتاب ضايع نماند ، وديكر روز صد هزار درم فرستاد و كفت : هربيتى بهزار درم خريدم ، آن صد بيت بمن ده وبا محمود دل خوش كن ! فردوسى آن بيتها فرستاد ، بفرمود تابشستند ، فردوسى نيز سواد بشست وآن هجو مندرس كشت واز آن جمله اين شش بيت بماند)[1] .

(١) چهار مقاله ٨٠، ٨١ . طبعة الدكتور محمد معين سنة ١٣٣٣ هـ. ش. (١٩٥٤م) طهران

وترجمة هذه السطور :

(ثم هجا محمودا فى الديباجة بمائة بيت وقرأها على شهريار وقال : «سأحول هذا الكتاب من اسم محمود إلى اسمك لأن هذا الكتاب كله أخبار وآثار أجدادك » فلاطفه شهريار وأحسن إليه وقال : يا أستاذ ! لقد حملوا محموداً على ذلك ولم يعرضوا كتابك كما ينبغى وسعوا بك ، ثم إنك رجل شيعى وكل من تولى آل بيت النبى لا يتم له أمر دنيوى بأى حال كما لم يتم لهم هم أنفسهم ، إن محموداً مليكى فاترك الشاهنامة باسمه وأعطنى هجوه لأغسله وأعطيك شيئاً يسيراً ، ومحمود نفسه سيدعوك ويسترضيك ولا يضيع تعب مثل هذا الكتاب . وفى اليوم التالى أرسل مائة ألف درهم وقال :

اشتريت كل بيت بألف درهم ، فأعطنى هذه الأبيات المائة وطيب قلبك عن محمود ، وأرسل الفردوسى تلك الأبيات فأمر بغسلها وغسل الفردوسى كذلك المسودة واندرس ذلك الهجاء وبقى من ذلك كله هذه الأبيات الستة) .

* * *

وقد سبق أن أثبتنا تاريخياً أن قابوس وشهريار كانا بخراسان من سنة ٣٧١ إلى حلول سنة ٣٨٨ هـ . يكافحان فى سبيل استرداد ملكهما من يد للبويهيين وأن شهريار تمرد على قابوس بعد أن تم لهما الأمر فقبض عليه قابوس وقتله فى محبسه ، فإذا صح ما نقله نلدكه عن مقدمة بايسنقر من لقاء الفردوسى لقابوس وعرفنا ما كان بين قابوس ومحمود من صلات طيبة وطيدة وقابلنا بين رواية چهار مقاله ورواية مقدمة بايسنقر على ضوء التحقيق التاريخى المتقدم كان الأولى بالقبول والأقرب إلى الصواب أن الشاعر التقى فى طبرستان بقابوس لا بشهريار وكان هذا اللقاء بعد سفره إلى العراق وخان لنجان لا بعد فراره من محمود سنة ٣٨٤ هـ . حيث كان قابوس وشهريار كلاهما ما يزالان فى خراسان ، وكان حدسنا تقديم الفردوسى مخطوطاً من الشاهنامة مؤرخاً بعام ٤٠٠ هـ . لقابوس دون ذكر اسمه فيه حرصاً على رضاء السلطان محمود حدساً معقولاً ويزيده إلى العقل قرباً بقاء قابوس على قيد الحياة إلى عام ٤٠٣ هـ . ١٠١٢ م . ورضاء محمود عن الشاعر آخر الأمر .

ولكنا نخرج مما ذهب إليه مول Mohl فى مقدمته للشاهنامة ونلدكه فى كتابه (حماسهٔ ملى إيران) وفى إثرهما تقى زاده بمقاله فى (هزارهٔ فردوسى) وذبيح الله صفا فى (حماسه سرائى در إيران) بأن الفردوسى أتم الشاهنامة على الصورة التى بين أيدينا عام ٤٠٠ هـ. وقدمها لمحمود بغزنة هذا العام أو بعده بقليل وأن كلا من عامى ٣٨٤ ، ٣٨٩ هـ. تأريخ للفراغ من نسخة ناقصة منها أو تأريخ للانتهاء إلى غاية وقف الشاعر عندها فى ملحمته، كما عللوا أقوال الشاعر المختلفة فى تحديد سنه بأن كلاً منها يعين عمره عقب الانتهاء من نظم قصة أو مرحلة من الشاهنامة.

ويبدو أن المقدمة التى ساقتهم إلى هذه النتيجة هى حكاية چهار مقاله والأبيات التى يقول فيها الفردوسى إنه سعى فى الحصول على نسخة من شاهنامة أبى منصور بعد مقتل الدقيقى المتوفى بين سنتى ٣٦٥، ٣٧٠هـ(*). — على اختلاف فى الحدس والتخمين — وأنه نظمها فى ٣٠ سنة أو ٣٥ سنة وعلى ذلك يكون انتهى منها سنة ٤٠٠هـ. كما جاء فى ختام إحدى النسخ أو حوالى هذا التاريخ، وقد روى صاحب چهار مقاله فى حكايته عن الفردوسى أنه ذهب إلى غزنة وكان بينه وبين محمود ما مر ذكره. وسبق لنا مناقشة هذه الحكاية وتبينا بعدها عن الصواب فى عدة مواضع منها. ولو أخذوا بهذا النص الصريح الذى قدمه لنا البندارى فى ختام ترجمته العربية التى تعد — كما يقول تقى زاده — بمثابة نسخة من الشاهنامة كتبت فى القرن السادس الهجرى[1] وعادوا بذاكرتهم إلى ما قرروه من قبل فى بداية بحثهم من أن شاهنامة أبى منصور التى كان ينظمها الدقيقى لم تكن المصدر الوحيد لشاهنامة الفردوسى وأنه أفاد من شاهنامة أبى المؤيد البلخى ومصادر مكتوبة وروايات شفاهية أخرى، وأن الفردوسى كان يعالج نظم القصص قبل تاريخ شروعه فى إكمال نظم كتاب الدقيقى[2]، لما احتاجوا إلى بذل كل هذا الجهد الذى يبهر الأنفاس جرياً وراء الحدسيات والفروض فى طريق وعر طويل ولاهتدوا إلى حل آخر أدنى إلى الحقيقة واليقين من طريق مختصر ميسور.

(*) أثبتنا أن الدقيقى قتل سنة ٣٦٤ هـ. « ص١٦٢ من هذا الكتاب ».

(١) هزارهٔ فردوسى ص ٧٠.

(٢) نلدكه حماسهٔ ملى إيران ص ٤٤.

ومع هذا يجب التسليم بأن تعليلهم هذه الأعمار المختلفة التى ذكرها الشاعر بأن كل عمر منها يمثل سنه وقت انتهائه من جزء من الشاهنامة أو نظم قصة منها تعليل منطقى سليم ، ولكن سلامة هذا المنطق لا تعفينا من نقاشه وعرضه على محك التحقيق العلمى :

تتبع نلدكه هذه الأعمار المختلفة فى الشاهنامة ، ويمكن عرضها مرتبة تصاعدياً على النحو التالى :

٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٦ .

ويرى أنه انتهى من نظم الشاهنامة فى السادسة والسبعين[1] .

ويوجد فى ختام إحدى النسخ هذه الأبيات الثلاثة :

كنون عمر نزديك هشتاد شد — اميدم بيك باره برباد شد
سر آمد كنون قصهٔ يزد*كرد — بماه سفندارمذ روز ارد
زهجرت شده پنج هشتاد بار — كه*كفتم من اين نامهٔ شهريار[2]

* * *

ومعناها :

ناهز العمر الثمانين وذهب أملى دفعة أدراج الرياح .

وانتهت الآن قصة يزد*كرد فى شهر سفندارمذ يوم أرد .

وقد خلت أربعمائة من الهجرة حينما نظمت كتاب الملوك هذا .

* * *

ومنها نرى أن الشاعر وقت فراغه من هذه النسخة كان قد شارف الثمانين ، واستناداً إلى تصريح الشاعر فى خاتمة الشاهنامة المعربة بأن عمره ٦٥ سنة يمكن القول معهم بأن هذه الأعمار قبل الخامسة والستين كانت تحدد سنه وقت بلوغه مرحلة معينة من الكتاب وقف عندها يتأمل ما أنجز وما تبقى منه ويستجمع همته وجهده للفراغ من هذا العمل الشاق وهى حالة نفسية تستولى على كل منا أثناء وقرب الانتهاء من عمل يتطلب النهوض به جلداً وجهداً كبيراً .

---

(١) نفس المصدر ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) شاهنامه جـ ٩ ص ٣٠١٧ طبعة روخيم .

أما السادسة والستون فيمكن القول بأنها تمثل عمره وقد أعد كتابه ومدائحه للقاء محمود ، وكذلك السبعون والحادية والسبعون — مع تسامح يسير — تحدد ان عمره وقت فراغه من النسخة التى قدمها إلى أمير خانلنجان ، والفرق بينها وبين سنه الأولى خمس سنوات هى عين الفرق بين الثلاثين والخمس والثلاثين سنة التى صرح الشاعر بأنه قضاها فى نظم الكتاب .

وبلوغ الشاعر السادسة والسبعين واقترابه من الثمانين يؤرخان عمره عند تجديد النظر فى كتابه أوعند الانتهاء من نسخ مخطوط منه ليقدمه لأمير من الأمراء قد يكون قابوس بن وشمكير* إن صحت هذه الرواية .

والفرق بين عام ٣٨٩ ﻫ . الذى يعين تاريخ انتهائه من المخطوط الذى قدمه لأمير خانلنجان وعام ٤٠٠ ﻫ . الذى يؤرخ لانتهائه من هذه النسخة التى يحتمل أن يكون قدمها لقابوس فأشار عليه بإبقائها باسم محمود ، هو عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة ، فإذا كانت سنه عند تقديم نسخة من الكتاب لأحمد بن محمد بن أبى بكر الخانلنجانى سبعين أو إحدى وسبعين سنة وسنه عند الفراغ من هذه النسخة تقرب من الثمانين كان الفرق بين السنين هو نفس الفرق بين تاريخى الانتهاء من النسختين (٣٨٩ ، ٤٠٠ ﻫ .) .

وكل هذه النتائج تؤيد مرة أخرى صواب استنادنا إلى خاتمة الشاهنامة المعربة فى تأريخنا لنظم ملحمة الملوك .

* * *

عدة أبيات الشاهنامة :

بقى لنا أن نعرف كم عدد أبيات هذه الملحمة ؟ يقول الفردوسى إنها ستون ألف بيت ويرى نلدكه أن الشاعر متسامح وليس دقيقاً فى ذكر الأعداد ويحدس أنه حذف كسور الألف وبالغ فى عدد الأبيات وأن أبيات الشاهنامة لا تتجاوز الخمسين ألفاً ، ويذكر أنه يعرف أكثر من أربعين نسخة منها ، من بينها نسخة واحدة فقط — وهى التى كانت مرجع لومسدن — عدد أبياتها ٦٢٦ , ٦١ بيتاً يدخل فى مجموعها ٣٧٠٠ بيت تكون منظومة « برزونامه » وهى ليست للفردوسى

وملحقة بهذه النسخة ، أما عدد أبيات النسخ الأخرى فيتراوح بين ٨٥١ , ٣٩ ٦٨٥ , ٥٦ بيتا [1] .

ولدى أثناء كتابة هذا البحث نسختان من الشاهنامة إحداهما طبعة بروخيم وبها ٧٥٠ , ٥٦ بيتاً والأخرى طبعة خاور وعدد أبياتها ٦٥٤ , ٦٠ بيتاً . وأكبر الظن أن هذا التفاوت الكبير فى عدد أبيات نسخ الكتاب راجع إلى تصرف الناسخين وعدم الأمانة فى النقل .

خلاصة قصة الشاهنامة

مما تقدم تتلخص قصة الشاهنامة فى أنه فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى وجه أهل خراسان وأمراؤها همتهم إلى جمع أخبار ملوك إيران وتاريخهم فاجتمعت لهم أسفار عرفت فيما بعد باسم «شاهنامه» أو كتاب الملوك، وكان أكثر هذه الكتب ذيوعاً وشهرة شاهنامة أبى المؤيد الشاعر البلخى وشاهنامة أبى منصور والى طوس . ويبدو أن ثانيتهما كانت أجمع وأوفى من أولاهما ، وأقبل الناس على هذه الكتب أيما إقبال وصارت مادة للسمر والشعر على السواء ، وفى حدود عام تسعة عشر وثلثمائة من الهجرة فى قرية (باز*) من قرى (طبران) إحدى مدينتى طوس ، أهل وليد فى بيت أحد فلاحيها لم يبلغ أشده حتى ظهرت عليه مخايل الشاعرية ، وداعب خياله قصص الملوك والأبطال فراض طبعه على نظمه ، ولما ناهز الخامسة والثلاثين عام أربعة وخمسين وثلثمائة هجرية إذا به شاعر ناضج طموح سول له شيطان شعره أن ينظم ملحمة كبرى للملوك والأبطال فاندفع بحماس فى هذا الطريق وعمد إلى نظم شاهنامة أبى المؤيد البلخى ، وأكبر الظن أنه لم يكن بادئ الأمر يقدر حق التقدير الجهد والعمر اللازمين للنهوض بمثل هذا العمل الجسيم فما شرع فى نظم هذا الكتاب وقطع فيه شوطاً حتى وجد نفسه أمام سيل جارف من قصص الأبطال والملوك يجرى على ألسنة الناس ويطمئن بعضه فى ثنايا الكتب ، فكان يغترف من هذا وذاك ما يكمل به نقص المصدر الذى بين يديه ، وكان أبو منصور محمد بن أحمد

---

(١) حماسه‌ سرائى در إيران ص ١٣١ ، ١٣٢ .

الدقيقى شاعر بلاط السامانيين أيام منصور «الأول» بن نوح (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ .) مشغولاً كذلك بنظم شاهنامة أبى منصور ، ولكنه قتل بعد قليل على يد غلام تركى مخلفاً وراءه قصة (*كشتاسپ وأرجاسپ) فى ألف بيت .

فلما علم بذلك شد رحاله إلى بخارى عاصمة بنى سامان ليحصل على الكتاب الذى كان ينظمه الدقيقى فلم يوفق ، وجد فى البحث عن نسخة منه فى كل مكان إلى أن تحققت أمنيته على يد صديق حميم من أهل بلده فسر بذلك غاية السرور ، ولكن موت الدقيقى وبعد الشقة – وقد وضحت لعينيه – وتقدم الأيام به ، كل ذلك جعله تحت تأثير خوف دائم من أن تنقضى مدته دون أداء الرسالة التى وقف حياته عليها ، فمضى فى طريقه قدماً لا يلوى على شىء ، وصرفه انصرافه الكلى إلى نظم كتاب الملوك عن تدبير أمر معاشه فاحتاج إلى راع يكفيه عوز الفاقة وييسر له الفراغ لما كرس وجوده له ، فكان أول رعاته أمير لم يصرح الشاعر باسمه وإن تغنى بمدحه وذكر مآثره عليه ، ولكن سرعان ما ذهبت به الحوادث فلم يوقف له على أثر حيًّا كان أو ميتاً ، فرثاه الشاعر وبكاه فى لوعة وحسرة هصرتا قلبه وأجرتا دمعه مزيجاً بدمه ، ويؤخذ من عنوان أبيات الشاعر هذه فى بعض نسخ الشاهنامة أن هذا الأمير منصور بن محمد ، هيض جناح شاعرنا بموت راعيه وكان كتابه بلغ من الشهرة حداً جعل عظماء بلده وعلماءها يهرعون إلى نقل واستنساخ ما نظم ولا ينال منهم غير كلمة أحسنت التى انشقت منها مرارته ولم تغن عنه من المسغبة والخصاصة شيئاً ، ولكن العناية هيأت له راعيين آخرين ، أحدهما أبو دلف على الديلمى من كبراء المدينة وحُيَىّ بن قتيبة والى طوس ، فحسن حاله وعاش فى خفض من العيش مكن له من المضى إلى غايته ، ولكن الخوف من الموت دون بلوغ الغاية كان يساوره من وقت لآخر فنراه كلما فرغ من نظم شطر من الكتاب يقف محصياً ما فات من عمره فيقول مضت ثمان وخمسون سنة ، ستون ، ثلاث وستون ، خمس وستون !

وفى الخامسة والستين فرغ من نظم ملحمة الملوك وأحس الحاجة إلى جنى ثمرة جهد ثلاثين عاماً آخرها عام أربعة وثمانين وثلثمائة هجرية .

وصادف ذلك تولى محمود الغزنوى إمرة نيسابور وجيش خراسان من قِبَل السامانيين ، وكان وزيره آنئذ أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرائينى ، وقد جعل هذا الوزير الفارسية لغة البلاط إما تحمساً لها أو لقرب غوره فى لغة العرب ، فابتغى الشاعر إليه الوسيلة ومدحه أملاً فى إبلاغه باب محمود ، ونثر در مديحه للأمير فى غضون كتاب الملوك وحواشيه حتى ليخيل لقارئه أن الكتاب نظم بادئ بدء من أجله ، ولكن خصوم الوزير من رجال الحاشية كانوا يفسدون عليه عمله بالوشاية ، فأشاعوا لدى محمود أن الشاعر الذى قدمه شيعى غال فى تشيعه ومعتزلى وقد أسرف فى تقديم بنى قومه على سائر الأقوام والأمم ، وكان الأمير شابًّا متعصباً لدينه وعنصره ثملاً بنشوة الشباب وسورة الملك الطارف الجديد موجهاً همه وهمته نحو التوسع والفتح فأثرت فيه الوشاية ولم يأبه بكتاب الملوك وقال ليس فيه غير رستم وفى جيشى ألف كرستم ، وأمر له بصلة لقاء مدحه ، فقبل الشاعر الأرض بين يديه وقال : أطال الله بقاء الأمير ! لم أكن أعرف أن فى جيشه ألفاً كرستم ، وإنى لأعلم أن الله لم يخلق مثل رستم بعد ، قال هذا وانصرف ، فأحفظ الأمير هذا الجواب وخرج الشاعر من لديه حانقاً ناقماً ولم يصله من صلة محمود غير عشرين ألف درهم أظهر شاعرنا عدم اكتراثه بها كما استخف الأمير بثمرة ثلاثين عاماً من عمره ، فقسمها هزوا بين حمامى وفقاعى ، فزاد ذلك فى حفيظة محمود وأشير عليه بقتله ولكن الشاعر كان قد غادر المدينة على جناح ليل أسحم فلم يدركه الطلب .

وانحدر إلى الجنوب ميمماً بغداد ، وكان الموفق عاملاً لبهاء الدولة البويهى عليها فمدحه كما مدح أمير العراق البويهى ، ويبدو أن العراق لم تكن بيئة صالحة لكتاب ملوك الفرس أو لم يكن بنو بويه فى حاجة إلى عصبية فارسية بعد وقد أصبح الأمر والخليفة على السواء فى قبضتهم ، فأشار عليه الموفق بنظم قصة يوسف وزليخا فى ثوب جديد وكان قد نظمها قبله أبو المؤيد والبختيارى ، وجد الشاعر فى نظم القصة أملا فى أن يقدمه الموفق إلى بهاء الدولة بعد نظمها فيظفر بصلة تعوضه ما فاته فى نظم الشاهنامة ، وأبدى فى مقدمة هذه القصة أسفه على العمر المضيع فى نظم تلك الملحمة وسأمه من نظم سير الأبطال والملوك ، ولكن أوضاع العراق لم تكن مستقرة ، فما فرغ من نظمها أو كاد حتى كان الخلاف قد دب بين الموفق وبهاء

الدولة ، فهرب الموفق من بغداد إلى البطيحة بما غل من أموال فى حدود عام ٣٨٦ هـ — ٩٩٦ م .

وضاقت بغداد والعراق بالشاعر الشريد واتجه بأنظاره كل صوب واتجاه يبحث عن منجى ومعتصم له من هذه الفتن ، فيمم رحاب أحمد بن محمد بن أبى بكر أمير خان لنجان قرب إصفهان ، وقد بلغها فى حالة رثة تنبى عن خروجه من بغداد محروماً كما خرج من قبل من نيسابور .

وقد أفسح له هذا الأمير فى جنابه وغمره ببره وألطافه ودفع عنه كيد شانئيه وحساده كما أحبه ابن الأمير وبالغ فى حدبه عليه ، فحبب إليه كل ذلك الإقامة بخانلنجان وأطال بها المقام فارغ البال ولكنه لم يفرغ من أمر كتابه بعد، فعاد إليه يجوده ويقدم ويؤخر فيه وينمق منه نسخة يقدمها لأميره وفاء بشكر أنعمه عليه وختمها بمديح يفيض عرفاناً بأياديه وثناء على ولده الذى أنجاه من الموت غرقاً فى نهر « زاينده رود » حين خرج مع القوم ذات يوم يشاركهم البهجة بمقدم الربيع ، وأرخها بعام تسع وثمانين وثلثمائة هجرية بالغاً من العمر زهاء سبعين عاماً .

وشط النوى بالشاعر وطال اغترابه عن دياره وزاد حنينه إلى موطنه وأول أرض مس جلده أديمها ، وهاج شوقه إلى ابنته التى لم يبق له سواها بعد فقده ولده بالغاً السابعة والثلاثين مودعاً دنياه فى ربيع الحياة تاركاً أباه الشيخ يعانى لوعة الحزن فى خريف عمره .

ولكن كيف السبيل إلى طوس والعيش فى ظل سلطان يطلب دمه ويهدده بسحقه تحت أقدام الفيلة ؟ فكر ودبر وأطال الفكر والتدبير فانتهى به الرأى إلى مغالبة هوى طوس وطبران، وشد الرحال إلى ساحة قابوس بن وشمكير بطبرستان وقد حفل ناديه بأهل الفضل والأدب وازدحم ببابه الشعراء ، وأعد نسخة من كتاب الملوك فرغ من صقلها وتدبيجها قرابة سنة أربعمائة هجرية وقد تقدمت به خطى العمر نحو الثمانين وعزم على تقديمها لأمير مازندران الذى يرقى بنسبه إلى بنى ساسان علّه يظفر بصلة مجزية لقاء ما بذل من الجهد وقاسى من الاغتراب والحرمان ، وزاد

على ذلك هجاء مقذعاً لمحمود الذى حرمه وشرده ، وزيادة فى التقرب من قابوس عرض عليه نقل الكتاب من اسم محمود إلى اسمه .

ولكن قابوس كان فوق فضله وأدبه وبره بالشعراء والعلماء عاقلاً أريباً تربطه بمحمود روابط التبعية والولاء ، فنصح الشاعر بإبقاء الكتاب على حاله والعدول عن هذا الهجاء واشتراه منه بمائة ألف درهم والتمس المعاذير لسلطانه ومنى الشاعر برضاه عنه والشفاعة له عنده وتمهيد أسباب عودته إلى أهله وعشيرته ، وكان وزير السلطان آنذاك أحمد بن حسن الميمندى الذى أعان قابوس على إنجاح أمر الشاعر لدى السلطان فعاد بين سنتى ٤٠١ ، ٤٠٣ هـ. (١٠١٠،١٠١٢م.) إلى الأرض التى كانت مهبطه من جنة الغيب ليتم على ظهرها رحلته إلى نهاية كل حى .

وصرح شاعرنا بأن ملحمته بلغت ستين ألف بيت ضمنها ما نظمه الدقيقى ولكن النسخ التى بين أيدينا — وقد رجع نلدكه إلى أربعين منها — تتراوح أبياتها بين ٨٥١ , ٣٩ و ٢٦٦ ,٦١ بيتاً ولدى نسختان منها تبلغ أبيات إحداهما ٥٦,٧٥٠ بيتاً والأخرى ٦٥٤ , ٦٠ بيتا .

ويبدو أن مساعى الوزير لدى السلطان لم تقف عند الشفاعة للشاعر بل كان يذكره من وقت لآخر بما بذل من جهد وضيع من عمر ولقى من حرمان ، حتى لانت عريكة محمود آخر الأمر ودرت سحائب كرمه ، فأمر له بصلة كبيرة لم تصل إلى طوس من باب حتى كان نعشه يغادرها من باب آخر فى طريقه إلى مقره الأخير حيث ووري جثمانه فى بستان له عام ٤١١ أو ٤١٦ هـ. (١٠٢٠ ، ١٠٢٥ م.) بعد أن رفض واعظ طبران دفنه بمقابر المسلمين لأنه فى زعمه رافضى فدفن طريداً كما عاش شريداً ، وترك لأمته مجداً أدبياً خالداً تباهى به الأمم ، وهى مع هذا تجهل أو تنسى حقيقة اسم مورثها هذا المجد واسم أبيه ، ويدعى المتأخرون فى كتبهم أن اسمه حسن أو أحمد أو منصور كما يسمون أباه علياً وإسحق بن شرفشاه وأحمد بن فرخ[1] . ولكن الاسم الذى كلفه حياته الفانية وخطه بيده على صفحة الخلود ولم تقو يد الزمان على محو حرف واحد منه هو : أبو القاسم الفردوسى .

---

(١) هزاره فردوسى ص ٦٤ .

موضوع الشاهنامة

فى حديثى عن القصة الفارسية المتسمة بطابع الأصالة ألممت إلمامة عابرة بالقصة المعاصرة استطعت بها إبراز الجوانب التى ينماز بها قصص الفرس من قصصنا المعاصر ، وأحس الآن وأنا أعالج موضوع الشاهنامة أنى فى حاجة إلى وقفة قصيرة إزاء ملحمتى هومير — الإلياذة والأوديسة — أستعين بها على جلاء موضوع ملحمة الفردوسى .

الإلياذة والأوديسة

إلياذة تعريب للاسم اليونانى « ايلياس » Ilias — أو إليادوس Iliados وهو مشتق من إيليون Ilion — أحد أسماء مدينة « تروا Troie أو طروادة كما تسمى بالعربية ، وكانت مدينة صغيرة بآسيا الصغرى يقال لها كذلك « پرجام » Pergam وقد عثر المنقبون على آثار هذه المدينة فى قرية صغيرة بتركية تسمى « حصار ليغ » .

ومحور القصة محاصرة اليونان لمدينة طروادة عشر سنوات وفتحها فى النهاية بالحيلة . وتنقسم الملحمة إلى أربع وعشرين منظومة تسمى كل منها « إيليادوس » فسميت كلها بهذا الاسم ، وتسمى فى بعض اللغات الأوروبية « إيلياد » وكذلك تنطق بالفارسية .

أما الملحمة الثانية فتسمى باليونانية ادوسئوس Odesseur وتنطق عند بعض الأوروبيين « أديسه » Odyssée وأكثر الإيرانيين ينطقونها كذلك ، وقطب رحاها البطل اليونانى العائد من حروب طراودة « أوديسيوس » وما استهدف له فى عودته إلى وطنه من شدائد لغضب بعض آلهة اليونان عليه ؛ وهى بدورها منقسمة إلى أربعة وعشرين نشيداً كالإلياذة .

وخلاصة الإلياذة أنه كان على الشاطىء الآسيوى لبلاد اليونان تل يشرف على نهر سكاماندر Scamandre وقد بنيت فوقه مدينة الحصينة تفيض بالنعيم والقوة

ويحيط بها سور منيع من صنع الآلهة وتسمى طروادة ، وكان عليها ملك اسمه بريام رزق خمسين ولداً يسمى أشجعهم هكتور وأجملهم باريس .

وقد دلت التنبؤات على أن باريس سيكون شؤماً على أبيه ، فأمر بأن يحمل إلى برية على مقربة من جبل (إيدا) ويترك هنالك ، ولكن الآلهة أحاطته برعايتها وحرسته فلما شب اشتغل بالرعى ، وبينا كان يرعى قطيعه عرض له ثلاث من آلهة اليونان هن : هرا Héra وأتنه Athenée وأفروديت Aphrodite وسألنه أيهن أجمل فقضى لأفروديت فغضب عليه الأخريان وانقلبتا عدوتين لطروادة .

وكان منلاس Ménélas ملك اسپارطة زوجاً لهلن Hélène أجمل نساء يونان .

وفد باريس على إسپارطة فأحسن إليه أهلها أيما إحسان ولكنه قابل إحسانهم باختطاف هلن فى غيبة زوجها منلاس وفر بها مع خزائن الملك إلى طروادة ، فصمم أجا ممنون ملك ميسن وأقوى ملوك اليونان على استرداد زوج أخيه بالقوة واستعان ببقية الملوك فجمع مائتى سفينة ومائة ألف رجل تحت قيادة الملوك والأبطال ومن بينهم أوليس ملك إيتاك أكثر الجميع حيلة ودهاء وفصاحة ، وأخيل ملك الميرميدون أشجع الأبطال وأسرعهم إلى الحرب والقتال .

وقد تنبأوا بأنه لا يمكن فتح طروادة بغير أخيل وأنه سيقتل بعد انتصاره عند سورها ، فالبسته أمه الإلهة تيتس ثياب النساء وأرسلته إلى ملك سيروس فأبقاه بين بناته ، وعرف شعب يونان أين ذهب أخيل فبعثوا إليه بأوليس الداهية فأعمل الحيلة بأن ألقى بدهليز السراى رمحا ومجنا وأمر بأن ينفخ فى البوق بغتة ، فأنزعجت بنات الملك وفررن وحمل أخيل الرمح والمجن وسارع إلى الميدان .

وتجمع الجند فى مرفأ أوليس ولكن ثارت الأعاصير فتنبأ (كالكاس) بأن لآلهة غضبى ولتسكين غضبها يتحتم على أجا ممنون تقديم ابنته «ايفيجينى» Iphigénie قرباناً لها فأذعن ولما هم بذبحها اختطفتها الإلهة آرتميس Artemis وتركت مكانها وَعِلاً أنثى .

وهبط اليونان الشاطئ الآسيوى ولكن جيران طروادة هبوا لنجدتها تحت

قيادة البطل هكتور ابن ملكها پريام وطال حصار المدينة عشر سنوات كانت رحى الحرب خلالها تدور فى الصحراء المجاورة لها ، وانقسم الآلهة بدورهم فريقين ينتصر كل منهم لفريق من المتحاربين ، ونزلوا ساحة المعركة .

وفى إحدى المعارك غنم أخيل امرأة حسناء تدعى « بريزئيس » وهام بها ولكن أجا ممنون عمل على انتزاعها منه ، فغضب أخيل وذهب إلى خيمته وقعد عن نصرة اليونانيين الذين عانوا فى غيبته الكسرة والدبرة على يد هكتور فتعقبهم إلى معسكرهم وهم بإحراق سفنهم دون أن يستطيع واحد من أبطالهم الوقوف أمامه .

ولكن (پاتروكل) صديق أخيل وصاحب خيله ذهب إليه ورجاه أن يهب لنصرة قومه فما استجاب ، وبعد لأى أعار صديقه عدته وسلاحه ، واستطاع پتروكل بهذا أن يصد الطرواديين وينقذ معسكر اليونانيين غير أن هكتور قتله فى النهاية فثار أخيل لمقتل صديقه ولبس الدرع الذى صنعته من أجله الآلهة وكر على جند طروادة وأعمل فيهم القتل ، وقتل هكتور وربط جسده خلف عربته وجره وراءه وطاف به حول أسوار المدينة .

وأقبلت (پانتزيلة) ملكة الأمازون فى جيش من النساء وممنون بن (أورور) على رأس جيش من الزنجبار لنصرة طروادة فقتلهما أخيل ولكن (پاريس) رماه بسهم فأصماه واستطاع اليونانيون الحصول على جثمانه بعد معركة حامية ، فدفنته أمه الإلهة تتيس فى حفل فخم ووهبت درعه لأوليس أشجع الأبطال ، وقد جن (أچاكس) غضباً لهذا وأعمل السيف فى قطيع من الضأن ظنه — وقد أعماه الجنون — أبطال اليونان ، فلما عاد إليه صوابه وتبين ما فعل خجل وأغمد السيف فى جسده . وطلب اليونانيون نصرة (فيلوكونت) الذى معه قوس (هرقل) وسهامه المسمومة فذهب معهم لحرب طروادة ولكن رجله جرحت بأحد سهامه فحمله أصحابه إلى جزيرة لينوس المهجورة وبقى هنالك عشر سنوات فى أتعس حال . وكان يقال بأن فى مدينة طروادة صنماً اسمه (بالاديوم) من صنع الإله (زئوس) لا يمكن فتح المدينة ما دام فيها فاحتال أوليس ودخل طروادة فى صورة شحاذ وسرق الصنم .

وأشارت الإلهة أثنه على اليونانيين بعمل حصان خشبى كبير أجوف يدخلون

فيه نفراً من أشجع أبطالهم ومن بينهم أوليس ومنلاس و (نئوپتولم) بن أخيل ، ففعلوا ثم أحرقوا خيامهم وركبوا سفنهم ونشروا أشرعتها متظاهرين بنكوصهم عن حصار طروادة . وقد خدع بهذا الطرواديون ورأوا فى الحصان طرفة عجيبة خلفها وراءه العدو الراحل المدحور ، ولم يدروا ما يصنعون به فوكز (لاكوئون) جنب الحصان بزج رمحه وأدرك من صوت الضربة أنه أجوف وفطن إلى الحيلة ونصح قومه بالحيطة ،وفى أثناء ذلك خرج من البحر ثعبانان هائلان بعث بهما الآلهة المعادون لطروادة فأخذا (لاكوئون) وولديه وخنقاهم ، ولم تكن أبواب المدينة تتسع لدخول الحصان ، فعمد الطرواديون إلى السور وفتحوا فيه ثغرة لإدخاله وعرضه على قومهم كغنيمة حرب ودليل انتصار . وكان جند اليونان مختبئين خلف جزيرة (تندوس) يرقبون انطلاء حيلتهم على عدوهم فاهتبلوا الفرصة ونزلوا إلى البر ودخلوا المدينة من تلك الثغرة ونهبوها وحرقوها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها ، فكانت (كاساندر) ابنة (پريام) التى تنبأت بسقوط طروادة من نصيب (أجا ممنون) وأختها (پوليكس) من قرعة (أخيل) المقتول فذبحت على قبره وأخذ (أوليس) (هكوب) أرملة (پريام) وأعطيت (آندرو ماك) أرملة (هكتور) لنئوپتولم وألقوا (آستياناكس) طفل هكتور من أعلى السور .

عودة الأبطال

وقد لقى أبطال إسپارطة فى عودتهم إلى أوطانهم متاعب كثيرة ولاقوا أهوالا جمة بسبب عداء فريق الآلهة الذين كانوا يناصرون أهل طروادة ، ولكن قصة عودة البطل (أوليس) كانت أهم قصص الأبطال العائدين فأفرد لها هومير منظومة خاصة هى :

الأوديسة

حملت الأعاصير سفن أوليس إلى شواطئ أرض (اللوتوفاز*) وكان بتلك الأرض ثمار يسمونها الكنار تفقد آكلها ذكريات ماضيه فأكل منها جماعة من أصحاب أوليس فنسوا أوطانهم ولم يرغبوا فى التحول عن تلك الأرض، فلم ير بداً

من حملهم بالقوة وشد وثاقهم إلى أماكنهم بالسفين ، وواصل السير إلى جزيرة ملأى بقطعان الماشية يقطنها (السكالبة) وهم من مردة الغيلان المقدسة لكل منهم عين واحدة فى وسط جبهته ، فهبطها مع جماعة من رجال إحدى سفنه ودخلوا غار (سكلوب) اسمه (پوليفم) فلما عاد الغول بقطيعه إلى الغار سد بابه بصخرة كبيرة وأخذ اثنين من أصحاب أوليس وسحقهما تحت تلك الصخرة والتهمهما ، وفى صباح اليوم التالى أكل رجلين آخرين وخرج وسد باب الغار بالصخرة ولما عاد فى المساء شرب (أوليس) من خمر كانت معه وسقى منها الغول فسكر واستغرق فى سبات عميق ، وعمد أوليس وأصحابه إلى وتد من خشب أخضر سخنوه فى النار وأدخلوه فى عين الغول فعمى وجلس عند مدخل الغار ليحول دون خروجهم ولكنه حين أراد إخراج قطيعه زحف أوليس وأصحابه تحت بطون الغنم وألصقوا أنفسهم بأصوافها وبهذا استطاعوا الخروج من غار (پوليفم) [1] .

ثم وصلت السفن بهم إلى جزيرة (أثول) إله الرياح فأعطى أوليس قربة عظيمة حبس فيها الرياح العاتية وأوصاه بعدم فتحها ، ولكن أصحابه ظنوا أن بها كنزاً خبيئاً وفتحوها فانطلقت الرياح وعصفت بسفنهم إلى جزيرة (اللستريـ*كون) وهم غيلان من أكلة البشر فحطموا جميع السفن بالحجارة عدا سفينة (أوليس) فرحل بها إلى جزيرة (سيرسه) وهى امرأة ساحرة فأعطت أصحابه شراباً مسحوراً حولهم إلى صورة الخنازير ولكن أوليس بفضل نبات مسحور أرشده إليه الإله (هرمس) أبطل سحرها وأرغمها على رد أصحابه إلى الصورة الآدمية ، وبعد أن أقام عاماً لدى هذه الساحرة اتجه إلى المغرب وذهب إلى أرض حالكة الظلام حيث يقيم الموتى ليرى العراف (تيزياس) ومر فى عودته بمحاذاة أرض (السيرين) وهى شياطين لها رءوس فتيات جميلات يقمن فى خمائل على مقربة من الشاطئ ويغنين فيجتذبن المسافرين ويفتكن بهم ولكن أوليس سد آذان أصحابه بالشمع وحملهم على شد وثاقه بسارية السفينة ليأمن هؤلاء السحرة ، ثم اجتازوا مضيقاً بين صخرتين غلب على كل من جانبيه مارد جبار أحدهما (كاريبد) الذى يبتلع ماء البحر ثم يطلقه من جوفه بدوى مرعب والآخر (سيلان) الذى له اثنتا عشرة يداً وستة أعناق يتصل بكل

---

(١) قصة هذا الغول شبيهة فى جملتها بقصة غول السندباد فى سفرته الثالثة .

منها رأس كبير به فم واسع بداخله ثلاثة صفوف من الأسنان ، وفى النهاية وصلوا إلى جزيرة ترعى بها قطعان كبيرة من البقر تملكها الشمس ، وقد ذبح أصحاب أوليس من هذه الأبقار رغم تحذيره لهم من أن يقربوها فحنقت عليهم الشمس وسلطت عليهم عاصفة حطمت السفينة وأغرقتهم جميعاً عدا أوليس الذى تسلق ساريتها فنجا ووصل بعد عشرة أيام إلى جزيرة للإلهة (كاليپسو) فدعته إلى نفسها وتعلق به قلبها وعرضت عليه أن تمنحه الخلود مقابل بقائه عندها ولكنه لم يرض بوطنه بديلا فقسرته على البقاء فى غارها سبع سنوات وأخيراً أمرها الإله (زئوس) أن تطلق سراحه فصنع أوليس طوفاً وركبه ولكن الرياح عصفت به فوصل سابحاً إلى جزيرة (الفئاسين) فأكرمه ملك الجزيرة وزوده بالسفن التى حملته إلى مولده (إيتاك) ، وقد انقضت عشرون عاماً منذ فارق هذا المكان ، هرم أثناءها أبوه (لائرت) وغادر المدينة وشنقت أمه نفسها حزناً على فراقه وصار ابنه (تلماك) الذى تركه طفلاً شاباً عاقلاً شجاعاً وحزنت عليه (پنلوپ) زوجه العفيفة وأغلقت دونها الباب وظنته فى الهالكين . واحتل امراء تلك البلاد قصره وأكلوا ماشيته وغنمه وأرادوا زوجه على أن تختار من بينهم زوجاً ، ولم تكن پنلوب تستطيع أن تصرح برد طلبهم فطلبت إليهم أن يمهلوها حتى تتم نسج قطعة من القماش تجعل منهـــا كفناً ا (لائرت) ، فكانت تنهمك نهاراً فى عملها وتنقض ليلاً ما عملته بالنهار وبهذا لم تنته من نسجها .

ظهر أوليس فى هيئة شحاذ ولم يعرفه غير كلبه الذى مات لساعته لفرط فرحه ، وكانت (پنلوپ) قد أعلنت أن كل من يستطيع توتير القوس الذى كان يرمى عنه أوليس وينفذ السهام من خاتم جعلته غرضاً يكون زوجاً لها فلم يقو أحد على توتير ذلك القوس ، ولكن أوليس فى زى الشحاذ وتره دون عناء وأنفذ السهام فى الخاتم وبعدئذ وقف بالباب وبمعاونة ولده تلماك قضى على أعدائه وكشف عن حقيقته لزوجه وعاد إلى أحضانها [١] .

من هذا نرى أن الإلياذة قصة معركة والأوديسة قصة بطل ، تصور الأولى

(١) اعتمدت فى هذا التلخيص على الترجمة الفارسية للإلياذة والأوديسة بقلم الأستاذ سعيد نفيسى .

قتالاً بين بلدين وأحلافهما من سكان الأرض والسماء وتصور الثانية الشدائد التى خاض غمارها أحد أبطال المعركة فى عودته إلى بلاده ، وكلاهما يتسم بطابع الفردية ، ثارت الحرب فى الإلياذة لأن (باريس) بن ملك طروادة اختطف (هيلين) زوجة ملك إسپارطة وفى أرض العدو يتنحى أخيل عن نصرة اليونانيين لأن أجا ممنون أخا الملك المخطوفة زوجه غصبه سبية يحبها ولا يعود إلى صفوف قومه انتصاراً لهم بل انتقاماً لمقتل صديقه (پاتروكل) ، وبعد انتهاء المعركة يأخذ كل بطل من أبطالها طريقه الخاص ويكون من أمر أوليس بطل الأوديسة وأحد أبطال المعركة العائدين ما أجملناه .

عود إلى موضوع الشاهنامه

الشاهنامة بالقياس إلى ملحمتى هومير مجموعة من الملاحم والقصص المنظوم ضم بعضها إلى بعض فى تسلسل جعل منها تاريخ أمة وليست الإلياذة والأوديسة على شهرتهما بالنسبة إليها إلاقصتين متواضعتين كبيرتى الشبه بإحدى ملاحم الشاهنامة المسماة « هفتخوان اسفنديار » [1] أى العقبات السبع التى اجتازها اسفنديار فى طريقه إلى فتح القلعة الفولاذية « روئين دز * » [2] وتحرير أختيه من إسار صاحبها أرجاسپ الملك التورانى ، بل لعل قصتى هومير هاتين عند المقارنة تجسمان لنا خيال

---

(١) (هفتخوان) معناها الموائد السبع ولعل وجه التسمية جاء من أن البطل كان كلما انتهى من قطع مرحلة من الطريق نزل ومد السماط .

وقد علق الدكتور عبد الوهاب عزام على هذه الكلمة بقوله : (وأظن « خوان » محرف عن « خان » ومعناها المنزل فهى « هفت خان » كما فى الغرر أى سبعة منازل .)

« الشاهنامة تعريب البندارى طبعة عزام ج ١ ص ٣٤١ » ولا أشاركه هذا الرأى فقد رسمت هذه الكلمة فى جميع نسخ الشاهنامة الفارسية — وهى الأصل — (خوان) فليس فى الكلمة تحريف وليس بين كلمة « خان » فى الغرر و « خوان » فى الأصل الفارسى خلاف فهما كلمة واحدة نزل الثعالبى فى كتابتها على حكم قواعد النطق والإملاء العربى لأن الواو فى الكلمة الفارسية « خوان » معدولة تكتب ولا تقرأ .

وقد استعملت كلمة « العقبات » بدل « الموائد » لأنها أكثر انطباقاً على موضوع القصة وملاءمة لسياقها كما هو ظاهر فى تلخيصى لها .

(٢) « روئين » نسبة إلى « روى » ومعناها نوع من الفلزات الصلبة أبيض يميل إلى الزرقة ويصهر مع غيره من المعادن فى الصناعة ، واستعملت كلمة « فولاذية » للمناسبة والوضوح . ويسميها الثعالبى فى غرره « القلعة الصفرية » .

العقل البشرى فى طور من أطوار طفولته الباكرة [١] .

ولتستقيم الموازنة ويصح القياس لا بد من إيراد تلخيص موجز لقصة « هفتخوان اسفنديار » وفتحه « روئين دز* » كما أوجزنا ملحمتى هومير :

هفتخوان اسفنديار

غضب الملك (*كرشاسب) حامى دين زردشت على ولده (اسفنديار) فقيده وحبسه فى إحدى القلاع ودارت بين هذا الملك وبين (أرجاسپ) ملك توران حروب هزم فيها الإيرانيون وقتل من أبناء *كرشاسپ ثمانية وثلاثون فضاقت به الأرض ونفدت أقوات جنده المحصورين فعمدوا إلى ذبح خيولهم يقتاتون بها .

وتنبأ له (جاماسپ) بأن ظفر الإيرانيين وخلاصهم لا يتحققان إلا على يد ولده اسفنديار ، فأمره بالتوجه لساعته إلى ولده فما علم اسفنديار بالحال حتى حطم قيده ونسى ظلم أبيه له وخف إلى نجدة قومه ، ولما بلغ (أرجاسپ) نبأ وصول البطل إلى أبيه بعد شقه الحصار بالسيف وإهلاكه من تصدى له من عسكر التورانيين فكر فى العودة إلى بلاده بما حصل له من الغنائم ولكن *كر*كسار أحد أمراء الصين ثناه عن عزمه ووعده بمبارزة اسفنديار وقتله .

وتلاقى الجمعان فأسر البطل الإيرانى هذا الأمير الصينى وجره بوهقه فى التراب وأمر أصحابه بحمله إلى أبيه (*كشتاسپ) ثم زحف بجميع عسكره على التورانيين فهزمهم وفر (أرجاسپ) وجنوده وعاد اسفنديار بقومه ظافراً وذهب هو وأبوه إلى المعبد وأقاما به سبعة أيام يشكران الله على ما حباهما من نصر مؤزر .

وفى اليوم الثامن جاءوه *بكر*كسار فقال له إن أبقيتنى كنت عبداً لك وأدلك على (روئين دز*) دار الملك (أرجاسپ) ومقر ملكه ومدفن ذخائره ، فأمر اسفنديار

---

(١) المقارنة هنا منصبة على الموضوع دون سواه ، أما شاعرية هومير وعمله الفنى اللذين أكسبا ملحمتيه هذه الشهرة فلا يدخلان فى بحثنا وليس لنا أن نتعرض لها لأننا لا نعرف الإلياذة والأوديسة إلا عن طريق الترجمة كما أن أذواقنا لا تصلح قياساً لتذوق غيرنا من الأمم لآدابها وفنونها وجدير بالذكر كذلك أن نقول إن تلخيصنا هذا تلخيص لموضوع القصة فقط لا عرض للقصة ذاتها بكل مقوماتها الفنية .

برده مقيداً إلى محبسه ، وبعد أن فرغ من تقسيم الأسلاب والغنائم على جنده سأل أباه الإذن له فى قصد ديار أرجاسپ وفتح بلاد الترك وطلب ثأر إخوته المقتولين وتخليص أختيه من السبي ووعده أبوه بالتخلى له عن الملك إن حقق ذلك .

وانتهى اسفنديار فى مسيره إلى مكان ينشعب منه طريقان فنزل به للراحة وأمر بمد السماط وقعد للشراب واستدعى إليه أسيره (*كر*كسار) وسقاه أربعة أقداح وسأله عن أحوال ممالك توران والطرق المفضية إليها ووعده أن يوليه عليها إن صدقه وإلا قتله ومثل به فقال(*كر*كسار) لن تسمع منى غير الصدق فرفع جاماً وشربه على اسم(*كشتاسپ) ودله الأمير الصينى على طرق ثلاثة إلى القلعة يقطع أحدها فى ثلاثة أشهر بين المنازل العامرة والبلاد الآهلة ويقطع الثانى فى شهرين بين المراعى المعشبة والمياه العذبة وليس فيه عمارة ولا قرى ، والثالث يقطع فى أسبوع واحد ولكن تملؤه الذئاب والسباع والثعابين وبه فوق هذا امرأة ساحرة يفوق كيدها كل ما ذكر إلى غير ذلك من مكاره البرية وحرها وزمهريرها ، وفيه مجثم العنقاء الفاتكة ، أما القلعة فرأسها فى السماء وأسها أرسى تحت الماء مليئة بالعتاد والعدة يحف بها واد عميق كثير الماء لا يجتاز بغير السفن وبها الزروع والثمار والأشجار لو أقام بها (أرجاسپ) مائة سنة لا يحتاج لشىء من الخارج .

وصمم اسفنديار على سلوك الطريق الأخير وسأل أسيره ماذا سيلقى فى يومه الأول فأخبره عن ذئبين ذكر وأنثى فى جثة الفيل وقوته ولهما قرون كالأوعال وأضراس كبار وأكتاف غلاظ ، فلما أصبح الصباح ركب سالكاً ذلك الطريق المسمى (هفتخوان) فى جموعه وجنوده ولما اقترب من مكان الذئبين خلف الجند وراءه ورشقهما بسهامه وفرى أديمهما بسيفه واستقبل الشمس ومرغ خده فى التراب شكراً لله ولحق به العسكر فرأوه على تلك الحال ومد لهم السماط ودعى بالشراب وسقى أسيره أقداحاً ثلاثة وسأله عما سيلاقيه فى يومه الثانى فأخبره بوجود أسدين يعترضان طريقه إذا تغيظا وجاشا يحرقان فى الجو منيع العقاب ، ولما أجنهم الليل واصلوا السرى وتقدمهم اسفنديار كما فعل بالأمس فلما ارتفع النهار اعترضه السبعان وكأنهما شواظان من نار ، فبادر أحدهما بسيفه وشقه نصفين وألحق به صاحبه ولحق به قواده وعسكره ونصبوا الخيام وطفق يدعو الله ويشكره ، واستدعى الأسير وعامله

معاملة الأمس وسأله عما هو ملاقيه فى اليوم الثالث فأخبره عن ثعبان يستخرج بنفسه الحوت من البحر ويستنزل العقاب من الجو وعيناه كالنار المشتعلة وكأن بين فكيه حفرة من حفر الجحيم وما بين منكبيه ركن جبل عظيم ، فأمر اسفنديار النجارين فعملوا له عجلة وركبوا فى أطرافها نصالا محددة وصنعوا صندوقاً كبيراً سمروه بها وشدت العجلة إلى فرسين قويين وقعد هو فى الصندوق وساق الفرسين فجريا بالعجلة كالرعد والبرق ، ولما كان الغد دقت الكوسات « الطبول » وترك أخاه على الجيش وتقدم بالعجلة والصندوق فانحدر إليه الثعبان من الجبل وابتلع الفرسين مع الصندوق والعربة فنشبت النصال بفمه وفكيه وتوقفت فى حلقه لا يستطيع ابتلاعها ولا لفظها وأفرغ من فه بحراً من السم الأخضر فخرج اسفنديار من الصندوق وشق دماغ الثعبان بالسيف فتصاعد من سمومه دخان إلى السماء وهلك وخر اسفنديار مغشياً عليه ثم أفاق وطفق يبتهل إلى الله ويشكره على السلامة والظفر وأحضر (*كر*كسار) وسأله ماذا سيلقى فى اليوم الرابع فأخبره عن ساحرة تريه البر بحراً والبحر براً ، فلما كان الغد خلف أخاه على العسكر وأخذ معه المزهر وآنية الشراب وسار حتى بلغ أرضاً شجراء فيها عيون جارية وأزهار زاهرة وحدائق غناء فاستظل بظل شجرة وأخذ يشرب ويغنى فأقبلت عليه الساحرة فى صورة حورية متبرجة فى أحسن زينة فهش لها وسقاها وكان معه سلسلة أتاه بها (زردشت) من الجنة فألقاها على الساحرة وخنقها بها فاستحالت إلى صورة سبع عظيم الخلقة فما أغنى عنها شيئاً وبدت فى صورتها الحقيقية عجوزاً شمطاء شوهاء فى شكل الغول ، فطير رأسها بالسيف ولحق به أصحابه ومعهم الأسير فسقاه وسأله وأخبره بأنه سيلاقى فى يومه الخامس جبلاً شاهقاً يعشش فوقه طائر يسمى العنقاء يطير كأنه جبل سابح فى الهواء إذا رأى على الأرض فيلا انقض عليه واختطفه ومزقه بمناسره وله فرخان يسفان معه إن أسف ويحلقان إذا حلق .

فلما اعتكر الليل ارتحل بجنوده وتابع سراه حتى مطلع الشمس ثم خلف عسكره وراءه وصحب العجلة والصندوق فلما رأتها العنقاء انقضت عليها لتخطفها فنشبت النصال بجناحيها ورجليها ووهنت منها وسقطت على الأرض وانسل اسفنديار من الصندوق ومزقها بسيفه وسجد شكراً لله ولحق به أصحابه وأخبره الأسير بأنه سيصل

فى اليوم السادس إلى مكان يسقط فيه ثلج يغمر الرمح ويهب عليه هواء بارد يمزق بزمهريره لحاء الشجر ويخمد النار فى قلب الحجر ولا تغنى فيه شجاعة أو بأس ثم يلى ذلك برية فى ثلاثين فرسخاً تلتهب من حر الشمس ، رمالها مائرة لا تدب بها نملة ولا يدرج فيها طائر ولا يوجد بها قطرة ماء ولا عشب فإذا ما قطع وراءها أربعين فرسخاً تبدت له قلعة (روئين دز*) وهلع الإيرانيون لسماع قول (*كر*كسار) فغضب اسفنديار وقال لهم إن كنتم مللتم فارجعوا فمالى بكم حاجة ويكفينى أخى وولداى فاعتذروا إليه ووعدوه السمع والطاعة فسار بهم إلى مكان هواؤه كالربيع فخيموا فيه وإذا بالجو يظلم والريح تشتد ويتراكم السحاب ويمض البرق ويجلجل الرعد وانهال عليهم الثلج ثلاثة أيام بلياليها حتى ملأ الأودية والشعاب فلجأوا إلى من لا ملجأ إلا إليه وسألوه كشف الضر مخلصين فسكن الهواء وانجلت السماء وأقاموا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلعت الشمس فأمر بالارتحال وبعد أن ساروا مدة اعترضهم ماء اجتازوه من مخاضة دلهم عليها *كر*كسار وخيموا على الجانب الآخر منه وأحضر اسفنديار أسيره وسأله : إذا تم لى الاستيلاء على مدينة (أرجاسپ) وقتله وسبى نسائه فما يكون موقع ذلك عندك ؟ فضاق صدر الرجل وسفه عليه وشتمه فعلاه بالسيف وألقى بجثته فى البحر وسار عشرة فراسخ وصعد فى بعض الجبال فبدا له عظم القلعة واستعصاء أمرها حين شاهد كثرة رجالها وقوة حصونها ووثاقة أسوارها ، ونظر فإذا بتركيين خرجا بكلابهما للصيد فى سفح الجبل فأسرهما واستخبرهما عن القلعة والطرق المفضية إليها وعدد حاميتها فأخبروه بأن بها ثلاثين ألف فارس وفيها من المؤن والذخائر مالا ينفد فى عشر سنين وبها الكثير من الحبوب المدخرة فى سنابلها ، فقتل الأسيرين وأيقن أن فتح القلعة لا يتم إلا بالحيلة ، فخلا بأخيه وأوصاه باليقظة وبث الطلائع وإقامة رقيب على بعض المراصد فإذا أخبره الرقيب بأنه رأى دخاناً مركوماً بالنهار وناراً عالية بالليل فوق القلعة فليعلم أن ذلك من فعل (اسفنديار) وعليه حينئذ أن يحمل على الأسوار بخيله ورجله ، ثم استدعى الجمال وأمره باعداد مائة راحلة أوقر منها عشراً بالذهب والفضة وخمساً بالجواهر وخمساً بالثياب وأحضر مائة وستين صندوقاً وأقعد فى كل صندوق كمياً فى كامل عدته وسلاحه وحملها على ثمانين راحلة وتزيا بزى التجار وجعل على الجمال عشرين من شجعان رجاله فى

ثياب الجمالين وسار نحو القلعة فلما دنا منها استقبله الناس وأهل الأسواق مستبشرين وسألوه عما معه فقال لهم لا أخبركم عن شيء ما لم أدخل على الملك وأخبره بحالى ثم أبيع لكم ، وحط حموله تحت القلعة وملأ طاساً باللؤلؤ الشاهى وأخذ فرساً وعشرة أثواب ديباج وقدمها للملك وقال له إنى تاجر قدمت بلادك وقصدت بابك لأبيع وأبتاع فى ظلك ، فأمر الملك بأن يعطى داراً فى القلعة ودكاناً أمام الدار وأدخل حموله وحمل منها إلى (أرجاسپ) هدايا من تخوت ثياب الوشى والأطواق والمناطق والقلائد والأساور فأكرمه وأمر الحجاب أن لا يمنعوه من الدخول عليه فى أى وقت أراد ، ولما سأله الملك عن أحوال إيران واسفنديار قال له لقد فارقت البلاد منذ خمسة شهور وسمعت أن خلافاً دب بين اسفنديار وأبيه ويقول جماعة إن اسفنديار يسلك طريق هفتخوان فضحك (أرجاسپ) وقال : إن النسور لا تستطيع أن تطير فى هوائه واستبعد ذلك .

وخرج اسفنديار إلى دكانه وتسمى بخراد . فاجتمع عليه أهل المدينة يشترون ورأى من بينهم أختيه وعرفته إحداهما فأوصاها بالصبر والكتمان ، وبعد أيام دخل على (أرجاسپ) وقال له : أيها الملك إنا لما توسطنا البحر فى مجيئنا عصفت بنا الريح فنذرت لئن أنجانا الله لأقيمن وليمة عظيمة وأرجو أن يشرفنى الملك بحضوره ومعه الأمراء والخاصة ، فأجابه إلى طلبه ، ثم سأل الملك أن يأذن له فى الصعود إلى السور وإيقاد النار لضيق داره فأذن له ، فكاد يطير فرحاً وذبح الخيول والأغنام وأوقد النيران وأنضج الطعام وحضر الملك والأمراء وطعموا وشربوا ولما اعتكر الليل وسكروا أشعل اسفنديار بقية الأحطاب وعلا لهيب النيران وأضاء الجو وأبصره أخوه وجنده فدقوا الكوسات وقصدوا قصد القلعة ، وعلم أرجاسپ بأن عسكراً عظيماً يهاجمون المدينة فتجهز للقائهم ولما التقى الجمعان خارج السور وخلت القلعة من الحراس أخرج اسفنديار رجاله من الصناديق وأطعمهم وسقاهم ووكل بعضهم بباب القلعة ووضع بعضا آخر وسطها وهجم بالباقين على باب أرجاسپ وقتل حراسه وسقط أرجاسپ نفسه قتيلاً ، وأحاط جنود اسفنديار ورجاله من الداخل والخارج بعسكر عدوهم وأعملوا فيهم السيوف وأبادوهم ثم عاد إلى بلاده من طريق هفتخوان كذلك ومعه أختاه وسباياه وأسلابه وغنائمه .

هذه هي خلاصة قصة هفتخوان اسفنديار وفتحه قلعة «روئين دز*» . والقصة جزء من ملحمة بطل الشاهنامة الديني اسفنديار بن الملك* كشتاسپ بن الهراسپ الذي ظهر فى زمانه نبي الفرس زردشت ، وقد نظم الفردوسى هذا الجزء من ملحمة اسفنديار فى ١٤٦٧ بيتاً يتخللها ٦٤ بيتاً فى مدح السلطان محمود وذم الدقيقى، فإذا استبعدنا منها ما نظمه الفردوسى فى مدح محمود وذم سلفه الدقيقى كان عدد أبيات هذا الجزء من الملحمة ١٤٠٣ من أبيات الشاهنامة البالغ عدد أبياتها قرابة الستين ألف بيت .

وقد اخترنا هذه القصة بالذات لوجود وجه شبه كبير بينها وبين ملحمتى هومير فالأوديسه تشبه هفتخوان اسفنديار والإلياذة التى تدور وقائعها حول فتح طروادة تشبه فتح اسفنديار لروئين دز* وليس بين هذه القصة وبين ملحمتى شاعر اليونان من فروق جوهرية سوى هذه الفروق التى تتعلق بالبيئة، فبيئة اليونان بحرية وأحداثها تجرى فى البحر وجزره وعلى ظهور السفن وأحداث القصة الفارسية تجرى فى بيئة برية ، وبطل الأوديسة تقابله فى كل مرحلة من طريقه عقبة يتغلب عليها تذكرنا بتلك العقبات السبع التى تغلب عليها اسفنديار فى طريق هفتخوان ، وكذلك طروادة تفتح بالحيلة التى تتمثل فى الحصان الخشبى وقلعة أرجاسپ « روئين دز* » تفتح بالحيلة أيضاً غير أن اليونان لجأوا إلى الحيلة بعد أن عجزوا عن فتح المدينة بالحرب وبعد حصار يائس دام عشر سنوات ولكن اسفنديار أدرك بداهة استحالة فتح « روئين دز* » بالقوة فلجأ إلى الحيلة من أول الأمر ولم يضيع الوقت فى الحرب والحصار دون جدوى .

وهنالك فرق جوهرى آخر يمكن رده إلى البيئة كذلك هو أن أبطال ملحمتى هومير من سكان الأرض والسماء بينا نرى أبطال قصتنا الفارسية من ساكنى العالم الأرضى وذلك راجع إلى أن بيئة اليونان الوثنية كانت تؤمن بأرباب عديدين لا يختلفون عن بنى البشر فى شىء غير الخلود وفيما عدا هذا يكادون يشبهون الناس فى كل ما ركب بالجبلة البشرية من طباع ونزوات وأهواء بل نرى بينهم وبين أهل الأرض رحماً ماسة فالإلهة تتيس مثلاً أم البطل أخيل . أما القصة الفارسية فتدور أحداثها فى بيئة تؤمن بدين زردشت الداعى إلى عبادة إله واحد هو رب الأرباب وما عداه

جند وأعوان يمتثلون مشيئته ويفعلون ما يؤمرون ، فنرى اسفنديار فى كل مرحلة يتجه إلى هذا الإله الواحد القاهر بالشكر والتضرع والدعاء .

وإذا كانت الملاحم والأساطير مرآة تنعكس فيها العقائد والأفكار والمثل الأخلاقية الماثلة فى الأبطال وما يأتون ويدعون من أفعال فإن الفروق بين أمتى الفرس واليونان فى هذه النواحى تبدو واضحة ناطقة فى القصص الثلاث :

مثار حروب طروادة أعمال أشبه ما تكون بأعمال القراصنة وأمراء إيثاكا ينتهزون غيبة مليكهم ليغصبوا ولده الضعيف ثروة أبيه ويحتلون داره ويتنافسون على غصب زوجة وفية لزوجها الغائب ، ولا تختلف آلهة الميثولوجيا اليونانية عن أهل اليونان فى هذا ، أما أبطال القصة الفارسية فيقاتلون ويقتحمون الأهوال نصرة للعقيدة وذوداً عن الذمار ودفاعاً عن أرض الآباء والأجداد وانتقاماً من المعتدين ، ولكن كلا الأمتين تؤمن بالسحر والسحرة وكائنات خرافية تفوق البشر قوة وقدرة وترى عظمة أبطالها فى التغلب على هذه المخلوقات أو التخلص من كيدها وأذاها بالقوة أو الحيلة .

ومن هذه الأمثلة المختصرة التى سقناها يتبين بجلاء عبث المقايسة والموازنة بين ملحمتى يونان وشاهنامة الفرس وأن المنطقى هو أن تكون المقايسة والموازنة بين هاتين الملحمتين وإحدى ملاحم الشاهنامة العديدة ، وإذا نظرنا إلى الأوديسة نظرة فاحصة لا نرى فيها أكثر من تذييل للإلياذة إذ لا تعدو أن تكون قصة مغامرات بطل من أبطال اليونان فى عودته من حروب طروادة ، أما الشاهنامة فهى سفر ضخم يضم بين دفتيه مجموعة من الملاحم يتخللها وقفات قصيرة للشاعر يفرغ فيها لنفسه يمدح ويرثى ويشكو ويسوق العظات والعبر والحكايات ، ولا يمكن أن ننظر إليها كملحمة واحدة إلا على أساس كونها ملحمة أمة بأسرها تصور فى بدايتها حياة شعب تصويراً أسطورياً يرتكز على أصول بعيدة مجهولة لا تخضع لتحقيق علمى ثم تمزج فى تصويرها بين أطياف الخيال والأوهام وومضات الحقائق الخافتة وتدنو بالصورة رويداً رويداً من أضواء واقعية كاشفة لا تبدد تماماً حلك الأساطير وتنتهى بنا إلى صورة تاريخية روائية واضحة المعالم .

وإذا رجعنا إلى شاهنامة الفردوسي لنزيد هذا الوصف المجمل تحديداً وتفصيلاً نرى الشاعر يبدأ منظومته بمقدمة يسبح فيها الخالق ويمجد العقل ويتحدث عن إيجاد العالم وخلق الناس والشمس والقمر ويمدح النبي وصحبه ثم يثني بالحديث عن جمع الشاهنامة وترجمة موجزة للدقيقي ووضع أس الكتاب ومدح أبي منصور بن محمد والسلطان محمود وتستغرق هذه المقدمة ٢٣٧ بيتاً يشرع بعدها في نظم كتاب الملوك فيعرض أمام أعيننا طليعة الركب الأسطوري لبناة الحضارة ، *كيومرث أول ملوك الفرس وأبا البشر وسيامك وهو شنك* وطهمورث وجمشيد ، ويمثل هذا الشطر من الشاهنامة عصر الملكية الموحدة ، العصر الذي كان يحكم العالم فيه ملك واحد غير منازع يخضع له الإنس والجن والحيوان على السوية ويسوس الناس ويعلمهم ، في هذا العصر لبس الإنسان جلود السباع وعرف النار على يد هوشنك* وأقام أول الأعياد عيد السذق ابتهاجاً بظهورها من ضمير الصخر وقدسها واستخرج المعادن واتخذ الآلات من الحديد وزرع الأرض ودجن الحيوان وكلب الجوارح والسباع وأفاد منها في الصيد ونسج الثياب وتعلم الصناعات الدقيقة فصنع آلات الحرب وصهر الحديد ونسج الدروع واستحدث وسائل الترف وخمر الطين وقطع الأحجار وسخر الجن في البناء وطار على أكتافهم في الهواء وتعلم على يدهم الخط والكتابة واستحدث السفن وركب متن البحار كما عرف الأحجار الكريمة والمعادن الثمينة وزرع الورود والرياحين واستخرج منها العطور وصنع الأدوية من الأعشاب وتعلم التوقيت ، فجعل جمشيد يوم حلول الشمس في برج الحمل عيداً أسماه النوروز وجلس فيه للشراب والطرب والغناء ، وما زال هذا العيد إلى اليوم أكبر أعياد الإيرانيين ، كما عرف ملوك هذا العصر ولاية العهد والوزارة ، *فكيومرث يتخذ من حفيده وليًّا للعهد بدل ابنه سيامك الذي قتله الجني ونرى لطهمورث وزيراً يدبر ملكه ويرشده إلى معالي الأمور . أما الحروب فكانت إلى أول عهد جمشيد تدور بين الإنس والجن فقط وتنتهي بانتصار الآدميين ، وكان الملوك هم الأبطال ، *فكيومرث ينهض لحرب الجني المتمرد الذي قتل ولده سيامك ويثأر لولده المقتول بالقضاء عليه ، ويشق الجن عصا الطاعة على طهمورث فيجرد لهم جيشاً يهزمهم ويوثق بعضهم بالرقى والسحر ويفتدون منه أنفسهم بتعليمه الخط والكتابة والألسنة المختلفة .

وفى مطلع قصة *كيومرث نرى اتصالا بين السماء والأرض يتمثل فى إرسال الله ملكاً إليه يخبره بما بيته الجنى لولده سيامك .

ويبلغ طول هذه الحقبة على رواية الفردوسى ثمانمائة عام حكم منها *كيومرث ثلاثين وهوشنك *أربعين وطهمورث ثلاثين وجمشيد سبعمائة ، ولعلها تمثل عهد المجتمع الآرى الموحد الذى أشرنا إليه فى مطلع هذا البحث عند حديثنا عن الآريين.

ثم يأتى بعد هذا قصة ملك أسطورى عربى يمنى اسمه الضحاك تتلخص فى أن إبليس تبدى له فى صورة ناصح أمين زين له قتل أبيه وكان ملكاً صالحاً متعبداً لينفرد هو بالملك ، فلما تم له ذلك ظهر إبليس مرة أخرى فى هيئة طاه ماهر صناع أعد للضحاك ألواناً شهية من الطعام ، وكان الناس قبل هذا يعيشون على طعام واحد ، فشغف الضحاك بطاهيه وسأله أى أمنية يتمناها ليحققها له ، فلم يطلب الطاهى أكثر من تقبيل منكبى مليكه فما فعل حتى نمت فى منكبى الضحاك أفعيان لا تستأصلان حتى تعودان من جديد ، وحار فى أمرهما الحكماء والأطباء وإذا بإبليس يطرق باب الملك طبيباً مداوياً ويشير عليه بإطعام كل من الحيتين مخ آدمى كل يوم لتهدأ ويستريح من أذاهما ، فيقتل الضحاك فى كل يوم رجلين .

واغتر جمشيد فى آخر أيامه وكفر بخالقه وانحرف عن الصراط السوى فسلط الله عليه الضحاك هذا فانتصر على جمشيد وشقه بالمنشار نصفين وانفرد بالحكم ألف عام كلها ظلم وجور ، ورأى الضحاك فى أخريات أيامه رؤيا تعبيرها أن زوال ملكه سيكون على يد طفل يولد من ذرية جمشيد اسمه أفريدون فيأمر أعوانه بقتل المواليد الذكور ، وهربت أم أفريدون بطفلها وتركته لدى راع ليربيه على لبن بقرة ثم عادت فحملت الطفل إلى ناسك كان يتعبد فى جبل بالهند ، وثار الناس على الضحاك لظلمه وقتله أبناءهم لتقديم أدمغتهم لحيتيه وتزعم الثورة حداد اسمه كاوه اتخذ من جلدة الحداد راية وذهب فى طلب أفريدون وعاد به إلى ملك آبائه فاستراح الناس من ظلم الضحاك ، وجاءت نوبة أفريدون فكانت راية كاوه أول راية كما كان صاحبها أول بطل من صفوف الشعب وكان أفريدون أول ملك شاد ملكه على أكتاف بطل شعبى ، وتوارث ملوك إيران هذه الراية وزينوها بالديباج والجواهر الثمينة وحملوها فى كل حروبهم تيمناً بها وأصبح أول أيام شهر (مهر) وهو

اليوم الذى استولى فيه أفريدون على عرش الضحاك عيداً عرف باسم عيد المهرجان .

وقد أنجب أفريدون من ابنتى جمشيد اللتين كانتا فى قصر الضحاك أبناء ثلاثة هم : سلم وتور وإيرج ، زوجهم من بنات سروا ملك اليمن الثلاث وأشرك أبناءه فى الحكم فخص سلْماً أكبر أولاده ببلاد الروم وبلاد المغرب وما تاخمها ، وتورا ببلاد الصين والترك وما إليها ، وإيرج وهو أصغرهم بممالك العراق وأرض بابل إلى آخر بلاد الهند وجعله ولى عهده ، فحقد عليه أخواه وقتلاه ؛ وحزن أفريدون على ولده وحف به رجال دولته حفاة حاسرى الرءوس وأمر بهدم دار إيرج وإحراق بستانه وجلس للعزاء على عادة الفرس ، وكف بصره لكثرة البكاء وسأل الله أن ينتقم من ولديه . وربى ابنة إيرج من جاريته وزوجها من ابن أخيه پشنك* فولدت منوچهر فسر به أفريدون وأحسن تربيته ورد الله عليه بصره ولما بلغ الصبى أشده حارب عميه وقتلهما انتقاماً لأبيه وتولى الملك بعد جده أفريدون ، ويعتبر عهد منوچهر بداية عصر جديد نستطيع أن نسميه عصر الأبطال ، إذ لم يعد الملوك يعولون على أنفسهم ويتفردون بالقيادة بل نراهم منذ هذا العصر يعتمدون على سواعد أبطالهم فى بناء دولتهم وحمايتها ويستنصرونهم فى كل أمر حزبهم كما سنقف على تفصيل ذلك بعد قليل .

والمتأمل مساق الأسطورة منذ أواخر عهد جمشيد إلى ظهور أمر منوچهر يرى فيها إشارات إلى الصراع بين الآريين والساميين الذى انتهى آخر الأمر بغلبة الجنس الآرى وامتزاجه بالجنس السامى ، فالضحاك السامى يقهر جمشيد ثم يعود أفريدون حفيد جمشيد فيقضى على الضحاك وبعد استقرار الملك لإفريدون يزوج أبناءه الثلاثة من بنات سروا ملك اليمن العربى ، أما تقسيم الملك بين أولاد أفريدون[1] وما وقع بينهم ، فقد يكون رمزاً إلى انقسام الآريين إلى شعب وجماعات مختلفة وخروجهم من الأرض التى كانوا يعيشون فيها أمة واحدة إلى أصقاع وربوع متفرقة من المعمورة والصراع الذى دار بين هذه الجماعات فيما بعد .

وفى الأسطورة غير هذه الإشارات والرموز عرض لعادات وأخلاق وفنون حربية .

---

(١) جعل أفريدون ابنه سلْماً ملكاً على الروم وابنه تورا ملكاً على الترك وابنه إيرج ملكاً على الإيرانيين

عصر الأبطال

فى أواخر عهد الضحاك نرى رجلاً حداداً ثائراً لأن الضحاك قتل أحد ولديه فيمن قتل ليطعم دماغه الحيتين ثم جاءت القرعة على ابنه الثانى فثار وجمع حوله الشعب الثائر والتف الثائرون حول أفريدون حفيد جمشيد وقضوا على ذلك الملك الغشوم ، وليس هذا الثائر إلا بطلاً شعبياً يمثل غضبة الشعب على الظلم والطغيان ، ولكنا نرى فيما بعد أبطالاً محاربين خاضوا الحروب بأنفسهم وحموا ذمار أمتهم وحملوا عروش الملوك على أكتافهم .

بدأ ظهور هؤلاء الأبطال على مسرح الشاهنامة فى عهد منوچهر حفيد أفريدون ، وأهم أبطال الشاهنامة ثلاثة هم رستم واسفنديار من الإيرانيين وأفراسياب من التورانيين ، ولكن بطل أبطال الشاهنامة دون شك هو رستم وعلى يده قتل اسفنديار وانهزم أفراسياب البطل التورانى عدة مرات وقتل آخر الأمر بعد حروب طويلة ، واجتمعت لرستم هذا من حيث الشجاعة وقوة الأسر ووثاقة التركيب وطول العمر وخوارق الأعمال جميع مقومات الأبطال الأسطوريين .

وتتلخص قصة رستم فى أن سام بن نريمان پهلوان العالم فى عهد منوچهر سأل الله أن يرزقه ولداً فولدت امرأته طفلاً جميلاً غير أن شعره كان أبيض كشعر الشيوخ الطاعنين فى السن فظن ذلك من غضب الله عليه لذنب جناه فكره الطفل وأمر به فحمل وألقى فى شعاب جبال البرز فرأته العنقاء « سيمرغ » فأشفقت عليه وحملته إلى معششها وربته حتى شب بين أفراخها ، وكانت القوافل تعجب لوجود هذا الآدمى بين الطير وتروى حديثه ، ورأى سام رؤيا عبرت له بأن ابنه ما زال حياً فخرج للبحث عنه فى شعاف البرز ضارعاً إلى الله تعالى أن يرد إليه ولده ، ولما رأت العنقاء حيرته وعرفت غايته أخبرت ربيبها زال بأمر أبيه وأعطته من جناحها ريشة وأوصته بإحراقها إذا ما احتاج لمعونتها فتأتيه فى الحال ، وحملته وهبطت به إلى حيث أبيه ووضعته بين يديه فشكر لها سام صنيعها ، وبلغ الملك منوچهر قصة سام وولده زال فاستدعاهما وأعجب بزال وطلب المنجمين فتنبأوا له بسعادة طالع

زال ،وأوصى منوچهر أباه بتربيته أحسن تربية ليشتد به عضد الملك . وخرج زال للصيد على مقربة من كابل فعلم أن لملكها مهراب ابنة جميلة اسمها « روذابة » فعشقها على السماع كما سمعت الفتاة من أبيها صفات زال فعشقته بدورها — والأذن تعشق قبل العين أحياناً — واتصلت أسباب العاشقين وتعاهدا على الزواج ، وعارض منوچهر أولا ، لأن مهراب ملك كابل من نسل الضحاك ، فمثل زال بين يديه وأعجب الملك بفروسيته وبطولته وذكائه فى الإجابة على الألغاز والأحاجى ، وتنبأ المنجمون للملك بأنه سيكون من زواج زال بروذابة بطل عظيم يحمى ذمار إيران فأذن له بزواجها ، وقد أحست روذابة عند الوضع بآلام جسام وحار فى أمرها زال فأحرق الريشة وخفت العنقاء لنجدته وبشرته بسلامة زوجته وأوصته بأن يستعين بطبيب حاذق يشق خاصرتها بحديدة حادة بعد أن يسقيها قدراً كبيراً من الخمر ثم يستخرج الجنين ويخيط الشق ويضع عليه ذرورا من دواء—وصفت له طريقة تحضيره من أعشاب خاصة — ويمس الجرح بريشة من جناحها وألقت إليه بريشة وطارت ،وأفاقت روذابة فإذا بجانبها طفل كأنه ابن عشر سنين ودقت البشائر وأقيمت المهرجانات والولائم وخصصوا للطفل عشر مرضعات يشرب ألبانهن ، ولما بلغ ثمانى سنوات صار كالنخل الباسق والكوكب الدرى ، ضخم الجثة عبل الشوى لا يقوى على حمله غير الفيل ، فكانت هذه أول عملية جراحية وأول مرة يستعمل مخدر فى إجراء عملية . ومات الملك منوچهر وخلفه ابنه نوذر فلم يعمل بوصاة أبيه وحاد عن الصراط السوى ، وكتب الجند إلى سام يعرضون عليه الملك فأبى الخروج على الملك وعمل على إصلاح ذات البين . وعلم (پشنك*) ملك الترك بموت منوچهر وسوء تدبير ولده نوذر فطمع فى ملك إيران وأعد العدة للثأر لجده تور الذى قتله منوچهر ، وهنا يأتى دور البطل التورانى أفراسياب بن پشنك* وتبدأ سلسلة طويلة من الحروب بطلها الأول رستم .

بدأت الحرب بين الترك والإيرانيين وأسر أفراسياب نوذر وقتله واستولى على إيران ، وعلم زال بن سام وهو بزابلستان بذلك فجمع حوله الأبطال والأمراء وجند جيشاً كبيراً ولكنه رأى أن كلمة الإيرانيين لا تجتمع إلا حول ملك من شجرة

أفريدون، فوقع اختيارهم على (زو بن طهماسب) وكان شيخاً نيف على الثمانين وفى أيامه تم الصلح بين الإيرانيين والترك .

وبعد وفاته ملك (*كرشاسب بن نوذر) ولكن لم تطل مدته فمات وبقيت البلاد بلا ملك ، فاهتبل أفراسياب هذه الفرصة وأقبل فى جحافل جيوشه ليستولى على إيران ، فالتف الإيرانيون حول زال ولكنه اعتذر بشيخوخته وأحالهم على ابنه رستم ففرحوا بذلك ، ولكن كيف يحارب رستم بغير حصان ؟ وأى حصان يحمله ؟ كان لا بد لبطل أبطال إيران من حصان بطل كذلك ، فلم يقو على حمله غير الرخش فأسرجه وألجمه وتقدم الجند إلى أول معركة يخوضها ولكن أباه زال يدرك أنه لا يتم للإيرانيين أمر دون ملك يسوسهم ويلتفون حول رايته ، فوقع اختيارهم على (كيقباد) حفيد أفريدون ، فذهب رستم وأتى به من جبال البرز ، وبكيقباد هذا يبدأ عهد الكيانيين وليسوا فى الواقع إلا استمراراً للملوك البيشداديين الذين كان آخرهم *كرشاسب .

ظهر رستم كبطل محارب يحمى ذمار إيران فى عهد الملك كيقباد أول ملوك الأسرة الكيانية ، وفى أول موقعة خاضها بارز أفراسياب البطل التورانى وهجم عليه وأخذ بمعاقد منطقته واقتلعه من سرجه ورماه على الأرض وأوشك أن يقضى عليه لولا أن تقطعت سيور منطقة أفراسياب وتدخل أصحابه لحمايته ثم ولى الترك منهزمين أمام الإيرانيين وأرسلوا فى طلب الصلح ،وقد كانت نجاة أفراسياب من يد رستم فى هذه الموقعة وفراره سبباً فى حروب طويلة بين الإيرانيين والترك ، وقد كافأ الملك كيقباد رستم بأن ولاه ممالك زابلستان إلى بحر السند ، وكانت أكثر وقائع رستم وأهم حروبه فى عهد الملك (كيكاوس) خليفة (كيقباد) وأكبر أبنائه ، وقد عرف هذا الملك بالتسرع والخرق ، وقد أقدم على فتح مازندران بلاد السحر والجن والسعالى والجمال برغم نصيحة زال وبقية الملوك والأمراء له بالعدول عن ذلك فوقع هو وجنوده فى أسر الجن كما أصيب هو بالعمى ، وخف رستم لنجدته وكان أمامه إلى مازندران طريقان ، طريق مأنوس بعيد الشقة وطريق يستغرق قطعه أسبوعين ولكنه ملىء بالمخاطر ، وقد اجتاز فيه رستم سبع مراحل مر فيها بسبع عقبات فعرف هذا الطريق

فى الشاهنامة باسم (هفتخوان رستم) [١]. فى المرحلة الأولى من هذا الطريق نام رستم بعد أن شوى حماراً وحشيًّا وأتى عليه عن آخره ، فخرج عليه أسد وهو نائم فقتله حصانه المسمى (الرخش) . وفى المرحلة الثانية كاد يهلك عطشاً ولكن غزالة دلته على عين ماء ثرة فشرب واصطاد حمار وحش وأكله ونام وخرج عليه فى المرحلة الثالثة ثعبان هائل أثناء نومه فأيقظه الرخش فقام وقاتله وكاد الثعبان يغلبه لولا أن خف الرخش لنجدته فقتلا الثعبان ، وفى المرحلة الرابعة قتل امرأة ساحرة وفى الخامسة اعترضه ملك اسمه(أولاذ) فقتل رستم أصحابه وأسره وطلب منه أن يرشده إلى مقر (سفيد ديو) ملك الجن ومقر الملك كيكاوس وأبطال الإيرانيين المأسورين بمازندران مقابل تأمينه على حياته وتوليته مازندران إذا تمت الغلبة للإيرانيين ، فأجابه أولاذ إلى كل ما سأله ، وأخبره بأن بينه و بين كيكاوس مائة فرسخ ومن مقر (كيكاوس) إلى (سفيد ديو) مائة فرسخ أخرى ووصف له البلاد وما فيها ، وفى المرحلة السادسة قتل أرز*نك* الجنى وفى المرحلة السابعة والأخيرة افتحم غار سفيد ديو ملك الجن وقتله وأخرج كبده وكحل عينى كيكاوس بدمها فارتد إليه بصره ، وما فرغ رستم من أمر الجن وخلص الملك وأصحابه حتى تهيأ الجميع لحرب ملك مازندران ولكنهم رأوا أن يراسلوه أولا يطلبون إليه الخضوع والتسليم والجزية .

وأوفد كيكاوس إليه رستم ، وفى هذه السفارة تعرض علينا الملحمة فنوناً من بطولته منها أن اقتلع شجرة ضخمة ورفعها بيده كما يشرع الرمح وأنه عصر يد أكبر أبطال مازندران حتى سقطت أظافره ، وبرغم ذلك أبى ملك مازندران إلا الحرب. وأبدى رستم فى هذه الحرب ما أذهل العقول وانتهى الأمر بانتصار الإيرانيين وقتل ملك مازندران الساحر وأتباعه من السحرة وتولية (أولاذ) على هذه البلاد كما وعده رستم بذلك .

وخاض (كيكاوس) بعد هذا عدة حروب أخرى دانت له فيها البلاد واتسع ملكه إلى أن خرج عليه رجل من العرب اسمه (دربيس) من نواحى الشام ومصر ، فركب إليه فى جيوشه طريق البحر وسارت بهم السفن حتى بلغت مدينة عن يسارها

---

(١) هفتخوان رستم صورة أخرى من هفتخوان اسفنديار وهذا يؤيد تسميتنا (العقبات السبع) .

مصر وعن يمينها البربر وقدامها البحر وتسمى « هما وران » ولم يطق ملكها حرب كيكاوس فرضى بالخراج وسمع كيكاوس بأن للملك هماوران ابنة جميلة اسمها (سودابه) فخطبها إليه وقبل الأب هذه المصاهرة كارهاً لها، ثم احتال فى هلاك صهره فدعاه لضيافته مع كبار رجاله ، وفطنت (سودابة) لحيلة أبيها ونبهت زوجها، ولكنه لنزقه لم يكترث اعتماداً على قوته فأسرهم ملك هماوران . وعلم أفراسياب بذلك فاستولى على إيران ، واستغاث الإيرانيون ببطلهم الزابلى رستم بن دستان فطار إلى هماوران ، واستعان ملكها بحلفائه من أهل مصر والبربر ولكنهم لم يثبتوا جميعاً لحملات رستم ورجاله، فأسر ملكا مصر والبربر وقدم ملك هماوران خضوعه وأطلق سراح كيكاوس ورجاله وساروا جميعاً وقد انضم إليهم عدد كبير من جيوش مصر والبربر وهماوران إلى حرب أفراسياب وحالفهم ملك الروم كذلك فانهزم أفراسياب وعاد كيكاوس إلى عاصمة ملكه وسخر الجن فى العمارة فنحتوا الجبال وشيدوا القصور من الذهب والفضة وعملوا الآنية من الزجاج المرصع بالزبرجد .

وقد زين له واحد من هؤلاء الجنة بإيعاز إبليس الصعود إلى السماء للتخلص من حكمه بالحيلة ، فصنع له تختاً من العود والذهب تحمله أربعة عقبان مروضة فلما ارتفعت به فى الهواء وأبعدت أدركها الضعف والكلال فوقعت إعياء بالتخت فى بعض الآجام ولكن كيكاوس لم يصب بسوء ، فخرج رستم وصحبه من الأبطال وساروا إليه وعنفوه على نزقه وذكروه بحماقاته فى مازندران وهماوران فأظهر الندم والخجل .

ومع هذا لم يكن رستم نفسه أقل تهوراً واندفاعاً من مليكه فقد توغل فى خف من أصحابه فى متصيد لأفراسياب معرضاً حياته وحياة صفوة أبطاله لخطر إحاطة أعدائهم بهم وجلس يلهو ويشرب فى أرض العدو المتربص بهم ، وعلم أفراسياب بوجودهم فأحدق بهم بجيش كبير ولكن رستم وأصحابه هزموا ذلك الجيش وكاد رستم يظفر بأفراسياب نفسه ، وأقاموا فى نفس المكان بعد المعركة أسبوعين .

وتتصل بحياة رستم حياة بطل آخر من صلبه هو ولده (سهراب) وينتهى هذا الاتصال بفاجعة أليمة يقاتل فيها الأب ابنه ويقتله وهو لا يدري أنه يقتل ولده .

وبيان ذلك أن رستم خرج للصيد مرة ونام تاركاً رخشه يرعى فمر جماعة من التتر واستاقوا الرخش ولما قام من نومه بحث عن حصانه وتتبع آثاره حتى انتهى إلى مدينة (سمنجان) فاحتفى به ملكها ووعده برد حصانه إليه وضيفه ليلة دخلت عليه فيها ابنة ملك سمنجان وكانت بارعة الحسن والجمال وتمنت أن تتصل أسبابها بأسبابه لتنجب منه بطلا مثله ،فلما أصبح أعطاهاخرزة وأوصاها إذا وضعت أنثى تربطها فى قرونها وإذا وضعت ذكراً تشدها على عضده ، وعاد برخشه إلى أرض إيران . وعرف الصبى من أمه قصة أبيه وظهر شأنه والتف حوله الأجناد واستماله أفراسياب متودداً إليه ليستظهر به وأحاطه ببطانة تحول بينه وبين معرفة شخص أبيه إذا ما التقى الترك بالإيرانية فى قتال .

وفى إحدى المعارك يتصارع رستم وسهراب وكلاهما يجهل من أمر صاحبه كل شيء ولم يطق رستم التغلب على سهراب إلا بالحيلة ولم يعرف أنه ابنه إلا بعد أن أجهز عليه فوساده التراب وأقام له تربة من حوافر الخيل وكانت مأساة من أروع ما سجل القصص .

ورزق كيكاوس من جارية تركية يتصل نسبها بأفريدون ولداً أسماه (سياوش) فلما شب فتنت به زوج أبيه سودابه بنت ملك هماوران وراودته عن نفسه فأبى فكادت له واتهمته وثبتت براءته بأن خاض النار فى ثيابه البيضاء على ظهر فرس كما أشار بذلك الموابذة وخرج منها سالماً ، ولكن الملك يرق لزوجه التى كان يهيم بها ويعفو عنها كما فعل عزيز مصر ، وتستمر هى فى كيدها فيفر سياوش إلى أرض توران ويتزوج من(فر*نكيس) ابنة أفراسياب ويعلوشأنه هناك ثم ينقلب عليه أفراسياب بسعاية أخيه « كرسيوز » فيقتله وتتجدد بذلك العداوة والحروب بين إيران وتوران ويظهر رستم فيدوخ بلاد الترك ويستولى عليها .

وتناهى إلى كيكاوس أن ابنه المقتول ترك زوجه حاملاً وأنها أنجبت ولداً أسمته (كيخسرو) وقد شب وترعرع فأنفذ إلى بلاد الترك البطل(*كيو) متنكراً ليأتيه به وقد عرفه البطل بعلامة اختص بها الكيانيون وهى شامة سوداء على عضده فعاد به وبأمه إلى إيران ، وقام كيخسرو بفتح قلعة (بهمن) بناحية أردبيل من بلاد

آذربيجان وانتصر على سكانها من الشياطين فاستحق بذلك أن يلى الملك فى عهد جده كيكاوس وأقبل عليه رستم وابنه فرامرز وأبوه دستان « زال » معربين عن ولائهم . وأرسل كيخسرو قواده لحرب طويلة مع التورانيين فانهزم القواد لخلاف بينهم فغضب عليهم ولم يجدوا لهم شفيعاً لديه غير رستم ، ثم عادوا للحرب فلم يغنوا شيئاً فاستنجد كيخسرو برستم فأسرع إلى نجدة الإيرانيين وأنزل الهزائم بجيوش الترك والصين ولم يجد بطلهم أفراسياب حيلة مع رستم غير الاستعانة عليه بالجن فلجأ إلى جنى اسمه « بولاذوند » وأشار عليه بولاذ بالركون إلى الحيلة لاستحالة التغلب على رستم بالقوة ، فلما التقى الجمعان خطف الجنى اثنين من أبطال رستم بالوهق ورمى آخرين على الأرض وشق الدرفش الكاويانى بسيفه وعندئذ سارع إليه رستم وصارعه وضرب به الأرض ضربة ظنها قضت عليه فتركه ، ولما أحس الجنى برجوع رستم طار إلى أفراسياب ووقع لديه مغشياً عليه لما أصابه ثم هرب بأصحابه وتوالت الهزائم على أفراسياب وأعوانه وعاد الإيرانيون محملين بالسلب والغنائم .
وبينما كان كيخسرو جالساً مع رستم ذات مرة دخل عليه كبير رعاته يخبره بوحش يعيث فى قطعانه ولا يجد فيه حيلة فاستنهض إليه رستم فلما رآه عرف أنه أكوان الجنى فطارده أياماً والجنى يختفى منه ويظهر وأخيراً غلب رستم النوم ، ورآه أكوان نائماً فى كامل عدته وسلاحه فلم يجسر على الدنو منه وقور الأرض تحته وحمله فوقها وطار به فى الهواء ثم ألقى به فى البحر . وسبح رستم يشق طريقه إلى البر بين التماسيح ويقاتلها ولما خرج لبس سلاحه وأسرج رخشه وساق أمامه خيلاً كثيرة من مراعى أفراسياب وقتل رعاتها وأسرع إليه أفراسياب فى عدد كبير من رجاله فغلبهم رستم وحده وفر أفراسياب مخلفاً وراءه أربعة أفيال فاستاقها رستم مع الخيل ورجع إلى المكان الذى كان نائماً به يبحث عن أكوان الجنى فلما بصربه رماه بالوهق وأسره وحز رأسه وحملها إلى كيخسرو . ثم استأذن فى زيارة أبيه دستان [1] بن سام .
وذات يوم خرج (بيز*ن) بن البطل (*كيو) للصيد فرأته (منيز*ه) ابنة أفراسياب وأحبته وحملته إلى قصرها وبلغ أباها الخبر فحبسه مقيداً فى جب مظلم وسده عليه

(١) دستان اسم آخر لزال بن سام بن نريمان ، وزال هو أبو رستم وبطل قصة زال وروذابه .

بصخرة هائلة كان (كيوان) الجنى أتى بها من قاع بحر الصين ولا يستطيع جرها غير الفيلة وكانت (منيز*ه) بعد أن طردها أبوها تتسول وتحمل إليه ما يتيسر لها من الزاد وتلقى به إليه من فتحة فى تلك الصخرة .

وذات يوم نظر الملك كيخسر فى الجام الذى تُرى فيه جميع الكائنات الموجودة بأقاليم الدنيا السبعة فعرف مكان (بيز*ن) ولم يجد من يستطيع خلاصه من هذه الورطة سوى رستم فانتدبه لهذه المهمة ودخل البطل توران متنكراً فى زى التجار على رأس قافلة كبيرة وأرشدته (منيز*ه) إلى البئر فنحى رستم وحده الحجر وأخرج (بيز*ن) بالوهق وحطم بيديه قيوده وسلاسله وبعد مغامرات وحروب مع (أفراسياب) وأبطاله تمكن من العودة بالعاشقين إلى إيران .

ولم ينم أفراسياب عن طلب الثأر فحشد الحشود وجند الجنود وقصد مع أحلافه قصد إيران فى جيش لجب ، ودارت بينه وبين الإيرانيين حرب عرفت باسم (يازده رخ) أى الوجوه الأحد عشر ، خف إليها كيخسرو وخاض فيها بنفسه عدة معارك ركب فيها البحر واجتاح بلاد توران، وأفراسياب يهرب أمامه من بلد لآخر وكان بطل أبطال هذه الحرب ورأسهم المدبر هو رستم .

وعاد كيخسرو إلى إيران غانماً ظافراً موقراً بالأموال والذخائر وأما أفراسياب فقد اختفى ولم يقفوا له على أثر . وكانت هذه الحرب أطول حرب وقعت بين إيران وتوران وخشى كيخسرو أن يعود أفراسياب فيقوى شأنه وتتجدد هذه المعارك الطاحنة فأشار عليه جده كيكاوس بأن يذهبا معا إلى بيت نار (آذر*كشسپ) فى آذربيجان ويبتهلا هنالك إلى الله تعالى ويسألاه أن يهديهما إلى مخبأ أفراسياب ، فأظفرهما الله بعدوهما على يد عابد يسمى (هوما) من نسل (أفريدون) سلم أفراسياب لأصحاب كيخسرو واختفى .

وبقتل أفراسياب انتهت سلسلة طويلة من الحروب بين إيران وتوران ما كان لها أن تقع لو لم تنقطع سيور منطقة أفراسياب فى يد رستم فى أول موقعة وتمكن بذلك من الهرب .

وتوفى كيكاوس بالغاً من العمر ١٥٠ سنة وتنسك كيخسرو واعتزل الناس

والحياة بعد أن هبط عليه الملك وأمره بالتهيؤ للقاء ربه . فخرج عن أمواله لأوجه الخير وقسم الممالك بين الأبطال وعهد بالملك إلى (لهراسپ) حفيده (أوشهنك*) وتنبأ له بأنه سيقطع دابر السحرة ويظهر الطريق إلى الله عز وجل . ثم غاب عن أعين الناس . وأنجب (لهراسپ) من ابنة كيكاوس ولدين أحدهما (*كشتاسپ) والآخر (زرير) .

خرج *كشتاسپ مغاضباً لأبيه ودخل بلاد الروم ودارت أحداث أدت إلى زواجه من (كتايون) ابنة قيصر وخاض عدة مغامرات ببلاد الروم قتل فيها ذئباً ضارياً كالثعبان قوياً كالفيل وثنى بقتل أفعوان عظيم الخلقة فخلص الروم من بلاء كبير وخاض مع قيصر حروباً ضد الخزر وقتل مليكهم وتقوى به الروم إلى حد أن طلبوا الخراج والجزية من إيران ، ووقف أبوه على خبره فأرسل إليه أخاه زرير ليخبره بتنازل أبيه له عن الملك فعاد بزوجه كتايون ملكاً على إيران وتفرغ أبوه للعبادة فى بلخ بمعبد النوبهار الذى كان عند الفرس مثل مكة عند العرب . ورزق *كشتاسپ من ابنة قيصر ولدين أحدهما اسفنديار المتقدم ذكره ، وبعد سنتين من ملكه ظهر زردشت فاعتنق دينه وبنى بيوت النار وامتنع عن دفع الخراج للصين فكان ذلك سبباً فى خوضه حروباً طاحنة ضد (أرجاسپ) قتل فيها أخوه (زرير) وانتهت بنصر الإيرانيين على يد (اسفنديار) فزوجه أبوه من أخته هماى .

ويعتبر اسفنديار البطل الثانى بعد رستم فى الشاهنامة وقد سبق الحديث عنه فى فتح قلعة (روئين دز*) واجتيازه طريق هفتخوان إليها وقتله الذئب فى المرحلة الأولى من هذا الطريق والأسد فى المرحلة الثانية والتنين فى المرحلة الثالثة والساحرة فى المرحلة الرابعة والعنقاء فى المرحلة الخامسة وعبوره الجليد فى المرحلة السادسة وخوضه النهر وقتله *كر*كسار فى المرحلة السابعة .

وتنتهى حياة اسفنديار على يد رستم بطل الشاهنامة الأول فى مبارزة بينهما وكذلك تنتهى حياة رستم بعده بقليل بسقوطه هو ورخشه فى حفيرة مغطاة حفرها فى طريقه ملك كابل متآمراً مع شغاد أخى رستم ، ولكن رستم وهو يعانى سكرات الموت فى تلك الحفيرة يرمى أخاه الخائن بسهم يصميه ويسمره فى جذع شجرة ويبلغ الخبر

زال فينتقم لابنه بقتل ملك كابل.وبقتل أفراسياب واسفنديار ورستم ينتهى عصر البطولة الحقيقية فى الشاهنامة .

ويعتبر ظهور (زردشت) — وهو شخصية واقعية — فى أيام (*كشتاسپ) ومضة من أضواء التاريخ فى هذا العصر الأسطورى الذى تليه عصور تمتزج فيها الأسطورة بالتاريخ وتنتهى تدريجيًّا إلى عصر تاريخى روائى كما قدمنا .

وتولى بهمن بن اسفنديار ملك إيران ستين سنة وتزوج من ابنته هماى «چهرآزاد» وجعل منها ولية عهده وملكت بعده ثلاثين سنة وقد وضعت طفلاً أخفت ميلاده لتنفرد بالملك ووضعته فى تابوت بعد أن شدت على عضده جوهرة ثمينة ووضعت معه جواهر نفيسة وألقت به فى الفرات أول الليل فحمله الماء وسار به إلى أن ألقت به الأقدار فى يد قصار كان يغسل الثياب فى النهر فحمله ورباه ولاحت عليه سيما الملك وكان كبير الشبه بجده (*كشتاسپ) ، وأخبرته امرأة القصار بقصته فخرج وانخرط فى جيش أحد المرازبة ، وبينما كانت هماى تستعرض الجيوش التى عبأتها لحرب الروم وقع بصرها عليه وحنت إليه ، وعاد داراب مع الإصبهبذ بعد فتكه بالروم وإذلالهم بالخراج ،فبصرا بالقصار وزوجه ومعهما الجوهرة التى كانت على عضد داراب وهو طفل بالتابوت ووقف منهما الإصبهبذ على قصة داراب وأعلم هماى بخبر داراب وبلائه فى الحرب وأرسل إليها الجوهرة فعرفت أنه ابنها فوضعت التاج على رأسه وأخبرت الموابذة بقصته وبايعه الجميع ملكاً على إيران فملك ١٢ سنة حارب فيها العرب وهزمهم وأذل الروم وأخذ منهم الخراج وتزوج ابنة (فيلفوس) ثم كره منها رائحة نفسها ودعا الأطباء فعالجوها بنبات اسمه الإسكندر فطابت نكهتها ولكن كراهته لها استمرت فردها إلى أبيها وهنالك وضعت من داراب طفلاً أسمته الإسكندر تيمناً بالدواء الذى شفيت به ، وادعى أبوها (فيلفوس) بنوته وأحبه فلما شب جعله ولى عهده .

ومات داراب فخلفه ولده دارا كما مات فيلفوس وخلفه الإسكندر ففتح إيران وقتل دارا وغدت إيران ولاية فى إمبراطوريته وبدأ عصر الإسكندر وخلفائه وملوك الطوائف . وهنا تفيض الملحمة فى ذكر وقائع الإسكندر وفتوحاته بعد أن جعلت

منه ابناً لداراب وأخاً لدارا فلم يعد هناك عار على إيران من الهزيمة وأصبح بذلك بطلاً إيرانياً .

ويمر الشاعر بعصر ملوك الطوائف مسرعاً وكأنه لم يكن غير مقدمة لظهور أردشير رأس بنى ساسان وبانى ملكهم ، وبذلك تدخل الملحمة فى دور تاريخى بحت تتخلله قصص روائية أسطورية عن بعض الملوك وخاصة أدرشير الذى تبدأ قصته بعشق (*كلنار) جارية أردوان الملك الأشكانى وفرارها معه، و(بهرام* كور) ربيب المناذرة المولع بالصيد واللهو والحسان و (خسرو پرويز) بطل قصة (خسرو وشيرين) وكسرى أنوشيروان الذى يشبه عصره عصر المأمون وتدور حوله حكايات كثيرة عن عدله وعلمه وحسن تدبيره وبلاطه الحافل برجال الدين والعلم والأدب والفلسفة والفنون وخاصة وزيره الشهير (بزر* كمهر).والوقائع والحروب فى هذا العصر تدور بين الإيرانيين والهياطلة والروم والعرب ولا نرى من الأبطال غير الملوك فى هذا العهد سوى (بهرام جوبين) القائد الثائر على (خسروپرويز) ورستم بطل القادسية وقائد جيوش كسرى يزدجرد آخر ملوك الساسانية الذين دالت دولتهم على يد العرب .

وقد شغلت النصائح والخطب الطويلة حيزاً كبيراً من هذا القسم من الشاهنامة لا سيما عند ولاية العهد ومستهل تولى الملك .

قصص الحب والحكايات

ليست الشاهنامة كلها حرباً وقتالاً بل يتخللها مجموعة شيقة من قصص الحب والحكايات والنوادر مثل قصة(زال وروذابه) و(بيز*ن ومنيز*ه) و (تهمينه) ابنة ملك (سمنـ*ـكان)ورستم بن دستان و(كتايون) ابنة قيصر و*كشتاسپ بن لهراسپ و (*كلنار) جارية (أردوان) و (أردشير بابكان) وخسرو وشيرين وتنتهى كلها بزواج العاشقين . ومن بين القصص العاطفية بالشاهنامة قصة كبيرة الشبه بقصة يوسف وامرأة العزيز ألا وهى قصة افتتان (سوادبه) امرأة (كيكاوس) بابن زوجها (سياوش) وفيها راودت سوذابة سياوش عن نفسه فاستعصم فاتهمته وكادت له وثبتت براءة ساحته .

أما الحكايات فأهمها حكايات بهرام *كور المختلفة مثل حكايته مع اليهودى السقاء وحكاية سبب تحريمه الخمر وتحليلها وحكايته مع الفلاح وحكايته مع الثعبان إلى غير ذلك من حكاياته ومثل حكاية (مهبوذ) وزير أنوشيروان وما جرى على ولديه وحكايتى النرد والشطرنج ونقل كتاب كليلة ودمنة وحكاية أنوشيروان والإسكاف والحكايات الخاصة بوزيره الكبير بزر*كمهر .

الرسائل والأحاجى والتوقيعات[1]

لم يكن الملوك والأبطال يحكمون السيف وحده فى حل ما بينهم من المشكلات بل كانت الكتب والرسائل أحياناً تسبق الكتائب والجيوش وكان السيف آخر الحيل فى بعض الأحيان، ومن بين رسائل الأبطال والملوك مكاتبة (*كودرز وبيران) والمكاتبات التى جرت بين كيكاوس وملك مازندران ورسالة أفراسياب إلى كيخسرو ومراسلة قيصر للهراسپ ورسالة خاقان الصين إلى أنوشيروان وكثير غيرها ، وليست الرسائل كلها متصلة بالحرب والسياسة بل نرى من بينها مالا يمت إلى شىء من هذا مثل رسالة زال إلى أبيه سام التى ضمنها عشقه لروذابة وطلب فيها إليه أن يأذن له بالزواج منها .

وكانت الأحاجى والمعميات الوسيلة إلى الكشف عن المواهب واختبار القدرات كما كانت الأقدار والاستعدادات تقاس بمدى التوفيق فى حلها والإجابة عليها .

فالموابذة يسألون زال بن سام عن الشجرات الإثنتى عشر وعن البلد الطيب الذى من صفاته كيت وكيت ويجيبهم عما سألوا، وأنو شيروان يأمر بزر*كمهر بجمع العلماء والموابذة وسائر المتميزين من أهل العلم والأدب ليمتحنوا ابنه هرمزد فلما استوى المجلس أقبل عليه بزر*كمهر يسائله : أخبرنى عن الشىء الذى يستنير به العقل والروح وينتفع به البدن .... إلخ. فلما أجابه عن أحاجيه ومعمياته أمر الملك بأن يكتب له عهد السلطنة . والإسكندر يجرب الفيلسوف الحكيم الهندى الذى أهداه إليه كيد

(١) التوقيعات تقابل ما نسميه اليوم بلغة الدواوين (التأشيرات) .

ملك الهند بسلسلة من الألغاز والرموز فيرد عليه الفيلسوف بمثلها وأخيراً يستدعيه الإسكندر ويسأله إيضاح ما جرى بينهما فيجيبه الفيلسوف .

واشتهر أنو شيروان من بين الملوك بتوقيعاته على ما يرفع إليه من الأوراق ومنها : نحن كالأطباء والمجرم المصر على الذنب كالمريض المشرف على الموت الممتنع عن شرب الدواء ، نسقيه شربة واحدة فإذا رأيناها لا تنجع فيه غسلنا أيدينا منه وقطعنا رجاءنا عنه والسلام .

أشخاص الشاهنامة

الشخصية فى الشاهنامة هى العنصر السائد الذى يستقطبها والمحور الذى حوله تدور رحى أحداثها وما فصولها ووقائعها إلا مناسبات لظهور الأشخاص على مسرحها ولا نضيف شيئاً إذا قلنا إنها من أولها إلى آخرها عرض للجوانب المختلفة من حياة أشخاصها وأن حياة هؤلاء الأشخاص سفر سطرت فيه أمة الفرس تاريخها وحضارتها وأخلاقها ومعتقداتها ومثلها وآلامها وآمالها وأحلامها وكفاحها وسائر مقومات وجودها .

وأشخاص هذه الملحمة الكبرى عالم من الإنس والجن والحيوان والكائنات الخرافية ويسفر بين سمائه وأرضه الملك والشيطا أحياناً ويهيمن عليه إله واحدقاهر وقضاء غالب لا راد له .

فالإنس منهم الملوك والأبطال والوزراء والموابذة والمنجمون والسحرة والأطباء والعلماء والحكماء والنساء :

الملوك

لملوك إيران المكان الأول فهم يجمعون بين الملك والبطولة ونراهم فى فجر الملحمة يحكمون الثقلين من الجنة والناس على السواء وليس الأبطال العظام إلا أعواناً مخلصين وجنداً أوفياء للملك يحمون الدمار مستظلين بعرشه ولا يستقيم لهم أمر بدونه ويلون الملك تحت رايته ، وملوك إيران هم بناة حضارتها ومعلمو البشرية وواضعوا نظمها

الاجتماعية وتقاليدها ورسومها، ومشرعوها وحماة دينها وبغيرهم لا يجتمع شمل البلاد وتصبح نهباً للأعداء واختص بعضهم دون سائر البشر بعلامة خاصة ، بصلاحهم تستقيم أمور الرعية ويعم الخير وبانحرافهم عن الجادة ينفرط عقدها وينزل بها البلاء .

فكيومرث أول من لبس جلود السباع وكان الجن والإنس يصطفون ببابه وحفيده أوشهنك كشف النار وأقام عيد السذق احتفالاً بهذا الكشف واتخذ النار قبلة. والإيرانيون إلى اليوم يحتفلون قبيل الربيع بإشعال النيران في يوم الأربعاء الأخير من السنة المنصرمة ويسمونه «تشهارشنبه سورى» چهارشنبه سورى عله ذكرى عيد السذق ، ومنذ هذا الزمن البعيد بدأ تعظيم الفرس للنار .

وكذلك كشف الحديد واتخذ منه الآلات وشق الجداول وبذر البذور وسخر البهائم فيما تصلح له .

وطهمورث بن أو شهنك* أول من جز الأصواف وغزلها واتخذ البسط، وفى زمانه علمت الجوارح الصيد وكليت الفهود، وهو أول من اتخذ وزيراً يسترشد برأيه، وقد تمرد عليه الجن فقهرهم وأذلهم واستأمنوه على أن يعلموه أنواع الخط والكتابة والألسنة المختلفة ففعل ، فكان هذا مبدأ ظهور الخط بين الناس ، ويكاد ابنه جمشيد يكون صورة من سليمان ، دان بطاعته الإنس والجن وتوفر على عمارة العالم وإفاضة العدل والإحسان وأعد آلات الحرب من سيوف ورماح وألان الحديد ونسج منه الدروع السابغات وعمل الجواشن والتجافيف وأنواع الأسلحة واتخذ الملابس من الكتان والحرير وسخر الجن فى نحت الأحجار وتخمير الطين وضرب اللبن واستحداث الأبنية وتشييد المدائن ، واستخرج المعادن النفيسة والأحجار الكريمة وصنع العطور والأدوية وبنى السفن وخاض غمار البحار واتخذ تختاً مرصعاً بأنواع الجواهر وأمر الجن فحملوه به فى الهواء وكان ذلك أول يوم من السنة وقت حلول الشمس فى برج الحمل فسماه « نوروز » أى اليوم الجديد وجلس فيه للهو والطرب والشراب وأصبح النوروز أكبر أعياد الفرس حتى يومنا هذا .

وكذلك استحدث أفريدون مقمعة من الحديد .« *كرز » على صورة الثور قضى بها على عدوه الضحاك وجعل من يوم انتصاره عليه عيداً أسماه عيد المهرجان .

وهذه الأعياد الثلاثة (السذق والنوروز والمهرجان) أشهر أعياد الفرس ولكن النوروز أعظمها وما زال إلى اليوم العيد القومى لجميع الإيرانيين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم .

وأفريدون هذا أب للملوك ثلاثة قسم بينهم ملكه الواسع وهم إيرج ملك الإيرانيين وتور ملك التورانيين وسلم ملك الروم .

ونجم عن تقسيمه الملك بين أبنائه هؤلاء حروب طويلة بين هذه الأمم صارت مادة خصبة لملاحم الشاهنامة ، وكان أهمها وأطولها وقائع إيران وتوران ويليها أهمية حروب الإيرانيين والروم ثم حروبهم مع العرب ،وفى وصف الفردوسى المسهب لهذه الحروب عرض رائع بارع لآداب الحرب وفنونها .

وفى عهد أفريدون ظهر أول علم رفعه ملوك إيران فى الحرب ، وهو العلم الذى صنعه (كاوه) الحداد من الأدم وحمله فى ثورته على الضحاك . وقد تيمن به الملوك وزينوه بالحرير والجواهر وعرف باسم « الدرفش الكاويانى » .

وحدثت فى تاريخ إيران انقلابات دينية وهزات مذهبية أهمها وأبعدها أثراً ظهور دعوة زردشت فى أيام *كشتاسپ ثم إحياء العقيدة الزردشتية واتخاذها ديناً رسمياً للدولة فى عهد أردشير بن بابك ، فخاض *كشتاسپ حروباً مريرة ضد مناوئى هذه الدعوة فقد فيها أكثر أبنائه وأخاه وخيرة قواده . وأقام أردشير الساسانى دولته على دعامة وطيدة من وحدة الملك وهذا الدين ، وأعاد أنو شيروان لدين زردشت مكانته بالقضاء على فتنة مزدك ووضع أسساً قوية لنظام الطبقات الاجتماعية .

وتؤكد أقاصيص الشاهنامة اعتقاد الإيرانيين الراسخ فى عدم إمكان قيام دولتهم وصلاح أمرهم بغير الالتفاف حول ملك،واستنكارهم الخروج عن طاعة الملوك الشرعيين وتوقعهم سوء المصير للخارج عليهم :

(كاوه) الزعيم الشعبى الثائر على طغوى الضحاك يجمع الشعب ويلتف به حول أفريدون ويقضى الثوار على الضحاك الغاصب الغاشم وتستعيد البلاد أمنها بفضل التفافهم حول هذا الملك .

وعند ما استولى أفراسياب ملك الترك على إيران وقتل ملكها نوذر واجتمع عسكر

إيران على بطلهم زال بن سام ، نرى هذا البطل يبيت ليله مسهداً مفكراً فإذا ما أصبح قال (لا بد لهذا الجمع العظيم من ملك يتسنم سرير الملك ويعتصب بتاج السلطنة حتى ينظر فى الأمور ويكون موئلا للجمهور)[١] .

وكذلك بعد موت (*كرشاسپ) وتجدد أطماع الترك فى البلاد يدعو البطل (زال) أركان الدولة وأعيان الأمراء والموابذة ويقول لهم (إنى قد حشدت هذا الجمع الكثير والجم الغفير ولا بد من ملك يتولى تدبيرهم ويسوس صغيرهم وكبيرهم ، فإنه لما جلس زو على سرير الملك استتبت الأمور وانتظمت ، وهكذا الآن لا بد من ملك يشمل الكل أمره ونهيه ويحوط الجملة رأيه وعقله)[٢] .

ولما أساء الملك نوذر سيرته وخرج عليه جنده استعان بالبطل سام ، فلما قدم واستقبله القادة وأكابر الدولة يشكون إليه الملك ويعرضون عليه تولى الملك أجاب : (أنَّى يستحسن الرب تعالى وتقدس أن يكون مثل نوذر الذى هو من هذا البيت الكريم قاعداً على سرير الملك وأنا أتعرض للتاج والتخت ومن يجترئ أن ينطق بهذا المحال أو يسمع بهذا المقال ؟ ولو لم يخلف الملك منوچهر غير ابنة لكان من الواجب أن تجلس على التخت وتعتصب بالتاج وأن لا يكون لى فى خدمتها مقر غير تراب عتبتها)[٣] .

ولا أبلغ فى الدلالة على استنكار الإيرانيين الإساءة إلى ملوكهم والخروج عليهم من قول زال لابنه رستم بعد قتله اسفنديار ابن الملك *كشتاسب (جزعى عليك الآن أكثر من جزعى على اسفنديار فقد بلغنى من عالم الصين وسائر المنجمين أن من يقتل اسفنديار يقتل ولا تطول مدته وتحق فى الدارين شقوته)[٤] .

وقول العجوز وقد سألها بهرام جوبين متنكراً رأيها فى خروجه على مليكه پرويز

---

(١) تعريب البندارى للشاهنامة طبعة عزام ج ١ ص ٩١ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٧ .

(٣) نفس المصدر آخر ص ٨٠ وأول ص ٨١ .

(٤) نفس المصدر ص ٣٦٣ .

ابن هرمزد (كأن الشيطان خاط عينك ، أما تعلم أن ابن كشسپ إذا قاتل ابن هرمزد يضحك منه ويبكى عليه) [١] .

وكذلك قالت أخت بهرام وزوجه وهى تبكيه ساعة احتضاره (كم نصحتك وقلت : لا تحم حول هذا الجفاء ولا تقلع دوحة الوفاء فإن الساسانية لو لم يبق منهم سوى بنت واحدة كانت هى المعتصبة بالتاج المتسنمة سرير العاج ، لكنك لم تسمع مقالاتى النافعة ولم تكن مواعظى فيك ناجعة) [٢] .

وملوك إيران فضلاً عن اتصافهم بصفات جسمانية وخلقية عالية يشاركهم فيها الأبطال كجمال الصورة وقوة البدن ووثاقة التركيب والشجاعة يتميز بعضهم عن سائر أشخاص الملحمة بعلامة جسدية خاصة يعرفون بها :

يلتقى بهرام بن *كوذر أحد أبطال الملك كيخسرو بن سياوش ببطل من أبطال أفراسياب يبدى اهتماماً بالغاً بتعرف أبطال إيران، فإذا ما سأله عن سر هذا الاهتمام أعلمه أنه (فروذ) بن سياوش وقد أخبرته أمه بأن ملك إيران أخوه ، فيطلب منه *كوذر أن يريه العلامة الكيانية فيكشف له عن عضده ويريه (شامة كأنها نقطة عنبر تلوح على الورد الأحمر) [٣] .

وقبل ذلك أراد البطل الإيرانى *كيو أن يستوثق من شخص كيخسرو بن سياوش فسأله : (وما الذى معك من علامة الكيانية ؟ فكشف عن جسمه وأراه شامة سوداء فى عضده كنقطة المسك على عمود من الكافور) [٤] .

ولا يتوقف صلاح أمر البلاد على حسن سيرة الملوك فحسب بل على حسن سريرتهم كذلك :

نزل بهرام *كور متنكراً ضيفاً على قروى يملك بستاناً كبيراً، ولما سأل القروى عن خراج البستان وتبين ضآلته أضمر زيادة الخراج ، فلما أصبح ذهبت امرأة القروى إلى بقرتها لتحلبها فلم يدر ضرعها فقالت لزوجها : (إن قلب السلطان قد

---

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ٢١٨ .
(٢) ج ٢ ص ٢٢٧ .
(٣) ج ١ ص ٢٠٦ .
(٤) ش . ع . ج ١ ص ١٩٢ .

تغير وكأنه قد نوى سوءاً وأضمر ظلماً ، فقال لها الزوج ما هذا التطير ؟ فقالت : أما تعلم أن الملك إذا صار ظالماً جفت الألبان فى الضروع ولم يأرج المسك فى النوافج وشاع الزنى والربا فى الخلق وصارت القلوب قاسية كالحجر الصلد وعاثت الذئاب وضريت بالإنس وتخوف ذوو العقول من ذوى الغواية والجهل ، ولولا حدث حدث لما تغير لبن البقرة الحلوبة ؟ فلما سمع بهرام ذلك من المرأة ندم على ما أضمر واستغاث فى سره إلى الله تعالى وتاب عما عزم عليه ، ثم عادت المرأة إلى البقرة تسمى الله تعالى ، ومست ضرعها فدرت بلبن غزير ، ففرحت المرأة وقالت: إنك يا مستغاث الخلق قد قلبت الظالم عادلا حتى عاد ضرع هذه البقرة حافلاً)[١]

والإسراف والبذخ ظاهرة عامة فى حياة الملوك جميعاً تبدو واضحة فى قصورهم ومجالسهم وأعراسهم ومحافلهم وخلعهم وهداياهم وهباتهم وعطاياهم ، ونجتزئ هنا بعرض موجز لصورة من مجلس شراب الملك كيخسرو فى البستان (وفتح باب البستان وقد هيئ للملك فيه مجلس يروق العيون ، وقد فرش بالزرابى الخسروانية والوشائع الأرجوانية ونقل إليه تخت الملك وتاجه ونصب فى المجلس شجرة تظل عليه أصلها من الفضة وأغصانها من الذهب ، وقد تهدلت منها شماريخ من اللؤلؤ واليواقيت ولها أوراق من الزبرجد ، وعليها بازات على شكل الأترج والسفرجل مجوفة محشوة بالمسك السحيق معجوناً بسلاف الرحيق ، وهى مثقوبة بثقب ينتثر منها المسك والعنبر إذا ضربها الهواء على رءوس الحاضرين ، فجاء الملك ولبس التاج وجلس على التخت مع رستم فى ظل الشجرة واصطفت الوصائف والسقاة على رءوسهم الأكاليل المرصعة وعليهم الملابس المذهبة ، بالأطواق والأقراط ، كالأقمار الطالعة والشموس المشرقة، فى حجورهم المزاهر وفى أيديهم المعازف ، تشرق فى أكفهم الأقداح وتقهقه فى أوجههم الراح)[٢] .

---

(١) ش . ع . ج ٢ ص ٨٧ .
(٢) ش . ع . ج ١ ص ٢٤٦ .

الأبطال

ونعنى بهم أبطال الشاهنامة من غير الملوك وقد ظهروا على مسرحها منذ عهد أفريدون وكان طليعتهم« كاوه» الحداد البطل الشعبى الذى ثار على الضحاك وجمع الشعب الساخط حول رايته « درفش كاويانى » وسار به خلف أفريدون ، وكان بعض هؤلاء الأبطال من أبناء الملوك الذين لم يقدر لهم تسنم العروش مثل طوس ابن نوذر واسفنديار بن *كشتاسب .

وعندما جهز أفريدون حفيده منوچهر لحرب عميه توروسلم ثأراً لأبيه إيرج نرى أمامه قارن صاحب حربه وعلى رأسه سام بن نريمان حامل سيفه وعلى بابه شيرويه وشاپور .

وفى أيام منوچهر نشهد مولد بطل جديد هو زال بن سام ربيب العنقاء وأبو رستم بطل الأبطال جميعاً الذى أوجزنا قصته خلال الحديث عن موضوع الشاهنامة .

كان هؤلاء الأبطال — باستثناء بهرام جوبين — جنداً أوفياء للملك لا تحدثهم أنفسهم بالخروج عن طاعته رغم ما أوتوا من قوة البأس ، بل نراهم إذا خلت البلاد من ملك يفتقدون أميراً من سلالة الملوك يجدون فى طلبه ليضعوا على رأسه التاج ويلتفوا حوله .

هذا زال يبعث بابنه رستم فى جماعة من الأمراء والقواد إلى جبل البرز ليبحثوا عن كيقباد سليل أفريدون ليلى أمر البلاد ، وكذلك يرسل البطل *كوذر ابنه *كيو إلى بلاد التركستان فى طلب كيخسرو بن سياوش وحفيد كيكاوس لتقر به عين جده ولتجد فيه البلاد عوضاً عن أبيه الذى قتله أفراسياب .

ولا يكاد هؤلاء الأبطال يبرمون أمراً حتى فى خاصة شأنهم دون رضاء الملك وموافقته ، فسام لا يأذن لابنه زال بالزواج من معشوقته روذابه بنت ملك كابل العربى إلا بعد موافقة الملك منوچهر ، ولا يرتكب أحدهم خطأ حتى يبادر إلى الملك مقراً بذنبه طالباً الصفح والمغفرة كما وقع لطوس بن نوذر مع الملك كيخسرو ،

ولكنهم كانوا كذلك من رفعة القدر وعزة الجانب بحيث يقومون اعوجاج الملك ويردونه إلى صوابه ويعاتبونه بل ويوبخونه فيعتذر الملك إليهم ويسترضيهم .

أصلح سام من أمر الملك نوذر ، وعاتب رستم بل أنب الملك النزق كيكاوس مراراً على تهوره وعدم تبصره فى عواقب الأمور . ولا يرى الملك غضاضة فى أن يخرج بنفسه لاستقبال البطل والجلوس معه فى مجلس الشراب كما فعل كيخسروا مع رستم عند عودته بعد تخليصه بيز*ن وكذلك خرج منوچهر من قبل لاستقبال البطل سام وابنه زال وأعد مجلساً للشراب جلس فيه مع زال .

ولا يعتمد أبطال الشاهنامة على القوة وحدها بل نراهم يلجأون إلى الحيلة أيضاً ، فاسفنديار لا يفتح قلعة « روئين دز* » بقوة الجيوش بل يعمد إلى التنكر فى هيئة تاجر ويدخلها مع رجاله فى صورة قافلة ويهتبل من أهلها غرة ، ولجأ رستم إلى مثل هذه الحيلة عندما ذهب إلى توران لخلاص بيز*ن بن *كيو من محبسه فدخل البلاد فى نفر من أصحابه متنكرين فى زى التجر .

وأبطال الشاهنامة رغم ولعهم بالشراب واللهو « كملوكهم » يتحلون بالعفة ورعاية العهود والمواثيق ، فغرامهم ينتهى دائماً بالزواج ، زال يتزوج روذابه ، وبيز*ن يتزوج منيز*ه ، ورستم لا يقرب تهمينة ابنة ملك سمنـ*كان رغم سكره دون أن يعقد عليها ، وسياوش لا يستجيب لمراودة امرأة أبيه الجميلة ، ويرفض أن يخيس بعهده الذى عاهد عليه أعداءه التورانيين ويفضل الاغتراب عن بلاده وإغضاب أبيه على الغدر بعدوه ، ورستم يفى لأولاذ بوعده فيطلب إلى كيكاوس أن يوليه ملك مازندران جزاء على مساعدته للإيرانيين فى فتوحها .

وهم يحاربون الجن أيضاً ويصارعونهم ويتغلبون على السحرة والوحوش والحيوانات الخرافية ويأتون بالخوارق كما هو مشاهد فى قصتى رستم واسفنديار ، ولكنهم رغم هذا ليسوا مبرأين من عيوب خلقية ، طوس عنيد نزق مستبد برأيه ، يعد الملك كيخسروا بالتزام وصاته وعدم سلوك الطريق إلى قلعة كلات ، ولكنه يركب رأسه ويخلف وعده ويسلك الطريق الذى نهاه الملك عنه ، ويخاشن فروذ بن سياوش صاحب القلعة وأخا كيخسرو رغم تودده للإيرانيين وترحيبه بهم فتقع معارك بين الفريقين يقتل فيها فروذ وأحد أبناء طوس دون ضرورة لذلك ثم يقرع سن الندم .

ورستم يخرج فى خف من أصحابه إلى متصيد أفراسياب ألد أعداء إيران ، ورغم علمه باطلاع أفراسياب على وجوده بالمصطاد يقيم على اللهو والشراب معتمداً على قوة بأسه وشجاعته معرضاً نفسه وصفوة أصحابه للوقوع فى أسر التورانيين ، ونراه يكذب على ابنه سهراب فيؤدى كذبه إلى وقوع مأساة قتل ولده بيده وندمه لات ساعة مندم .

الوزراء والموابذة

أخذ الوزراء مكانهم فى الشاهنامة منذ فجرها ، فطهمورث له وزير موصوف بحسن السيرة وسداد الطريقة ، وللضحاك كذلك وزير يدخل على أفريدون بعد استيلائه على قصر الضحاك وتخته ويسجد بين يديه ، وأفريدون يتخذ من ملك اليمن وزيراً ،وكان جاماسپ العالم ورأس الموابذة وملك العلماء وزيراً لـ*كشتاسپ وكذلك كان بزر*كمهر وزيراً لأنوشيروان .

أما الموابذة فهم منذ القدم رجال الدين على الإطلاق عند الإيرانيين والتورانيين وليسوا رجال دين زردشت فحسب .

أمر الضحاك بأن ينادى فى المملكة بجمع كل موبذ موصوف بكمال العلم ورزانة الحلم وثقوب الرأي ووفور العقل وأمرهم بأن يكتبوا له محضراً يشهدون فيه بعدله وسهره على مصالح الرعية ففعلوا .

ولما مثل زال بحضرة منوچهر وأراد الملك أن يجرب عقله،أحضر الموابذة ليسألوه عن مسائل غامضة ليجيب عليها .

وفى ولادة رستم يقوم الموبذ — بإشارة العنقاء — بتخدير روذابة بالخمر ويشق خاصرتها بحديدة حادة ويستخرج الطفل من بطنها ويخيط الشق ، فكان بذلك أول جراح يجرى جراحة تحت تأثير مخدر ، ومنوچهر عند ما أخبره المنجمون بدنو أجله جمع الموابذة والهرابذة والأمراء والقواد ليعظ ابنه نوذر ويعهد إليه بالملك أمامهم. والموبذ يشير على البطل زال بطلب كيقباد سليل أفريدون من جبل البرز لتولى الملك .

وسياوش يطلب من أبيه كيكاوس أن يجمع الموابذة والأكابر ليعلموه آداب الفروسية والملك ، ويقول كيكاوس إنه فهم من كلام الموابذة والمنجمين أنه سيخرج من ظهر ابنه سياوش ملك يطبق الشرق والغرب صيته ، وأفراسياب ملك التوران أيضاً يجمع الموابذة والمعبرين والعلماء والمنجمين ويقص عليهم رؤيا هائلة أفزعته فيتصدى موبذ من بينهم لتعبير رؤياه بعد أن يستأمنه ، ويقول بيران البطل التورانى للخاقان : (الرأى عندى أن نجمع الموابذة والأكابر ونتشاور فى هذا الأمر المشكل والداء المعضل)[١] وكان جاماسپ رئيس الموابذة وزيراً للملك * كشتاسپ وهو فى نفس الوقت عالم ومنجم .

فالموابذة من أقدم عصور الشاهنامة أصحاب الرأى والشورى ورجال الدين وهم إلى هذا أهل العلم والمعرفة والآداب والمعارف المختلفة من علم بالأنساب والنجوم ودراية بالطب وتعبير للرؤى وإلمام بأدب الفروسية والملك بل نرى منهم من ولى الوزارة مثل جاماسپ .

أما فى العصر الساسانى فهم فوق منزلتهم الدينية الرفيعة يتولون أحياناً المناصب الدنيوية الكبيرة ، وقد قلد أنو شيروان بابك الموبذ ديوان الجيش وأمره أن يبنى على رأس الميدان قصراً رفيعاً ليشرف منه على العسكر ، فلما استعرض الموبذ الجند ولم يكن أنو شيروان من بينهم أصر على أن يشترك الملك فى العرض لتتحقق بذلك المساواة فى الجيش فامتثل أنو شيروان أمره[٢] .

المنجمون والسحرة

وللمنجمين فى الشاهنامة شأن كبير ، لا نكاد نرى ملكاً يقطع أمراً ذا بال دون استشارتهم والنزول على أحكامهم ، فالضحاك يدعو المنجمين فيمن دعا لتأويل رؤياه المنبئة بزوال ملكه ويسألهم عن أحوال المملكة على ما أدركوه من أحكام النجوم فيقوم من بينهم من ينبئه بزوال ملكه على يد ملك اسمه أفريدون ويؤمن بهذا

---

(١) ش . ع . جـ ٢ ص ٢٢٧ .

(٢) ش ع . جـ ٢ ص ١٢٣ ، ص ١٢٤ .

ويجد فى طلب أفريدون للفتك به ، ولما سمع الملك منوچهر قصة زال من أبيه سام أحضر المنجمين وسألهم عن طالع زال فبشروه بسعادة طالعه ، وعند ما استأذن سام الملك منوچهر فى زواج ابنه زال من روذابة ابنة ملك كابل العربى الأصل سليل الضحاك عارض فى ذلك أشد المعارضة ثم عاد فأذن بعد أن بشره المنجمون بأن هذا الزواج سيثمر بطلاً تعتز به البلاد ، ولما اتهمت سودابة زوجة كيكاوس ابنه سياوش بإجهاضها فى محاولة للاعتداء على عفتها وقدمت له سقطين دليلا على صدق دعواها لم يبت فى هذه القضية قبل الرجوع إلى المنجمين الذين أخبروه بأن السقطين ليسا من صلبه ولا من رحم سودابة وذكروا صفات الساحرة التى أسقطتها وأثبتوا براءة ابنه ، وكذلك لم يوافق خاقان الصين وزوجه الخاتون على زواج ابنتهما الأثيرة من أنو شيروان إلا بعد أن بشرهما المنجمون بأنه سيحصل من تلك المصاهرة ولد يملك الأرض ويختص بالثناء من أكابر إيران وتوران ، إلى غير ذلك من أمثلة عديدة .

وليس للسحر والسحرة فى الشاهنامة مكانة التنجيم والمنجمين فالتنجيم علم جليل يشتغل به العلماء والحكماء والموابذة والمنجمون على السواء ، وللمنجمين فى بلاط الملوك مقام كريم بفضلهم يستشفون حجب الغيب ويقفون على أسرار المجهول ويقضون فى المهمات ، ولكن السحر غالباً عمل غير مشروع لا يتولد منه فى أكثر الأحيان غير الشر ، وكثيراً ما يلقى السحرة حتفهم جزاء وفاقاً على أعمالهم ، وهم قادرون بقوة السحر على التشكل فى صور مختلفة وخداع العين بتأثير سحرهم فيرون الناس البر بحراً والبحر براً وهم غالباً من العجائز أو اليهود، وكثيراً ما استعان أعداء الإيرانيين عليهم بالسحر كما حدث فى حروبهم مع أفراسياب وفى مازندران ، وقد كانت الساحرة الشمطاء إحدى العقبات السبع فى طريق رستم إلى مازندران وكذلك كانت الساحرة إحدى هذه العقبات فى هفتخوان إسفنديار فقتلت الساحرة الأولى على يد رستم كما قتلت الأخرى على يد إسفنديار ، وهددت الساحرة أيضاً فى قصة سياوش وسوذابة بنشرها نصفين إن أصرت على الإنكار وقد استعملت هذه الساحرة دواء للإجهاض أسقطت به جنينين من بطنها على أقبح صورة ، واستطاع اليهودى الساحر فى قصة مهبود الوزير وولديه أن يسمم طعام أنو شيروان بتأثير نظرة واحدة

من عينيه ولما كشف أمره صلب ورشق بالسهام .

ولكن للسحر إلى جانب هذا آثار تدخل فى باب الفن والإعجاز ، فقلعة الملك المسمى « الكافور » آكل البشر مثلاً وهى من بناء أفريدون كان بها طلسم يمنع من نصب المجانيق عليها ولم يفتحها رستم إلا بطريق النقب فى أصول قواعدها وتعليقها على الخشب وإشعال النفط فيها ، وقد أمر ساوة ملك الترك فى حربه مع بهرام جوبين سحرته فسحروا أعين الإيرانيين وخيلوا لهم سحاباً أسود يمطر عليهم شآبيب النبال ويبرق ببوارق السنان والنصال .

وكان للملك كيخسرو جام سحرى إذا دخل شهر هرمز ورفعه يرى فيه الكائنات بأقاليم الدنيا السبعة وبواسطةهذا الجام عرف مكان البطل (بيز*ن) فى قصة (بيز*ن ومنيز*ه) وتمكن من إنقاذه على يد رستم ، وهناك جام سحرى آخر أهداه كيد ملك الهند للإسكندر إذا ملىء بالماء لا ينقص الشرب منه شيئاً ، وأراد قيصر أن يجرب وجوه الإيرانيين الذين أنفذهم إليه خسرو پرويز بن هرمز طلبا لنجدته ضد قائده الثائر بهرام جوبين فاستحضر من على بابه من السحرة وأمرهم أن يعملوا تمثالاً فى صورة جارية جميلة محزونة حولها الجوارى وتتساقط من عينيها الدموع فترفع يدها وتمسح عينيها وأفهم الإيرانيين أنها ابنته وطلب إليهم أن يكلموها ويواسوها فلم يفطن إلى حقيقتها من بينهم سوى خراد بن برزين .

الأطباء والعلماء والحكماء والفلاسفة

نلتقى بالأطباء لأول مرة فى الشاهنامة فى قصة الضحاك وهم يستأصلون الحيتين من كتفيه لتعودا فتنبتا من جديد ، كما نرى إبليس يظهر فى صورة طبيب ويشير على الضحاك بإطعام الحيتين أدمغة الآدميين تسكيناً لهما حيث لا جدوى من استئصالهما ، ونرى الموبذ يخدر أم رستم بالخمر ويشق خاصرتها ويستخرج الجنين من بطنها ، وفى العصر الساسانى نلتقى بالطبيب برزويه مترجم كليلة ودمنة من الهندية إلى الفهلوية .

وكيد ملك الهند يرسل إلى الإسكندر طبيباً يقول عنه إنه إن أقام معه لم يصبه داء مدة حياته .

وأما العلماء والحكماء فأول ما نلتقى بهم فى آخر عهد جمشيد وقد أنكروا عليه انحرافه عن الصراط السوى ، وكذلك يرد ذكر الحكماء مع الأطباء الذين أحضرهم الضحاك ليخلصوه من الحيتين النابتتين فى منكبيه ، ونرى العلماء أيضاً وقد جمعهم الضحاك مع المنجمين والكهنة والسحرة ليعبروا رؤياه فيؤولها له من بينهم حكيم طاعن فى السن قد مارس العلوم وعرف الأحكام ، وأوفد كيد ملك الهند إلى الإسكندر فيلسوفاً حكيماً يخبر بجميع ما يكون قبل وقوعه .

ويمكن القول بأن الموابذة والمنجمين والأطباء والوزراء وأهل الرأى والمشورة كانوا من بين هؤلاء العلماء والحكماء وخير مثل لهم الحكيم جاماسپ وزير * كشتاسپ ورأس الموابذة والعلماء والمنجمين وبزر * كمهر وزير أنو شيروان وعالم فارس وحكيمها المشهور حلال المشكلات وكاشف سر الشطرنج ومبتكر النرد ، وكان سبب اتصاله بأنو شيروان تعبيره لرؤيا رآها هذا الملك فكشف بتعبيره لرؤياه عن وجود رجل فى حريمه متنكراً فى زى النساء .

وجعل أنو شيروان على بابه سبعين عالماً متبحراً فى فنون العلوم ليجلس إليهم بعد فراغه من شئون الملك يباحثهم ويسائلهم .

النساء

تلعب المرأة فى الشاهنامة دوراً هامًّا وتأخذ بين أشخاصها مكاناً مرموقاً ، تمارس الحرب والفروسية وتسفر بين الملوك فتحسن السفارة ، أخت هجير مستحفظ قلعة « سپيد دز * » أى القلعة البيضاء يعز عليها هزيمة أخيها أمام سهراب فتلبس السلاح وتنزل من القلعة مثل الأسد على فرس كالريح المرسلة وهى تقول : أين آساد الرجال وأبناء القتال ، وأخت بهرام جوبين تقود العسكر فى عودتها من الصين ، ويلحق بها (طبرك) أخو الخاقان ليرغمها على العودة معه فتبارزه وتقتله ، وعند ما أمر الملك منوچهر البطل سام بن نريمان بالتوجه لقتال مهراب ملك كابل وضاقت على

مهراب الأرض بما رحبت سرت عنه زوجته (سيندخت) وأعملت الفكر والتدبير واستأذنته فى الذهاب إلى معسكر سام بالمال والهدايا وأمكنها بلطف الحيلة وقوة البيان أن تحول دون وقوع الحرب الموشكة وتظفر بموافقة سام على زواج ابنه (زال) من ابنتها (روذابه) .

وهى فى حبها حصيفة ذكية جريئة وفية ، تختار حبيبها من بين الأبطال وتبدأ بمطارحته الهوى وتخاطر بحياتها من أجله وتهدف بحبها إلى الزواج منه وتقيم بعد الزواج على الوفاء له وإذا استثنينا غرام (سودابة) زوج الملك كيكاوس بسياوش ابن زوجها وافتتانها به لا نظفر فى الشاهنامة من أولها لآخرها بحب عابث .

نرى مصداق هذا فى قصة (زال ورودابة) و(بيز*ن ومنيز*ه) و (كتايون و*كشتاسپ)و (تهمينة ورستم) و (*كلنار وأردشير) و(خسرو وشيرين)على ما هو مفصل فى هذه القصص العاطفية ، وكذلك تظهر المرأة وفية لزوجها بعد مماته إلى أبعد حدود الوفاء : (فر*نكيس) تثور وتلعن أباها (أفراسياب) لقتله زوجها (سياوش) معرضة بذلك نفسها لأشد النكال والعذاب وتبقى بعد مصرع الزوج وفية له وتقف حياتها على تربية ولده (كيخسرو) وتفر معه إلى إيران .

و (شيرين) تهوى إلى جانب جثمان زوجها منتحرة بالسم مفضلة الموت على الزواج من قاتله ، وإلى جانب هذا نرى نسوة يغدرن بأزواجهن ويسعين فى هلاكهم فابنة أردوان تدس السم لزوجها (أردشير) بإيعاز أخيها وذلك لأنه قتل أباها وشرد إخوتها فكان بالنسبة لها عدواً واتراً أكثر منه زوجاً ، وأخت بهرام جوبين تقتل زوجها (كستهم) استجابة لرغبة (خسرو پرويز) لتتزوج منه ، وقد تجمع المرأة بين حسن الصورة وقوة البنية وتكون أقوى من الرجل كابنة (مانك) التى نزعت من البئر ذنوباً وسقت (شاپور) بعد أن عجز غلمانه عن ذلك ، وفى الشاهنامة نساء ولين الملك مثل (هماى) ابنة بهمن بن إسفنديار و (بوران) ابنة پرويز وأختها (آزرم دخت) ، غير أن العجائز منهن يكاد يكون أمرهن مقصوراً على ممارسة السحر والجمع بين الحبيبين كما يرى فى هفتخوان رستم وإسفنديار وقصتى (زال وروذابة) و (سياوش وسودابه) .

الجن

الجنة أمة عاشت مع الناس فى صعيد الشاهنامة جنباً إلى جنب وتأرجحت فى علاقاتها بهم بين الحرب والسلام وأسهمت معهم فى بناء الحضارة وكان من بينهم الملوك والأبطال ولكن السيطرة والغلبة كانت دائماً للإنسان .

نراهم فى العصر الأسطورى رعايا خاضعين لملوك إيران الأقدمين ، يتمرد جنى منهم فيقتل (سيامك) بن (*كيومرث) فيثور الأب ويصرع ذلك الجنى ، وطهمورث يسجن عفريتاً فيجتمع الجن على حربه وخلع ربقة طاعته فيستذل بعضهم بالقهر ويوثق البعض الآخر بالرقى والسحر ويطلبون منه الأمان على أن يعلموه الخط والكتابة على ثلاثين نوعاً من الألسنة المختلفة ، وجمشيد يسخر الجن فى نحت الأحجار وتخمير الأطيان وضرب اللبن الكبار ، واستحداث الأبنية وإقامة المدن ، وعمل تختاً مرصعاً بالجواهر ورتب له حملة من الجن .

ولما دخل كيكاوس مازندران استعان عليه ملكها بحليفه(سپيد ديو) ملك الجن فحمل على الإيرانيين بخيله ورجله وأطبق عليهم سحب الظلام وأعمل فيهم الأسر والسلب دون القتل وتركهم فى دياجير دامسة ، فلما استعان كيكاوس برستم بن دستان جاءه على جناح الركض فسمع صياحاً عظيماً ولغطاً كثيراً ورأى نيراناً مشتعلة وشموعاً موقدة ، وأخبره أسيره أولاذ أن هذه مدينة مازندران وعليها قواد الجن مثل كولاذ وأرز* نك* وبيد فحمل عليهم رستم وقتل ارز*نك* أحد قوادهم ثم اقتحم على سپيد ديو ملك الجن غاره وقتله وانتزع كبده وكحل بدمها عينى كيكاوس فشفى من العمى الذى كان أصيب به بتأثير الظلام ، وكذلك تمكن كيخسرو من فتح قلعة بهمن التى كان يحرسها الشياطين وأهلك عدداً كبيراً من الجن واستحق بذلك أن يلى الملك ، واستطاع رستم أن يقتل أكوان الجنى الذى ظهر فى صورة يعفور عجيب الخلقة وفتك بخيل الملك كيكاوس . واستعان أفراسياب فى إحدى حروبه بجنى اسمه (پولاذ وند) وخف الجنى لنصرته فصارعه رستم وغلبه ، وفر الجنى مع بقية جنده .

الحيوانات والكائنات الخرافية

البقرة والحصان أصدق أصدقاء الإنسان من بين سائر الحيوان :

أفريدون فى طفولته تغذوه بقرة الراعى الصالح بلبنها ، وحصان رستم المسمى الرخش يخوض معه جميع المعارك ويشاركه فى الصيد ويحرسه عند نومه فيقتل الأسد الذى جاء لافتراسه وهو نائم ويساعده على قتل الأفعوان فى طريق هفتخوان ، وسياوش عند ما توقع دنو أجله أدنى إليه حصانه (بهزاد) وساره فى أذنه ونعى إليه نفسه وعزاه وأوصاه بالتوحش وأن لا ينقاد لأحد من بعده ولا يمكن من ظهره غير ولده كيخسرو حين يأتى طالباً لثأره ؛ وقد وفى بهزاد لكيخسرو بما عاهده عليه سياوش ، أما الفيلة فتظهر فى حروب الترك والصين يركبها الملوك للزينة ويستخدمونها لتحطيم صفوف العدو ، وتروض بعض السباع لاستخدامها فى الصيد مثل الفهود والأسود والنمور والبزاة كما نشهد ذلك فى موكب خروج كسرى پرويز إلى المصطاد ، وحملت النسور أو العقبان عرش كيكاوس وطارت به فى الهواء ، وكان حمار الوحش أهم الحيوانات التى تقنص ، فرستم لا يجد ما يسد رمقه غير حمار الوحش يشويه ويأكله دفعة واحدة ، واشتهر الملك الساسانى بهرام بصيده فنسب إليه وعرف باسم بهرام *كور[1] .

وعنقاء زال أبرز الكائنات الخرافية صورة بالشاهنامة وقد لعبت فى الملحمة دوراً بطولياً هاماً : غذت زال وليداً وربته بين أفراخها وردته إلى أبيه سام حين بلغ أشده بعد أن زودته بريشة من جناحها لتكون وسيلة اتصاله بها إذا حرقها ، وخفت لنجدته حين تعسرت ولادة زوجه روذابة لوليده رستم فتم الوضع ونجت الأم ، وكذلك سارعت لإنقاذ وليده رستم عند عودته من مبارزة إسفنديار مثخناً هو ورخشه بالجراح واستخرجت بمنقارها السهام من جسمه وجسم الرخش وأست جراحهما بريشتها المغموسة فى اللبن ، ثم أرشدت رستم إلى شجرة طرفاء وأشارت عليه بعمل سهم من خشبها يركب له نصلاً ويسدده إلى عين اسفنديار إذا لم ينصرف عن

---

(١) من معانى كلمة « *كور » فى الفارسية : حمار الوحش .

قتاله بالحيلة فيكون فى ذلك مقتله، ولكنها تنبأت لرستم أيضاً بسوء مصيره ودنو أجله إن تم ذلك ، فقتل رستم ورخشه بمكيدة أخيه شغاد بعد موت اسفنديار بقليل . أما عنقاء إسفنديار فكانت إحدى عقبات هفتخوان وقد قتلها كما قتل الذئبين والأسدين والثعبان الهائل فى المراحل السابقة .

وإذا كانت العنقاء مثلت دور الصديق والعدو فإن الثعبان الخرافى كان عدوا رهيباً فى جميع الأدوار التى ظهر فيها : ثعبانا الضحاك يطعمان أدمغة الناس، و* كشتاسپ فى بلاد الروم ورستم فى مسيره إلى مازندران وإسفنديار فى طريق هفتخوان وبهرام* كور فى قصته مع (شنكل) ببلاد الهند وبهرام جوبين فى الصين ، كل منهم يصرع ثعباناً خرافياً رهيباً ذا صفات خاصة يضيق المجال هنا بذكرها ، كذلك نرى من بين الكائنات الخرافية الذئاب ذات القرون كذئبى إسفنديار فى هفتخوان وذئب* كشتاسپ ببلاد الروم ، والكركدن الهندى الذى كان يسد بطوله وعظم جثته على الرياح طريق الهبوب ويخشاه الأسد فى الخيس والنسر الطائر فى الهواء، وقد قتله بهرام * كور بناء على اقتراح شنكل فأراح الهنود من بلاء عظيم .

الملائكة والشياطين

الملائكة والشياطين كائنات غيبية من سكان العالم العلوى تتنزل على أهل الأرض بين حين وآخر وتتشكل فى صور أرضية لأداء رسالة خاصة، وقد تتراءى للناس فى الأحلام أو تناديهم من وراء حجاب . والملائكة على الدوام رسل خير لبنى البشر وهداة لهم، وعلى العكس من ذلك الشياطين لا يريدون بالناس غير السوء :

الله يرسل ملكاً لينبئ *كيومرث بأن عدواً من الجن سيقتل ولده سيامك، ثم يأتى إليه الملك مرة أخرى يعزيه ويأمره بأن يقصر من جزعه ويتأهب للانتقام لولده ، وعند ما هم أفريدون بقتل الضحاك مثل أمامه ملك يقول : (إن الله قد أنسأ فى أجل هذا الثعبان وأمر بتعذيبه طوال الزمان ، فشد وثاقه وضيق عليه خناقه فإذا وصلت إلى جبل دنباوند فاحبسه فيه[1] .

---

(١) ش . ع . جـ ١ ص ٣٦ .

وقد رأى *كوذرز فى منامه سحاباً كثير الماء وفيه ملك يناديه ويقول : إن فى بلاد توران ملكاً يسمى كيخسرو وهو ابن سياوش ولا يخلص إليه من أهل إيران وأكابرها غير *كيو .

وفى حرب هماى بنت بهمن مع الروم مر قائد جيوشها بطاق يريد أن ينقض تحت وابل المطر فسمع هاتفاً يقول : (أيها الطاق المستهدم اثبت مكانك فإن تحتك ملكاً كبيراً نجله أردشير)(١) وإذا بهذا النائم تحت الطاق المتداعى داراب بن هماى الذى أخفت مولده لتنفرد بالملك . وتدخل الملك فى الحرب بين خسرو پرويز وقائده المتمرد بهرام جوبين على نحو ما تفعل آلهة اليونان ، إذ فر پرويز منهزماً أمام بهرام بين مخارم الجبال فوجد الطريق أمامه مسدوداً وتوقل الجبل فعجز عن التصعيد فيه والهبوط منه وبهرام جاد فى طلبه يظن أنه ظفر به ، فإذا هو بفارس تراءى له فى الهواء على فرس أشهب فى ثياب خضر فأخذ بيده ورفعه إليه بمرأى من عدوه ثم حطه إلى السهل ، ولما سأله پرويز من يكون أخبره أنه ملك من الملائكة وبشره بأن ملكه سيتمادى إلى ثمان وثلاثين سنة . وفى قصة استشفاء يزد*كرد بن شاپور بماء العين المعروفة بعين السوء من الرعاف الذى أصيب به نرى كائناً غيبياً يخرج من الماء على هيئة فرس أشهب نهد كالأسد يصهل فى أحسن صورة وأجمل هيئة ويستكين ليزد*كرد وحده من بين القوم ، فإذا ما وقف يزد*كرد خلفه ليثفره رفسه فى صدره فخر لساعته صريعاً وعاد الفرس فاختفى فى الماء .

وتذكرنا هذه القصة بقصة ثعبانى طروادة اللذين خرجا من البحر وخنقا لاكوئون وولديه ثم عادا أدراجهما .

أما إبليس أو الشيطان فقد لعب دوراً خطيراً فى قصة الضحاك : ظهر له فى صورة خادم أمين زين له قتل أبيه ثم تبدى له فى هيئة طاه حاذق صنع له أشهى الألوان فلما قربه إليه قبل منكبيه فظهر مكان قبلتيه حيتان تنوشانه عجز عن حسم دائهما الحكماء والأطباء ، واختفى الشيطان ليظهر من جديد طبيباً مداوياً يشير عليه بإطعام الحيتين أدمغة الناس . ويسترق الشيطان السمع فينقل حديث زردشت

---

(١) ش ع ج ١ ص ٣٧٦ . داراب بن هماى من أبيها وزوجها بهمن . ويفهم من عبارة البندارى فى (ذكر نوبة بهمن) أن أردشير اسم آخر لبهمن بن اسفنديار أبى هماى وزوجها .

و * كشتاسب إلى أرجاسپ ، ويلتبس أمر الشياطين فى الشاهنامة بالجن أحياناً فنراهم حراس قلعة بهمن التى فتحها كيخسرو وأجلى عنها سكانها الجن بعد أن قتل منهم خلقاً كثيراً .

العقائد

يؤمن الناس فى الشاهنامة بإله واحد وقدر غالب لا راد له ولا يختلفون فى عبادتهم لهذا الإله إلا من حيث الصورة ، ونراهم يلجأون إليه وقت الشدة ويشكرونه بعد زوال الكربة ، وهم إزاء القضاء والقدر عاجزون لا تغنى عنهم حيلة ولا تدبير ويحيلون عليه فى كل الأمور مستسلمين :

أوشهنك* عند ما انكشف له سر النار من ضمير الصخر يخر لله ساجداً ويشكره على ما وهب له من النعمة وحباه من الكرامة ويتخذ النار قبلة .

ولما انتهت نوبة الملك إلى أفريدون بعد قضائه على الضحاك أقبل عليه الناس مهنئين يشكرون الله على ما أفاض عليهم من ملابس عدله وأزل إليهم من عوارف فضله ، وسيندخت عقيلة ملك كابل تقول لسام بن نريمان البطل الإيرانى (نعم وإن كان قصد الملك لبلاده من أجل الدين فإن إلهنا وإلهكم واحد لا خلاف بين الطائفتين فيه غير أن قبلتنا التماثيل والأصنام وقبلتكم الشمس والنيران)[1] ورستم عند ما أعياه أمر سهراب سجد لله تعالى وسأله أن ينصره على عدوه ، وكان اسفنديار يتوجه إلى خالقه بالشكر كلما اجتاز عقبة فى طريق هفتخوان إلى غير هذا من أمثلة كثيرة .

أما شواهد الإيمان بالقضاء والقدر فيكاد يخطئها الحصر : سهراب يقول لرستم (قتلت نفسك بيدك وقد وقع المحذور ومضى المقدور وليس ينفعك هذا الجزع)[2] وكيكاوس يعزى رستم فى ولده سهراب فيقول : (وقد كان من قضاء الله أن يزعجه

(١) ش . ع ج ١ ص ٦٩ .

(٢) ص ١٤٥ .

من دياره حتى تكون منيته على يدك)[١] وبيران يقول لأفراسياب وهو يثنيه عن تردده فى قبول مصاهرة سياوش (لا تحفل بقول المنجمين . . . . . وإن كان الله قد قدر شيئاً غير ذلك فالكائن لا محالة سيكون)[٢] وسياوش يمنع أصحابه من قتال أفراسياب ويقول : (إن كان قد قدر قتلى على أيدى هؤلاء الأشرار فلن ينفع الحذر من القدر وما هذا يوم قتال وإنما هو يوم تفويض واستسلام)[٣].

وإيمان القوم بالرؤى والنبوءات بارز للعيان فى كل مكان ، وجميع الرؤى والنبوءات تتحقق : الضحاك يرى رؤيا ينبئ تعبيرها بزوال ملكه على يد أفريدون وقد كان ، وسام بن نريمان — وقد كان يعتقد أن طفله زال فى الهالكين — يرى وهو نائم فارساً يخبره بوجود ولده حياً فى بعض الجبال فيذهب للبحث عنه ويجده ، وبيران فى قصة ولادة كيخسرو يرى فى نومه شمعة قد أشعلت من نور الشمس وسياوش عندها وبيده سيف مسلول ويقول : ارفع رأسك من النوم وانظر إلى ما يصير إليه حال الدنيا فهذا العيد المبارك قد حضر والليلة ليلة ضيافة كيخسرو ، فيهب بيران من نومه ويخبر زوجه برؤياه فتدخل على فرنكيس وتعود إليه لتبشره بولادة كيخسرو . وكوذرز يرى فى المنام ملكاً يناديه من بين السحاب ويخبره بوجود كيخسرو بن سياوش ببلاد توران فينفذ إليه ابنه كيو ويعود به .

والنبوءات ليست مقصورة على المنجمين بل يشاركهم فيها الملوك والعلماء والموابذة والأبطال : فالملك منوچهر يتنبأ لابنه نوذر بظهور موسى ويوصيه بالإيمان به وينبئه بخروج عسكر عظيم من الترك يملكون إيران وأن الغصن الذى تفرع من دوحة زال « يقصد رستم » سيدوخ بلاد الترك ويتوغل فى ديارهم . وزال يقول لابنه رستم بعد قتله اسفنديار بلغنى من عالم الصين وسائر المنجمين أن من يقتل إسفنديار يقتل ولا تطول مدته ، وكذلك تنبأ العلماء والموابذة والمنجمون فى قصة مقتل رستم بأن شغاد بن زال من جاريته المغنية سيكون على يديه هلاك أخيه وهلاك نسل سام بن نيرم . وحتى العنقاء تتنبأ فتقول لرستم إن قاتل اسفنديار لا يلقى خيراً ويقصر عمره ، إلى كثير

(١) ص ١٤٦ .

(٢) ص ١٧٥ .

(٣) ش ع ج ١ ص ١٨١ .

غير هذا ، ولم تكن النبوءات اقل صدقاً من الرؤى والأحلام .

وأبطال الشاهنامة يتطيرون ويتشاءمون : إسفنديار فى مسيره إلى رستم يتطير من بروك الجمل[١] وبهرام‌جوبين يتطير من يوم بهرام وهو يوم من الأيام المسترقة[٢]. وهناك ما يشعر بإيمان القوم بالبعث والدار الآخرة : يقول الملك كيخسرو وهو يحرض رجاله على قتال أفراسياب (وكل من يقتل منكم فالجنة مأواه ومنقلبه)[٣].

وفى رؤيا طوس يظهر له سياوش الذى قتله أفراسياب يبشره بالنصر ويقول : (ولا تهتم بمقتل الكوذريين فإن ها هنا حديقة ورد وهم معى فيها نشرب الرحيق ونواصل الصبوح والغبوق)[٤] وزال يقول لوالده رستم بأن عالم الصين وسائر المنجمين أخبروه بأن قاتل إسفنديار لا تطول مدته وتحل فى الدارين شقوته ، وإسفنديار ساعة احتضاره يقول فى رسالة لأبيه(فلك الآن التاج ولى الهم والحزن، ولك التخت ولى التابوت والكفن ، وسنجتمع غداً عند الله ونحتكم)[٥] .

التقاليد والعادات

إذا كانت حروب الشاهنامة وخاصة فى عهد الكيانيين والساسانيين حافلة بفنون التعبئة والزحف ومكائد الحرب وآداب المبارزة والقتال وطرق المحاصرة ودق القلاع بالمجانيق والاستيلاء عليها بالحيلة أو بالنقب فى أصولها أو بتسلق أسوارها ، وفيها عرض لأنواع الأسلحة من سيوف ورماح وقسى ونصال وحراب وخناجر وعمد ومقامع ومعدات للوقاية من الموت الداهم كالخوذات والمغافر والدروع والجواشن والتروس والتجافيف ، ويلعب الوهق بها دوره فى اقتناص الأبطال وتدور رحاها على صهوات الجياد وظهور الأفيال وتخفق بين صفوفها الأعلام وتشرف عليها سرادقات الملوك والقادة وتحف بميادينها الاستحكامات والخيام ويقوم الرسل والسفراء خلالها بإبلاغ

---

(١) ص ٣٥٤ .

(٢) جـ ٢ ص ٢٢٦ . والأيام المسترقة هى أيام النسىء فى السنة الإيرانية القديمة .

(٣) ش . ع . جـ ١ ص ٢٠٢ .

(٤) ص ٢١٩ .

(٥) آخر ص ٣٦٣ .

الرسائل والمفاوضات وإبرام المواثيق وعقد المعاهدات ووضع شروط الصلح والمهادنات ، فإن سير الملوك والأبطال خارج نطاق الحروب حافلة كذلك بأنماط من التقاليد والعادات يضيق المقام باستقصائها ويقتضى الإيجاز فى الكلام عن أهمها ، ولعله من الأوفق أن نبدأ بالحديث عن عادات القوم وتقاليدهم فى الزواج حيث تبدأ الحياة بكل مقوماتها ومقتضياتها ثم نثنى بالحديث عن تقاليدهم وعاداتهم فى نعيم هذه الحياة وبؤسها :

كان من عادة الإيرانيين الزواج بالمحارم والجمع بين الأخوات ومصاهرة غيرهم من الأمم ولكنهم — فيما يبدو — كانوا يأنفون من تزويج نسائهم من الشعوب الأخرى : إسفنديار بن الملك *كشتاسب وبطل دين زردشت يتزوج من أخته هماى وكذلك تزوج بهرام جوبين أخته ، وبهمن بن اسفنديار يتزوج ابنته هماى الملقبة بـ (تشهر آزاد) وبهرام *كور يتزوج بنات برزين الجوهرى الثلاث دفعة واحدة ، وصاهر الإيرانيون العرب فتزوج أبناء أفريدون الثلاثة من بنات سروا ملك اليمن الثلاث وتزوج زال بن سام روذابة المخدرة العربية ابنة ملك كابل كما تزوج كيكاوس سودابة ابنة دربيس ملك هماوران ، وكذلك أصهروا إلى الترك والروم والصين والهند واليونان ، فتزوج كيكاوس حفيدة (كرسيوز) أخى أفراسياب وأولدها سياوش الذى تزوج بدوره فرز*كيس ابنة أفراسياب ، وبنى *كشتاسب بكتايون ابنة قيصر الروم كما تزوج خسرو پرويز مريم ابنة قيصر أيضاً ، وتزوج أنوشيروان ابنة خاقان الصين وتزوج بهرام *كور ابنة شنكل ملك الهند كما تزوج داراب ناهيد ابنة فيلفوس ملك اليونان وأولدها الإسكندر ، أما الإيرانيات فلم يتزوجن من الأجانب إلا فى حالة الهزيمة فكان زواجهن أشبه ما يكون بالسباء ، الضحاك يتزوج بنات جمشيد والإسكندر يتزوج (روشنك) ابنة دارا وفى أيام شاپور بن هرمز يغير ملك عربى من آل غسان على فارس ويسبى عمة شاپور ويتسرى بها ويولدها ابنة جميلة اسمها مالكة ، وتتمثل أنفة الإيرانيين من تزويج نسائهم لغيرهم فى قول أخت هجير مستحفظ قلعة « سپيد دز * » لسهراب وهى تظنه تركياً (إن الأتراك لا يطمعون فى مزاوجة الإيرانية)[١] وجرت عادة الملوك على إيفاد كفاة

---

(١) ش . ع . ح ١ ص ١٣٥ .

المملكة لخطبة بنات الملوك لأولادهم أو لأنفسهم : أفريدون يوفد رسوله لخطبة بنات سروا ملك اليمن لأولاده ، وكيكاوس يفعل مثل هذا فى خطبة سودابة بنت دربيس ملك هماوران لنفسه ، وكسرى أنوشيروان ينفذ (مهران ستاذ) إلى الصين ليتخير له إحدى بنات الخاقان ، وكان على الأبطال إذا أرادوا التزوج أن يحصلوا على موافقة الملك لإتمام مراسم الخطبة والزواج كما حدث فى زواج زال بن سام من روذابة ابنة ملك كابل ، ولم يكن الزواج ليتم دون موافقة المرأة كذلك . فملك هماوران لم يوافق على زواج ابنته من كيكاوس قبل موافقة ابنته نفسها وإحساسه بميلها إليه ، والبذخ والمبالغة فى تجهيز العروس ظاهرة بارزة فى زواج الملوك والأبطال ، فملك هماوران ينفذ مع ابنته إلى كيكاوس أربعين عمارية وألف بغل وألف فرس وجمل محملة ديباجاً وذهباً ويرتب لها ثلثمائة وصيفة ، والخاقان فى زفاف ابنته إلى أنو شيروان يأمر بفتح كنز محتو على كل جنس من الذهب والفضة والجوهر والحلى والحلل والتيجان والتخوت والأطواق والأسورة ويوقر أربعين حملاً من الثياب المنسوجة بالذهب والزبرجد ومائة حمل من المفارش ويرتب لها ثلثمائة وصيفة بالأطواق والمناطق وبيد كل واحدة منهن علم على رسم أهل الصين إلى غير ذلك من الخيل والفيلة وآلات الذهب والتخوت المرصعة بالجوهر ، وفى زواج زال نرى صورة كاملة من تقاليد العرس والأفراح ، فأهل كابل يخرجون لاستقباله مع أبيه وقومه بالطبول وقد ضمخوا أعراف الخيل بالمسك الأذفر وخلقوا سبائبها بالزعفران والعنبر ، و (سين دخت) أم العروس تخرج ومعها ثلثمائة وصيفة جميلة بيد كل منهن جام من الذهب مملوء بقطع الياقوت وحبات اللؤلؤ وتأمر بنثر تلك الجواهر تحت سنابك الخيل ، وقد كثر نثر الدنانير والدراهم يمنة ويسرة كأنها الشهب تهاوى من السماء ، ثم عقد العقد وجاءوا بنسخة تفصيل الجهاز للعرض فأفصحت بذكر نفائس لم تر مثلها عين ولا سمعت بها أذن .

وفى ميلاد الأطفال تنثر النثارات على الوالدة والمولود ، فعند ما أفاقت أم رستم نثروا عليها الذهب والجوهر ، ولما ولد كيخسرو نثر بيران على الطفل نثارات كثيرة ، وإذا ما شب أبناء الملوك والأمراء عهدوا بهم إلى الأبطال أو الأقيال الموالين لهم ليعلموهم آداب الفروسية والحرب والصيد والطرد ، وقد تولى رستم تنشئة

سياوش بن كيكاوس وعهد إليه إسفنديار ساعة احتضاره بتربية ولده ، وتربى بهرام* كور فى حداثته عند المناذرة .

ومجالس الشراب من مألوف حياة القوم ملوكاً وأبطالاً ، ينشطون إليها بعد الفراغ من مهام الملك والحرب ويقيمونها احتفاء بالضيف ، وللغناء والأوتار كذلك عندهم حظ موفور ، وقد بلغ من تأثير الغناء على المشاعر أن أقدم كيكاوس على فتح مازندران مملكة الجن والسحرة برغم تحذير القادة وأهل الرأى والمشورة لأن مغنياً أخذ يتغنى على عوده فى مجلسه بطيب هوائها وما حوت من جمال وفتنة ، ولا يقل ولع الملوك والأبطال بالصيد عن ولعهم بالشراب والغناء ، وكان من عادتهم الصيد بالسهام والقسى والسباع والجوارح ، ويخرجون لممارسة هذه الهواية فى مواكب حافلة بالأبهة والترف ، فنزال نراه يرمى طيراً بالقوس والنشاب وكسرى پرويز (يقاد له ثلثمائة جنيبة بعدة الذهب ويسعى بين يديه ألف وستة وستون راجلاً بأيديهم المزاريق وألف وأربعون بأيديهم السيوف والعصى ويخرج معه سبعمائة من البازدارية وثلثمائة من الفهادين وسبعون أسداً ونمراً معلمة مجللة بالديباج مشدودة الأفواه بسلاسل الذهب ويستصحب ألف عواد على رءوسهم أكاليل الذهب ومائة غلام على يد كل واحد منهم مجمر يوقد فيه العود والعنبر فى الموكب ، ومائتى نفس من الشبان معهم النرجس والزعفران يتقدمون الموكب حتى ترد الريح ريحها إلى مشام الملك ، وقدام هؤلاء مائة سقاء معهم قرب الماء يرشون الطريق حتى لو هب هواء لم يحمل غباراً من الأرض فيمسه به ، وحواليه ثلثمائة فارس من شباب أولاد الملوك فى ملابس الوشى وعلى رأسه الدرفش الكابيانى يخفق)[1] .

ويقابل المبالغة فى الترف والبذخ فى الأعراس والمآدب والمواكب مغالاة فى مراسم الحزن والحداد : لما قتل إيرج أقبل الناعى على أفريدون وقد شق جيبه ورفع بالعويل والنحيب صوته ، فلما سمع الملك نعى ولده خر من مركبه على الأرض وحثا التراب على مفرقه وعلا بكاؤه ولم يبق أحد من الأعيان والأمراء إلا وهو حاف حاسر بين يديه وأمر بهدم دار إيرج وإحراق بستانه .

وحين بلغ رستم موت سهراب خر من الفرس وحثا التراب على رأسه وأخذ يبكى

---

(١) ش . ع . جـ ٢ ص ٢٢٧ .

عليه ويندب ثم أمر بإحراق سرادق سهراب وخيمه وتخته وأسلحته ، وجاء الملك كيكاوس وجميع الأكابر والأمراء وجلسوا معه على التراب وأخذوا يعزونه ويسلونه ، أما أم سهراب فقد فعلت بنفسها الأفاعيل وماتت كمداً عليه بعد حول من مصرعه .

وعند ما قتل (فروذ) بن سياوش[١] صعد الوصائف إلى شرفات القلعة ورمين بأنفسهن إلى أسفلها ، وأحرقت أمه جميع ما كان فى القلعة من الأموال والأسلحة ، وأخذت خنجراً وشقت خواصر خيله ثم جاءت فوضعت خدها على خد ولدها وشقت صدرها بخنجرها ولحقت به . وإذا كان هدم دار القتيل أو إحراق بستانه وسرادقه وإتلاف سلاحه وممتلكاته من التقاليد المرعية فى الأمثلة المتقدمة ، فإننا نلاحظ فى موكب جنازة إسفنديار أن أصحابه كانوا يحفون بتابوته وعليهم ثياب السواد وفرسه الأدهم يتقدم التابوت مقطوع العرف والذنب منكس السرج معلقاً عليه عموده وخنجره وجوشنه ومغفره .

ورغم كون الشاهنامة زاخرة بمظاهر حضارة عريقة ومدنية عالية فإنها لا تخلو — سواء فى العصر الأسطورى أو العصر التاريخى — من أمثلة قليلة لعادات وحشية همجية :

فى العصر الأسطورى نرى الضحاك يطعم حيتيه أدمغة الناس والملك المسمى الكافور يأكل اللحوم البشرية[٢] .

وفى العصر التاريخى نرى شاپور بن هرمز بن نرسى المعروف بذى الأكتاف يأمر بقطع أيدى الأسرى العرب ونزع أكتافهم ، ولما ظفر بقيصر الروم أمر بشق أذنيه وثقب أنفه .

وكذلك دخل كستهم وبندويه على هرمزد بن كسرى أنوشيروان وسملا عينيه .

* * *

---

(١) من بعض بنات بيران « ش ع جـ ١ ص ٢٠٥ »
(٢) ش ع . جـ ١ وسط ص ٢٣١ .

الفصل الخامس

الملاحم بعد الشاهنامة

كانت شاهنامة الفردوسى الذروة التى بلغتها الملحمة الفارسية والغاية التى تطلع إليها من جاء بعده من شعراء الملاحم دون أن يبلغوا شأوها ، وما زالت المعيار الذى يقاس به أقدار هؤلاء الشعراء فيحكم عليهم بمدى قربهم منها أو بعدهم عنها .

وقد نظمت بعد الشاهنامة ملاحم عديدة حماسية وتاريخية ودينية ذكرها بتفصيل وإسهاب ذبيح الله صفا فى كتابه (حماسه سرائى در ايران) وإعادة سردها هنا تكرار لا جديد فيه .

ولكن من بين هذه الملاحم ما يختلف فى موضوعه ولونه عما جاء بالشاهنامة ويجدر بنا التنويه به استيفاء للبحث ، ولعل أهمها : ١ ـ ويس ورامين ٢ ـ يوسف وزليخا ٣ ـ خاور نامه ٤ ـ ظفرنامه ٥ ـ منطق الطير ٦ ـ سلامان وآبسال .

١ ـ ويس ورامين

ملحمة عاطفية سفرت فيها الطبيعة البشرية دون تمويه أو مواربة ، نظمها من شعراء القرن الخامس الهجرى فخر الدين أسعد الجرجانى فى حدود عام ٤٤٦ هـ ـ ١٠٥٤ م . وقد ذهب المستشرق الروسى مينورسكى [١] ومجتبى مينوى [٢] الأستاذ بجامعة طهران ـ استناداً إلى روايات مجمل التواريخ والقصص وتاريخ * گزيده وكشف الظنون وهفت إقليم وميرخواند واستنباطاً من الملحمة نفسها ـ إلى أن زمان القصة يرجع إلى العهد الأشكانى ، ويؤخذ من مقدمة الشاعر للمنظومة أنها كانت

(١) فرهنك * إيران زمين دفتر ١ ، ٢ جلد ٤ بهاروتابستان ١٣٣٥ هـ . ش . ـ ١٩٥٦ م . ترجمة مصطفى مقربى عن مجلة BSOAS سنة ١٩٤٧ ، ١٩٥٤ م . وقدأعيد نشر هذه الترجمة فى ملحقات ويس ورامين طبعة محمد جعفر محجوب ١٩٥٩ م . « ابن سينا ـ طهران » .

(٢) مجلة سخن العدد ١ و ٢ من السنة السادسة .

ذائعة رائجة فى عصره يتناقلها الناس غير أنها كانت مكتوبة بالفهلوية التى لا يعرفها غير نفر قليل فنظمها بالفارسية بناء على اقتراح ولى نعمته العميد أبى الفتح المظفر بن حسين النيسابورى حاكم إصفهان من قبل طغرلبك السلجوقى .

خلاصة القصة

تتلخص القصة فى أنه كان بمرو ملك شيخ يدعى (موبد منيكان) يدين بطاعته سائر الملوك ، وفى أحد الأعوام أقام حفلاً فى عيد الربيع دعا إليه أكابر الإيرانيين وبناتهم ونساءهم من آذربيجان والرى وجرجان وخراسان وقوهستان وإصفهان ودهستان وغيرها من الأطراف ، وكانت أجمل نساء الحفل (شهرو) أميرة ماه ، فافتتن الملك بها وعرض عليها الزواج فأجابته بأنها أم لرجال من أمثال (ويرو) وقد مال شعرها إلى البياض ولا يليق بها أن تفعل هذا ، ولما لم يكن لها بنات عاهدها على أنها إن أنجبت بنتاً تزوجه إياها فوعدته بذلك .

وبعد سنوات وضعت (شهرو) بنتاً اسمها (ويس) عهدت بها إلى مرضع حملتها معها إلى بلدها خوزان ، واتفق أن رزقت أم الملك موبد — آنئذ — ولداً أسمته (رامين) وعهدت بتربيته إلى نفس المرضع وشب الولد والبنت فى رعايتها إلى أن عاد الصبى إلى أهله يافعاً فى العاشرة كما رجعت البنت إلى أمها فتاة فى السادسة عشر تفيض أنوثة وجمالا وفتنة ، ولم تر الأم كفئاً لها غير أخيها (ويرو) ، فعقدت قرانه عليها ، وبلغ الخبر (موبد) فأرسل إليها أخاه (زرد) ا — يتقاضاها الوفاء بعهدها ولكن ويس تثور على أمها وترد الرسول أعنف رد ، فجهز موبد جيشاً جمعه من أحلافه واستعد ويرو وحلفاؤه كذلك لملاقاته ، فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على موبد وأصحابه وانهزم بقبيله إلى إصفهان عن طريق خراسان ودينور ، وقد قتل « قارن » أبو ويس فى هذه المعركة فازدادت كراهتها لموبد ، وحدث أثناء ذلك أن أقبل الديلم على صحراء (طارم) مهاجمين فانشغل ويرو بحربهم وانتهز موبد هذه الفرصة فكر بعسكره إلى (* كوراب) حيث تقيم ويس واستمال أمها بالألطاف والأموال والهدايا فمكنته من الفرار بها قسراً إلى مرو قبل عودة ويرو من

طارم ، وفى أثناء الطريق هبت ريح رفعت أستار هودج ويس فأسفرت عن جمال فاتن بهر عينى رامين رفيق الطفولة وسلبه لبه فأفلت زمام قلبه من يده وأخذ يعانى منذ تلك اللحظة تباريح العشق والصبابة ، وبينا كانت مرو تتبرج فى زينتها ابتهاجاً بالعروس السبية كانت العروس فى أسلاب الحداد تندب سوء حظها وتبكى أباها القتيل وتلعن القدر الذى حرمها العيش إلى جوار أمها وأخيها البطل الشاب الذى بنى بها دون أن يبلغ منها وطرا .

وخفت إليها مرضعتها تحمل الهدايا وأقامت معها تحاول أن تحملها على الرضا بحياتها الجديدة ، ولكن ويس تهدد بقتل نفسها إن لم تلتمس لها المرضع حيلة تحول دون أن يقربها موبد إلى الحول لتؤدى حق الحداد على أبيها ، فعملت لها طلسما ربطت به الملك فلم يعد يستطيع قربها ودفنت الطلسم على شاطئ نهر ووضعت عليه علامة لتعود إليه بعد عام فتخرجه وتبطل سحره ، ولكن شاء القدر أن يطغى النهر ويذهب الماء بالطلسم ليبقى موبد محروماً طول حياته من ويس التى بقيت عذراء رغم زواجها مرتين .

وعجز رامين عن مغالبة هواه وكاد يشفى على الهلكة، فتوسل بالمرضع فجمعت بينه وبين ويس وتساقيا كئوس الهوى والشباب حتى الثمالة وبلغ منها ما لم يبلغ زوجاها .

ووقف الملك التعس على سر العاشقين فحاول عدة محاولات للحيلولة بينهما وتغلبا عليه فى كل مرة بالحيلة والفرار من مكان إلى مكان، وكانت هذه المحاولات من جانب الزوج والمغامرات من جانب العاشقين مدار فصول القصة .

وتخللت صفو هذا الغرام الجارف جفوة تزوج فيها رامين من فتاة تدعى « *كل »أى الوردة، وكتبت إليه ويس خلال ذلك عشر رسائل مسهبة فما لبث أن غلبه الحنين إليها وانفصل عن « *كل» ليعود إلى غرامه الأول ، فأعرضت عنه ويس وانصرف عنها يائساً مغاضباً ثم عادت فندمت ولحقت به فى الطريق وعادت به،

وأغار رامين على إحدى قلاع أخيه موبد وسلب ما بها من كنوز وفر بمعشوقته إلى بلاد الديلم فجهز موبد جيشاً لحربه ولكن خنزيراً برياً خرج من غابة فى طريق موبد وحمل عليه فأرداه وتولى رامين الملك مكانه وتزوج (ويس) .

ونيف رامين على مائة سنة عاش منها ثلاثة وثمانين عاماً ملكاً وزوجاً لويس وأقاما سعيدين حتى رأيا أحفادهما ، ولما توفيت ويس أقام لها قبراً عكف فيه على النسك والعبادة بعد أن تخلى عن الملك لابنه (خورشيد) ثم لحق بها بعد ثلاث سنوات .

نظم الشاعر هذه الملحمة فى سبعة وتسعين فصلاً صور فيها المواقف المختلفة وسجل المحاورات بين الأشخاص وأحاديث النفس ووصف فأجاد الوصف ، وقدم لها بسبعة أبواب أخر فى تمجيد الخالق والثناء على النبى ومدح طغرلبك ورجال دولته ومن بينهم العميد أبى الفتح المظفر الذى اقترح عليه نظم القصة ثم أضاف إليها فصلاً ختامياً مدح فيه العميد أبا الفتح كذلك فى مائة وثمانية وثلاثين بيتاً .

٢ — يوسف وزليخا

قصة دينية مفصلة بالتوراة فى سفر التكوين وأفردت لها (سورة يوسف) بالقرآن الكريم وحفلت بها كتب التفسير وشروح المفسرين ونظمها الفردوسى فى البحر المتقارب على وزن الشاهنامة، وبعد الفراغ منها . بين سنتى ٣٨٤ و ٣٨٦ هـ / ٩٩٤ و ٩٩٦ م . استجابة لرغبة الموفق وزير بهاء الدولة البويهى كما يصرح هو بذلك فى مقدمة إحدى النسخ الخطية المعروفة بنسخة بلند Bland [١] وهى من بين المخطوطات التى اعتمد عليها هرمن إته Hermann Ethé فى طبع القسم الأول من هذه المنظومة بأكسفورد سنة ١٩٠٨ م . — ١٣٢٦ هـ .

ناظمو القصة بعد الفردوسى

نظم هذه القصة فى إيران بعد الفردوسى عدة شعراء ، وقد تصرف كل منهم فى معالجة موضوعها بما يتفق مع ذوقه وخياله وعرض فصولها على طريقته ، ولعل شهاب الدين عمعق البخارى المتوفى سنة ٥٤٣ أو ٥٤٤ هـ . (١١٤٩ أو ١١٥٠ م .) كان أول هؤلاء الشعراء جميعاً فى معالجة هذه القصة ، ويليه ركن الدين مسعود الهروى المذكور فى المجلد الأول من لباب الألباب[٢] باسم مولانا ركن الدين

---

(١) مجلة مهر . « فردوسى نامه » ص ٥٨٦ تلخيص وترجمة الدكتور رضا زاده شفق لمقال هرمن إته) تحت عنوان (يوسف و زليخاى فردوسى) .

(٢) ص ١٥٦ طبعة نفيسى . طهران .

مسعود بن محمد إمام زاده ، ويقول عوفى إنه أملى قصة يوسف وأدركته منيته قبل أن يتمها ، ويفهم من عبارته : (وبسعادت شهادت رسيد درين واقعهٔ هايلهٔ خراسان وما وراء النهر بلكه درين ثلمهٔ عظيم كه در اسلام إفتاده بواسطهٔ كفارچين ، ازين قويتر واقعه اى بعد از طوفان نوح دست نداده)[1] وترجمتها :

(وبلغ سعادة الشهادة فى هذه الواقعة الهائلة بخراسان وما وراء النهر ، بل فى هذه الثلمة العظيمة التى حدثت فى الإسلام بواسطة كفار الصين ، ولم يحدث بعد طوفان نوح أقوى من هذه الواقعة) .

أنه لقى حتفه فى زحف جنكيزخان* أى أوائل القرن السابع الهجرى . ثم نظمها مولانا عبد الرحيم الجامى الذى يمكن أن يقال إنه آخر شعراء الفرس العظام عام ٨٨٨ هـ . — ١٤٨٣ م . وأهداها إلى السلطان حسين ميرزا حاكم خراسان فى هراة عاصمة ولايته .

ويقول إته Ethe إن جامى لم يشر إلى منظومة الفردوسى ولكنه مع ذلك يستنتج من بعض وجوه الشبه الموجودة بين المنظومتين إنه اطلع عليها ، وأقول إن المشابهة المشار إليها قد تكون راجعة إلى وحدة المصدر لا إلى اطلاع الجامى على منظومة سلفه العظيم .

ونظمها كذلك متأثراً بمنظومة الفردوسى ومقلداً لها فرخ حسين ناظم الهروى فبدأها سنة ١٠٥٨ هـ . — ١٦٤٨ م . وأتمها سنة ١٠٧٢ هـ — ١٦٦١ م . وأضاف إليها أقساماً يصفها إته بأنها عجيبة ومضحكة ويذكر منها قول الشاعر بأن يعقوب كان فى بيت الأحزان يتخلص من أحزانه بشرب الخمر .

ونظم هذه القصة من شعراء إيران بعد الجامى وقبل الهروى محمود بيك* سالم من حاشية الشاه طهماسپ الصفوى (٩٣٠ — ٩٨٤ هـ) — (١٥٢٤ — ١٥٧٦م.) كما نظمها بعد الهروى لطفعلى بيك* آذر مؤلف آتشكده سنة ١١٧٦ هـ . — ١٧٦٢ م . ونظمها أيضاً باختصار شاعر اسمه شوكت عام ١٢٣٣ هـ . — ١٨١٨ م. كان حاكماً لشيراز من قبل فتحعليشاه . وقد ذكر إته عدة شعراء بالهند نظموا هذه القصة بعد الجامى مقلدين شعراء إيران ، وذلك لا يدخل فى موضوعنا[2] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) إته : تاريخ أدبيات فارسى : ترجمهٔ رضا زاده شفق . ص ٥٠ وما بعدها .

القصة قبل الفردوس

لم يكن الفردوسى أول ناظم لقصة يوسف وزليخا كما لم يكن أول ناظم للشاهنامة ويصرح هو فى مقدمته الشعرية لإحدى النسخ الخطية بأن أبا المؤيد البلخى والبختيارى سبقاه إلى نظمها :

دوشاعركه اين قصه را* كفته اند بهرجاى معروف ونهفته اند

يكى بو المؤيد كه ازبلخ بود بدانش همى خويشتنرا ستود

* * *

پس از وى سخن‌باف‌اين‌داستان يكى مرد بد خوب روى وجوان

نهـــاده ورا بختيارى لقب *كشادى براشعارهرجاى لب(١)

* * *

وترجمة الأبيات :

نظم هذه القصة شاعران معروفان وظاهران فى كل مكان أحدهما أبو المؤيد الذى كان من بلخ وكان يمدح نفسه بالعلم .

* * *

وكان ناظم هذه القصة من بعده رجل وسيم شاب لقب نفسه بالبختيارى وكان يقول الشعر فى كل مكان .

* * *

ولكن لم يصلنا شىء من منظومتيهما .

---

(١) يوسف وزليخا طبعة إته (اكسفورد) ص ١٩ .

موضوع القصة

تبدأ هذه القصة فى سورة يوسف بقوله تعالى : (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ، قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين ، وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق إن ربك عليم حكيم) .

ويحس إخوة يوسف أن أباهم يؤثره عليهم بحبه فيغضبهم هذا ويقولون : (إن أبانا لفى ضلال مبين) ثم يأتمرون بيوسف ليقتلوه فيقول قائل منهم : (لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين) واستأذنوا أباهم فى أن يرسله معهم غداً يرتع ويلعب متعهدين بحفظه ورعايته فيأذن لهم بعد أن يبدى خوفه من أن يأكله الذئب فى غفلة منهم فيقولون : (لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون) وكأنما مهد لهم أبوهم بهذا طريق العذر فعادوا إليه بعد إلقاء أخيهم فى غيابة الجب يتباكون قائلين : (يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ، وجاءوا على قميصه بدم كذب) فشك يعقوب فى أمرهم وقال : (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) ومرت قافلة تستقى من البئر فإذا بالدلو غلام أسروه بضاعة وباعوه فى مصر بدراهم معدودة (وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) (ولما بلغ أشده راودته التى هو فى بيتها عن نفسه وقالت هيت لك ، قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى) وسارع هرباً وهى فى إثره (فألفيا سيدها لدى الباب ، قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ، قال هى راودتنى عن نفسى) وثبتت براءته بأن رأوا قميصه قد من دبر ، وذاع الخبر (وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها فى ضلال مبين ، فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه) وذهلن عن

أنفسهن (وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ، قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونناً من الصاغرين) ولكن يوسف يؤثر السجن ، وكان معه بالسجن فتيان رأى أحدهما فى المنام أنه يعصر خمراً ورأى الآخر أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه ، وأول يوسف رؤياهما بأن أولهما سيصبح ساقياً للملك وثانيهما سيصلب وتأكل الطير من رأسه، ومرت أعوام ولبث يوسف منسيًّا فى السجن بضع سنين . (وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) وسأل الملأ تعبير رؤياه فقالوا أضعاث أحلام، وتذكر ساقى الملك يوسف رفيقه بالسجن وتعبيره لرؤياه فأسرع إليه وعبر يوسف رؤيا الملك بقوله (تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ، ثم يأتى بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) فاستدعاه الملك وقربه إليه وشهد النسوة ببراءة ساحته ، فصار الأمين المكين القيم على خزائن الأرض فى مصر (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) ولما جهزهم بجهازهم طلب إليهم أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم وإلا فلا كيل لهم عنده ، فجاءوا به بعد استيثاق أبيهم منهم (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ، فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون) وذاع فى القفل أن صواع الملك قد سرق وقال إخوة يوسف (جزاء من وجد فى رحله فهو جزاؤه) فبدأ يوسف بأوعيتهم ثم استخرجها من وعاء أخيه فأقبلوا عليه يستعطفونه ويسألونه أن يأخذ أحدهم مكانه رفقاً بأبيه الشيخ فأبى وأخبروا أباهم فقال لهم (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) فلما دخلوا على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين ، قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ، قالوا أإنك لأنت يوسف ، قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا) فأقروا بذنبهم معتذرين (قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبى يأت بصيراً وأتونى

بأهلكم أجمعين) (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ، ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقًّا) ثم اتجه إلى ربه شاكراً يقول (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) .

* * *

هذا موجز القصة كما وردت فى السورة ، وقال الشاعر فى سبب نزولها إن النبى عليه السلام كان جالساً ذات يوم فى بيت على وبين يديه سبطاه الحسن والحسين وإذا بجبريل يهبط عليه ويخبره بما سينزل بهما على يد نفر من أمته من بعده ، فيقتل الحسين ويجز رأسه بالخنجر ويفرى السم كبد الحسن ، فلما شق على النبى هذا الكلام نزلت سورة يوسف ليتأسى بها[1] .

ولكن منظومة الفردوسى تطابق فى جملتها سياق القصة فى التوراة وإن اختلفت فى جزءياتها مع هذا السياق لتتفق مع عقائد المسلمين وتلتقى بخيال الشاعر وفنه ، وعلة ذلك اعتماد الفردوسى على رواية كعب الأحبار ووهب بن منبه وهما من اليهود الذين أسلموا وفى ذلك يقول :

روايت زكعب ووهب كرده اند * وزيشان چنين قصه گسترده اند
كه چون روز گار براهيم بود * كه اندر وفا ايزد اورا ستود
مرورا ز هاجر سماعيل زاد * خدايش بدا ز گونه فرزند داد[2]

* * *

والمعنى :

رووا عن كعب ووهب وعنهما نشروا هذه القصة ،
أنه لما كانت أيام إبراهيم الذى أثنى عليه الله بالوفاء ،
ولد له إسماعيل من هاجر ورزقه الله ولداً على هذا النحو .

---

(١) يوسف وزليخا طبعة أكسفورد سنة ١٩٠٨ م . ص ١٤ ، ١٥ .
(٢) نفس المصدر ص ٣٢ .

ومن تلك الأبيات نرى أن منظومة الفردوسى بدأت بالقصة من عهد إبراهيم عليه السلام وسارت فى تسلسلها جملة مع إصحاحات سفر التكوين ، فهو يتكلم بعد ذلك عن مولد يعقوب وأخيه عيصا أو (عيسو) كنص التوراة ، ويروى ما حدث بين الأخوين من عداوة فيما بعد بسبب شراء يعقوب الباكورة من أخيه عيصا ثم احتياله وأخذه بركة أبيه إسحق التى كان يريد أن يمنحها أخاه عيصا ، وفرار يعقوب إلى خاله لابان بالشام خوفاً من بطش أخيه ونزول الوحى على يعقوب هناك وتسميه بإسرائيل وتكليفه بالزواج وتبشيره بما سيكون له من نسل كثير ، ثم زواجه من ابنتى خاله ليا وراحيل وإنجابه الأولاد من زوجتيه وجاريتيهما وولادة يوسف من زوجه راحيل وشغف يعقوب به وإيثاره بحبه على بقية إخوته ورحيل يعقوب إلى كنعان واحتضار راحيل أحب نسائه وهى تلد طفلها ابن يامين ، أو (بنيامين) وعهد يعقوب إلى أخته بتربية ولده يوسف وحرص هذه الأخت على إبقاء يوسف عندها أكبر مدة ممكنة واحتيالها فى ذلك ثم رده إلى أبيه آخر الأمر .

ويذكر الفردوسى أن يعقوب اشتهى شواء فذبح عجلاً رضيعاً أمام أمه فأحزنها ذلك ونزل عليه جبريل يعاتبه وطلب إليه استغفار ربه وأنبأه بأنه سيعانى حزناً طويلا من أجل زلته هذه ، فاغتم يعقوب ورأى فى نومه أن عشرة ذئاب تحيط بولده يوسف وتختطفه منه ، ولم يبح بحلمه لأحد .

ورأى يوسف ثلاثة أحلام قصها على أبيه وعبرها له بأن الله سيعلمه تعبير الأحلام وأنه سيبلغ منزلة عظيمة وأوصاه بكتمانها ، ولكنه لفرحه لم يطق الكتمان وباح بها لأخيه شمعون جملة وتفصيلاً فحسده أخوه ونقل ماسمعه إلى بقية إخوته التسعة فاحتالوا فى هلاكه ولكن واحداً منهم أشار عليهم بإلقائه فى بئر فإما أن يلقى حتفه وإما أن يحمله أحد السيارة إلى خارج الديار ، ثم استأذنوا أباهم فى أخذه معهم للتنزه بالصحراء فأبى قائلاً إنه صغير ويخشى أن يأكله الذئب وهم عنه غافلون فانصرفوا يائسين ثم أغروا يوسف بالذهاب معهم فطلب إليهم أن يتحدثوا إلى أبيهم مرة أخرى فى شأنه وأظهر لأبيه رغبته فى الذهاب معهم فأذن له وأوصاهم به ، فلما غابوا عن الأنظار بدا ليوسف منهم جفاؤهم وغدرهم ولم يزدهم تضرعه إليهم

واسترحامه إياهم إلا قسوة عليه ، ولم يحل بكاؤه دون إلقائه فى البئر، ولكن جبريل أدركه وحفظه وأجلسه على حجر بقاع البئر ، وعاد إخوته إلى أبيهم يتباكون ووضعوا أمامه قميصه ملوثاً بدم كذب فبكى يعقوب عليه السلام وأخذ يرثى ولده وعيناه على قميصه يناجيه وهو غير مصدق دعواهم لأن القميص لم يكن به أثر لأى تمزيق ، فقال أولاده إذا كنت فى ريب من أمرنا فلنذهب ونأتك بالذئب فاستحسن ذلك ، فذهبوا وصادوا ذئباً أتوه به وادعوا أنه الذئب الذى أكل يوسف وغمسوا فمه ومخالبه فى دم كذب كذلك ، وسأل يعقوب ربه أن ينطق الذئب وسأله أن يخبره بالحقيقة فقص عليه الذئب كيف صادوه ولوثوه بالدماء وأتوا به إليه ، فصبر يعقوب واتخذ لنفسه بيتاً أسماه بيت الأحزان وأقام فيه وحده باكياً حزيناً حتى فقد بصره :

ثم قال الفردوسى إن يوسف بقى فى البئر ومعه جبريل ثلاثة أيام ، وفى اليوم الرابع مرت قافلة فأرسل رئيسها غلامين اسم أحدهما بشرى والآخر بشير ليأتياه بالماء من البئر ، فنادى جبريل يوسف أن اسرع إلى الدلو ، فخرج من البئر وحمل الغلامان البشرى إلى سيدهما . واتفق أن كان إخوة يوسف يرعون على مقربة من البئر فلما رأوا الزحام ووقفوا على جلية الخبر، ادعوا أن يوسف كان غلامهم وهرب منهم منذ ثلاثة أيام وعابوه بالهرب والكذب وكثرة البكاء وهددوه بالقتل إن كذبهم فخاف وسكت واشتراه رئيس القافلة منهم بعشرة دراهم وقيده ، وتمكن يوسف وهو فى قيوده من الذهاب خفية إلى إخوته فودعهم ومر بقبر أمه فألقى بنفسه عليه وبكى فأطال البكاء، وافتقده القفل فبحثوا عنه حتى وجدوه فضربوه، وسارت القافلة حتى وصلت مصر ، وبعد ذكر عدة وقائع ، باعوا يوسف لعزيز مصر وتولت زليخا امرأة العزيز تربيته حتى بلغ رشده فعشقته ، وكان يخرج كل أسبوع مرتين للنزهة فى الطريق المؤدى إلى كنعان ليقف على أخبار أبيه ، وذات يوم رأى أعرابياً أخبره أن أباه ما زال حياً مقيماً فى بيت الأحزان وقد كف بصره فبكى وحمل الأعرابى رسالة إلى أبيه يروى فيها قصته فأدى الأعرابى الرسالة ، وعاد يوسف إلى بيته باكياً ملتاعاً لفراق أبيه وإذا بزليخا تتزين وتقبل عليه متوددة ملاطفة مواسية تطرى صفاته وتصارحه بهواها فينكر عليها ذلك ويخرج فتضيق بها الدنيا وتنزوى باكية ثم تعود إليه ضارعة

شاكية برحاء الوجد فيمنعه الوفاء لولى نعمته من مجاراتها ، ولما يئست منه صارحت مربيتها العجوز بسرها فأشارت عليها بالصبر مدة عام وإعطائها ما لا يكفى لبناء بيت جدرانه الداخلية مكسوة بالمرايا بحيث إذا جلست فيه مع يوسف تنعكس صورتها فى كل اتجاه فلا يقوى على مقاومة إغرائها ، فلما تم بناء البيت لبست زليخا ثوباً شفافاً وتعطرت وتجلت فى أبهى زينة وأخذت مجلسها فيه ، وأفاض الشاعر فى وصف جمال بدنها عضواً فعضواً وصفاً يستخف أحلاماً تزن الجبال ، واستدعت إليها يوسف ، لتسلط عليه كل هذه الفتنة فحاول أن يحول بصره عنها فلم يستطع لأن صورتها كانت تنعكس فى كل مكان بأرض الغرفة وسقفها وحيطانها وأينما ولى وجهه ، فشرد لبه وحوقل لسانه ولكنها أدنته منها وضمته إلى صدرها فى حرارة وقوة وغمرت وجهه ورأسه وعينيه بقبلاتها ثم جلست وأجلسته إلى جانبها تشكو إليه ما تعانى من حبه فعاد يحدثها عن مخافة الله وعقابه فوعدته بالتكفير عن ذنبه بالصدقة فأسمحت عريكته بعد شماس وغلب هواه على عقله وإذا بيد تظهر من أحد الأركان وتشد أذنه وقد كتب عليها إن الله يراك ، ولكنه لم يفق وإذا باليد تظهر من ركن آخر مكتوباً عليها : إن هذا العمل القبيح يحرمك من الجنة السعيدة فلم يتحول عما هو فيه ، فظهر له جبريل من ركن البيت فى صورة يعقوب وأخذ يحذره عقاب ربه فغشيته رعدة من خوف الله والحياء من أبيه وقفز نحو الباب فجرت خلفه وأمسكت بقميصه فقد من دبر وإذا بالعزيز يدخل كالريح فتقول له زليخا على البديهة وقد تصنعت الغضب بأن الغلام الذى ربته دخل عليها متلصصاً محاولاً الاعتداء على طهرها وهى نائمة فغضب العزيز ، فأجاب يوسف بأنها هى التى راودته وأنه برىء وأنطق الله طفلاً رضيعاً فى المهد (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فصدق وهى من الكاذبين) فثبتت براءة يوسف وأنحى العزيز باللائمة على امرأته قائلا : (إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) ولكنها تقول إنه أتى بسحر وحار العزيز ماذا يفعل ومال إلى تصديق زوجته ، وذاع الخبر وتناقلته النسوة فلما سمعت زليخا بمكرهن أعدت لهن وليمة وآتت كل واحدة منهن أترجة وسكيناً وأخرجت يوسف عليهن فبهرهن جماله وذهلن عن أنفسهن وقطعن أيديهن بدل الأترج وقلن ما هذا بشراً بل هو ملك على الأرض ،

وطلبت إليهن زليخا الوساطة لها لدى يوسف فلما رأين إعراضه عنها حاولت كل منهن أن تستميله إليها فأجابهن: كيف يتحول عن زليخا إليهن وهن دونها جمالا وجاهاً ؟ وقال إن قلبه مشغول بربه دون سواه فعدن إليها يائسات ونصحنها بالانصراف عن عشقه وإلقائه فى السجن لعله إذا ضاق بسجنه وشق عليه بعث يتوسل إليها ويسترضيها فسجنته ، وقد مالت إليه قلوب السجناء وكان يعبر لهم رؤاهم ، واتفق أن سجن اثنان من بلاط الملك كان أحدهما ساقياً له وكان الآخر صاحب طعامه ، فرأى الأول أنه يعصر خمراً والملك يشرب من يده ورأى الآخر أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه ، فقال يوسف لأولهما أنه سيعود إلى سابق منزلته ويسقى الملك وقال للآخر إنه سيصلب وتأكل الطير من رأسه فقال صاحب الطعام لقد كنت كاذباً فى رؤياى فأجاب يوسف : قضى الأمر ، وفى اليوم التالى طلبهما الملك ووقع ما أخبرهما به . ثم جاء جبريل وبشره بقرب خلاصه من السجن وحدث أن رأى الملك رؤيا جمع لها المعبرين فعجزوا عن تأويلها فعبرها له يوسف على النحو الذى مر بنا فى سورة يوسف ، وخرج من السجن عزيزاً مكيناً وجعله الملك على خزائنه وأجلسه على تخته العاجى مكانه وأصبح وحده صاحب الأمر والنهى وأطلق السجناء من سجون مصر الأربعة وكف الناس عن فعل القبيح ولم يكن فى البلاد أعلى منه منزلة غير الملك ، وأسلم الملك وجيشه ورعاياه على يد يوسف .

ثم بدأت سنون القحط ومات الملك خرسطوس وخلفه يوسف فملك قلوب المصريين بإحسانه ، وفى العام السادس هرع إليه الناس من كل صوب يشكون شدة القحط وحار فى أمر تموينهم وتموين الوافدين من البلاد الأخرى فنزل عليه جبريل وأوصاه بأن يظهر للناس مرة كل يوم ويريهم وجهه فيرجعون راضين شبعين ، وعم القحط كنعان كذلك فأرسل يعقوب أولاده يمتارون من مصر فلما قدموا على يوسف عرفهم وهم له منكرون وقال لهم بلغنى أنكم جواسيس ويجب أن أقف على جلية أمركم فأقسموا على براءتهم وحدثوه عن بلدهم وأبيهم الشيخ وأخيهم يوسف الذى أكله الذئب وأخيه بنيامين ، فأكرمهم وزودهم بما يحتاجون وطلب منهم أن يأتوه بأخيهم بنيامين ورد إليهم نقودهم ، وعاد الإخوة ومعهم بنيامين ، فأعد يوسف عرضاً للجند ومجلساً يفيض جلالاً وأبهة ثم أذن لهم فى الدخول عليه وأقام لهم وليمة ثم دبر

حيلة لاستبقاء أخيه بنيامين فجعل السقاية فى رحله كما تقدم فى السورة ، وعاد الإخوة إلى مصر برسالة من يعقوب يذكر فيها فجيعته فى ولده يوسف ويرجو رد ولده بنيامين حتى لا يكون عزيز مصر ذئباً آخر وأخاً لذئب يوسف ، فوعدهم خيراً بشريطة أن يقصوا عليه قصة أخيهم يوسف دون نقص أو زيادة ، فأعاد شمعون على سمعه فرية الذئب ، فأجابه بأنه لا يصدق ذلك وأن لديه جاماً ذهبياً يخبره بحقيقة ما يسأله عنه ، ووضع الجام فى يده وضرب عليه بقضيب بيده الأخرى فصدر عنه صوت استمر طويلاً ثم التفت إليهم وقال : إن الجام يكذب شمعون ، وقص عليهم قصة حسدهم لأخيهم وإلقائه فى البئر وبيعه وبراءة الذئب من دمه فجمدوا دهشة ونكسوا رءوسهم خجلاً ولكنهم أصروا على إنكارهم وعندئذ ألقى إليهم يوسف بوثيقة بيعه لرئيس القافلة التى حملته إلى مصر وكتبوها بخطهم ، فقالوا أ أنت يوسف؟ فقال نعم أنا يوسف وهذا أخى بنيامين من أبى وأمى؟ فخروا له سجداً وعفا عنهم وأحسن إليهم وأرسل معهم قميصه فألقوه على وجه أبيه فارتد بصيراً ، وأرسل يوسف قافلة إلى أرض كنعان عادت إلى مصر بأبيه وأهله أجمعين .

* * *

وبعد هذا تنتهى قصة يوسف فى الإصحاح الخمسين والأخير من سفر التكوين بموت يعقوب وتحنيط جثته وخروج يوسف لدفنه فى أرض كنعان حسب وصيته ثم عودته إلى مصر ليموت بها بالغاً من العمر مائة وعشر سنين فيحنط جسده ويوضع فى تابوت .

ولكن الشاعر يعرض علينا فى منظومته فصولاً أخرى لا وجود لها فى روايتى القرآن والتوراة ولا يختم منظومته قبل أن يجمع بين العاشقين :

فزليخا رغم شيخوختها وتقوس ظهرها وعمى بصرها وتغضن إهابها وذهاب كل مسحة من جمالها ، ما يزال قلبها ينبض بحب يوسف وما تزال مدنفة والهة ، وعند ما أصبح يعقوب وأهل بيته على مرحلة من مصر كان يوسف قد أعد موكباً عظيماً من الجند وأكابر القوم لاستقبالهم وأخذت البلاد زينتها مشاركة فى هذا الاستقبال .

وتحرك الموكب العظيم يتقدمه الفرسان والفيالون ، تدوى طبوله وبوقاته بالغاً دويها عرش السماء وتجمع الناس لمشهد ذلك اليوم العظيم ، وسمعت زليخا دق الطبول

وأصوات الأبواق فسألت جاريتها عنها فأجابتها بأن هذا موكب يوسف عزيز مصر، فقالت إنه غلامى الذى اشتريته واصطفيته من دون الخلق وقد كنت ملكة وهو عبد لى وصبوت إليه ولم ينظر إلى خشية ربه ولبث فى السجن سبع سنين فمن الله عليه بالخلاص ورفعه إلى عرشى وبوأه مكانى وأنزلنى إلى حضيض المتربة . وأسرعت إلى صنمها تخاطبه قائلة : يا إلهى وأملى وسندى وناصرى كم عبدتك الشهور والأعوام دون سواك بينا تحول الناس فى مصر عن أصنامهم — أملاً فى أن ألقى الخير والجاه على يديك ، والآن صرت ولا تاج لى ولا عرش ولا أمر لى ولا نهى ، لقد تولى عنى كل ذلك ، فهل إله يوسف خير منك وأجل شأناً إذ سلبنى الملك والأمر والكنوز وأعطاها له دون سعى وجهد ؟ إلهى! إذا كنت أقوى من إله يوسف فلم لم تنظر إلى حالى ؟ إنى سائلتك ثلاث حاجات فأجبنى إليها حتى لا أتحول عن عبادتك ودينك ، رد إلى بصرى وأعدنى شابة عذراء وهبنى جمالاً وطهراً ، فإن حققت لى هذا فأنت أعلى قدراً من إله يوسف وسأظل عاكفة على عبادتك ليل نهار وإلا فلن أقول بعد ذلك بألوهيتك وأحطمك !

فلما لم يجبها ثارت عليه وهشمته وصاحت بأمتها ، خذى بيدى إلى موضع بالطريق الذى يمر به يوسف لأثنى عليه وأدعو له عله يرق لحالى ، ومر بها الموكب الضخم وقد حجب غباره الشمس والقمر ، وأقبل يوسف فرفعت صوتها تناديه ولم يكن فى الإمكان أن يسمعها فى هذا الضجيج ولكن الله أمر الريح فحملت صوتها إلى أذنى يوسف ، فلما سمعها ورآها فى هذه الحال رق لها وأمر حاجبه أن يحملها إلى قصره حتى يعود، وواصل السير للقاء أبيه وعاد به ورفعه إلى العرش ، وسجد له إخوته ، فتحققت رؤياه التى رآها فى طفولته وجلسوا جميعاً يشكرون الله على ما حباهم من فضل ورعاية .

وأقبل الحاجب على يوسف يحدثه فى شأن زليخا فأمره بإدخالها عليه فى خلوته وأقبل عليها يلاطفها ويعجب مما فعل الزمن بها ونظر إليها يعقوب فاستعاد ذكريات محنته وطفق يبكى فهاجت أشجانها وبكت ، ثم توقفت عن البكاء لتحدث يعقوب بماضيها وعرفه يوسف بشأنها فواساها وتودد إليها وأخبرته بحديثها مع الصنم وكفرانها به

لعجزه وتحطيمها إياه وشهدت بوحدانية الله ونبوة يوسف وأشهدت يعقوب على ذلك وسألته أن يدعو الله بأن يحققلها أربع حاجات : أولاها أن يمن عليها بالإسلام ، وثانيتها أن يعيدها جميلة كما كانت وثالثتها أن يجعلها عذراء طاهرة ، ورابعتها أن يصبح يوسف زوجاً محباً لها ، فأطرق يعقوب ونزل عليه جبريل فى تلك اللحظة وقال : إن الله يقرئك السلام ويقول سل حاجتك فقد أجبناك إليها ، وأقبلت زليخا فتاة بكراً فى السادسة عشر تفيض حسناً وجمالاً وفتنة لا يدركها الوصف، ونظر يوسف إليها فأحبها وتزايد حبها فى قلبه ولكنه لم يصرح بهواه خجلاً من أبيه ، فنزل جبريل على يعقوب وأخبره بأن الله يأمره بتزويج زليخا من يوسف فزفت إليه ، غير أن الوضع بعد هذا الزواج تغير فأصبح يوسف هو المحب الولهان الذى يكتوى قلبه بنار الحب ويتعذب بلوعة الإعراض والصد من زوجه ومعشوقته زليخا التى سلا فؤادها ولم يعد فيه أثارة من حبها القديم ، وكلما ازداد تودداً إليها زادت جفوة، وكأنها لم تكن تعرفه فى يوم ما ، واعتكفت زليخا فى خلوة العبادة أربعين يوماً تصلى لربها وقد أطفأ الله جذوة الحب فى قلبها فلم تعد تحس أى ميل إلى معشوقها القديم وانصرفت انصرافاً كلياً إلى العبادة ، ولما اشتد الوجد بيوسف وضاق بالصبر وضاق به دنا منها يعاتبها ويبثها أشجانه ويذكرها بما كان بينهما ويقول : لقد أحببتنى حين كنت سيدة هذه البلاد وكنت أنا عبداً ذليلاً لك والآن وقد أصبحت الملك وصاحب العرش والتاج تعرضين عنى ؟ صارحينى بسر هذه الجفوة فقد ناء بالصبر احتمالى ، فأجابته : ابحث لك عن قرينة غيرى يا يوسف فإن الذى حال بينك وبين حبى فيما مضى قد صرفنى اليوم عن حبك وملأ قلبى بالإيمان فلم يعد فيه متسع لهواك ، لا أحب غير خالقى وحده ولا يتجه عقلى إلى سواه . ونزل الملك على يوسف يقول : لا تحسبن هذا الإعراض من زليخا ، فإن الله فى يوم عقدك عليها أمرنى أن أضرب بجناحى على قلبها فما إن فعلتُ حتى زايله حب الدنيا كلية فى لحظة وقد أصبحت الآن عفة فاضلة كما كنت أنت من قبل ، وكذلك قضى ربك أن يستيقن قلبك بأن الأمر لا يكون كما تريد بل مرده إلى الله وحده ، فامض الآن إلى يعقوب وسله أن يدعو الله بأن يصلح ما بينك وبين صاحبتك ، وأجاب الله دعاء يعقوب فعاد إلى قلب زليخا هوى يوسف ونعما بحياة تفيض حباً وسعادة وبلغا من دنياهما كل

ما تمنيا . ويختم الشاعر قصته بموت الزوجين العاشقين فى يوم واحد وكأن يوسف لم تلده أمه .

* * *

هذه خلاصة موجزة لقصة يوسف وزليخا كما وردت فى منظومة الفردوسى وهناك من يتشكك فى صحة نسبة هذه المنظومة للشاعر بل يقطع البعض بعدم صحة نسبتها إليه .

فالأستاذ سعيد نفيسى مثلاً ، فى مقدمته لكتاب « حماسهٔ ملى إيران» — بعد الإشاره إلى مقالات الأستاذ عبد العظيم قريب فى الأعداد العاشر والحادى عشر والثانى عشر من السنة التاسعة لمجلة (آموزش وپرورش) التى تنشرها وزارة المعارف الإيرانية ومقالته المنشورة فى العدد الثامن من السنة الرابعة عشر لهذه المجلة ، ومقال الأستاذ مجتبى مينوى فى العدد الثالث بالمجلد الخامس من مجلة (روز* كارنو) تحت عنوان « كتاب هزارهٔ فردوسى » عن بطلان انتساب يوسف وزليخا إلى الفردوسى — يقطع فى عباره صريحة بعدم صحة نسبة هذه المنظومة للشاعر ويقول إن ناظمها « أمانى » وهو شاعر خراسانى من حاشية الأمير السلجوقى شمس الدولة طغانشاه بن ألب أرسلان ، كان يعيش فى خراسان أو هراة ، وقد نظمها فى حدود سنة ٤٧٦ هـ. (١٠٨٣ م.) أى بعد وفاة الفردوسى بأكثر من ستين سنة ، ودلل على ذلك ببيتين فى نسخة خطية لديه كتبت فى سنة ١٢٣٥ هـ. (١٨١٩ م.) هما :

« اما نيست » بسيار مدت بجاى   كه ازدرج سلطان وحكم خداى

ازين قلعه دلشاد بيرون شود   بنزديك شاه همايون شود

ومعناهما على ما ذهب إليه الأستاذ نفيسى :

لقد بقى « أمانى » أمداً طويلاً ، حتى يكون من درج السلطان وحكم الله ، أن يخرج من قلعة دلشاد هذه ويصير عند الملك المبارك .

* * *

وقد ذهب إلى أن كلمة (امانيست) أصلها (امانى است) وأمانى تخلص الشاعر الذى نظم القصة ، هذا مع ذكره أن كاتب المخطوط المذكور صرح بنسبة المنظومة إلى الفردوسى ، ويقول إن أمانى نظم هذين البيتين فى واقعة خروجه من

سجنه بقلعة (دلشاد) ولكونه تكلم عن سابقة نظمه لسير الملوك ، أوهم كلامه أن المنظومة للفردوسى ناظم الشاهنامة .

وفى نفس الوقت يخطئ الأستاذين قريب ومجتبى مينوى فى فهمهما عبارة (امانيست) على أنها مركبة من كلمتى (أما) العربية و (نيست) أداة النفى الفارسية ، ويستمر فيقول بأن أقدم سند اطلع عليه فى نسبة المنظومة للفردوسى هو مقدمة بايسنقر الأمير التيمورى المشهور بجمال خطه النسخ وابن الأمير شاهرخ ، وقد استولى بايسنقر على آذربيجان سنة ٨٢٣ هـ . — ١٤٤٩ م . وتوفى يوم السبت فى السابع من جمادى الأولى سنة٨٣٧ هـ .— ١٤٣٣م. وفى عام٨٢٩ هـ .—١٤٢٥م. كلف جماعة من شعراء خراسان بكتابة المقدمة المذكورة للشاهنامة وعرفت منذ ذلك الحين بمقدمة « بايسنقر » .

نسبت هذه المنظومة فى عدة أماكن من المقدمة المذكورة إلى الفردوسى ، ولكن الأستاذ سعيد نفيسى يرفض الاعتماد على هذه المقدمة لكثرة ما ورد بها من خبط وتخليط ، ويورد بعد ذلك ما ذهب إليه الأستاذ مجتبى مينوى من نفيه واقعة ذهاب الفردوسى إلى أمير خانلنجان سنة ٣٨٩ هـ . —٩٩٨م . فى مقاله سالف الذكر ، وقوله بأن هذه الواقعة تتعلق بكاتب نسخ الشاهنامة عام ٦٨٩ هـ . — ١٢٩٠ م . لأحمد بن محمد حاكم خان لنجان (قرب إصفهان) وأن الكاتب المذكور لم يعجم حرف الشين فى كلمة (ششصد) فقرئت (سيصد) ومن هنا نشأت هذه الخرافة[1] .

والواقع أنه من العسير على الاطمئنان إلى تخريج الأستاذ الفاضل سعيد نفسى لعبارة « امانيست » مع تصريح كاتب المخطوط بنسبة المنظومة إلى الفردوسى ، كما أن تخطئته للأستاذين قريب ومجتبى مينوى لا تقوم عندى على أساس لغوى يمكن معه ترجيح ما ذهب إليه ، والأمر — كما يبدو لى — لا يعدو أن يكون إغراباً فى الحدس والتخمين خاصة وأنه لم يثبت لنا تاريخياً واقعة سجن شاعر بهذا « التخلص فى قلعة بهذا الاسم .

---

(١) مقدمة (حماسه ملى إيران) من ص ب إلى ص د .

أما رفضه لمقدمة بايسنقر جملة لوجود أغلاط بها فلا يستند إلى منطق علمى دقيق ، لأن المقدمة المذكورة — على ما بها من خلط بين وأخطاء كثيرة — لم تخل كذلك من وقائع صحيحة وحقائق مسلم بها ، وسبيل الباحث هو التدقيق فى التمييز بين جيدها وزائفها لا الأخذ بها على علاتها أو رفضها برمتها ، خاصة وأن هذه المقدمة قد أخذت مكانها بين الأسناد التى لا يجوز لباحث تجاهلها وإغفالها .

وكذلك لم يذكر لنا الأستاذ مجتبى مينوى من أى مصدر تاريخى تبين له أن أحمد بن محمد الخانلنجانى كان يعيش فى سنة ٦٨٩ هـ . وحدسه عدم إعجام الشين لا ينهض وحده دليلاً يعول عليه فى رفض الرواية ، وقد أخذت نفسى منذ البداية بالتزام النص الصريح ما لم يثبت زيفه .

ويقول الدكتور صفا فى كتابه حماسه سرائى[1] : (ومن الواضح أن نظم قصة يوسف وزليخا وسفر الفردوسى إلى بغداد نتيجة لهذا التصور وعودته عن طريق إصفهان وملاقاته حاكم خان لنجان ، كلها من وضع وابتكار أصحاب الأساطير أو نتيجة أخطاء المتأخرين ولا تمت إلى الفردوسى بسبب على الإطلاق) .

ويشير فى الحاشية إلى أبيات فى نسخة خطية محفوظة فى المتحف البريطانى — علها نسخة بلند Bland الآنف ذكرها — كانت السبب فى أن بعض المحققين المعاصرين — لعدم دقته — تصور أن الفردوسى سافر أيضاً إلى إصفهان وأقام مدة عند حاكم خان لنجان وقدم إليه نسخة من الشاهنامة ومن ثم ربط بين هذه السفرة وسفر الفردوسى الخيالى إلى بغداد وقال إن الفردوسى فى عودته من بغداد إلى خراسان مر بإصفهان ، ويمضى فيقول : لو أن هؤلاء المحققين دققوا فى تلك الأبيات التى نشرتها برمتها « ضمن بيان أحوال الفردوسى » فى العدد العاشر من السنة الثانية لمجلة كاوه فى دورتها الجديدة، لأدركوا من ضعف الأبيات ثم من فحوى كلام قائلها أن ناظمها قليل البضاعة والدراية وأنه كان — كما يبدو — معلماً لابن حاكم خان لنجان ، ثم يستخلص من هذا البيت :

خداوند اين دفترم بنده كرد   لب هرمرادم پراز خنده كرد

أى :

تعبدنى صاحب هذا الدفتر ، وملأ شفتى كل رغابى بالابتسام .

---

(١) ص ١٧٥ و ١٧٦ الطبعة الثانية .

إن صاحب هذا الدفتر هو الشخص الذى يملك الكتاب لا الشخص الذى باسمه ألف الكتاب ، ثم يقول : وهنالك بيت (مغشوش)[١] آخر أيضاً بين تلك الأبيات يبين أستاذية قائله لأحمد بن حاكم خانلنجان وتدل الأبيات التى بعده كذلك على أن هذا الرجل غرق فى أحد أيام الربيع فى نهر (زرين رود) وأنقذ على يد تلميذه .

وقد رجعنا إلى هذه الأبيات نفسها من قبل بإحدى نسخ الشاهنامة طبعة بروخيم وكتاب(هزارهٔ فردوسى) فى مقال المحقق الفاضل تقى زاده عن الشاهنامة والفردوسى ، ونقلناها وترجمناها فى الفصل الرابع من الكتاب .

أما من جهة ضعف الأسلوب — والحكم فى هذا للذوق المثقفين من أهل اللغة — فأقول بأنه لا يوجد شاعر مكثر يجيد فى كل ما يقول ، والسمو والإسفاف أمر ملحوظ عند فحول شعرائنا قداماهم ومحدثيهم ، وطبع الشاعر لا يواتيه فى كل حين ، وفرق بين شعر ينطلق فيه الشاعر على سجيته كالطائر المغرد الطليق وشعر يقوله متعسفاً متكلفاً ، وليس هنالك ما يمنع أن يكون الشاعر مؤدباً وأستاذاً لابن ممدوحه ، أما استشهاده بالبيت المذكور على أن الممدوح صاحب الدفتر وليس هو الشخص الذى ألف باسمه الكتاب فالرد عليه أن أحداً لم يقل بأن الفردوسى نظم الكتاب من أجل حاكم خان لنجان ولكن الذى قيل هو أنه قدم منه نسخة لهذا الحاكم قياماً بواجب شكره على إحسانه إليه ، وترتيب عدم صحة نسبة منظومة يوسف وزليخا إلى الفردوسى على عدم صحة واقعة ذهابه إلى بغداد وإصفهان — على فرض ثبوت ذلك — قول لا يصح التسليم به بأى حال ، لأن نظم القصة لا يتطلب حتماً ذهاب الشاعر إلى هنا أو هناك .

وقد أشار الدكتور على أكبر فياض إلى بحوث المنكرين نسبة المنظومة إلى الفردوسى وأيد أصحابها فيما ذهبوا إليه فقال : (وهناك أبحاث جديدة فى إيران ترمى إلى إنكار نسبة الكتاب إلى الفردوسى ، يؤيد ذلك سخافة أشعار الكتاب وضعفها ، فهو والشاهنامة على طرفى نقيض)[٢] .

---

(١) أى مدخول .

(٢) محاضرات عن الشعر الفارسى والحضارة الإسلامية فى إيران . ص ٢٤ .

وجدير بالذكر أن الأستاذ بديع الزمان فروزا نفر وقف من هذه القصة موقف الناقد لأسلوبها دون التورط فى نفى نسبتها إلى الشاعر فقال بأن منظومة يوسف وزليخا مع وجود أشعار جيدة بها ، ليست فى جملتها من الشعر الرفيع ، وأبياتها ضعيفة غير مقبولة وبينها وبين الشاهنامة من التفاوت ما بين الأرض والسماء ، وأبدى حيرته من أن هذه المنظومة للفردوسى وتمنى أن لا تكون كذلك ، وعجب من أن قدرة الفردوسى وشاعريته بالشاهنامة لا أثر لهما فى يوسف وزليخا ولم يقبل ما ذهب إليه محبو الفردوسى من تعليل ضعف نظمها بأنه كان ينظم موضوعاً دينيًّا وقال : إن هذه القصة وإن كانت دينية بمعنى أنها وصلت إلينا عن طريق الدين إلا أنها فى حد ذاتها قصة غرامية لطيفة وللشعر والشاعرية فيها مجال ، ولكن طبع الشاعر لا يبقى دائماً على حال واحد فحينا يستطيع نظم كل أنواع المعانى فى شعر جيد وحيناً لا يستطيع ، ولا يسلم إنسان من الزلل ، وأى ضير فى نقص واحد إزاء عالم من الكمال ؟ فينبغى القول بأن (يوسف وزليخا) هى ذلك النقص الوحيد الذى يقابله عالم من كمال ، وأنها لا تقلل من رفعة الأستاذ الطوسى وفضله[١] .

ويمكن أن يضاف إلى ما ذكره الأستاذ فروزا نفر أن قلة المدة التى نظمت فيها القصة وعجلة الشاعر فى نظمها كانا سبباً آخر لما يقول به أهل اللغة من ضعف أسلوبها وشاعريتها ، وإذا كان الأساتيذ من أهل اللغة عابوا على القصة شعرها وحكموا عليها بضعف نسجها — وليس لى أن أتورط فى موافقتهم أو مخالفتهم فى مسألة ترتبط كل الارتباط بذوقهم وسليقتهم فى تذوقهم وإدراكهم للأسرار البلاغية فى أدبهم — فإنى أستطيع القول فى اطمئنان تام بأن هذه المنظومة من الناحية الفنية القصصية لا تقل شأناً عن أجود ما نظم الفردوسى بالشاهنامة ، لقد عرض الموضوع فأحسن العرض ، ووصف المناظر فأجاد الوصف ، وأجرى الحوار بين الأشخاص فأبدع أيما إبداع ، وأبت إنسانيته ورقة شاعريته إلا أن يختم قصته بالجمع بين بطليها المعذبين بالزواج فأصبح يوسف ملكاً مطاعاً وعادت زليخا فتاة عذراء كأروع ما تكون الفتاة جمالاً ونضارة وطهراً ، وبعد حياة زوجية سعيدة رحلا عن دنيا الآلام والآمال فى يوم واحد .

---

(١) سخن وسخنوران جـ ١ ص ٤٠ و ٤١ .

وقد رجعت إلى مقال للمستشرق هرمان إته Herman Ethé ترجمه الدكتور رضا زاده شفق إلى الفارسية ونشرته مجلة مهر فى عدديها الخامس والسادس من عامها الثانى[1] يستخلص منه أن أقدم ما وصلنا عن نظم الفردوسى لقصة يوسف وزليخا فى شيخوخته وبعد فراغه من الشاهنامة هو ما جاء بمقدمة بايسنقر التى كتبت سنة ٨٢٩ هـ . — ١٤٢٥ م . ثم كشف الظنون لحاجى خليفة وتذاكر المتأخرين مثل تذكرة رياض الشعراء وآتشكده وخلاصة الكلام وخلاصة الأفكار . ويعجب كاتب المقال من عدم ذكر هذه المنظومة فى كتب المتقدمين مثل لباب الألباب المؤلف فى حدود سنة ٦٠٠ هـ — ١٢٠٣ م . وأنيس المريدين وشمس المجالس لخواجه عبد الله الأنصارى المتوفى سنة ٤٨١ هـ . — ١٠٨٨ م. مما حمل المستشرقين على الشك فى صحة نسبة هذه المنظومة للشاعر وجعل كاتب المقال نفسه يتشكك مدة من الزمن فى صحة هذه النسبة خاصة وأن عبد الرحمن الجامى شاعر القرن التاسع الهجرى وناظم الهروى من شعراء القرن الحادى عشر الهجرى قد نظما هذه القصة دون الإشارة إلى اسم الفردوسى ، ثم عاد فقطع بصحة نسبة هذا المثنوى للشاعر مؤيداً رأيه بأن أسلوب القصة وشاعريتها — كما يقرر صاحبا رياض الشعراء وآتشكده — بالفردوسى أليق وإن كان صاحب آتشكده يرى فى نظمها شيئاً من الضعف نتيجة لشيخوخة الشاعر . ويشير الكاتب إلى قول البعض بأن بها من الوصف واللطائف ما لا يتفق إلا لشاعر إيرانى من الطراز الأول إن لم يكن الفردوسى فلا بد وأن يكون النظامى ، وبعد رفضه نسبتها للنظامى يقول : إن الحكم على جودة ورداءة الشعر يتوقف غالباً على الذوق الشخصى ولذا فهو لا يعول على هذا الدليل بل يوجه اهتمامه إلى الشبه التام بين بعض أقسام يوسف وزليخا والشاهنامة فيذكر أن فى وصف موت راحيل المباغت حين ولادتها بنيامين والحداد عليها من حيث العبارة ما يذكرنا بشكوى الفردوسى ونواحه فى موت ولده بالشاهنامة . ثم يقول بعد ذلك وهناك مسألة أخرى جديرة بالاهتمام وهى الوزن ، فكلا من يوسف وزليخا والشاهنامة فى البحر المتقارب ، وقد وفق صاحب آتشكده للغاية فى قوله بأن

(٢) مهر وآبان ماه ١٣١٣ هـ.ش . (١٩٣٤ م.) وقد أخرجت المجلة العددين على صورة كتاب عنوانه (فردوسى نامه) .

هذا البحر يناسب الشعر الحماسى لا قصة غرامية ، والواقع أن ما أعرفه هو أنه لا يوجد فى الأدب الفارسى قصة عشق نظمت فى البحر المتقارب ، من ويس ورامين لفخر الدين أسعد الجرجانى المنظومة بين سنتى ٤٣٤–٤٤٧ ﻫ . (١٠٤٢ — ١٠٥٥ م.) إلى يوسف وزليخا لشوكت المؤلفة سنة ١٢٣٣ ﻫ . — ١٨١٧ م . ولو كانت هذه المنظومة لشاعر من المتأخرين ، كان لا بد لناظمها من أن يختار لها وزناً مناسباً ومتداولاً ولأضفى على قصته صبغة صوفية كما فعل الجامى وغيره ، ولا يوجد فى يوسف وزليخا الفردوسى آثار تصوفية) .

وبعد الفراغ من سوق هذه الأدلة النظرية يستدل بدليل مادى آخر هو نسخة خطية اشتراها بلند Bland من مكتبة ماكان Macan فى المزاد واشتراها منه المتحف البريطانى بعد ذلك ويرجع تاريخها إلى سنة ١٢٤٤ ﻫ . — ١٨٢٨ م . فذكر بأن هذه النسخة انفردت دون سائر النسخ التى رجع إليها بفصل عنوانه (*كفتار اندر يادكردن سبب اين قصه) أى مقال فى ذكر سبب (نظم) هذه القصة ، جاء فيه على لسان الفردوسى أن شاعرين آخرين هما أبو المؤيد البلخى والبختيارى قد نظما هذه القصة قبله ، فلم يعد بعد قراءته لهذا الفصل يشك فى أن القصة موضوع البحث من نظم شاعر الشاهنامة[١] .

ونخرج من كل هذا بأن الطاعنين فى صحة نسبة نظم القصة لشاعر طوس لم يستطيعوا إقامة الحجة على صحة دعواهم .

نظم الجامى ليوسف وزليخا

أشهر مثنويات يوسف وزليخا بعد منظومة الفردوسى هى منظومة مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامى أكبر شعراء القرن التاسع الهجرى وآخر شعراء الفرس العظام، وقد أضفى هذا الشاعر الصوفى على القصة لوناً صوفياً وخيالاً عرفانياً فبدت

(١) تحدث إته كذلك فى كتابه (تاريخ أدبيات فارسى) ترجمة رضا زاده شفق ص ٤٦ وما بعدها عن نسبة يوسف وزليخا للفردوسى بما لا يخرج عن هذا المقال والفصل الذى يشير إليه إته فى نسخة بلند مذكور بالقسم الذى طبعه من يوسف وزليخا بأكسفورد سنة ١٩٠٨ م — ١٣٢٦ ﻫ . كما نشره رضا زاده شفق فى ترجمة المقال بمجلة مهر بعددها (فردوسى نامه) .

وكأنها قصة جديدة تحمل اسم منظومة الفردوسى ، فهو بعد المقدمات المألوفة فى المثنويات الفارسية يمهد للقصة بحديث عن الجمال والعشق فيقول إن كلا منهما طائر طار من عش الوحدة وسكن إلى غصن مظاهر الكثرة، فإن يكن ثمت لحن سرور معشوق فهو من هنالك، وإن يكن أنين محبة عاشق فمن هناك كذلك ، ويثنى بالكلام عن فضيلة العشق وما يتصل به من سبب نظم الكتاب بأبيات جميلة كنت أود لو اتسع البحث لنقلها وترجمتها وأكتفى آسفاً بالاجتزاء بنقل الأبيات الأربعة الأولى منها :

ز عالم روى آور درغم عشق   كه باشد عالم خوش عالم عشق
غم عشق از دل كس كم مبادا   دلى بى عشق در عالم مبادا
فلك سر*كشته از سوداى عشق است   جهان پرفتنه ازغوغاى عشق است
اسير عشق شو كازا د باشى   غمش درسينه نه تاشاد باشى

* * *

وترجمة الأبيات :

حول وجهك عن العالم إلى غم العشق ، فإن عالم العشق عالم جميل .

لا أنقص الله غم العشق من قلب إنسان ولا كان فى العالم قلب بغير عشق .

الفلك حائر من وله العشق والدنيا ملأى بالفتنة من جلبة العشق .

فكن أسير العشق لتكون طليقاً ، وضع غمه فى صدرك لتكون مسروراً .

* * *

وتتوالى فصول القصة بعد ذلك بالعناوين التالية :

١ — قصة إضاءة شمع جمال يوسف فى خلوة الغيب واحتراق قلب آدم كالفراشة بمشاهدة نوره . ص ٢٢ .

٢ — المجىء بغصن جمال يوسف من مرتبع الغيب إلى روض الشهادة وتربيته بماء عين يعقوب وهوى قلب زليخا . ص ٢٣ .

٣ — مقال فى وصف ونسب زليخا التى كان المغرب يتحول بطلوع شمس جمالها إلى مشرق ، بل كان يفوقه بآلاف الدرجات . ص ٢٦ و ٢٧ .

وفى هذا الفصل يقول إنه كان ببلاد المغرب ملك عظيم اسمه طيموس جمع بين أسباب الملك ومنى القلب ، انتطق الفلك بالجوزاء لخدمته واستحكم رباط

الظفر بسيفه ، كانت له ابنة جميلة يميل إليها من دون العالم ، ليست ابنة بل هى كوكب من البرج السلطانى وجوهرة مضيئة من الدرج الملكى ، لا يتسع البيان لوصف جمالها ، فلأروض الطبع بخيالها ، واستمد من لعل شفتيها الحلوتين ، وأقول كل ما يستوعبه وصفها ، وأنزل من فرقها إلى قدمها ، كشعرها ، وأغلو القلب بصورة وجهها . وأخذ بعد ذلك يصف قدها وجسمها عضواً فعضواً ويجسم جمالها وفتنتها وفعلهما بالقلب واللب ، وكأنه مثال متحرر خيال مثال مجرد فى محراب الجمال .

٤ — رؤيا زليخا لأول مرة شمس جمال يوسف عليه السلام فى غمد المنام وقتلها بذلك السيف المغمد فى قرابه . ص ٣٠ .

٥ — هبوب نسيم السحر على زليخا وتفتح نرجسها النعسان وتجرعها دم الأسى كالبرعمة من حلم الليل ووضعها خاتم الصمت على شفتيها . ص ٣٢ .

٦ — حدوث عقدة التحير فى خيط تفكر الجوارى من مشاهدة تغيير حال زليخا وحل المربية العقدة من ذلك الخيط بطرف بنان الاستفسار . ص ٣٤ .

٧ — حلم زليخا بيوسف عليه السلام للمرة الثانية وتحريك سلسلة عشقها وجرها إلى ورطة الجنون . ص ٣٨ .

٨ — رؤيا زليخا ليوسف عليه السلام فى المنام للمرة الثالثة ومعرفتها مقامه وعودتها إلى عقلها ووعيها . ص ٤١ .

٩ — مجىء رسل ملوك الأطراف — عدا مصر — لخطبة زليخا وضيق صدورهم يأساً منها وعودتهم إلى ديارهم . ص ٤٣ — ٤٤ .

١٠ — إرسال أبى زليخا رسولاً إلى عزيز مصر وعرض تزويجه ابنته زليخا له وقبوله الزواج منها . ص ٤٦ .

١١ — هبوب نسيم القبول من جانب مصر وشد رحال محمل زليخا مثل عمارى الورد إلى بستان مصر . ص ٤٩ .

١٢ — سماع عزيز مصر بخبر مقدم زليخا ونهوضه لاستقبالها وإعداده عسكر مصر فى زينتهم . ص ٥١ .

١٣ — رؤية زليخا عزيز مصر من فتحة الخيمة وصياحها بأن هذا ليس ذاك الشخص الذى رأيته فى المنام وقاسيت المحنة فى محبته عدة أعوام . ص ٥٣ .

١٤ — قدوم زليخا برفقة عزيز مصر وخروج المصريين للقائها ونثر أطباق الذهب نثاراً لهودجها . ص ٥٥ .

١٥ — تمضية زليخا العمر فى مفارقة يوسف عليه السلام وتلهفها وتأسفها مدى الليالى والأيام . ص ٥٨ .

١٦ — بداية حسد إخوة يوسف عليه السلام له وإقصاؤه عن يعقوب عليه السلام . ص ٦١ .

١٧ — رؤيا يوسف عليه السلام أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً تسجد له ، وسماع إخوته بذلك وزيادة حسدهم له . ص ٦٣ .

١٨ — تشاور الإخوة مع بعضهم البعض ليدبروا حيلة يقصون بها يوسف عن أبيه : ص ٦٤ .

١٩ — ذهاب إخوة يوسف إلى أبيهم وطلبهم منه أن يأخذوا يوسف معهم إلى الصحراء . ص ٦٦ .

٢٠ — أخذ إخوة يوسف له من عند أبيهم وحفرهم بئر الضلالة فى طريق هدايته وإلقاؤه فى البئر بالخيانة . ص ٦٧ .

٢١ — وصول القفل إلى البئر وإخراج يوسف عليه السلام وإضاءة العالم مرة أخرى بشمس جماله . ص ٧١ .

٢٢ — بلوغ مالك بيوسف عليه السلام مشارف مصر وسماع ملك مصر بذلك وإرسال عزيز مصر لاستقبالهما . ص ٧٣ .

٢٣ — وصول يوسف عليه السلام إلى نهر النيل واغتساله من غبار السفر وركوبه فى الهودج قاصداً بلاط ملك مصر وعزمه المسير . ص ٧٤ .

٢٤ — وصول زليخا إلى بلاط الملك وسؤالها عن سبب ازدحام الخلق ورؤيتها شمع جمال يوسف وتعرفها عليه . ص ٧٧ .

٢٥ ــ عرض مالك يوسف عليه السلام للبيع وشراء زليخا ليوسف بأضعاف ما كان يشتريه به الغير . ص ٧٩ .

٢٦ ــ قصة فتاة اسمها بازغة من نسل عاد ، لم يكن لها نظير من حيث المال والجمال وعشقها جمال يوسف عليه السلام ورؤياها جمال الحقيقة فى تلك المرآة ووصولها من المجاز إلى الحقيقة . ص ٨٢ .

وخلاصة هذا الفصل أن الفتاة لما شغفت بجمال يوسف وصرحت له بهواها ، قال لها إن الله خلق من ذرات الكون مرايا ينعكس فيها جماله ، وليس يوسف إلا ذرة من هذا الكون فلا تنشغلى بانعكاس الجمال فى المرآة عن حقيقة الجمال ، فطوت بساط حبه وزهدت فى الجاه والمال وبنت معبداً على النيل عبدت فيه جمال الحق إلى آخر عمرها .

٢٧ ــ ترقيب زليخا أسباب فراغ البال ليوسف عليه السلام وخدمتها له بكل ما فى استطاعتها . ص ٨٦ .

٢٨ ــ شرح يوسف عليه السلام قصة محنته وما عاناه فى الجب ووقوف زليخا على أن الحزن الذى كانت تحسه ذاك اليوم والليلة كان سببه آلام يوسف بالبئر فى ذلك الوقت . ص٨٩ .

٢٩ ــ رغبة يوسف عليه السلام فى الاشتغال بالرعى لأنه لم يكن نبى قط لم يشتغل بالرعى ، وتهيئة زليخا له وسائله . ص ٩٠ .

٣٠ ــ طلب زليخا وصال يوسف وتعففه عن ذلك . ص ٩٢ .

٣١ ــ سؤال المربية زليخا عن سبب ذوبانها واحتراقها بشمع جمال يوسف ص ٩٤ .

٣٢ ــ إرسال زليخا المربية إلى يوسف عليه السلام لتطلب إليه تحقيقه مقصودها وإباؤه ذلك . ص ٩٥ .

٣٣ ــ ذهاب زليخا إلى يوسف بنفسها وتضرعها إليه واعتذاره عن تحقيق مرادها . ص ٩٥ . مكررة .

٣٤ ــ إرسال يوسف عليه السلام إلى البستان وتهيئة أسباب المتعة له . ص ٩٨ .

٣٥ — إقبال الليل وعرض الجوارى جمالهن على يوسف عليه السلام ليتخير من بينهن من يميل إليها ويأنس بها . ص ١٠٠ و ١٠١ .

٣٦ — تضرع زليخا لدى المربية والتماسها حيلة منها تكون سبباً فى وصال يوسف . ص ١٠٣ .

٣٧ — بناء المربية بيتاً صور فى كل أرجائه جمال يوسف وزليخا بأوضاع مختلفة . ص ١٠٤ .

٣٨ — دعوة زليخا يوسف عليه السلام إلى البيت ومطالبته بوصالها . ص ١٠٧ .

٣٩ — إدخال يوسف عليه السلام بالمقصورة السابعة وإجباره على تحقيق مقصودها وفرار يوسف وبقاء زليخا حائرة آسفة . ص ١١١ .

٤٠ — لقاء عزيز مصر يوسف عليه السلام خارج البيت وكتمان يوسف ماحدث بينه وبين زليخا وإفشاؤها ذلك . ص ١٨١ .

٤١ — سوق القادة يوسف عليه السلام إلى السجن وشهادة طفل رضيع ببراءته ص ١٢١ .

٤٢ — إطلاق نسوة مصر ألسنتهن بالطعن على زليخا وقطع سيف غيرة العشق أيديهن وألسنتهن . ص ١٢٤ .

٤٣ — التماس نسوة مصر العذر لزليخا بعد مشاهدة جمال يوسف وحثهم يوسف على الانقياد لها وتهديده بالسجن . ص ١٣٠ .

٤٤ — حض نسوة مصر زليخا على إرسال يوسف عليه السلام إلى السجن وامتثال زليخا أمرهن . ص ١٣٣ .

٤٥ — ندم زليخا على إرسالها يوسف عليه السلام إلى السجن وبكاؤها على فراقه . ص ١٣٦ .

٤٦ — عدم احتمال زليخا مفارقة يوسف عليه السلام وذهابها إلى السجن ليلا مع المربية ومشاهدة جماله . ص ١٤٠ .

٤٧ — صعود زليخا إلى سطح قصرها بالنهار ومشاهدتها السجن من هنالك وبكاؤها وانتحابها لفراق يوسف عليه السلام . ص ١٤٣ .

٤٨ — فى شرح إحسان يوسف عليه السلام إلى أهل السجن وتعبيره رؤيا مقربى ملك مصر وإيصائه كلا منهم بذكره عند الملك . ص ١٤٦ .

٤٩ — طلب الملك يوسف عليه السلام لتعبير رؤياه وطلب يوسف تحقيق ما حدث بينه وبين نسوة مصر . ص ١٤٨ .

٥٠ — خروج يوسف عليه السلام من السجن وإكرام ملك مصر له وموت عزيز مصر وابتلاء زليخا بالوحدة والفراق . ص ١٥٢ .

٥١ — شرح حال زليخا بعد وفاة عزيز مصر واستيلاء محبة يوسف عليها وابتلائها بالمحنة والأسى والفراق . ص ١٥٦ .

٥٢ — مجىء زليخا على قارعة طريق يوسف عليه السلام وإقامة كوخ لها من القصب لتجد الرضا وسكينة القلب بسماعها صوت عبور جيشه . ص ١٥٩ .

٥٣ — التزام زليخا طريق يوسف عليه السلام وعدم التفاته إليها وذهابها بعد ذلك إلى بيتها وتحطيمها الصنم وإيمانها بالله تعالى وعودتها إلى الطريق وحظوتها بالتفاته إليها . ص ١٦٢ .

٥٤ — مجىء زليخا إلى خلوة يوسف وعودة بصرها وجمالها وشبابها بدعائه . ص ١٦٤ .

٥٥ — زواج يوسف عليه السلام من زليخا بأمر الله تعالى عز اسمه . ص١٦٧ .

٥٦ — تغلب محبة زليخا على يوسف عليه السلام وبناؤه معبداً لها . ص١٧١ .

٥٧ — رؤيا يوسف عليه السلام أبويه فى المنام وطلبه الموت من الله تعالى واضطراب زليخا وبكاؤها . ص ١٧٣ .

٥٨ — وفاة يوسف عليه السلام وهلاك زليخا أسى على فراقه . ص ١٧٧[1] .

* * *

وبذلك تنتهى القصة ، ونلاحظ أن الجامى بدأ منظومته من حيث بدئت فى سورة يوسف وتمشى مع سياقها فى السورة وأضاف إليها فصل عشق الفتاة بازغة ليوسف وجعل جدران بيت زليخا مكسوة بالصور بدل كسوتها بالمرايا فى قصة الفردوسى ، أما اسم زليخا فغير مذكور بالتوراة ولا فى القرآن ويبدو أنه من إضافات الرواة والمفسرين .

(١) اعتمدت على نسخة مطبوعة فى بمباى بمطبعة نادرى سنة ١٣٣٢ هـ . — ١٩٢٣ م .

٣ ـ خاور نامه

أى كتاب المشرق . أو كتاب مدينة خاور — كما يفهم من سياق القصة — ملحمة مذهبية شيعية نظمت فى بطولة الإمام على بن أبى طالب وحملاته برفقة بطليه مالك الأشتر وأبى المحجن على أرض خاوران وحروبهم ضد ملكها قباد وغيره من الملوك والأمراء والجن والكائنات الخرافية والسحرة . ويزعم ناظمها أنه اعتمد فى نظمها على مصدر عربى . وقد نظمت القصة سنة ٨٣٠ هـ . — ١٤٢٦ م .

چو برسال هشصد بيفزودسى   شد اين نامهٔ تازيان پارسى
مر اين نامه راخاوران نامه نام   نهادم بدا*نكـــه كه كردم تمام

أى :

لما زيد على سنة ثمانمائة ثلاثون صار هذا الكتاب العربى (١) فارسيا .
وأسميت هذا الكتاب خاوران نامه حين أتممته .

* * *

ويلاحظ أن اسم الكتاب فى هذا الشعر (خاوران نامه) وليس خاورنامه ، ولعل هذا راجع إلى الضرورة الشعرية .

وناظم هذا المثنوى هو مولانا محمد بن حسام الدين المشهور بابن حسام من شعراء القرن التاسع الهجرى وتاريخ وفاته سنة ٨٧٥ هـ . — ١٤٧٠ م . وكان رجلا زاهداً يعيش على الزراعة فى قرية تسمى (خوسف) من قرى قهستان خراسان وهى الآن جزء من (بيرجند وقاينات) ويقول فى تزهده وقناعته :

بيك قرص جوتاشب از با*مكاه   قناعت نمايم چو خورشيد وماه
شكم چون بيك نان توان كردسير   مكش منت سفرهٔ أردشير

أى :

إننى أقنع بقرص شعير من الصباح إلى الليل مثل الشمس والقمر .
وما دام يمكن إشباع البطن برغيف فلا تتحمل منة سفرة أردشير .

---

(١) حرفية الترجمة : كتاب العرب هذا .

ويقول دولتشاه السمرقندى فى كتابه تذكرة الشعراء المؤلف سنة ٨٩٢ هـ. — ١٤٨٦ م . عن ابن حسام : — (ملك الكلام مولانا محمد حسام الدين المشهور بابن حسام رحمة الله عليه بغايت خوش *كوست و باوجود شاعرى صاحب فضل بود وقناعتى وانقطاعى از خلق داشته ، از خوسف است من أعمال قهستان وازدهقنت نان حلال حاصل كردى و*كاوبستى وصباح كه بصحرا رفتى تاشام اشعار خودرا بردستهٔ بيل نوشتى ، وبعضى اورا ولى حق شمرده اند ودر منقبت *كوبى در عصر خود نظير نداشت وقصائد غرا دارد واين قصيده در نعت رسول رب العالمين صلعم است كه بعضى از آن قلمى ميشود :

اى رُفتــه آستان تو رضوان بآستين

جاروب فــرش مسند تو زلف حــورعين

توفى بن حسام فى شهور سنة خمس وسبعين وثمانمائة من الهجرة النبوية)(١)

* * *

وترجمة العبارة : (ملك الكلام مولانا محمد حسام الدين المشهور بابن حسام رحمة الله عليه شاعر مجيد للغاية وكان مع شاعريته صاحب فضل وقناعة وانقطاع عن الخلق . وهو من « خوسف » من أعمال قستان وكان يحصل عيشه الحلال من الفلاحة وكان يربى الماشية ، وعند ما كان يذهب فى الصباح إلى الصحراء كان يكتب أشعاره على يد الفأس حتى المساء وقد عده البعض ولى الحق « الله » ولم يكن له نظير فى عصره فى ذكر المناقب وله قصائد غراء وهذه قصيدة فى نعت رسول رب العالمين صلعم نذكر بعضها :

يا من كنس رضوان بكمه عتبتك ، وطرة الحور العين مكنسة بساط مسندك .

توفى ابن حسام فى شهور سنة خمس وسبعين وثمانمائة من الهجرة .

* * *

وتوجد من هذه القصة طبعات شعبية منثورة كثيرة التداول نظراً لصبغتها المذهبية وتعلقها بالإمام الأول للشيعة على بن أبى طالب .

---

(١) حماسه سرائى ص ٣٧٧ — ٣٧٩ .

خلاصة القصة

وخلاصة القصة فى صورتها الشعبية أن سعد بن أبى وقاص وأبا المحجن خرجا ذات يوم راكبين إلى الصحراء للتفرج فأبعدا وأقبل عليهما المساء فضلا الطريق وقضيا على ذلك أياماً كادا يهلكان فيها عطشاً وجوعاً ، وإذا بقافلة تلوح من بعيد فأسرع إليها أبو المحجن ليتزود ، فرأى جماعة حفاة حاسرى الرءوس يضربون رءوسهم ويصيحون بصوت بلغ السماء : (يا محمد يا على) فسألهم خبرهم فقالوا إنهم خرجوا يوماً من عند رسول الله إلى بلاد خاور (المشرق) للتجارة ومع وثنية أهل هذه البلاد لم يتعرض لهم أحد بمكروه ، وكان على مقربة منها مدينة تسمى حصن الربيع عليها ملك ظالم يسلب أموال المسلمين ويشوى لحومهم ولا يتعرض لأحد من عبدة الأوثان ، وقد نهب أموالهم وقتل كثيراً منهم ، وهم بقتلهم كذلك لولا أن أشار عليه وزيره سفيان بتركهم يذهبون إلى محمد فإذا علم على بأمرهم جاء إلى مدينتهم للانتقام فيقتلونه ويريحون الخلق منه ، فعمل برأى وزيره وأخلى سبيلهم فى أتعس حال ، ولما لم يكن لديهم فضل من ماء وزاد أرشدوه إلى عين قريبة فتزود منها بالماء وعاد إلى سعد وهو فاقد الوعى فسقاه وصادا طيراً شوياه وأكلاه ثم قص أبو المحجن على سعد قصة القوم وصارحه بعزمه على الذهاب إلى حصن الربيع للانتقام فانطلقا حتى بلغاها فوجدا على بابها صنماً كبيراً يتحتم على كل عابر به السجود له ومثلا بين يدى الملك وادعى سعد أنه من الروم وأن رفيقه (أبا المحجن) من البربر وقد جاءا ينشدان بعيراً ضل منهما وتسمى سعد بشمعون وأبو المحجن بهامان ، فأمر الملك بتعليق صنم فى عنق كل منهما ، وفى مجلس للشراب وقد دارت الخمر بالرءوس دخل رسول يخبر الملك بوصول قافلة من المؤمنين تحمل أموالاً طائلة فسر نادر شاه وأرسل من يأتيه بهم ليسصفى أموالهم ويشرب دماءهم . وحمل عليهم قائد اسمه فرهاد فغضب أبو المحجن ووسطه بسيفه ووقع فى أصحابه فولوا هاربين وأخبروا الملك فقبض على سعد (شمعون) وسجنه فى برج القلعة ولكن أبا المحجن يتسلق السور ليلاً بوهقه ليخلص رفيقه . وكان لنادرشاه ابنة رأت فى منامها أن النبى

دعاها للإسلام فأسلمت وزوجها من سعد فاستيقظت وإذا بحجرتها تعبق بأريج المسك فدخلت على سعد بالسجن وقصت عليه رؤياها ودخل عليهما أبو المحجن وعرف قصة الفتاة وقدمت لهما الطعام ثم خرجت وعادت برأس أبيها نادرشاه وأبت إلا أن ترافقهما فى قتال المشركين فلما أصبح الصباح أعلن ثلاثتهم على أهل المدينة حرباً دامت إلى المساء وانجلت عن إيمان من بقى ومعهم الوزير سفيان . وآل التخت والتاج إلى ابنة نادر شاه المسلمة .

ولكن عمها قتالشاه ثار وجاء لحربها فلما أحس أهل المدينة بأسه تسللوا إليه زرافات ووحداناً ومعهم الوزير سفيان بعد أن نصح لسعد وأبى المحجن وصاحبتهما بمغادرة المدينة ليلاً ويسر لهما طريق الهرب .

وفى أثناء الليل هاجم الفرسان الثلاثة معسكر المشركين كل منهم من ناحية يرسلون صيحات الرعب فهاج الجند واضطربوا وظنوا أن جيشاً من المسلمين أحاط بهم فأعملوا السيف فى رقاب بعضهم البعض حتى الصباح بينما خلص الصائحون ليستريحوا تحت شجرة . وظن قتالشاه أنه قضى على العدو وإذا بالفتاة وصاحبيها يقعون فى عسكره كالنار فى الهشيم حتى الليل وعادوا إلى شجرتهم ليستريحوا ويعيدوا الكرة فى الصباح .

وعند الظهر أسر سعد وصاحبته وبقى أبو المحجن وحده طليقاً ولما علم النبى من التجار العائدين إلى المدينة بأمرهم أرسل عمراً بن أمية العيار فوافى سعداً وصاحبته وهما على النطع فرش رأسه ووجهه بماء من كأس آدم السحرية وظهر فى صورة جلاد وقال لقتالشاه إن الصنم الأكبر أرسله لقتلهما عند قدميه بالمعبد وانطلق بهما ثم عاد فى صورة الكاهن الأكبر وصحب قتالشاه إلى المعبد وقتله هناك وانتهز سعد وأبو المحجن الفرصة فقتلا حاشية الملك وأسلم من بقى من أهل المدينة على أيديهم وعاد عمرو ليخبر النبى بما كان ، فلبس على سلاحه وأرسل اثنى عشر ألفاً بقيادة مالك الأشتر إلى مدينة حصن الربيع وسلك هو وقنبر طريقاً آخر انتهى بهما إلى غابة فخرج عليهما تشوپال ملك الزنج بعسكره ودارت مناوشات انتهت بإسلام الملك وجنوده وأمره على بالذهاب والاستعداد وملاقاته عند مدينة خاور . وذهب على لبعض شأنه بالغابة فجاء جماعة من الوثنيين وأسروا قنبراً وأرادوا استياق فرسه

دلدل فحمل عليهم وجرح نفراً منهم فتركوه وانصرفوا ، ولم يجد علىّ صاحبه ، فسار إلى حصن الربيع ولما علم أهلها بمقدمه خرجوا إليه مستقبلين وسار هو وسعد إلى مدينة خاور فوصلا عند العصر إلى قلعة يتدلى من شرفاتها رءوس كثيرة معلقة تقطر منها الدماء ويرعى فى خارجها بغال كثيرة .

وانفتح باب القلعة بإشارة من أصبع على فأمر سعداً بحمل ما بها من الكنوز على الجمال والبغال وساروا إلى مدينة خاور فرأوا عسكراً كثيراً كان ملك المدينة يستعرضهم وعلم الملك بوصول القافلة فأرسل فى طلب على وسأله ما معك ؟ قال : سيف ومركب ، ووضع السيف على الأرض قائلاً كل من يستطيع حمله فهو له فعجزوا وسأله الملك بكم تبيع حصانك فقال : كل من يمسك به فهو له ، فكان الحصان يقضم رأس كل من يقترب منه ، ثم أحضروا قنبراً فكان دلدل يرفس كل من حوله فنجا ، وطمع ملك خاور فى صاحبة سعد الحسناء فحارب سعد دونها إلى أن أسر آخر الأمر فلما رأت الفتاة ذلك لبست عدة الحرب وحملت على جند الملك وقتلت منهم عدداً كبيراً ثم أسرت كذلك .

وعاد على بعد خلاص قنبر فلم يجد دلدلا ، وكان الحصان قد أمسك بسيفه ذى الفقار بفمه وسار حتى وصل إلى إصطبل بهادر خان ملك مدينة (سيامى) ولم يمكن أحداً من الدنو منه ، ورأى الملك النبى فى المنام يأمره بالسير فى ركاب ابن عمه ونصرته وأطلعه على وجود حصانه وسيفه بإصطبله وكلفه بأن يحملهما إليه فى مدينة (خرم آباد) . وأسلم بهادر خان وامتثل أمر النبى وسار فى خمسين ألف مقاتل فلما بلغ مدينة خاور وجد علياً يحارب عسكرها وحده بغير سلاح فسلمه سيفه ذا الفقار وانضم إليه برجاله فى القتال وبينا هم كذلك إذ ارتفع غبار من بعيد تكشف عن اثنى عشر ألف رجل يحملون علماً كتب عليه نصر من الله وفتح قريب بقيادة مالك الأشتر ففر ملك خاور وأسلم ابنه قباد على يد على فولاه ملكاً على المدينة ، وسار هو بعسكر المسلمين حتى بلغ مفترق طرق خمس وعلى رأس كل طريق حجر كتب عليه (فى هذه الطريق طلسمات) .

ولما علم خمار بن خمار بخروج على إلى مدينة خاور جمع مائتى ألف رجل وقصد مدينة الرسول لتخريبها ، فنزل جبريل على النبى يثبت فؤاده ، وتقدم إليه

النبى فرفع خمار يده بالسيف فجمدت ذراعه ورفع يده الأخرى فتصلبت كذلك ونظر بين يدى النبى وإذا بفاطمة الزهراء رافعة رأسها ويديها إلى السماء تدعو لعسكر الإسلام فآمن وعفا عنه الرسول وأذن له فى العودة إلى دياره .

وقسم على جنده عند مفترق الطرق ، فسار مالك الأشتر برجاله حتى وصل إلى بادية ترتفع منها أصوات السحرة فلم يكترث وأغذ السير . فلمع البرق ودوى الرعد وانكب جواده على رأسه وتفرق جنده وبقى وحده يناجى ربه من فوق ربوة ونظر فإذا بأسفلها عين وشجرة ، فجلس تحت الشجرة واقتات بطيور صادها ، واتفق أن كانت ابنة الملك جمشيد تسير مع جواريها إلى مغناطيس معبد الأصنام الأعظم فرأت مالكاً فعشقته وعشقها ، وأرسلت إليه جارية تأتيها بخبره فراعها جماله وفتنت به ولم تقو على المشى فأرسلت أخرى فلم تعد فجاءت بنفسها ووقفت حياله قائلة أيها الشاب من أين جئت وما اسمك؟ فقال : تاجر ضللت الطريق ومن بلاد البربر واسمى هامان ، وأنت يا ذات الدلال أخبرينى وردة أى بستان أنت وأى مدينة هذه ؟ فأجابته ستعرف حالاً وعادت بجواريها . وكان جمشيد قد عقد فى ذلك الوقت مجلساً دعا إليه ابنته وأمر خطابها الكثيرين بالنزول إلى الميدان للمصارعة والمبارزة ليكون الفائز منهم صهره ، وكان من بينهم بطل اسمه طهماسپخان غلب اثنى عشر بطلاً ولم يجرؤ أحد على منازلته بعد ذلك ، ولما أراد جمشيد أن يزوجه ابنته قالت له ، لقد رأيت شابا عند المعبد وهو كفيل بتأديب طهماسپ فلما أقبل مالك أمسك طهماسپ بمعاقد منطقته يريد إنزاله عن حصانه فضربه مالك بمقدمة حذائه تحت ذقنه فأطاح برأسه وتدحرج فى الميدان كالكرة ولم يجرؤ بطل آخر على منازلة مالك فترجل وأجلسه جمشيد إلى جواره على كرسى فتحطم تحته فامتقع لون الملك وأمر له بكرسى من فولاذ .

ودخل أثناء ذلك رسول يحمل رسالة من الملك شاپور يقول فيها إنه قادم فى مائتى ألف فارس لمصارعة أبطال جمشيد فإن تفوقوا عليه يكون ما بقى عبداً له وإن غلبهم يتزوج ابنة جمشيد ، وأقبل شاپور وعلم بقصبة مالك وتصارعا من الصباح إلى العصر وأخيراً صاح ابن الأشتر من أعماق قلبه يا على ! ورفع شاپور فوق رأسه وضرب به الأرض بين صيحات الاستحسان وأمر جمشيد بطبق من الذهب نثاراً

له ولم تتمالك الفتاة نفسها عشقاً وفرحاً وطالبت أباها بالوفاء بوعده فعقد له عليها ووهبه مدينة جم ، وخرج شاپور وهو يضمر الغدر ولّى مالكا عند باب القصر فصوب رمحه إلى صدره ولكن مالكا تفادى الرمح وضربه بالعمود فسوى به وبمركبه الأرض ، ودخل مدينة جم وبايعه الناس ملكاً عليهم .

أما على فسار مع قنبر فى أحدى الطرق الخمس حتى وصلا إلى قلعة ذات أربعة أبراج وعلى كل برج تنين طوله ثلثمائة ذراع ، فارتفعت صيحات التنانين : إلى أين أيها الآدمى ؟ فخاف قنبر أما على فطوح ذا الفقار فدار فى الهواء وتحول تنيناً وقف إزاءها ، وأخذت التنانين تمطر نيراناً كان ذو الفقار يبتلعها واحدة فواحدة وبعد أن أعجزها طفق ينفث نيرانه وإذا بهزيم الرعد والبرق يعلو فجأة وسمع صوت من بين السحاب يقول احترقت ، وظهر بعد ذلك ساحر عجوز محترق ولم يبق أثر للتنانين ، فدخل على القلعة ووجد بها كنوزاً لسليمان فحمل بعضها وسار إلى مدينة خاور ، وعلم جمشيد بمقدمه فاستدعاه إليه وسأله عن اسمه وبلده فقال وما شأنك بهذا ؟ فأمر وزيره أن يضرب الرمل ليعرف شأنه .

فأخبره الوزير بأن الفتى أعلى شأناً من صهره هامان فطلب إليه أن ينظر فى الأصطرلاب فما فعل حتى علته رعدة وقال : إذا لم أكن مخطئاً فهذا الفتى البربرى هو على العرب فصاح جمشيد : خذوه وأحاط به الجند فرفع يده بسيفه ذى الفقار وصاح فارتج البر والبحر ، وصادف ذلك قدوم ميرسپاه بعسكره من تلك الناحية قاصداً مدينة خاور فسمع صوت على وعسكر بجيشه خارج المدينة وأعمل على سيفه فى رقاب المشركين وأحضر له قنبر دلدلا فركبه وشق طريقه إلى باب القصر ولحق بعسكر المسلمين وعسكر جمشيد فى الطرف المقابل ودقت طبول الحرب فلما طلعت الشمس تولى ميرسپاه ميمنة جيش المسلمين وقنبر الميسرة ورتب جمشيد جيشه ونصب تخته على ظهور أربعة أفيال وجلس فوقه وعلى رأسه المظلة الملكية وبارز على أكثر من عشرين بطلا من المشركين أرداهم جميعاً ولما أقبل الليل دقت طبول العودة .

ودخل عمرو على على برسالة من النبى ورجاه أن يكون فى ركابه فأذن له بالذهاب إلى معسكر جمشيد فرأى هنالك مجلساً للشراب والغناء فدخله فى صورة ساق وأخذ يرقص فاتجهت إليه الأنظار وانتهز غرة من القوم فوضع مخدراً فى كأس

وسقى كلا منهم جرعة فلعب الشراب برءوسهم وتضاربوا وغابوا عن صوابهم فجردهم من ملابسهم وحمل كل ما استطاع وكتب ورقة دسها فى يد جمشيد وذهب ، وأفاقوا فى الصباح ليروا أنفسهم عراة ورأى جمشيد فى يده ورقة كتب فيها : اعلم يا جمشيد أنى عمرو الذى جعل كل العيارين فى خدمة حمزة صاحب القران تحت أمره ، ولم أقتلك لأن مولاى لم يأذن لى بذلك ، فإن أردت الإبقاء على لحيتك وشاربيك فضع كل ليلة ثلاثين ألف طومان تحت رأسك وإلا سودت عيشك ، ولم يجد جمشيد تاجه فجمع عسكره لمحاربة المسلمين ولما التقى الجمعان برز إلى الميدان من رجال جمشيد بطل اسمه (شماسخان) وصاح : يا على لقد أرسلت ليلة أمس لصًّا سرق تاج الملك فسلم إلى هذا اللص ، فخرج إليه عمرو متحدياً وقال أنا الذى أخذت تاج جمشيد فما تريد ؟ فرماه شماسخان بسهمين تفاداهما ثم أخذ عمرو يرميه بالأحجار من مقلاعه تباعاً حتى أدمى جبهته وأجبره على الفرار .

وظهر من ناحيةِ الصحراء جيش قوامه أربعمائة ألف رجل يتقدمه أبو المحجن ومالك الأشتر وعلى رأس أبى المحجن مظلةِ الطلسم السليمانى وأمام مالك الأشتر سبعة أزواج من الثيران تجر عرادة عليها عمود وزنه سبعمائة من ، وقيل لجمشيد إن لعلى سبعةِ عشر غلاماً كل منهم أمير ولاية .

وبينما هم فى هذا الحديث ظهر مائتا ألف مقاتل يتقدمهم رجل كالجبل على حصان هيكل عظيم الخلق ، وعرف جمشيد أنه خمار الذى أصبح من أتباع على ، ثم ثار غبار من ناحية حصن الربيع ظهر منه أربعون ألف فارس انضموا إلى عسكر المسلمين فحار جمشيد فى أمره ، فتقدم إليه رجل من حاشيته اسمه إسفنديار وقال : لا ينشغلن بالك ودق طبل الحرب الليلة باسمى ، وطلب مالك من مولاه على أن يضرب الطبل باسمه ونزل إلى الميدان بعموده الذى يزن سبعمائة من فخرج إليه إسفنديار وتبادلا الطعنات والضربات وتمكن مالك أخيراً من سحق إسفنديار ومركبه بضربة قاضية من عموده كما قتل ولديه وستين فارساً آخرين ، ودق جمشيد طبل العودة وإذا برسول يحمل إليه رسالة من شهريار بن كاوس يخبره فيها بأنه سيمده بستمائة ألف جندى ليثأر له من على فأفرخ روعه . وفى الصباح صاح شهريار بن كاوس بمالك لينازله فخرج إليه أبو المحجن وقضى عليه بطعنة فى صدره نفذت من ظهره

ثم التحم العسكران من الصباح إلى المساء وعادت حشود جمشيد بعد أن قتل منهم مائتا ألف ولم يقتل من جيش المسلمين غير تسعمائة .

وطلب جمشيد النجدة من شداد بن أخته وكانت الحراب لا تؤثر فيه لأن بدنه مطلسم .

أما عمرو فغير ثيابه ودخل على جمشيد فى صورة غلام جميل وطلب إليه أن يضع تحت رأسه ثلثمائة ألف طومان وإلا جاء عمرو الليلة وحلق لحيته ، ثم اختفى ليعود فى المساء فى صورة راع يعزف على الناى وأعطى الحراس نقلاً خدرهم فسل خنجره وحز رءوسهم جميعاً ثم دخل إلى قصر جمشيد وخدر جميع خدمه وجواريه وجعل جارية منهم فى صورة غلام وأرقدها إلى جواره وحمل كل ما استطاع ومضى ، ولما صحا جمشيد وجد فى يده ورقة كتب فيها : لم تعطنى الثلاثمائة ألف طومان يا جمشيد وقد رحمتك الليلة فإن أردت السلامة فأسلم وإلا فصلت رأسك عن بدنك ، وخرج من القصر فإذا كل حراسه قتلى . ودخل رسول يخبره بوصول شداد ابن قارن فى ثلثمائة ألف مقاتل فدق بشائر الفرح وفى اليوم التالى اصطف عسكر جمشيد وعسكر المسلمين ونزل شداد إلى الميدان وبيده عمود زنته ستمائة من وصاح : يا على أرسل إلى فارساً أنازله فأسرع إليه مالك وتصا ولا وقتاً طويلاً بالرماح والعمد ولم تكن الضربات تؤثر فى شداد لأن جسمه كان مطلسماً ، وفى وطيس القتال ظهر زنجى عجيب الخلقة حال بينهما فضرب مالكاً على ركبتيه بعصا وأخرجه من الميدان وعاد فضرب مركب شداد بهراوة على جبهته فسقط على الأرض وأراد شداد النهوض من تحت الفرس وكان تحت درعه خنجر فنفذ فى بطنه ومات ، ثم ذهب إلى جمشيد وقال : ماذا تعطينى لو قتلت مالكاً فقال : أزوجك ابنتى جها نفروز ، فقال له اكتب لى بذلك فكتب وختم ثم قال له اكتب لى كذلك بأن تعطينى كل ليلة ثلاثين ألف طومان ففهم أنه عمرو وصاح بالخدم ليمسكوه فلم يلحقوا به .

وكتب جمشيد إلى شهباز الساحر ليخلصه من على ، أما عمرو فعاد فى صورة شيخ بيده رجل حمار يتوكأ عليها ، وأخبروا جمشيد بمقدم كاهن الصنم الأكبر فخرج وحاشيته للقائه وسألوه العون على عمرو فبارك كلا منهم بضربة من رجل الحمار ، وقدموا له طبقاً من الذهب نثاراً له والتفوا حوله فقال : إن الصنم الأكبر

يأمر جمشيد بالمجيء إلى المغناطيس لينظر إليه ثم خرج ، وذهب جمشيد فى الليلة التالية وسبقه عمرو فرأى هنالك شيخاً فجاءه من خلفه وخنقه وعلقه من رأسه وحمل الأصنام واختفى ، وبعد ساعة وصل جمشيد وصاح بسادن المعبد فأجابه عمرو فخر جمشيد على التراب فقال عمرو : انهض أيها العبد المذنب فوقف منكس الرأس ، فقال : ادخل يا عبدى مع رفاقك بعد خلع ملابسكم واعصبوا أعينكم ففعلوا ودخلوا فنزل عمرو من أعلى القلعة وأخذ ملابسهم واختفى وصاح فيهم أن اخرجوا وخرجوا فلم يجدوا ملابسهم وصاح بهم عمرو : ياجمشيد لقد رأيت أن صنمك لم يغن عنك شيئاً لقد أخذت جميع الأصنام لأسكها عملة باسم على فإن كنت لا تعرفنى فأنا عمرو !

وبينما كان جمشيد جالساً بقصره فى الصباح دخل عليه رسول برسالة كتب فيها : أنا شهبال سأصل إليك اليوم أو غداً مع (شهاب) و (معلق) الساحر وأربعين ألف مقاتل لنثأر لك من على .

ودخل عمرو مطبخ جمشيد فى صورة طاه وألقى عقاراً فى القدر وفى المساء تناول الساحر والأمراء الطعام فجفت حلوقهم وفقدوا وعيهم فدخل عمرو وجردهم من ثيابهم ووضع على رأس كل منهم طرطوراً من الورق وحلق لحيتى شاهبال ومعلق الساحر وحلق لكل من الباقين أحد حاجبيه وشاربيه وزوقهم جميعاً وحمل كل ذى قيمة ووضع كل ذلك بين يدى على ثم عاد إلى قصر جمشيد ووقف فى زاوية ليشهد آثار فعلته ، وأفاق جمشيد فى الصباح فوجد بيده رقعة كتب فيها : لقد كنت تنتظر شهبال ليشفى غليلك وقد جاء عمرو وحده وفعل بكل منكم ما فعل ، فتعال وأسلم وإلا فرقت بين رأسك وبدنك ذات ليلة ، واستيقظ السحرة فوجدوا أنفسهم على تلك الصورة فرفع جمشيد التاج عن رأسه وضرب به الأرض وكان ينظر إلى شهبال ويضحك من منظره فساءه ذلك وقال لجمشيد ، جئتك على بعد الشقة لنجدتك وأنت تضحك منى وعاد بجيشه ، أما سعد وميرزنهار والأميرة فقد انتهوا إلى جبل وأخذوا ينظرون حولهم فرأوا طريقاً ضيقة أدت بهم إلى قلعة .

وكان جماعة من الحطابين يحملون أحطاباً إلى القلعة ، وعلم منهم سعد أن اسمها قلعة الصعب وملكها مهراب اليهودى وله ابن يسمى بهرام خان وهو صاحب

العمود ذى الرأسين ولا يدفع خراجاً لجمشيد ، ومنذ شب ابنه بهرام لم يحن أحد ظهره وإذا نزل الحرب بعموده يطوى بحراً من العسكر مثل الطومار ولكنه مريض منذ مدة، ورفضوا أن يسلموا على يد سعد فطلب منهم أن يبلغوا مهراب بأن غلام على قادم إليه فى ستين ألف رجل وإن لم يسلم ستخرب القلعة ويقتل ، فخرج إليهم مهراب ودعا سعداً وميرزنهار إلى ضيافة داخل القلعة وفى العشاء وضع لهما مخدراً فى الطعام وأوثقهما بالوهق ، فلما سمع الجند بذلك ارتاعوا ولكن (دل افروز) شجعت العسكر وامتشقت الحسام وكاد عسكر المسلمين ينهزمون وإذا بالجيش الذى كان النبى أرسله من المدينة قد وصل فحمل على العدو وأوسعهم تقتيلاً .

أما بهرامخان المريض فقد رأى فى غيبوبته أن سقف غرفته انشق وظهر منه نور يقول بلسان فصيح انهض يا بهرام لتكون فى ركاب ابن عمى وتقاتل معه فقال أنا مريض فأجابه النور لقد شفيت وعلم أن صاحب النور هو خاتم الأنبياء وأفاق فشم رائحة المسك والعبير ونهض معافىً كأن لم يمرض من قبل فلبس سلاحه وصاح : يا على يا ولى الله وحمل على قلب جيش اليهود وقال له أبوه أجننت يا ولدى؟ فضربه بهرام بعموده فسوى به الأرض وقتل كثيراً من اليهود وأسلم من بقى ، ودخل بهرام القلعة وفك إسار سعد وميرزنهار معتذراً لهما ، وجمعوا خمسين ألف مقاتل وساروا إلى خاور .

ويقول الرواة إن جمشيد اعتذر لشهبال فعاد إليه بجيشه ، وكان بجيش جمشيد ساحر ألقى بتنانين فى الميدان ، ونزل أبو المحجن وإذا بالنار تحيط به فأسرع إليه مالك وأمسك بمنطقة الساحر ورفعه بيده ويمم به عسكر المسلمين فتحول الساحر إلى حجر وعندئذ ألقى به على الأرض فتحول ثعباناً وركب تنيناً ولم يجرؤ أحد على منازلته فخرج على إلى الميدان فضربه بذى الفقار ضربة أرسلته إلى الجحيم وقتل أربعة عشر من أكابر السحرة ، وكان أبو المحجن قد سقط لكثرة ما أصابه من الجراح وعجز عن القتال وفقد وعيه فانتحى به على حتى أفاق ومسح على جراحه فشفى وطلب إليه على أن يجد فى البحث عن مالك فسار حتى وصل إلى مرج ضربت فيه خيمة وأقيمت عدة قباب ذهبية ووجد هناك عيناً فنزل يغتسل بها وإذا بفتاة خرجت من الخيمة ونظرت إليه ففتن بها ولكنه آثر الذهاب للبحث عن مالك فأمسكت

الفتاة بعنان فرسه وقالت : أيها البطل لقد رأيت حلماً والعلامات التى أريتها موجودة فيك فما اسمك وإلى أين تذهب؟ فسألها : من أنت ؟ فقالت أنا (*كلندام) ابنة أعيان الوزير وقد رأيت النبى ليلة أمس وعقد لى عليك بأمارة أن اسمك أبو المحجن ابن ملك المغرب فقال لها قبلت ولكن لا بد من الذهاب للبحث عن مالك فدخلت خيمتها وسار فى طريقه حتى وصل إلى جبل ورأى جيشاً بالجبا يخوض غمرات القتال وتتعالى منه صيحات (ياعلى) فعرف من بينها صوت مالك ، ورأى جمعاً من السحرة يحيطون به ولم تعد به قوة لكثرة ما أثخن بالجراح ، فصاح أبو المحجن بالسحرة أنا على الذى قتل عمراً وعنترا ففروا بمعجزة هذا الاسم ، ووصل عمرو فرأى مالكا فاقد الوعى ، وذهب أبو المحجن يبحث عن غذاء له فرأى بستاناً تطل منه أشجار تفاح فقطف منها عدة تفاحات أكل بعضها وهم بالعودة فغامت الدنيا فى عينيه وسقط مغشيًّا عليه ، وعرف السحرة أن أبا المحجن ليس بعلى فأحاطوا به وبعمرو فرفع عمرو رأسه إلى السماء يناجى ربه وإذا بغبار يعلو من الصحراء تلوح منه ألوية جيوش المسلمين وأراد السحرة الفرار ولكن أحيط بهم فقتل بعضهم وفر البعض وترك عمرو مالكاً فى حماية جيوش المسلمين عائداً إلى على فإذا به قد جمع جيشاً هزم به جمشيد واستولى على المدينة وخزائنها وخيم خارجها ، وفى ذلك الوقت قدم رسول من عند النبى يحمل ثوبه الذى يبرىء الجراح المستعصية فطار به عمرو إلى مالك وألقى به على جراحه فبرئ لساعته ولحق هو والعسكر بجيش على وأحاطوا بمدينة جمشيد ، واتفق أنه عند ما وقع أبو المحجن مغشيًّا عليه أن مر به (فيروزبخت) وابنة شهبال فأعجبا بشبابه وفكرا فى تبنيه ولما أفاق أخبرهما بأنه ملك أقاليم المغرب السبعة فقال له فيروز لقد أنجيناك من يد شهبال وسنفوض التاج والتخت إليك لأنه لا ولد لنا فقبل ، أما مالك فخرج يبحث عن أبى المحجن فى الصحراء فلاح له جبل ولما انحدر منه رأى مدينة فدخلها ونزل على مقربة من قصر ملكها مستخفياً فلمحه الملك واستدعاه .

فلما دخل عليه هم أبو المحجن بالقيام له فقال له بالعربية اجلس وأخبر الملك بأنه سائح يطوف البلاد بحثاً عن رفيق صباه ثم سأل الملك عن الشاب الجالس إلى جانبه (أبو المحجن) فقال إنه ابنى وطلب إليه أن يصارعه غداً فإن غلبه كان له

ما أراد فأظهر القبول ، وقال لأبي المحجن بالعربية : يجب أن نفر الليلة ، ولما أصبح الصباح لم يجد فيروز أبا المحجن فحدس أن الشاب الوافد قد خدعه وفر به فركب إثرهما فى ستين ألف فارس ، وبعد أيام لحق بهما وعسكر بجيشه فرأى النبى فى المنام وأسلم ورأى ابنة شهبال فى نفس الوقت تنطق بالشهادتين فأقبلا على مالك وأبى المحجن يشدان على أيديهما فى حرارة وأخذوا فى الحديث .

وتمكن مالك وأبو المحجن وفيروز وابنة شهبال من التسلل إلى معسكر شهبال وقتله والحملة على عسكره فقتل من قتل وأسلم من بقى فجمعوا منهم ثلاثين ألفا ، وسار بهم فيروز مع بقية جنوده إلى مدينة خاور ولكن المسلمين برغم كل هذه الجيوش لم يفتحوا المدينة لوجود طلسم بها .

وجاء عمرو فتسلق سور المدينة بالوهق وعزم على كأس آدم ورش ما به من الماء على رأسه فتحول إلى صورة وثنى ، وتمكن من حز رءوس البوابين ونشر قفل البوابة بمنشار قاطع للحديد ، واندفع عسكر المسلمين إلى داخلها وهرب جمشيد وجلس يتشاور مع وزرائه على نصف فرسخ من المدينة وفكروا فى حفر بئر كالبئر التى حفرت لرستم من قبل يستدرجون إليها علياً وفطن المسلمون إلى الخدعة وفر جمشيد وأستولى المسلمون على أمواله ، ولكن علياً كان يفكر فى قلعة المغناطيس فلما جنه الليل رأى النبى يقول له إن هذه قلعة طلسم سليمان وفى وسطها حجر أبيض ويجب أن تضرب وسطه بسهم لتنهدم القلعة والأسد التى بها وفعل على ماأمر به فآض النهار ليلاً مظلماً واندكت قلعة المغناطيس ولما دخلها وجد بها صندوقين أحدهما أسود والآخر أحمر ، وخرج من الصندوق الأسود ساحر فأخذ على بمعاقد منطقته وأدخله الصندوق وقذف بهما فى الهواء فغابا عن الأنظار ونظر إلى الصندوق الأحمر فرأى لوحة كتب عليها : يا على ! فى داخل هذا الصندوق ساحر يستطيع بكلمة واحدة أن يحول العالم حجراً فضرب الصندوق بسيفه فتعالى صوت الرعد والبرق ولم ير بعد ذلك أثراً للمغناطيس ، ثم أمر بتعمير المدينة من جديد .

وخرج عمرو إلى الصحراء بحثاً عن جمشيد فلاحت له قلعة دخلها متنكراً فرأى بها جمشيد يشكو إلى أميرها ما لقيه من عمرو فقال له الأمير إن لدى عيارا اسمه كيوان يأتيه بعمرو حياً ، ولمحوا عمراً وشكوا فى أمره فضربوه حتى ظنوا أنه مات وألقوا به فى خندق خارج القلعة فظهر له شخص نورانى أمره بالنهوض فقام كأن

لم يصبه شيء وعلم أنه الخضر وغاب عن عينيه وعاد عمرو إلى معسكر جمشيد فى صورة رجل عجوز ودخل خيمة المطبخ فوكله الطابخ بإيقاد النار تحت القدور وجاء كيوان العيار فقدم له عمرو طعاماً مسموماً فمات وتزيا بزيه وذهب إلى جمشيد فى صورة كيوان وأخبره بأنه قتل عمراً فأمر له بمال كثير وفى المساء أقيم مجلس للشراب وعهد لكيوان المزعوم بالسقاية فخدرهم وجردهم من ملابسهم وحمل معه ما استطاع حمله بعد أن دس رقعة فى يد جمشيد كتب فيها : أيها النذل أتظن أنك قتلت عمرا ونجوت ، لقد رحمتك وقتلت كيوان وسأعود إليك غداً بعسكر محمد فلا تستطيع فراراً .

أما على فبعد فتحه مدينة خاور أقام عرساً لمالك وأبى المحجن لمدة سبعة أيام بلياليها وفى اليوم الثامن وصل عمرو فأخبره بما جرى فجهز جيشاً سيره إلى جمشيد ، وبصر جمشيد بعشرين ألف فارس يقودهم خمار بن خمار ولم يسكن غبارهم حتى علا غبار ستة آلاف فارس بقيادة تشوپال الزنجى ثم أربعة آلاف يحملون علم القمر وعلما آخر عليه صورة تنين ولاح بعد ذلك علم كتب عليه نصر من الله وفتح قريب تحته أمير المؤمنين وعن يساره ويمينه مالك وأبو المحجن وهم جمشيد بإلقاء نفسه من سطح القلعة وإذا برسالة يدعوه فيها على إلى الإسلام فاستمهله إلى الغد ، وأخبره أمير القلعة بأن على الشاطئ الآخر من البحر مدينة تسمى (تمنا) وهى عاصمة قهرمان بن ناصرشاه ، وفى نفس الليلة ركب هو وأصحابه سفينة أقلتهم إلى تلك المدينة وفى الصباح زحف المسلمون على القلعة وأسلم أميرها وأخبرهم بأمر جمشيد فأمر على بإحضار السفن وأمر سعداً بالمحافظة على مدينة خاور وأركب كلاً من قواده سفينة وركب وأقلعوا جميعاً ، وفى اليوم الرابع هبت عاصفة فرقتهم وحملت كل سفينة إلى ناحية ، واستقبل قهرمان جمشيد بإعزاز واحترام وأخذ فى إعداد جيوشه لحرب على ، ووصل أمير المؤمنين وأبو المحجن إلى مدينة (تمنا) ودارت الحرب وقتل قهرمان واستأمن جنوده وأسلموا وأسلم جمشيد مضطراً واستولى المسلمون على المدينة ، وحملت الريح سفينة ميرسياف ومعه قنبر ودلدل إلى جبل البللور حيث يقيم الشياطين وطلسم سليمان ، ولاح فى سفح الجبل أسد عظيم الخلقة فرفسه دلدل رفسة نثرت مخه وبعد ساعة انحدر من الجبل عشرة أسود فأخذ دلدل عليها الطريق وقتل كلا منها برفسة وهربت بقية الأسود ، وأما مالك فوقعت سفينته فى دوامة وغرق عسكره وسبح هو على لوح حتى وصل إلى جبل البللور وظهرت

سحابة صغيرة أمسكت بجيب مالك وارتفعت به فى السماء ، أما على فترك مدينة تمنا لجمشيد وركب ليبحث عن أصحابه ، فوصل كذلك إلى جبل البللور وترك أبا المحجن على الشاطئ وذهب يتمشى فلاحت لأبى المحجن سحابة وانقضت عليه تريد اختطافه فشطرها بسيفه ومرت به سحابة الشيطان الذى خطف مالكا فلما سمع مالك صوت أبى المحجن تعلق بقرنى الشيطان وأرغمه على الهبوط فقده أبو المحجن بسيفه وخلص صاحبه ثم استبطآ عليًا وقد غاب عنهما يومين فذهبا للبحث عنه ورأيا بعد أسبوع عسكر المسلمين وعلى رأسهم ميرسياف وقد تناثرت حوله جثث آساد كثيرة فعرفا أن قاتلها دلدل ، وظهر من فتحة فى الجبل عدد كبير من الشياطين والأسود تصيح بهم أيها الآدميون ما جاء بكم ؟ سننزل بكم من البلاء ما يتحاكى به الناس، وقتل مالك أحدها بسيفه، أما على فضل الطريق بالجبل وظل عشرة أيام فى تيه بين مخارمه وشعابه وفى اليوم الحادى عشر أحدق به دفعة عشرون ألف شيطان فصاح فيهم وحمل عليهم وسمعه مالك وأبو المحجن ففرحا وانضما إليه وفى أثناء القتال انحدر من ناحية أخرى أفواج من الشياطين واصطفوا إزاء الشياطين الذين كانوا يحاربون عليًا ، وكانت هذه الأفواج بقيادة (هلال شاه زرّين كُلاه من أولاد شهبال بن شاهرخ الذى يتصل نسبه بسليمان وكان مالكاً لجبل البللور ولكن (سمندان هزار دست) غصبه منه ، وذهب هلال إلى جبل قاف وكان فى كل سنة يجمع الجيوش لاسترداد جبل البللور فلم يستطع وأخيراً سمع بأن آدميًا اسمه على جاء إلى الجبل وقد فتح مدينة خاور فجاء بجيشه ليسترد ملكه بمساعدة على ، وهزم على الشياطين بعد حرب عنيفة فطلبوا منه الأمان وأسلموا على يديه وطلب منهم أن يأتوه بكل ما يتعلق بسليمان فقدموا له مفتاح القلعة ولما دخلها وجد بها ذخائر سليمان التى آلت إلى الإسكندر ثم إلى (شاهرُخْ پريزاد) ثم إلى بهمن بن هلال ثم غصبها ابن سمندان وجاء لحرب على انتقاماً لأبيه الذى قتله حمزة صاحب القران ، فأعطاها على لهلال .

وعلم طهماسب بوجود على فى جبل البللور فأغار على مدينة خاور وخربها وأسر سعدا ومن معه من النساء ، أما على فعاد إلى مدينة تمنا وأقلع منها إلى خاور يحمل ذخائر قهرمان وأمر جمشيد بتعمير مدينة خاور وجعله ملكاً عليها كما أمر

مالكاً وأبا المحجن بالذهاب إلى ساحل المغرب لتأديب طهماسپ ، وسار هو وعمرو حتى وصل مدينة يم والتقى فى الطريق بالجيش الذى خرب مدينة خاور فقاتله ثم سار حتى وصل إلى عاصمة طهماس وطلب إليه رد ما سلبه من مدينة خاور وأن يسلم أو يستعد للحرب ، ووصل كذلك مالك وأبو المحجن بجيوش المسلمين واقتتل الفريقان وجاء ملك اسمه قرطاس لنصرة طهماس وكان معه عيار اسمه سالوس وَعدَ طهماس أن يأتيه بعمرو حيًّا تلك الليلة ،وفى الليل بصر عمرو بسواد فاختبأ ومر به سالوس فصاح عمرو مقلداً الديك والتفت سالوس نحو مصدر الصوت فانقض عليه عمرو وجلس على صدره وسل خنجره وهدده بالقتل فاستسلم ، وجرده عمرو من ثيابه فوجد معه تفاحة من الماس وفوقها مرود فلما هزها تصاعد منها دخان فعطس عمرو وخر مغشيًّا عليه فانتهز سالوس الفرصة وجرده من ثيابه وبينما كان يفتش ملابسه رأى خنجراً فلما سله تصاعد منه دخان وأغمى عليه كذلك ، وأفاق عمرو قبله فأحكم وثاقه ولبس ثيابه ووضع خرزة العيارية فى فمه فلم يعد يستطيع الكلام ورش نفسه بكأس آدم فتحول إلى صورة سالوس وحمله إلى طهماس قائلاً له قد أتيتك بعمرو فقام طهماس فى الحال وعض على عنق عمرو المزعوم غيظاً فانفجر منه الدم وأخذ يقطع من جسمه بالخنجر فلما أشرف على الهلاك سحب عمرو من فمه خرزة العيارية فصاح أيها الملك أنا سالوس وهذا عمرو وأتى بأمارة بينه وبين قرطاس فهرب عمرو فى الحال ولم يلحقوا به ، ودارت الحرب بين المسلمين والمشركين وقتل قرطاس بضربة من مالك شطرته من رأسه إلى حقويه ، وانضم إلى طهماس كذلك ملك اسمه (جمهور) معه عيار اسمه آتش ، وبرئ سالوس العيار من جراحه فصحب آتش وتمكنا من التسلل إلى معسكر المسلمين وتخدير مالك وأبى المحجن وحملهما إلى طهماس ، ونزل جمهور فى الصباح إلى الميدان وصاح بالمسلمين ، وبينما كان على يهم بمنازلته لاحت جيوش خمار بن خمار وسُهرابخان واميرزنهار وهلال زرين كلاه مع جيش من الشياطين .

ودارت رحى الحرب فضرب على جمهوراً ضربة شطرته هو وحصانه فانسحب طهماس بعسكره فرقاً ، أما عمرو فذهب إلى معسكر المشركين وخلص مالكا وأبا المحجن ، ولما أحس بهم المشركون وأحاطوا بهم انقض عفريتان أرسلهما هلال وحملا

البطلين وطارا بهما إلى معسكر المسلمين ، ثم قدم عيّار من المدينة اسمه فتاح وهو خال عمرو يحمل إلى على رسالة من النبى يقول فيها إن الحسنين فى شوق إليه .

وبدل عمرو ثيابه ودخل قصر طهماس فوجد رسولا يحمل رسالة من جمشيد يقول فيها إنه أسلم خوفاً وأنه قادم فى مائة ألف مقاتل متظاهراً بنصرة المسلمين لينضم إلى طهماس ، فذهب عمرو إلى جمشيد فى صورة اللات وقال لجمشيد إنه قادم من معبد الأصنام وذاهب إلى المغناطيس بأمر الصنم الأعظم وكان جمشيد وجيشه فى أشد الحاجة إلى الماء فأضلهم الطريق إليه ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع خدرهم وحلق لحية جمشيد وشاربيه وجرده وعاد فى الصباح إلى عسكر المسلمين ولما أفاق جمشيد رأى نفسه عرياناً حليق اللحية والشاربين ، وكان لطهماس بطلان لا نظير لهما يسمى أحدهما فرهادخان والآخر كلا هوار ذهبا يصطادان ، فلما عادا من الصيد ورأيا الوضع على هذه الحال ثار ثائرهما وأخذ فرهاد يلوم طهماس على تخريبه مدينة خاور وتسببه فى حملة جيوش المسلمين عليهم فغضب طهماس وعنفه ولما نهض خارجاً اعترض طريقه كلاهوار وشتمه فضربه فرهاد بجمع يده على ام رأسه فتناثر مخه وتحرك بجيشه وعسكر بين الجيشين ، ثم سار ليلا إلى على وأسلم على يديه وفى الصباح استأنفوا القتال فلم يسع طهماس غير الفرار وفى اليوم التالى فرق على أبطاله ليستولوا على المدن المختلفة بولاية طهماس وركب هو وميرسياف وقنبر ودلدل زورقاً إلى مدينة برنج وهى مدينة وسط البحر وسار فتاح حتى وصل إلى مدينة مرصع وهى عاصمة (قطب اسب) وفيها كل ذخائر طهماس فتنكر فى زى الوثنيين والتحى بلحية بيضاء ودخل المدينة فرأى فى كل برج صنماً مرصعاً معلقاً وقال لقطب إن الصنم الأكبر أرسلنى إليك وكان قطب هذا عاشقاً لفتاة من أسرى المسلمين حبسها فى غار لنفورها منه فطلب إليه أن يترك له أمرها ليسترضيها ، وعرف فتاح أن الفتاة زوج أبى المحجن فأوصاها بالكتمان . أما مالك وأبو المحجن فسارا حتى وصلا إلى مدينة لأخت طهماس وسمعا نداء الأسرى : يا على فأسرا أخت طهماس وأسلم أهل المدينة وأسلمت هى أيضاً وأمر مالك أحد الكبراء على المدينة وسار هو وأبو المحجن وأخت طهماس إلى برنج .

وكان على وأصحابه قد وصلوا إلى هذه المدينة المسحورة فغامت الدنيا فى عين طهماس وأنحى باللائمة على جمشيد الذى سبب له هذه البلايا وأوثقه وضربه وخرج

فى خمسين ألف مقاتل، ولما رأوا علياً وحده أحاطوا به فبدد شملهم بحملة واحدة وفر طهمارس وتحصن بالمدينة ثم فر منها بأصحابه .

وسار على مع عمرو وأبى المحجن إلى مدينة مرصع وقتل قطب وأسلم أهل المدينة وخربت معابد الأوثان وبنيت مكانها المساجد .

وسار مالك حتى وصل إلى سفح جبل فالتقى بجيش طهماس الذى فربه من مدينة يم وقتل (سلاسل) أكبر قواد طهماس وفى أثناء ذلك قدم طلحة فى مائتى ألف مقاتل ففر طهماس وطلب النجدة من (صلصال) ملك (خانبالغ) فأرسل إليه ابنه فى مائة ألف مقاتل واستنهض بقية الأمراء،وأخذ على الطريق على صلصال ولكنه فر وجاءت شهامة امرأته فى مائة ألف فارس لمعونته فأخبرها بأن علياً قتل سبعين من أولاده ولما سألته عن ابنها كولاب قال لها لقد انضم لعلى فقتلته فذهبت شهامة فى نفر من غلمانها إلى على وقالت له بأنه كان على مقربة من ذلك المكان مدينة يقال لها زرين كانت عاصمة زال أخى صلصال وكان لى من زال ولد اسمه كولاب فعشقنى صلصال وسم أخاه وأرغمنى على الزواج منه وأولد فى مائة ولد ولكنى لا أعد لهم بشعرة من كولاب وقد قتله وأريد منك ابنى كولاب ، فقال لها أرده إليك بشرط أن تسلمى فرضيت فجىء بجثة كولاب وصلى ركعتين ودعا الله فنهض كولاب فى الحال وألقى بنفسه على قدميه وأسلم وغضب صلصال وقدم لحرب على فلما أحس بأسه تظاهر بالإسلام مكراً ودعا علياً وجيشه لضيافته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع استدرج علياً إلى بئر قال إن فيها شيطاناً يظهر كل بضعة أشهر ويثير الرعب بالمدينة فنزل على فى البئر بحبل فى يد صلصال فترك هذا الحبل ورجمه بالأحجار وعاد وأذاع مقتل على ، وجاء عمرو ليلاً وخدر صلصالا وسل خنجراً لجز رأسه فلم يقطع فيه وتنبه ففر عمرو ، أما على فقتل الشيطان فى البئر ثم ظهرت قلعة خرجت منها تنانين تهاجمه فوسطها بسيفه ثم ظهرت مدينة أقبل منها شيخ يهنئ علياً بتحطيمه الطلسم ودخل على المدينة فرأى دكاكين كثيرة وبضائع مختلفة من الماس والزمرد والياقوت والجواهر ودخل قصراً فرأى فيه تختاً ملكياً وتختاً على شكل دال فوقه أمراء جالسون على كراسى من ذهب ، ثم عاد إلى المعسكر وأرسل فى حمل هذه الكنوز ، أما صلصال فظن علياً قد مات وقتل كثيراً من

المسلمين فلما ظهر على فر وتحصن فى قلعة على ساحل البحر يقال لها الشيطان فلما حاصرته جيوش المسلمين ألقى بنفسه فى البحر ومات فشكر على ربه وأغنى عساكر المسلمين بجواهر الطلسم وأعطى البقية لشمامة ووضع تاج السلطنة على رأس كولاب وأعطاه مدينة خانبالغ وبلاد الساحل وأسلم جمشيد وطهماس مخلصين وأعطيت مدينة يم لفرهاد وأرسل كل بطل إلى مدينة وأسلم كل أهل المدن وخربوا معابد الأصنام وبنى مكانها مساجد ثم سار هو ومالك وأبو المحجن وسعد وطهماس وجمشيد وجميع الأبطال والشجعان وعسكر المسلمين إلى مدينة الرسول وسبقهم عمرو يحمل البشرى فخرج أهل المدينة ومعهم الحسن والحسين لاستقبالهم وأضاءت عيون الشيعة بهم.

٤ ـ ظفر نامة حمد الله المستوفى

ملحمة تاريخية يبلغ عدد أبياتها خمسة وسبعين ألف بيت فى البحر المتقارب وتعتبر تتمة لشاهنامة الفردوسى فهى تبدأ بتاريخ إيران فى العهد الإسلامى من حيث انتهت الشاهنامة وتستمر فى سرد أحداثها التاريخية حتى تاريخ تأليفها ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية أو ثلاثة كتب كما يقول ناظمها :

كتاب نخستين زكار عرب — بديذ آمده نكتهاى عجب
باسلامى آنرا لقب آمذه — چواسلام ز أهل عرب آمذه
كتاب دوم شرح حال عجم — درو *كشته پيدا زبيش وزكم
باحكام آنها نهاذم بنام — چو برحكم دين آن دول شد تمام
كتاب سيوم آمذه از مغول — فروزنده چون ازچمن برك* ك*ل
بسلطانى آمذ مرآن را خطاب — چو دارذ بسلطان دين انتساب

وترجمة الأبيات :

الكتاب الأول عن أحوال العرب وقد ظهرت (فيه) نكت عجيبة ،
وقد سمى بالإسلامى لأن الإسلام جاء عن العرب .
الكتاب الثانى وفيه ظهرت أحوال العجم كثيرها وقليلها ،
وأسميته الأحكام لأن هذه الدول جميعاً قامت على حكم الدين .
الكتاب الثالث جاء عن المغول وضاء كورق الورد فى الخميلة ،
وقد سمى بالسلطانى لانتسابه إلى سلطان الدين .

وقد وضعت لأبواب هذه الملحمة عناوين مفصلة فيما يلي ترجمتها :

١ — الكتاب الأول — القسم الإسلامى من كتاب ظفرنامه — شامل شرح الأحوال والوقائع التاريخية فى عهد حضرة الرسول وأبى بكر وعمر وعثمان وأمير المؤمنين على والحسن وبنى أمية وبنى العباس .

٢ — الكتاب الثانى — القسم الأحكامى من ظفرنامه فى ذكر العجم — شامل تاريخ الصفاريين والسامانيين والغزنويين والغوريين والديلم وآل سلجوق وسلاجقة الروم والخوارزمية والإسماعيلية وأتابكة فارس السلغرية والقرا خطائيين بكرمان .

٣ — الكتاب الثالث — القسم السلطانى من كتاب ظفرنامه فى ذكر المغول — شامل بحثاً فى منشأ الترك والمغول—أغوزخان وابنه *كورخان الخطائى — تاريخ المغول بعد أغوزخان—أجداد چنك*يزخان—چنك*يزخان—أ*كتاى قا آن — توشى خان وأخلافه فى قبچاق — چغتاى خان وخلفاؤه فى توران — تولى خان — بركتاى خاتون— كيوك خان— منك*وقا آن — تيمور قا آن وخلفاؤه — هولاكوخان — أباقا خان — أحمد خان — أرغون خان — كيخاتون — بايدوخان — غازان خان — أولجايتو سلطان محمد — أبو سعيد بهادر خان .

* * *

والعناوين بهذا التفصيل لا تدع مجالا لمزيد من الحديث عن موضوع الملحمة وهى لا تعدو أن تكون كتاب تاريخ منظوم لا يمت إلى الملاحم إلا من حيث الصورة وما أضفاه عليه ناظمه من شاعرية تسلكه فى عداد الآثار الأدبية والقصص التاريخى .

وظفرنامه هو العنوان الذى وضعه الشاعر لملحمته التى نظمها اقتداء بالفردوسى فى نظم الشاهنامة وتقليداً له — ويتضح هذا جلياً من البيت التالى :

ظفر نامه كن نام اين نامه را   بدين تازه كن رسم شاهنامه را

* * *

أى :

سم هذا الكتاب ظفرنامه ، وجدد به رسم الشاهنامه .

* * *

وقد استغرق نظم ظفرنامه خمس عشرة سنة ووزعت أبياته البالغ عددها خمسة

وسبعين ألفاً بين أبوابه على النحو التالى : خمسة وعشرون ألفاً للقسم الإسلامى ، عشرون ألفاً لقسم الأحكام ، ثلاثون ألفاً للقسم السلطانى . وفى ذلك يقول ناظمه :

كشيذم درين پانزده سال رنج *بكفتم سخن پانزده بار پنج
عرب بيست وپنج وعجم بيست‌هزار مغول سى هزار آمذ اندرشمار

وترجمة البيتين :

قاسيت العناء فى هذا خمس عشرة سنة وقلت خمسة وسبعين ألف (بيت) فبلغ عدة ماقلته فى العرب خمسة وعشرين وفى المعجم عشرين ألفاً وفى المغول ثلاثين ألفاً[١] .

* * *

والنسخة الوحيدة من هذا الكتاب توجد كاملة بمكتبة المتحف البريطانى مقيدة تحت رقم or. 2833 . وقد كتبت فى شيراز سنة ٨٠٧ هـ . — ١٤٠٥ م . وعدد أوراقها ٧٧٠ سبعمائة وسبعون ورقة وقد اشتراها سدنى تشرشل Sidney Churchil سنة ١٨٨٥ م . — ١٣٠٣ هـ . من إيران للمتحف المذكور ، وناظم هذه الملحمة هو حمد الله المستوفى القزوينى المتوفى سنة ٧٥٠ هـ . ١٣٤٩ م . وقد أتم نظمها سنة ٧٣٥ هـ . — ١٣٣٤ م . والشاعر يشير إلى أنه عربى الأصل يتصل نسبه بحر بن يزيد الرياحى ، غير أن أسرته ستوطنت قزوين وأقامت بها سنين طويلة وكان حوالى سنة ١٣١١ م . — ٧١١ هـ . يعمل للوزير المشهور رشيد الدين فضل الله فى الشئون المالية مستوفياً لقزوين وزنجان وأبهر وطارمين . وله كتاب منثور ألفه أثناء اشتغاله بنظم ظفرنامه وأتمه سنة ٧٣٠ هـ . — ١٣٣٠ م . وأسماه (تاريخ *كزيده) كما ألف كتاباً آخر فى الجغرافيا يسمى (نزهة القلوب) بعد ظفرنامه بخمس سنوات .

بدأ حمد الله المستوفى نظم ظفرنامه فى سن الأربعين ويستخلص برون من هذا أنه ولد فى سنة ٦٨٠ هـ . — ١٢٨١م .[٢] .

---

(١) حماسه سرائى الطبعة الثانية ص ٣٥٤ وما بعدها .

(٢) برون : از سعدى تاجامى . ترجمة على أصغر حكمت . ص ١١٧ وما بعدها .

مثنويات ظفرنامه بالأدب الفارسى

يوجد بالأدب الفارسى عدة مثنويات غير كتاب المستوفى تسمى ظفرنامه كذلك ، نذكر فيما يلى أهمها مرتبة حسب تواريخ تأليفها :

١ ـ ظفرنامه : ترجمة ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ . (١٠٣٦ م.) عن الفهلوية بأمر نوح بن منصور السامانى وموضوعه محاورات الملك الساسانى أنوشيروان ووزيره المشهور بزر*كمهر حول الشئون العامة وسياسة الدولة[١] .

٢ ـ ظفرنامه : للشاعر شرف الدين على اليزدى المتوفى سنة ٨٥٨ هـ. ـ ١٤٥٤م. نظمه سنة ٨٢٨ هـ. (١٤٢٥م.) وموضوعه تاريخ حياة تيمور إلى سنة ٧٢٨ هـ. ١٣٢٧ م.[٢] .

٣ ـ ظفرنامه : للشاعر نظام الدين الشامى ويتناول حياة تيمورلنلك* إلى سنة ٨٠٦ هـ . ١٤٠٣ م . وقد أمره تيمور بتأليفه سنة ٨٠٤ هـ ، ١٤٠١ م .[٣] .

٤ ـ ظفرنامه للشاعر عبد الله الهاتفى المتوفى سنة ٩٢٧ هـ . ١٥٢١ م . وهو ابن أخت عبد الرحمن الجامى الشاعر الصوفى المعروف ، ولهذا المثنوى عدة أسماء هى : (ا) تيمورنامه . (ب) ظفرنامهٔ تيمورى . (ج) ظفرنامه . وقد اعتمد الهاتفى فى نظم هذا المثنوى على كتاب سلفه شرف الدين اليزدى[٤] .

٥ ـ ظفرنامهٔ شاهجهانى : تأليف حاجى محمد خان القدسى المتوفى سنة ١٠٥٦ هـ. ١٦٤٦ م . ولم يتّم الشاعر نظم الكتاب . وموضوعه سلطنة شاهجهان (١٠٣٧ ـ ٦٨ هـ . ١٨٢٨ ـ ٥٨ م.)[٥] .

٦ ـ ظفرنامهٔ أكبرى : نظمه الشاعر قاسم سنة ١٢٦٠ هـ ١٨٤٤ م . فى حروب أكبر خان لفتح كابل[٦] .

---

(١) إته : تاريخ أدبيات فارسى : ترجمة رضا زاده شفق ص ٢٦١ .

(٢) إته ص ٦٢ و ٢٨٧ .

(٣) إته ص ٢٨٧ ـ رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات إيران ص ٣٥٥ .

(٤) إته ص ٦٢ . (٥) اته ص ٦٤ . (٦) اته ص ٦٧ .

٥ ـ منطق الطير

نظم هذه الملحمة الصوفية الشاعر الصوفى فريد الدين العطار المتوفى سنة ٦٢٧ هـ ـ ١٢٢٩ م . على المشهور ، ويمكن تسمية هذا المثنوى ملحمة الطير لأنه يدور حول سفر الطيور بزعامة الهدهد وكفاحها فى اجتياز الوديان السبعة للوصول إلى السيمرغ بجبل قاف وفنائها فيه فأصبحت هى هو وهو هى وظفرت بالبقاء عن طريق الفناء .

وقد مثل العطار بهذه القصة لسيرة أهل العرفان ورياضتهم الشاقة فى طى طريق الكمال الإنسانى للوصول إلى كنه الحقيقة بالفناء فى ذات المحبوب الأسمى ، وما يتطلبه طى هذه الطريق من جهد كبير وجلد بالغ للتغلب على متاعبها الجمة واجتياز مراحلها السبع التى يعبر عنها المتصوفة بالمقامات السبعة ، وأولها مقام الطلب لأن المريد ما لم يطلب طريق الكمال لا يغبر فيها قدما ، وثانيها مقام العشق ، إذ يتحتم عليه الحب ليسلك طريق الوصال ، وثالثها مقام المعرفة ، والسالكون للطريق مختلفون من حيث البصر والمعرفة وكل منهم يتخير الطريق التى تؤهله لها عزيمته واستعداده ، فهذا يسلك طريق القبلة وذاك يأخذ طريق الصنم ومن كل مائة ألف سالك يهتدى واحد ، ومقام كل امرئ بقدر معرفته . ورابعها مقام الاستغناء ولا يصل إليه إلا عارف حكيم غسل يديه من الدنيا وأهلها فى سبيل بلوغ مقصده الأسمى والصوفى البصير يرى الدنيا كنقش على لوح من الطين سرعان ما يتحطم فيذهب معه ، وخامسها مقام التوحيد ، فإذا وصل العارف إلى هذا المقام رأى الوحدة كامنة فى مظاهر الكثرة ويشاهد الله فى كل شىء ، ويصبح كل وجود ظاهرى لديه عدماً إلى جانب واجب الوجود الذى منه وجود كل شىء . وسادسها مقام الحيرة ويجب أن يبلغه كل عارف ويطوى إليه وادى الوله والدهشة وفى هذا المقام يقف المرء على قصور معارفه وجهله فيذهل حتى عن وجوده ، وسابعها مقام الفناء وفيه يزول عن المرء كل شهواته وغروره وأنانيته أو بعبارة أخرى يفقد ذاته ويصبح جزءاً من عالم الوحدة ووتراً متناغماً مع سائر أوتاره ويصل بهذا الفناء إلى البقاء[1] .

---

(١) رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات إيران . الطبعة الأولى ص ١٣٢ وما بعدها .

ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ نظم العطار لهذه الملحمة فهو فى بعض النسخ ٥٧٠ وفى البعض الآخر ٥٧٣ أو ٥٨٣ أو ٥٨٥ هـ . (١١٧٤ ، ١١٧٧ ، ١١٨٧ ، ١١٨٩ م .)[1] .

موضوع منطق الطير

يبدأ العطار القصة بالحديث عن صفة الطيور فيرحب بالهدهد قائلاً :

مرحباً أى هدهد هادى شده ... در حقيقت پيك هروادى شده
اى بسر حد سباسير توخوش ... با سليمان منطق الطيرتو خوش
ديورا در بند وزندان بازدار ... تا سليمان وار باشى رازدار

أى :

مرحباً أيها الهدهد الهادى ، وفى الحقيقة رسول كل وادٍ .
يا من سيرك إلى سبأ حسن ، ومنطقك الطيرى مع سليمان جميل .
احبس الشيطان فى القيد والسجن ، لتصبح كسليمان صاحب سر.

* * *

ويسترسل بعد ذلك فى سرد مناقب الهدهد ويخاطب كل طير من الطيور الأخرى معدداً أوصافه ويمضى فى ذلك إلى آخر المقالة الأولى .

وفى المقالة الثانية تجتمع الطيور فى ندوة عامة للتشاور فى تنصيب ملك عليها فيقول الهدهد : لقد عرفت ملكنا ولكن كيف الذهاب إليه وحدى وليس هذا فى طوقى ؟ وطلب إليها المسير معه إلى ذلك الملك وهو السيمرغ ووصفه بأنه جد قريب منها وهى عنه بعيدة .

ثم تحدث عن ابتداء أمر السيمرغ فقال :

ابتداى أمـــر سيمرغ اى عجب ... جلوه *كر *بكذشت در چين نيمشب
در ميان چين فتاد ازوى پرى ... لا جرم پر شور شد هر كشورى
هركسى نقشى از آن پر بر*كرفت ... هركه ديد آن نقش كارى در*كرفت
هست آن پر در *نكارستان چين ... اطلبوا العلم ولو بالصين ببين
*كر *نكشتى نقش پر او عيــان ... اين همه غوغا نبودى درجهان
اين همه آثار صنع ازفراوست ... نقشها جمله ز نقش پراوست
چون نه سر پيداست وصفش رانه بن ... نيست لايق بيش ازين *كفتن سخن

---

(١) اته ص ١٥٦ .

والمعنى :

بداية أمر السيمرغ يا للعجب ، أنه مر متجلياً بالصين نصف الليـــل ،
فسقطت منه ريشة وسط الصين ، فلا جرم أن امتلأ كل قطر فتنة ،
فأخذ كل نقشاً من تلك الريشة ، وكل من رأى ذلك النقش اتخذ عملا ،
تلك الريشة موجودة فى مرسم الصين ، فتأمل : اطلبوا العلم ولو بالصين ،
لو لم يظهر نقش ريشته عياناً ، لما كانت كل هـــذه الجلبة فى العالم ،
كل آثار الصنع هذه من جلاله ، النقوش جميعها من نقش ريشه ،
ولما لم يكن لوصفه بداية ظاهرة ولا نهاية ، فليس من اللائق الكلام أكثر من هذا .

* * *

ولم تكن الطيور جميعاً على استعداد للمخاطرة بالسير معه فى هذه الرحلة
فقام البلبل يعتذر بعبارات منها :

من چنان درعشق *كل مستغرقم كز وجود خويش محو مطلقم
در سرم از عشق *كل سودا بس است زانكه معشوقم *كل رعنا بس است
طـاقت سيمـــرغ نارد بلبلى بلبلى را بس بود عشق *كـلى

يقول :

إننى مستغرق فى عشق الوردة بحيث أصبحت محواً مطلقاً من وجودى ،
كفى برأسى هوسا من عشق الوردة ، لأنه يكفينى أن يكون معشوقى الوردة الجميلة ،
لا طاقة لبلبل بالسيمرغ ، يكفى بلبلا عشق وردة .

* * *

فرد عليه الهدهد :

عشق روى *كـــل بسى خارت نهاد
كار *كر شـــد برتوو كارت نهاد
*كل ا *كرچـــه هست بس صاحبجمال
حسن او در هفتـــهٔ *كـــيرد زوال
عشق چـــيزى كان زوال آرد پديد
كاملان را زان مـــلال آرد پد يد

يعنى :

إن عشق محيا الوردة أذلك كثيراً ، وأثر فيك ووضع من شأنك ،
لئن كانت الوردة جميلة للغاية ، فإن حسنها يزول فى أسبوع ،
إن عشق شىء مآله الزوال ، يجلب السأم لأهل الكمـــال .

* * *

ثم قام الببغاء معتذراً فقال :

خضر مرغـــانم از آنم سبزپوش
تا تـــوانم كـــرد آب خضر نوش
من نيـــا رم در بـــر سيمرغ تاب
بس بود از چشمهٔ خضرم يك آب

* * *

أى :

أنا خضر الطيور ولذا فأنا أخضر الكساء ،
حـــتى أستطيع أن أشرب مـــاء الخضر ،
لا أستطيع حولا لدى السيمرغ ، فيكفينى شربة من عين الخضر .

* * *

فأجابه الهدهد :

آب حيـــوان خواهى از جان دوستى
روكـــه تو مغـــزى ندارى پو ستى
جان چه خواهى كرد ؟ بر جانان فشان
در ره جانان چو مـــردان جان فشان

والمعنى :

إنك تريـــد ماء الحيـــاة لحب الحياة ،
اذهب ، أنت لا لب لك ، أنت قشر ،
ماذا ستعمل بالروح ؟ انثرها على الحبيب ،
انثر الروح فى طريق الحبيب كالرجال .

وكذلك اعتذر الطاوس والبط والحجل والهما والصقر ومالك الحزين والبوم والصعوة وبقية الطيور قائلة :

او سليما نست وما مور*كدا　　در *نكر او از كجا ما ازكجا
*كشت موری در ميان چاه بند　　كی رسد در*كرد سيمرغ بلند
اين ببازوی چو مائی كی شود　　خسروی يار كدائی كی شود

وترجمة الأبيات :

إنه سليمان ونحن نمل متسول ، فانظر أين هو وأين نحن ،
النملة التي صارت مقيدة في وسط الجب ، كيف تصل إلى غبار السيمرغ العالي ،
كيف يتسنى هذا لسواعد أمثالنا ، ومتى يكون ملك صديقاً لشحاذ ؟

* * *

فكان مما أجابها به الهدهد :

ای *كدايان چند ازين بيحاصلی　　راست نايد عاشقی وبد دلی
هركرا درعشق چشمی باز شد　　پای كوبان آمدو جانباز شد
تو بدان انك*ه كه سيمرغ ازنقاب　　آشكارا كرد رخ چون آفتاب
صد هزاران سايه برخاك افكند　　پس نظر برسايهٔ باك افكند
سايهٔ خـــود كرد بر عالم نثار　　*كشت چندين مرغ هردم آشكار
صورت مرغان عـــالم سر بسر　　سايهٔ آنست دان ای بيخبر
اين بدان چون اين بدانستی نخست　　سوی آنحضرت نسب كردی درست

* * *

ومعنى هذا :

أيتها المتسولة حتام هذا الهراء ، لا يستقيم العشق والجبن ،
كل من فتحت عين له فى العشق ، جاء راقصاً ومخاطرا بالروح ،
اعلمى أنه منذ أظهر السيمرغ وجهه من النقاب كالشمس ،
وهو يلقى بمئات آلاف الظلال على الأرض ثم يلقى بنظره على ظله الطاهر ،
وجعل ظله نثارا على العالم ، فظهر فى كل لحظة كثير من الطيور ،
فاعلمى أيتها (الطيور) الجاهلة أن صور طيور العالم من أوله لآخره هى ظله ،
اعرفى هذا فإذا عرفت ذلك بداءة انتسبت إلى تلك الحضرة نسباً صحيحاً .

فلما سمعت الطيور مقالة الهدهد ازمعت المسير معه وانطلق بها تحاوره وتسأله وهو يجيب السائل ويرد على المعتذر إلى أن بلغت الوديان السبعة وهي :

١ — وادى الطلب ٢ — وادى العشق ٣ — وادى المعرفة ٤ — وادى الاستغناء ٥ — وادى التوحيد ٦ — وادى الحيرة ٧ — وادى الفقر والفناء وليس بعده غاية .

وهذه الوديان هى المقامات السبعة التى يتدرج فيها الصوفية على نحو ما ذكرنا فى مقدمة هذا المقال .

وبعد اجتياز هذه الوديان أخذت الطريق إلى السيمرغ فقضت فى سلوك مخارمها والتصعيد والهبوط فى حزنها وسهلها سنوات عديدة وعمراً طويلا وقاست من المحن ما يقصر عنه البيان والوصف وهلك أكثرها وتخلف بعضها ولم يصل من آلاف الطيور إلى تلك الحضرة إلا ثلاثون طائراً وكلها مهيض الجناح واهن الجسد كسير القلب فماذا رأت ؟

حضرتى ديد ند بى وصف وصفت — برتر از ادراك عقـــل ومعرفت
برق استغنـــا چو مى افر وختى — صد جهـــان در يكزمان ميسوختى
صد هزاران آفتـــاب معتـــبر — صد هزاران ماه وانجم بيشتر
جمع ميد يد ند حـــيران آمـــده — همچـــو ذره پاى كوبان آمده
جمله *كفتند ايعجب چون آفتاب — ذرهٔ محـــو است پيش آنجناب
كى پد يد آئيم ما اينجـــا *بكاه — ايد ريغا رنج بـــردهٔ ما براه
دل بكلى از خويشتن بردا شتيم — نيست زانك ستى كه ما پنداشتيم
هست اينجا صد جهان يكذره خاك — ما ا*كر باشيم و*كرنه زان چه باك

* * *

يعنى :

رأت حضرة لا وصف لها ولا صفة ، أسمى من الإدراك والعقل والمعرفة ،
حينما كان يمض برق الاستغناء ، كان يحترق مائة عالم فى لحظة ،
مئات الآلاف من الشموس المعتبرة ، مئات الآلاف من الأقمار والأنجم وأكثر ،
كانت تراها جميعاً تقبل حائرة ، وقد جاءت ترقص كالذرة ،
فقالت كلها يا للعجب ؟ إذا كانت الشمس ذرة من العدم أمام ذلك الجناب

كيف نظهر نحن فى هذا المكان ؟ فوا اسفا على ما قاسيناه من العنت فى الطريق ،
لقد يئسنا كلية من أنفسنا ، وليس الأمر كما تصورنا ،
إن مائة عالم هنا ذرة من تراب ، فأى خوف إذا كنا أو لم نكن ؟

* * *

وبينما هى فى تلك الحال أقبل نقيب (چاوش) العزة الإلهية واستخبرها جلية أمرها فأخبرته بقصتها فقال :

*كرشما باشيد ورنـــه درجهان — اوست مطلق پادشاه جاودان
صد هزاران عالم پر از سپاه — هست مورى بردر اين پادشاه
از شما آخر چه خيزد جز زحير — باز پس *كرديد ايمشتى حقير

يقول للطيور :

إذا كنتِ أو لم تكونى فى العالم ، فهو السلطان المطلق الخالد
إن مئات الآلاف من العوالم الحاشدة بالجند ، نملة على باب هذا السلطان
فماذا يتأتى منكِ غير الزحير ، ارجعــى أيتها الحفنة الحقيرة .

* * *

فأيأسها هذا الكلام ولكنها :

جمله *كفتند اين معظم پادشـــاه — چون دهد مارا بخوارى سر براه
زوكسيرا خواريئى هر*كز نبود — بودور زو خواريئى جزعز نبود

* * *

قالت جميعاً إن هذا السلطان المعظم كيف يصرفنا أذلاء ؟
لم يكن لأحد منه ذلة قط ، وإن كان فما كان الذل منه غير العز .

* * *

ومثلت الطيور الثلاثون فى حضرة السيمرغ فهان فى أعينها إزاء هذا الجلال كل ما تكبدت من مشاق وقاست من أهوال فى سبيل الوصول إلى تلك الحضرة وتجردت من كل غرور وكبرياء (وصارت أرواح تلك الطيور من الخجل والحياء فناء محضاً وآضت أجسادها ذرورا*)[1] .

جان آن مرغان زتشوير وحيـــا — شد فناى محض وتن شدتوتيا

---

(١) العبارة التى بين القوسين ترجمة للبيت الفارسى الذى بعدها .
* الترجمة الحرفية : توتيا .

(وكل ما كان وما لم يكن من أمرها ، زال تماماً وامحى من صدورها)[١]

كرده وناكرده ديرينه شـــان　　پاك *كشت ومحو شد ازسينه شان

* * *

وأشرقت منها شمس القرب فأشرقت أرواحها بنورها ورأت فى انعكاس صورتها عليها صورة السيمرغ فإذا نظرت إلى أنفسها رأته وإذا نظرت إليه رأت أنفسها وإذا نظرت إليه وإلى أنفسها رأت شيئاً واحداً فالسيمرغ هو الثلاثون طائراً والثلاثون طائراً هى السيمرغ ، فغرقت فى بحار الحيرة وظلت فى تفكر دون تفكر ومن غير أن تهتدى إلى سر ما شاهدت ، وانبرى لسان الحال يسأل عن هذا السر وقد عى لسان المقال ، فأجيب بأن تلك الحضرة مرآة كالشمس وكل من يأتى يرى نفسه فيها . جئت ثلاثين طائراً فظهرت فى هذه المرآة ثلاثين ، ولو جاء أربعون أو خمسون أو ستون لرأت أنفسها كذلك ، لقد شاهدت أنفسك ولا سبيل لأعينك الكليلة إلى مشاهدتنا ، لقد فنيت فينا بكل إعزاز ودلال لتجدى أنفسك فينا من جديد .

ويعبر الشاعر عن فنائها هذا بقوله :

محو او *كشتند آخر بردوام　　سايه درخورشيد *كم شدوالسلام

أى :

امحت فيـــه أخيراً على الدوام　　ضاع الظل فى الشمس والسلام

* * *

ويتخلل فصول هذه الملحمة حكايات تمثيلية كثيرة على عادة الشعراء الفرس وخاصة المتصوفة فى التمثيل لمقاصدهم ومراميهم بمثل هذه الحكايات .

٦ ــ سلامان وآبسال

ملحمة حكمية فلسفية نظمها على وزن منطق الطير فى بحر الرمل المسدس ، نور الدين عبد الرحمن الجامى أكبر شعراء القرن التاسع الهجرى وآخر شعراء إيران العظام ، بين سنتى ٨٨٤ و ٨٨٦ هـ . (١٤٧٩ ــ ١٤٨١ م .) باسم السلطان يعقوب التركمانى بن اوزون حسن آق قوينلو[٢] .

---

(١) العبارة التى بين القوسين ترجمة للبيت الفارسى الذى بعدها .

(٢) على أصغر حكمت : جامى ص١٨٩ ــ ١٩٠ . رضا زادة شفق تاريخ أدبيات إيران ص٣٤٧ .

وأشخاص هذه الملحمة هم :

١ ــ ملك اليونان ٢ ــ معلم الملك ومستشاره الحكيم ٣ ــ سلامان الفتى الجميل ابن الملك ٤ ــ أبسال مربية سلامان الحسناء ٥ ــ الزهرة مثال الجمال السماوى .

والطريف فى هذه الملحمة إنجاب الملك ابنه سلامان بتدبير حكيمه ومعلمه ومستشاره دون أن يقرب النساء ومن غير أن يتخلق الجنين فى رحم امرأة ، وبطلا الملحمة هما سلامان الذى جاء إلى هذا الوجود من غير أن تقله بطن أم ومربيته الفتاة أبسال التى هامت به وشغفته بها وحاول الملك أن يفرق بينهما بغير الموت دون جدوى.

والقصة يونانية أشار إليها الرئيس ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ . ــ ١٠٣٦ م . فى كتابه الإشارات بقوله : وإذا قرع سمعك فيما تقرأه وسرد عليك فيما تسمعه قصة سلامان وأبسال فاعلم أن سلامان مثل ضرب لك وأن أبسال مثل ضرب لدرجتك فى العرفان إن كنت من أهله ثم حل الرمز إن أطقت .

ترجم هذه القصة من اليونانية إلى العربية حنين بن إسحق وأوردها نصير الدين الطوسى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ . ــ ١٢٧٣ م . فى شرحه لإشارات ابن سينا بروايتين تتفق أولاهما فى جوهرها مع ترجمة حنين وتخالفها الأخرى تمام المخالفة وكأنها قصة لا تمت إلى الأولى بصلة[١] .

موضوع سلامان وأبسال

تتلخص ترجمة حنين ابن إسحق فى أنه كان بالزمن القديم قبل طوفان النار ملك اسمه هرمانوس بن هرقل السوفسيطى وكانت له مملكة الروم إلى ساحل البحر مع بلاد يونان وأرض مصر . وهذا الملك هو الذى بنى البناء العظيم والطلسم الثابت القديم المعروف بالأهرام ، وكان ذا علم غزير واطلاع واسع على تأثيرات الصور الفلكية محيطاً بأسرار الخواص الأرضية ممارساً للأشكال الطلسمية ومن جملة أصحاب « إقليقوس » ومنه تعلم جميع العلوم الخفية ، وكان (إقليقوس) هذا عابداً مرتاضاً

---

(١) تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ، الطبعة الأولى بمطبعة الجوائب بالقسطنطينية ص ١١٩ وجامى : ص ١٩٠ .

يقيم فى مغارة اسمها (ساريقون دورتاما) ويفطر فى كل أربعين يوماً بشىء من نبات الأرض وبلغ من العمر ثلاثة قرون .

وشكا هرمانوس لأستاذه عدم وجود ولد يرث حكمته وملكه فأشار عليه بالزواج ولكن الملك أبى ذلك لنفور طبعه من النساء واعتقاده بخبث سريرتهن ، فقال له الحكيم : ليس لك سبيل إلى اتخاذ ولد إلا بأن نرصد طالعاً موافقاً وتأخذ (يبروحا صنميا)[1] وأجعل منيك فيه وألازم أنا نفسى هذا الولد فى بيت يصلح لهذا العمل وأغير هواه إلى ما يجب من العمل وأصرف إليه همتى وقوة فكرى حتى تجتمع أجزاؤه ويستدير ويقبل الحياة .

وصارت النطفة إنساناً تاماً فأسماه الحكيم (سلامان) وجىء له بمرضعة جميلة فى الثامنة عشر اسمها (أبسال) .

وفرح الملك فرحاً شديداً بوجود ابن من منيه من غير ملامسة النساء وقال للحكيم بم أكافئك ؟ فقال : أعنى على أن أبنى بناء عظيماً لا يخربه الماء ولا تحرقه النار ، يكون حصناً لبقاء النفس وله باب مكتوم إلا عن حكماء الحق وأجعل ذلك أطباقاً سبعة بين كل طبقة وطبقة مائة ذراع حتى يكون ذلك محرزاً للحكيم من البلاء ، فأجابه الملك إلى ما طلب وقال له ابن بناءين أحدهما لك ولآخر لنا نجعل فيه خزائننا وعلومنا وأجسادنا بعد الموت . وكان يعمل فى البناء كل يوم سبعة آلاف ومائتا نفس إلى أن تم على الصورة المنشودة .

ولما بلغ الصبى أشده أحب أبسال وقوى عشقه لها وكان يفارق خدمة الملك فى أكثر الأوقات ليكون إلى جوارها ، فنصحه أبوه بالانصراف عنها وحذره من النساء ومخالطتهن وضرب له الأمثال وطلب إليه أن يكون رجلا كاملاً متحلياً بحلية التجرد ليخطب له جارية من العالم العلوى تزف إليه أبد الآبدين ويرضى عنه رب العالمين ، ولكن سلامان لشدة شغفه بأبسال لم يصغ لكلام أبيه وحكى لأبسال ما قال فقالت له : إنه يريد أن يفوت عليك اللذة بمواعيد أكثرها أباطيل ، وبلغ الملك مقالتها ففكر فى إهلاكها ليستريح منها ولكن (هرنوس) الوزير حذره مغبة البغى .

---

(١) يبروح الصنم جذر لقاح يرى على شكل إنسانين متواجهين ، : حاشية برهان قاطع طبعة دكتور محمد معين ج ٤ ص ٢٤٢٥ .

وعلم العاشقان بكيد الملك لهما فهربا إلى ما وراء بحر المغرب ، وكان عند الملك قصبتان من ذهب عليهما طلاسم مرسومة وسبعة مواضع من الصفارات يصفر منها لكل إقليم فيطلع على ما يريده من ذلك الإقليم ويعلمون اطلاعه عليهم ، فمن أهمه معاقبته فى ذلك الإقليم يجعل فى تلك الصفارة رماداً وينفخ فيحترق ذلك الموضع المعين ومن أراده الملك بالحريق . ونفخ الملك فى القصبتين فوجد سلامان وأبسال فى أسوأ حال من الغربة والضيق فرق لهما وأمر لكل منهما بما يكفيه آملاً أن يعود ابنه إلى الحق ، ولما عيل صبره غضب عليهما وأبطل روحانيات شهوتهما بعلوم كان يعرفها فبقى كل منهما فى شدة العذاب من شوقه لصاحبه وعدم وصوله إليه ، وفطن الفتى إلى أن ما لحقه من مكروه ليس إلا من شدة غضب أبيه فجاءه مستغفراً فنصحه بالابتعاد عن أبسال ليصبح أهلا للملك ، وضاق الفتى بذلك أشد الضيق فلما أجنه الليل أخذ بيد صاحبته وألقيا بنفسيهما فى البحر ، فأمر الملك روحانية الماء بحفظ سلامان دون أبسال فضاق بالحياة بعدها لشدة حزنه على فراقها وأشرف على الموت ، وطلب الملك من الحكيم أن يعينه على أمر ولده ، فصحب قليقوس سلامان إلى مغارة ساريقون وقال له : سأدعو وتدعو الله معى أربعين يوماً نقضيها صائمين وتفطر أنت مرة كل سبعة أيام حتى تعود إليك أبسال ، وشرط عليه أن لا يخفى عنه شيئاً وأن يلبس لباس أبسال وأن يفعل ما يفعله الحكيم وأن لا يعشق غير أبسال مدة عمره ، فقبل سلامان كل هذا .

واشتغل الحكيم بأدعية الزهرة فكانت صورة أبسال تظهر لسلامان كل يوم وتجالسه وتتلطف معه فى الكلام فشكر الحكيم على ذلك ، فلما كان اليوم الأربعون ظهرت له الزهرة فى صورة عجيبة تفوق كل حسن وجمال فافتتن بها ونفر طبعه من أبسال وكره صحبتها ، وصارح الحكيم بدخيلته ، فسخر الحكيم له روحانية هذه الصورة فكانت تأتيه فى كل وقت ويقضى منها أوطاراً ، وما زال على هذى الحال إلى أن زال من قلبه حب هذه الصورة أيضاً وصفا من كدورة المحبة الجاذبة له عن مقام الحكمة والملك إلى مقام اللعب واللهو .

فشكر الملك الحكيم على محمود سعيه فى إصلاح أمر ولده وجلس سلامان على سرير الملك وصار صاحب دعوة عظيمة ، وأمر أن تكتب هذه القصة على سبعة ألواح من

ذهب وأن تكتب أدعية الكواكب السبعة أيضاً فى سبعة ألواح ذهبية أخرى ، ووضعها جميعاً فى الهرمين على رأس قبر والده .

فلما عمر العالم بعد الطوفانين النارى والمائى ، ظهر أفلاطون فاطلع بحكمته ومعرفته على ما فى الهرمين من العلوم والذخائر والنفائس فسافر إليها ولكن ملوك زمانه لم يعينوه على فتحهما فأوصى بذلك تلميذه أرسطاطاليس، فلما ظهر الإسكندر وكان من جملة من استفاد ضروباً من الحكمة الإلهية صحبه أرسطوطاليس إلى الهرمين وفتح بابهما ولكن الإسكندر لم يمكنه من أن يخرج سوى الألواح التى كتبت عليها قصة سلامان وأبسال ثم أغلق بابهما ،وكان آخر ما وجد مكتوباً على تلك الألواح على لسان سلامان : إن طلب العلم والملك من العلويات الكاملات فإن الناقصات لا تعطى إلا ناقصاً .

* * *

والرواية الأولى للقصة كما ذكرها نصير الدين الطوسى فى شرح الإشارات لم يذكر بها اسم الملك ولا اسم الحكيم ولا وزير الملك،وذكر بدل القصبتين الذهبيتين فى ترجمة إسحق ، آلة يطلع بها الملك على الأقاليم وما فيها دون تسمية أو وصف لهذه الآلة وزاد فيها خبر انتشار القصة وترجمة حنين لها ثم هى بعد ذلك مع اختصارها لا تختلف فى مضمونها عما جاء فى هذه الترجمة .

وخلاصة روايته الثانية : أن سلامان وأبسال كانا أخوين شقيقين وكان أبسال أصغرهما سنًّا وقد تربى بين يدى أخيه ونشأ صبيح الوجه عاقلاً متأدباً عفيفاً شجاعاً ، وقد عشقته امرأة أخيه فأعرض عنها ، واحتالت فى زواجه من أختها لتصل إليه عن طريقها ، وفى ليلة عرسه أظلمت غرفته وباتت فى فراشه بدل العروس فشك فى أمرها ولاحت من الكوة ومضة برق أظهرت وجهها فأزعجها وعزم على مفارقتها ، وعرض على أخيه أن يتولى قيادة الجيش ويفتح له البلاد براًّ وبحراً وشرقاً وغرباً من غير منة عليه فكان أول ذى قرنين على وجه الأرض ، وحسب أن زوجة أخيه قد نسيته ، ولكنها عادت إلى غيها فزجرها وخرج لمحاربة عدو ظهر لأخيه سلامان فوزعت الأموال على رؤساء الجيش فخانوه وانتصر العدو ووقع أبسال فى المعركة جريحاً وظنوه ميتاً فتركوه ، وأرضعته إحدى الوحوش إلى أن انتعش وعوفى ورجع إلى أخيه

وقد أحيط به فجمع شمل الجيش وكر على العدو وبدد شمله وسوى المملكة لأخيه ولكن المرأة واطأت الطابخ والطاعم فدسا له السم ومات . فاغتنم أخوه واعتزل الملك وفوضه إلى بعض معاهديه وناجى ربه فأوحى إليه جلية الأمر فسقى المرأة والطابخ والطاعم ما سقوه أخاه فدرجوا[1] .

القصة فى منظومة الجامى

تتفق القصة فى منظومة الجامى مع الرواية الأولى لنصير الدين الطوسى ولكنها خلت من ذكر بناء الأهرام واستخراج الألواح منها على يد أرسطو بإرشاد أفلاطون ، وتختلف مع هذه الرواية كذلك فى أن الجامى وضع مكان الآلة التى يرى بها الملك العالم دون تحديد لمعالمها ، مرآة تؤدى نفس الغرض ، وجعل العاشقين يلقيان بنفسيهما فى النار بدل البحر :

داشت شـــاه آئينـــهٔ *كيتى نماى
پرده ز اسرار همه *كيتى *كشاى
چـــون دل عارف نبود از وى نهان
هيـــچ حالى از بدو نيك جهان

* * *

جمع شد زان پشته هاكوهى بلنـــد
آتشى در پشتـــه وكـــوه او فكند
هردو از ديدار آتش خوش شدند
دست هم *بكـــرفته در آتش شدند

* * *

وترجمة الأبيات :

كان للملك مرآة تظهر فيها الدنيا ، وتكشف الستار عن أسرار العالم أجمع ،
مثل قلب العارف لا يخفى عليه ، أى حال من مساوئ الدنيـــا ومحاسنها ،

* * *

(١) تسع رسائل ص ١٢٢ وما بعدها .

وتجمع من الكومات جبل عال ، وألقى بالنار فى الكومات والجبل
وسرا كلاهما بمرأى النار ، فأخذ كل منهما بيد الآخر ودخلا النار

* * *

وفى رواية الطوسى الأولى كما فى ترجمة حنين ، يفتتن سلامان بصورة الزهرة فينصرف إليها عن صورة أبسال ، ولكنه فى رواية الجامى يشغف بحديث الحكيم عن الزهرة ويعمل فيه تكرار حديثه عنها ما فعلته به مشاهدة صورتها فى أصل القصة :

*كاه *كاهى چون سخن پرداختى
وصف زهره در ميان انداختى
زهرة *كفتى شمع جمع أنجم است
پيش حسن او همه خوبان كم است

* * *

إلى أن يقول :

اين سخن چون بارها تكرار يافت
در درون آن ميل را بسيار يافت
چون ز وى دريافت آن معنى حكيم
كرد اندر زهره تأثيرى عظيم
تا جمال خود تمام اظهار كرد
در دل وجان سلامان كار كرد

* * *

والمعنى :

حين كان يتحدث من وقت لآخر ،
كان يصف الزهرة أثناء الكلام
كان يقول إن الزهرة شمع جمع الأنجم ،
يختفى الحسان جميعاً أمام حسنها

* * *

فلما تكرر هذا الكلام مرارا ،
أحس فى قلبه ذلك الميل كثيراً

وحين أدرك منـــه الحكيم ذاك المعنى
أحـــدث فى الزهـــرة تأثيراً عظيماً
حـــتى أظهـــر جمالهـــا كاملا ،
فعمل فى قلب ســـلامان وروحـــه

* * *

وقد طول الجامى القصة بالإسهاب فى النصائح والعظات والوصف والحوار والاستشهاد والتمثيل بالحكايات المتوالية .

* * *

هذه خلاصة لأهم الملاحم التى لم يرد لأبطالها ذكر فى شاهنامة الفردوسى وتتميز عن قصص الشاهنامة بميزات تجعل كلا منها أنموذجاً للون قصصى مثلنا له بها وكان لا بد لنا من عرضها استيفاء لبحثنا فى الملحمة الفارسية .

* * *

الفصل السادس

الحكاية الفارسية

لعل أقدم ما وصلنا منها هو تلك الحكايات الفهلوية التي أشرنا إلى بعضها في أواخر الحديث عن موضوع الشاهنامة ومن بينها حكاية نقل كليلة ودمنة من الهندية إلى الفهلوية ثم حكايات كليلة ودمنة التي بقيت لنا في ترجمة ابن المقفع العربية والتراجم الفارسية لهذه الترجمة .

وحكايات (سندباد نامه) مجموعة أخرى من الحكايات الفهلوية نقلت عن الهندية وترجمها إلى الفارسية الدرية في العصر الساماني الخواجه العميد أبو الفوارس القناوزي في القرن الرابع للهجرة ثم جاء من بعده الخواجه بهاء الدين محمد بن علي ابن محمد بن الحسن الظهيري السمرقندي فهذبها وأنشأها من جديد في أواخر القرن السادس الهجري وضمنها الكثير من الأشعار الفارسية والعربية[1] .

وقد تأثر المرزبان بن رستم بن شروين من أمراء آل باوند في طبرستان بكليلة ودمنة ، فألف في القرن الرابع الهجري كتابه مرزبان نامه باللهجة الطبرية على غراره ونسج حكاياته على منواله ، وقد هذب هذا الكتاب ونقله إلى الفارسية محمد بن غازي الملطي في أواخر القرن السادس الهجري (٥٩٨ هـ./١٢٠١ م.) . وأخرجه باسم (روضة العقول) كما نقله إلى الفارسية أيضاً سعد الدين الوراويني في أوائل القرن السابع[2] .

وإلى جانب هذه الحكايات المأثورة عن الأدب الفهلوي والمتأثرة به توجد كثرة لا تحصى من الحكايات الفارسية يأتي بعضها متفرقاً في ثنايا الكتب تبعاً للمناسبات ويأتي البعض الآخر منها في كتب خاصة مبوباً تحت عناوين تحدد موضوعه .

والحكاية الفارسية على اختلاف موضوعاتها التي سبق ذكرها والتمثيل لها في

---

(١) مقدمة سندباد نامه طبعة طهران . (١٣٣٣ هـ . ش . = ١٩٥٤ م .)

(٢) مقدمة مرزبان نامه ، الطبعة الثالثة – طهران . (١٣١٧ هـ . ش . = ١٩٣٨ م .) طبعة القزويني

الفصل الثالث (القصة الفارسية) تلعب فى الأدب الفارسى دورين رئيسيين ، أحدهما تمثيلى والآخر تهذيبى ، وعلى هذا يمكن تقسيمها إلى حكاية تمثيلية وحكاية تهذيبية .

الحكاية التمثيلية

المراد بالحكاية التمثيلية تلك الحكايات التى تقوم مقام الشاهد والمثل ، فالكاتب أو الشاعر أو المحدث يسوق قضية فيعززها أو يأتى برأى فيدلل على صحته بحكاية من هذه الحكايات كما نستشهد نحن بحكمة أو كلمة مأثورة أو بيت من الشعر أو آية أو حديث .

صاحب « چهار مقاله » أو المقالات الأربع مثلا يتحدث فى الفصل الخامس من مقدمته عن « النسناس » فيقول : إنه حيوان فى بادية التركستان منتصب القامة ألفى القد عريض الأظفار شغوف بالآدميين ، حيثما رأى إنساناً وقف على قارعة الطريق يتأمله فإذا رآه منفرداً خطفه . ويؤيد هذه القضية بحكاية يرويها عن أبى رضا ابن عبد السلام النيسابورى مؤداها أنه كان سنة عشر وخمسمائة يسير فى قافلة عظيمة فرأى امرأة فى غاية الحسن حاسرة عارية ، قدها كالسرو ووجهها كالقمر وشعرها طويل تنظر إليهم ، فلما كلموها لم تحر جواباً ، ولما هموا بالاقتراب منها فرت تعدو بسرعة عجيبة فلم تلحق بها الجياد ، وقال له المكارون الأتراك إنها إنسان وحشى يسمى النسناس[١] .

ثم يتحدث النظامى العروضى السمرقندى فى مقالاته الأربع بهذا الكتاب عن شرائط الكتابة والكتاب والشعر والشعراء والنجوم والمنجمين والطب والأطباء ، ويردف كل مقالة بعشر حكايات طريفة مما اتفق وقوعه لمشاهير هؤلاء تصديقاً لما ذهب إليه فى هذه المقالات .

وفى الباب الرابع من قابوسنامه ، يرى المؤلف أن الله اختص ذوى اليسار فقط

---

(١) ص ١٥ . الطبعة الثانية . محمد معين . (١٣٣٣ هـ . ش . = ١٩٥٤ م .) طهران

بفريضتى الزكاة والحج ويقول : إن الله لم يأمر غير القادرين بزيارة بيته ، وإن قيام الفقير بهذه الفريضة إلقاء بنفسه فى التهلكة ، ويدلل على صحة رأيه هذا بحكاية الدرويش الحاج ومناظرته فى عرفات مع رئيس بخارى ، فى ختام هذه الحكاية يقول الدرويش لهذا الرئيس : أيكون جزائى وجزاؤك كلينا سواء يوم الجزاء وأنت ترفل فى تلك النعمة وأنا فى هذه الشدة ؟ فيجيبه الرئيس : حاشا أن يجزينى الله عز وجل مثل جزائك يوم القيامة ، فلو كنت أعرف أن ستكون منزلتى ومنزلتك سواء لما أتيت قط إلى البادية ، فلما سأله الدرويش ولم ؟ قال : أنا جئت بأمر الله وقد جئت أنت مخالفاً أمره ، لقد دعيت فأنا ضيف وأنت طفيلى فأنى تكون حرمة الطفيلى كحرمة الضيف ؟ لقد أمر الله الأغنياء بالحج وقال للفقراء (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أنت جئت إلى البادية بغير أمر الله عز وجل فى ذلة ومسغبة وألقيت بنفسك فى المهلكة فكيف تستوى وأهل الطاعة ؟

وتكثر هذه الشواهد القصصية فى كتب التاريخ والأدب ولكنها لازمة من لوازم كتب السياسة والنصيحة مثل قابو سنامه وسياستنامه ونصيحة الملوك ، حتى لتزدحم بها أبواب بعض هذه الكتب فى تكلف يفقدها رواءها ، كما هو ملحوظ فى سياستنامه ونصيحة الملوك .

والواقع أن قابوسنامه من بينها خير كتاب استخدمت فيه هذه الشواهد دون إسراف أو تعمل ، فحكاياته تأتى فى وقتها وفى مكانها من الباب كلما دعت إليها المناسبة ، وقد خلا كثير من أبوابه من الحكايات لعدم الحاجة إليها .

ويستعين الفرس بالحكاية فى التمثيل لتجسيم فكرة أو شرح معنى وتقريبه للأذهان ، ونشهد هذا كثيراً فى المثنويات الصوفية مثل منطق الطير وحديقة الحقيقة ومثنوى مولوى :

فى منطق الطير يجمع الهدهد الطيور ويدعوها للرحلة إلى حضرة السيمرغ بجبل قاف ، فيقوم بعضها معتذراً متعللا بسبب من الأسباب للقعود ، ويعنف الهدهد كلا منها ويأتى بحكاية يجسم بها خطل رأيه ويسفهه .

فالببغاء مثلا يقول فى اعتذاره ما معناه : إننى خضر الطيور ولذا فأنا أخضر الكساء حتى أستطيع أن أشرب ماء الخضر ، لا حول لى لدى السيمرغ ، يكفينى

شربة من عين الخضر . فيجيبه الهدهد قائلا : إنك تريد ماء الحيوان حباً فى الحياة ، اذهب أنت لا لب لك ، أنت قشر ! ويعقب على ذلك بحكاية قصيرة خلاصتها أن الخضر عرض على مجنون بالعشق الإلهى أن يصحبه ، فأجابه بأن حالينا جد مختلفين ، أنت شربت ماء الحيوان لتبقى على روحك سرمدا ، ولكنى أعمل على الخلاص من روحى إذ لا جدوى لها بغير الحبيب ، لست مثلك أبقى على الروح ، بل أبذلها كل يوم فى سبيله ، فمن الخير أن يبتعد كل منا عن الآخر ابتعاد الطير عن الشرك .

ويمثل السنائى فى الحديقة لأصحاب الغفاة والجهال بحكاية الزنجى الذى اطلع على قبحه فى المرآة فرماها بالقبح وحطمها[٢] .

وتمتلئ الحديقة بهذه التمثيلات فى مختلف المعانى غير أن جلال الدين الرومى بذ جميع الصوفية بكثرة تمثيلاته فى المثنوى حتى لقد أفرد لها الأستاذ بديع الزمان فروزانفر كتاباً على حدة تحت عنوان « مآخذ قصص وتمثيلات مثنوى » أى مصادر قصص وتمثيلات المثنوى ، وتتميز الحكايات التمثيلية فى المثنوى بما تتضمنه من إشارات بعيدة وقريبة إلى آيات قرآنية وأحاديث وروايات مختلفة للمفسرين وأصحاب السير والأخبار مما يتطلب من قارئه إحاطة شاملة بالثقافة الإسلامية وما دخلها من ثقافات الأمم الأخرى ، وقد رتبت مطالع حكايات المثنوى فى الكتاب المذكور بأرقام مسلسلة وأتبعت بشروح توضح ما حوت من إشارات وتبين المصادر التى أخذت عنها ، فأغنانا كل ذلك عن التمثيل لها والإطالة . .

ومن الحكايات التمثيلية ما يأتى فى صورة رمزية يليها شرح وتفسير ، ففى باب برزويه الطبيب بكليلة ودمنة ، يمثل برزويه للإنسان برجل نجا من خوف فيل هائج إلى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين كانا على سمائها فوقعت رجلاه على شىء فى طى البئر فإذا حيات أربع قد أخرجن رءوسهن من أجحارهن ثم نظر فإذا فى قاع البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه ، فرفع بصره إلى الغصنين فإذا فى أصلهما جرذان أسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران ، فبينما هو فى النظر

---

(١) ص ٢٩٠ طبعة مدرس رضوى .

لأمره والاهتمام لنفسه إذ أبصر قريباً منه كوارة فيها عسل نحل فذاق العسل فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة فى شىء من أمره وأن يلتمس الخلاص لنفسه ولم يذكر أن رجليه على حيات أربع لا يدرى متى يقع عليهن ولم يذكر أن الجرذين دائبان فى قطع الغصنين ومتى انقطعا وقع على التنين فلم يزل لاهياً مشغولاً بتلك الحلاوة حتى سقط فى فم التنين فهلك .

ثم يقول : فشبهت البئر بالدنيا المملوءة آفات وشروراً ومخافات وعاهات ، وشبهت بالحيات الأربع الأخلاط الأربعة التى فى البدن فإنها متى هاجت أو أحدها كانت كحمة الأفاعى والسم المميت ، وشبهت بالغصنين الأجل الذى لابد من انقطاعه وشبهت بالجرذين الأسود والأبيض الليل والنهار اللذين هما دائبان فى إفناء الأجل ، وشبهت بالتنين المصير الذى لابد منه ، وشبهت بالعسل هذه الحلاوة القليلة التى ينال منها الإنسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس ويتشاغل عن نفسه ويلهو عن شأنه ويصد عن سبيله[1] .

فى هذه الحكاية رمز برزويه للحياة بالبئر والأخلاط الأربعة بالحيات الأربع إلى آخر تلك الرموز التى فسرها لنا بتشبيهاته التالية لحكايته فهو بذلك يريد أن يقول : رمزت للدنيا بالبئر وللأخلاط الأربعة بالحيات الأربع . . . إلخ .

ومن هذا القبيل حكاية غلام التاجر التى قصها الملك (بختيار) على أولاده بالباب الثانى من مرزبان نامه[2] وخلاصتها أنه كان لتاجر غلام ذكى موفق أدى لسيده خدمات مشكورة فقال له التاجر ذات يوم إنى مجهزك بتجارة ، فإذا عدت من سفر البحر هذه المرة أعتقتك وأغنيتك فتقبل الغلام من سيده هذه المنة شاكراً وأخذ طريقه فى اليم ، وبعد أيام عصفت الريح بالسفينة وحطمتها وتعلق الغلام بلوح من حطامها حتى ألقت به الأمواج على ساحل جزيرة فسار فيها أياماً وليالى حتى بلغ مدينة كأنها الفردوس ووجد أهلها قد خرجوا مواكب فى أبهى زينة وقد تعالت أصوات الأبواق ودقات الطبول ، فلما استخبرهم أخبروه بأنهم خارجون لاستقبال أول قادم غريب ليولوه ملكاً عليهم ثم تقدم منه قادتهم وسلموا عليه بسلام

---

(١) ص ٨٩ ، ٩٠ ط . بولاق .

(٢) ص ٣٧ . ط ٣ . قزوينى .

الملك ورفعوه إلى العرش وهو فى حيرة مما يرى ويسمع ، وبعد مدة اصطفى من بين حاشيته رجلا أريبا اطمأن إليه وسأله جلية الأمر فأعلمه بأنه فى كل سنة فى مثل الوقت الذى قدم فيه ومن الصوب الذى أقبل منه يأتى رجل غريب فيولونه الملك عاماً ، وهنالك بادية محياة يفصلها عن المدينة بحر هائل ، فإذا ما انقضت مدته حملوه إليها طوعاً أو كرها وتركوه يهيم على وجهه ، فأهمه ذلك وفكر فى مصيره ، فأشار عليه صفيه بأن يشرع دون توان فى بناء السفن ونقل أدوات البناء وحذاق البنائين ومهرة المعماريين والصناع والزراع إلى تلك البادية ليبنى مدينة فيها تكون وزره وملاذه بعد زوال ملكه ، فلما جاء أهل المدينة على عادتهم وأخرجوه آخر العام إلى البادية استقبلته الحياة الرغدة الجديدة التى أعد لها واستعد أيام دولته الدائلة ، ثم أعقب القاص الحكاية بتفسير خلاصته : أن الغلام فى السفينة هو الجنين فى الرحم وتحطم السفينة كناية عن تفتح المشيمة عن الجنين بعد استواء خلقه ، واستقبال أهل المدينة للغلام وتوليته عليهم عاماً كناية عن استقبال الأبوين والمراضع والأهل للجنين وتعهده إلى بلوغ رشده ، فإذا حالفه التوفيق فكر فى مآله وعمل فى دنياه الفانية لأخراه الباقية كما فكر هذا الغلام فى عاقبة أمره وعمر تلك البادية ليأوى إليها بعد انقضاء أيام ملكه القصيرة ، فظفر بالسعادة الأبدية فى الدار الآخرة بعد ارتحاله عن الدنيا .

وتتبع هذه التمثيليات واستقصاؤها فى الأدب الفارسى لا ينهض به الحسبان ، إذ قل أن تخطئها العين فى أثر من الآثار الفارسية ، بل قلما تسمع الأذن حديثاً فى ندوة أو مجلس للإيرانيين لا يتمثل فيه قائله بشىء من هذه الحكايات ، ويكاد الحديث عن الكتب التى استخدمت هذا اللون من التمثيل يكون حديثاً عن كل ما أثر فى هذا الأدب .

الحكاية التهذيبية

يتوسل الفرس إلى أغراضهم التهذيبية بوسيلتين أولاهما الحكمة والعظة والنصيحة ويسمونها (پند) والثانية الحكاية .

والحكاية لديهم خير الوسيلتين لبلوغ هذه الأغراض وأكثرهما شيوعاً لميل القلوب إليها وأنس النفس بها وبعدها عن دواعى الملل الذى يؤدى إليه طول الاستماع إلى العظات المجردة التى يثقل وقعها أحياناً على الأسماع وتجفوها بعض الطباع .

وإذا كانت الحكاية التمثيلية تأتى أكثر ماتأتى أشتاتاً وفرادى فى شتى المناسبات ، مفرقة فى ثنايا الكتب والموضوعات وكأنها حبات عقد متناثرة لا يجمع شتاتها نظام ، فإن الحكاية التهذيبية قد أفردت لها كتب خاصة بها ألفت لهذه الغاية وجاءت فيها مبوبة مرتبة تحت عناوين تحدد أهدافها ومراميها وتجمع بينها وحدة الغاية والموضوع ، وقد هدف مؤلفو تلك الكتب إلى هدفين : أخلاقى وتعليمى ، فعالجوا بها تربية النفوس وعلموا الناس فنون البلاغة والإنشاء ، وأشهر كتب الحكايات الفارسية وأسيرها فى هذا الباب هى :

١ — كليلة ودمنة . ٢ — سندباد نامه . ٣ — مرزبان نامه . ٤ — بوستان :
٥ — * كلستان . ٦ — جوامع الحكايات ولوامع الروايات . ٧ — بهارستان .
٨ — مقامات حميدى .

وقد جمع بعضها بين العظات المجردة والحكايات التهذيبية مثل * كلستان وبوستان ، وسنتحدث عن كل منها فيما يلى لأهميتها .

١ — كليلة ودمنة

لا نستطيع ونحن نتحدث عن كليلة ودمنة فى الأدب الفارسى أن نغفل الحديث عن ترجمة ابن المقفع العربية باعتبارها أصل النسخ الفارسية ، وسنقدم للكلام عن هذا الكتاب بموجز لقصة ترجمته من الهندية إلى الفهلوية نقلاً عن الشاهنامة أقدم مصادرنا عنه مع مقابلة رواية الفردوسى بما جاء فى غرر الثعالبى .

تتلخص القصة بالشاهنامة وترجمة البندارى لها فى أنه كان من بين حكماء أنو شروان طبيب أريب أفنى عمره فى كسب العلوم والفضائل اسمه برزويه ، قرأ فى كتاب الهنود أن بجبالهم عشباً لامعاً كالحرير الرومى إذا نثر على ميت تكلم فى الحال ، فأذن له أنوشروان بالذهاب للبحث عن هذا العشب وزوده بالهدايا والتحف لراجا الهند ، فلما قدم عليه برزويه أكرمه وأصحبه العلماء والحكماء لإرشاده ومعونته فى البحث عن ضالته ، ولكنه عاد إلى الراجا يائساً عاتباً على حكماء الهند قولهم المحال ، فدلوه على شيخ أكبر منهم سناً وأغزر علماً وأوفر فضلاً ، فشرح لبرزويه مقولة الحكماء فى هذه الأبيات :

*كيا چون سخن‌دان ودانش چوكوه — كه با شد همه سال دور از *كروه
تن مرده چـون مرد بى دانشست — كه نادان بهرجاى بى رامشست
بدانش بود بى *كمان زنـده مرد — خنك رنج بردار پاينـده مرد
چـو مردم زناداني آمـد ستوه — *كيا چون كليله است ودانش چوكوه[1]

ومعناها :

العشب مثل الرجل البليغ والعلم مثل الجبل الذى يبقى طيلة الأعوام بعيداً عن الجمهور .

والجسد الميت كالرجل الجاهل ، لأن الجاهل لا قرار له بأى مكان .

وبالعلم يحيا الرجل بلا ريب ، فطوبى للرجل الجلد الثابت . فإذا ضاق الناس بالجهل ، فالعشب مثل كليلة والعلم مثل الجبل .

* * *

وقد تصرف البندارى فى هذه المعانى وزادها بسطاً ووضوحاً فى ترجمته فقال : (إنما المراد بذلك الدواء البيان والمراد بالجبل الذى هو منبته العلم ، والمراد بالميت الجاهل نفسه ، وإذا تعلم الجاهل فكأنه اجتاب فضفاض الحياة ، والعلم بمنزلة الروح من العظام الرفات وكتاب كليلة ودمنة من هذا الدواء)[2] .

---

(١) ش . ط . ب . جـ ٨ ص ٢٥٠٣ .
(٢) ش ع . جـ ٢ . ص ١٥٥ . طبعة عزام .

وجاء بالغرر : (والمراد بالجبال العلماء وبالعقاقير كلامهم الشافى الكافى وبالموتى الجهال ، يعنون أن العلماء يؤدبون الجهال بحكمهم فكأنهم يحيون الموتى ، وهذه الحكم محصورة فى كتاب مترجم بكليلة ودمنة ، ليس يوجد إلا فى خزانة الملك)[1] .

وأخبر شيخ حكماء الهند طبيب الفرس بأن الكتاب فى خزائن الملك ولكن الراجا لم يأذن لبرزويه بنسخ الكتاب وسمح له فقط بالاطلاع عليه ، فى حضرته ، فكان يقرأ منه كل يوم وليلة ما يتسع له حفظه فإذا عاد إلى بيته نسخ ما حفظه وأنفذه إلى أنوشروان ، وما زال هذا دأبه حتى أتى على الكتاب عن آخره ، فاستأذن الراجا فى الانصراف إلى حضرة كسرى فرده إلى بلده معززاً مكرماً موقراً بالمنح والعطايا ، ورحب به كسرى وقربه وترك له أن يختار من خزائنه ما يشاء ، ولكن الطبيب لم يأخذ غير دست من اللباس قائلاً : (من ليس خلعة الملك فقد تسنم تخت الجلال واستولى على أمد الكمال وأرغم أنف الحاسد الكاشح وأقر عين الولى الناصح ، وإن حاجتى عند الملك أن يأمر بزرجمهر إذا حرر هذا الكتاب للخزانة أن يفتتحه بباب يشتمل على ذكر العبد حتى يبقى اسمه بعد موته بين الخلق)[2] .

وأمر أنوشروان وزيره الحكيم بزرجمهر ففعل : (ونقل الكتاب بعباراته البارعة وألفاظه الساحرة باللسان الفهلوى إلى البياض الخسروى وبقى كذلك إلى زمان أمير المؤمنين المنصور ثانى الأئمة الهاشمية فإنه أمر عبد الله بن المقفع فنقله إلى اللسان العربى ، ثم لما ملك نصر بن أحمد بن إسماعيل السامانى أمر وزيره أبا الفضل البلعمى فنقله إلى اللسان الفارسى نثراً ثم أمر الروذكى الشاعر فنظمه أراجيز باللسان العجمى أيضاً)[3] .

وظاهر من هذه العبارة الأخيرة أن البندارى اعتمد فى كتابتها على نسخة فارسية غير النسخ التى بأيدينا أو على مصدر آخر صحح به خطأ النص الفارسى وزاده وضوحاً ، إذ أن عبارة الفردوسى جاء بها اسم المأمون بدل المنصور ، وهذا خطأ بين لأن ابن المقفع (قتل سنة ١٤٢ هـ = سنة ٧٥٩ م . وكانت ولاية المأمون سنة ١٩٨ هـ .

---

(١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم طبعة باريس سنة ١٩٠٠ م . ص ٦٣١ ، ٦٣٢ .

(٢) ش ع . جـ ٢ . ص ١٥٦ .

(٣) ش ع . جـ ٢ . ص ١٥٦ .

= سنة ٨١٣ م)[١]. واكتفى الفردوسى كذلك بذكر اسم الأمير السامانى (نصر) ولقب وزيره (بو الفضل) دون قيد .

وزاد المترجم (البندارى) على رواية الشاهنامة قوله : (فبقى بالعبارة الفارسية القديمة إلى زمان السلطان بهرامشاه بن إبرهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين رضى الله عنهم ، فتصدى أبو المعالى نصر الله بن محمد بن عبد الحميد الكاتب الغزنوى فحرره بألفاظه الزاهرة وعباراته الباهرة ورصعه باستعارات تروق النفوس ووشحه بإشارات تشرح الصدور ومزجه بأمثال العرب وأشعارهم الفصيحة ، فنسخ به ما قبله وصار عمله مفخراً للعجم لم يحرر مثله فى أسلوب الترسل الفارسى والسلام)[٢]

ويفهم من كلام البندارى أن أبا المعالى تصدى للعبارة الفارسية القديمة وهى ترجمة البلعمى فأخرجها على الصورة التى عليها الكتاب الآن .

ويستبعد أن يكون المراد بالعبارة الفارسية القديمة أراجيز الرودكى لأن المشاهد فى تاريخ القصة الفارسية تحويل المنثور منها إلى منظوم والاستغناء بالصورة الشعرية عن الصورة النثرية ، وأكبر الظن أن أبا المعالى ما كان ليقدم على كتابة كتابه هذا — سواء أكان تهذيباً لترجمة البلعمى أو ترجمة لكتاب ابن المقفع — لو كان مثنوى كليلة ودمنة الذى يعزى إلى الرودكى باقياً معروفاً إلى زمانه .

وعبارة الشاهنامة — سواء فى الأصل الفارسى أو الترجمة العربية — توهم أن بزرجمهر هو الذى حرر الكتاب بالفهلوية وأن عمل برزويه لم يتعد حفظ فصول الكتاب فصلا فصلا وإرسالها تباعاً إلى أنوشروان ، ويقرر هذا فى الأذهان رجاء برزويه أن يأذن الملك لوزيره بزرجمهر بتصدير الكتاب بباب عنه وقت تحريره للخزانة (حتى يبقى اسمه بعد موته بين الخلق)[٣] وجواب أنوشروان على ذلك بقوله (إن هذه أمنية عظيمة ولكنا لاندفع فى نحر مرادك ونسعفك بذلك)[٤] ويلى هذه العبارة (ثم أمر بزرجمهر بأن يصدر الكتاب بباب يشتمل على ذكر برزويه الطبيب ففعل ونقل الكتاب بعبارته البارعة وألفاظه الساحرة باللسان الفهلوى إلى البياض الخسروى)[٥] إذ لو كان برزويه هو الذى ترجم الكتاب إلى الفهلوية

---

(١) صفا . تاريخ أدبيات درايران جـ ٢ ص ١٦٢ .
(٢) ش . ع . جـ ٢ ص ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٣ ، ٤ ، ٥) نفس المصدر ص ١٥٦ .

لكان عمله وحده كفيلا بتخليد ذكره ولما احتاج إلى أن يكتب عنه بزرجمهر أو غيره باباً يحقق به هذه الأمنية التى استعظمها أنوشروان نفسه وأجابه إليها تقديراً لجهده فى تحصيل الكتاب وإن كانت فى رأيه فوق قدر المتمنى :

بدو *كفت شاه إين بزرك* آرزوست براندازهٔ مرد آزرم جـوست
وليـكن برنج تو اندر خـورست سخن *كرچه ازپايه*كه برترست[1]

أى :

قال له الملك إن هذه أمنية عظيمة ، تليق بطالب العظمة والجاه ، ولكنها تتكافأ مع تعبك وإن كان الكلام فوق قدرك .

* * *

هذه خلاصة قصة كتاب كليلة ودمنة كما جاءت بالشاهنامة وترجمتها العربية ولا خلاف بين الشاهنامة وغرر الثعالبى فى جوهر القصة أو فى أن أنوشروان أمر بزرجمهر بترجمة الكتاب .

أما مجمل هذه القصة كما جاءت فى (باب مقدمة الكتاب) و (باب بعثة برزويه إلى بلاد الهند) بترجمة ابن المقفع فمؤداه أن بيدبا الفيلسوف الهندى رأس البراهمة عمل كتاب كليلة ودمنة لدبشليم ملك الهند (وجعله على ألسنة البهائم والطير ، صيانة لغرضه فيه من العوام ، وضناً بما ضمنه عن الطغام ، وتنزيهاً للحكمة وفنونها ، ومحاسنها وعيونها ، إذ هى للفيلسوف مندوحة ، ولخاطره مفتوحة ، ولمحبيها تثقيف ، ولطالبيها تشريف)[2] وكان سبب تأليفه الكتاب أن دبشليم الملك طغى وبغى فى قومه فلما ازداد طغياناً وبغياً تصدى بيدبا لنصحه فكبر عليه ذلك وأمر بقتله ثم رجع عن عزمه واكتفى بسجنه ، وبعد أيام ثاب إلى رشده فأطلق سراح بيدبا واستدناه وأسند إليه وزارته وسار على ما رسم له وزيره من حسن السيرة والعدل فى الرعية ، وذات يوم دعا دبشليم بيدبا وتحدث إليه فكان من جملة ما قال : (وقد أحببت أن تضع لى كتاباً بليغاً تستفرغ فيه عقلك ، يكون ظاهره سياسة العامة وتأديبها وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية على طاعة الملك وخدمته ، فيسقط بذلك عنى

---

(١) ش . حـ ٨ ط . ب . ص ٢٥٠٦ .

(٢) باب مقدمة الكتاب ص ٢٤ طبعة المرصفى .

وعنهم كثير مما يحتاج إليه فى معاناة الملك ، وأريد أن يبقى لى هذا الكتاب بعدى ذكراً على عابر الدهور)[١] . . . (وليكن مشتملا على الجد والهزل واللهو والحكمة والفلسفة)[٢] فاستمهله بيدبا سنة فأجله وأمر له بما يعينه على تأليف الكتاب . فعكف الوزير مع أحد ثقاة تلاميذه فى مقصورة على تأليفه حتى أخرجاه فى أربعة وعشرين بابا (كل باب منها قائم بنفسه وفى كل باب مسألة والجواب عليها ليكون لمن نظر فيه حظ من الهداية ، وضمن تلك الأبواب كتاباً واحداً سماه « كليله ودمنه » ثم جعل كلامه على ألسن البهائم والسباع والطير ، ليكون ظاهره لهواً للخواص والعوام وباطنه رياضة لعقول الخاصة وضمنه أيضاً ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته وجميع ما يحتاج إليه من أمر دينه ودنياه وآخرته وأولاه ، ويحضه على حسن طاعته للملوك ويجنبه ما تكون مجانبته خيراً له ثم جعله باطناً وظاهراً كرسم سائر الكتب التى برسم الحكمة ، فصار الحيوان لهواً وما ينطق به حكماً وأدباً)[٣] .

وقد سر دبشليم الملك بالكتاب وجمع أبناء الملوك والعلماء ليقرأه بيدبا عليهم فلما فرغ من ذلك سأله الملك حاجته فقال : (يأمر الملك أن يدوّن كتابى هذا كما دوّن آباؤه وأجداده كتبهم ، ويأمر بالمحافظة عليه ، فإنى أخاف أن يخرج من بلاد الهند فيتناوله أهل فارس إذا علموا به ، فالملك يأمر ألا يخرج من بيت الحكمة)[٤] .

فلما كان زمان أنوشروان سمع عاهل الفرس بالكتاب الهندى و (علم أنه أصل كل أدب ورأس كل علم والدليل على كل منفعة ومفتاح عمل الآخرة وعلمها ومعرفة النجاة من هولها)[٥] أمر وزيره بزرجمهر (أن يبحث له عن رجل أديب عاقل من أهل مملكته بصير بلسان الفارسية ، ماهر فى كلام الهند ، ويكون بليغاً باللسانين جميعاً)[٦] فوقع اختيار الوزير على برزويه الطبيب فقال له الملك (يا برزويه ! إنى قد اخترتك لما بلغنى من فضلك وعلمك وعقلك وحرصك على طلب العلم حيث كان ، وقد بلغنى عن كتاب بالهند مخزون فى خزائنهم ، وقص عليه ما بلغه عنه وقال له : تجهز فإنى مرحلك إلى أرض الهند ، فتلطف بعقلك

---

(١) ص ٤٧ . (٢) ص ٤٨ .

(٣) كليلة ودمنة طبعة المرصفى ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٤) ص ٥٢ . (٥) ص ٥٤ .

(٦) ص ٥٤ .

وحسن أدبك ونافذ رأيك لاستخراج هذا الكتاب من خزائنهم ومن قبل علمائهم فتستفيد بذلك وتفيدنا ، وما قدرت عليه من كتب الهند مما ليس فى خزائننا منه شيء فاحمله معك ، وخذ معك من المال ما تحتاج إليه وعجل ذلك ولا تقصر فى طلب العلوم وإن كثرت فيه النفقة فإن جميع ما فى خزائنى مبذول لك فى طلب العلوم)[1] .

وقدم برزويه بلاد الهند واتصل بخواص الملك والأشراف والعلماء والفلاسفة وأطال المقام بينهم والتردد عليهم ، فلما أنس بهم واطمأنوا إليه ، اصطفى من بينهم صديقاً حميماً كان خازناً للملك وبيده مفاتيح خزائنه ، واستمده العون على بلوغ غايته ، وبعد حوار طويل تعاهدا فيه على تكتم الأمر ، أجابه إلى ذلك الكتاب وغيره من الكتب النادرة (فأكب على تفسيره ونقله من اللسان الهندى إلى اللسان الفارسى ، وأتعب نفسه وأنصب بدنه ليلا ونهاراً وهو مع ذلك وجل وفزع من ملك الهند خائف على نفسه من أن يذكر الملك الكتاب فى وقت ولا يصادفه فى خزانته ، فلما فرغ من انتساخ الكتاب وغيره مما أراد من سائر الكتب كتب إلى أنوشروان يعلمه بذلك .. فكتب إلى برزويه يأمره بتعجيل القدوم)[2] وفى اليوم الثامن من قدوم برزويه جمع أنوشروان الأمراء والعلماء وأمره فقرأ ما نقله من كتب الهند عليهم ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ومدحوا برزويه وأثنوا عليه ، وفتح له الملك خزائنه وأمر بأن يجلس على مثل سريره وأن يلبس تاجاً ويترأس جميع الأشراف ، وسأله حاجته ، فسجد الطبيب شكراً وأطال الثناء على الملك ، ورضى من خزائنه بتخت من الثياب امتثالاً لأمره وقال : (حاجتى أن يأمر الملك — أعلاه الله تعالى — وزيره بزرجمهر بن البختكان ويقسم عليه أن يعمل فكره ويجمع رأيه ويجهد طاقته ويفرغ قلبه فى نظم تأليف كلام متقن محكم ويجعله باباً يذكر فيه أمرى ويصف حالى ولا يدع من المبالغة فى ذلك أقصى ما يقدر عليه ويأمره إذا استتمه أن يجعله أول الأبواب التى تقرأ قبل باب الأسد والثور ، فإن الملك إذا فعل ذلك فقد بلغ بى وبأهلى غاية الشرف وأعلى المراتب وأبقى لنا ما لا يزال ذكره باقياً على الأبد حيثما قرئ هذا الكتاب)[3] فقال كسرى : (حباً وكرامة لك يا برزويه إنك لأهل أن تسعف

---

(١) ص ٥٤ .

(٢) كليلة ودمنة طبعة المرصفى ص ٦٠

(٣) ص ٦٣ .

بحاجتك ، فما أقل ما قنعت به وأيسره عندنا وإن كان خطره عندك عظيما)[١]

وامتثل بزرجمهر أمر الملك (فوصف برزويه من أول يوم دفعه أبواه إلى المعلم ومضيه إلى بلاد الهند فى طلب العقاقير والأدوية ، وكيف تعلم خطوطهم ولغتهم إلى أن بعثه أنوشروان إلى الهند فى طلب الكتاب ، ولم يدع من فضائل برزويه وحكمته وخلائقه ومذهبه أمرا إلا نسقه وأتى به بأجود ما يكون من الشرح ، ثم أعلم الملك بفراغه منه ، فجمع أنوشروان أشراف قومه وأهل مملكته وأدخلهم إليه ، وأمر برزويه بقراءة الكتاب وبرزويه قائم إلى جانب بزرجمهر)[٢] .

ويلاحظ أن هناك خلافاً ظاهرا بين روايتى الشاهنامة وترجمة ابن المقفع فى كيفية حصول برزويه على الكتاب ، ففى رواية الشاهنامة ، يدخل برزويه بلاد الهند محملا بالهدايا ورسالة من أنوشروان لملكها ليبحث عن العشب الذى يحيى الموتى ، ويفسر له شيخ حكماء الهند أن العشب هو كتاب كليلة ودمنة الموجود بخزائن الملك ، والملك يأذن للطبيب بقراءة الكتاب عنده دون نسخه ، وبرزويه يقرأ منه يومياً ما يستطيع حفظه ، فإذا ما عاد إلى بيته نسخه وأنفذه إلى أنوشروان حتى أتى على الكتاب قراءة وحفظاً ونسخاً ثم عاد إلى بلاده .

ولكن فى ترجمة ابن المقفع يدخل برزويه بلاد الهند متنكراً محتالاً فى الحصول على الكتاب دون علم الملك ويعينه صديقه خازن الملك على نسخ الكتاب وغيره فى حذر شديد وخشية بالغة من انكشاف أمرهما ، وتصرح عبارة ابن المقفع فى ترجمته بأن برزويه كان ينسخ ويترجم بينما يقول الفردوسى إن بزرجمهر نقل الكتاب بعبارته البارعة وألفاظه الساحرة باللسان الفهلوى إلى البياض الخسروى ، كما صرح الثعالبى فى غرره بأن أنوشروان أمر بزرجمهر بترجمة الكتاب ، ونستطيع رد هذا الخلاف إلى أحد أمرين : إما إلى اختلاف بين المصدر الذى أخذت عنه الشاهنامة والغرر وبين المصدر الذى نقل عنه ابن المقفع أو إلى تصرف ابن المقفع نفسه فى الترجمة إعلاء لشأن بطل قصته برزويه وتعظيماً لأمر الكتاب . . .

---

(١) ص ٦٣ .

(٢) ص ٦٤ ، ٦٥ .

أما قصة ترجمة ابن المقفع للكتاب إلى العربية ثم ترجمة البلعمى له منها إلى الفارسية ونظم الرودكى لترجمة البلعمى فلا شك فى أنها لم تكن بالأصل الفهلوى وقد تكون من إضافات محررى شاهنامة أبى منصور أو من زيادات الفردوسى .

أغراض الكتاب

يقول ابن المقفع فى عرضه للكتاب : (وينبغى للناظر فى هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض : أحدها ما قصد به إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة ليسارع إلى قراءته أهل الهزل من الشبان فتستمال به قلوبهم لأنه هو الغرض بالنوادر من حيل الحيوان ، والثانى إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ، ليكون أنسا لقلوب الملوك ، ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة فى تلك الصور ، والثالث أن يكون على هذه الصفة ، فيتخذه الملوك والسوقة ، فيكثر بذلك انتساخه ، ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام ، ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبداً ، والغرض الرابع وهو الأقصى ، وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة)[1] .

ويمكننا أن نضيف إلى هذه الأغراض غرضين آخرين صرح بهما دبشليم الملك فيما نقلناه آنفاً من حديثه مع بيدبا الفيلسوف ، أولهما أن يكون ظاهره سياسة العامة وتأديبها وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية على طاعة الله والملك وخدمته ، وثانيهما أن يبقى هذا الكتاب بعد دبشليم ذكرا له على عابر الدهور .

برزويه

تتلخص سيرة برزويه رأس أطباء فارس كما جلاها بزرجمهر فى الفصل الذى كتبه عنه وأجراه على لسانه ، أن أباه كان من المقاتله وكانت أمه من بيوت عظماء الزمازمة ، وقد نشأ فى نعمة كاملة وكان أكرم ولد أبويه عليهما ، وأول ما بدأ به وحرص عليه بعد تعلمه الكتابة علم الطب ثم اشتغل بمداواة المرضى ابتغاء أجر

---

(١) ص ٧٨ .

الآخرة ، وجاهد فى صرف نفسه عن أعراض الدنيا الزائلة ، وتأمل الناس فوجد آراءهم مختلفة وأهواءهم متباينة وكل على كل راد وله عدو ومغتاب ولقوله مخالف فلم يجد إلى متابعة أحد منهم سبيلا ، فعاد إلى طلب الأديان والتماس العدل منها ، فلم يجد عند أحد ممن كلمه جواباً فيما سأل عنه ولم ير فيما كلموه به شيئاً يحق له فى عقله أن يصدق به ولا أن يتبعه ، فقال بالتزام دين آبائه وأجداده ، فلما ذهب يلتمس العذر لنفسه فى لزوم دين الآباء والأجداد ، لم يجد لها على الثبوت عليه طاقة ، بل وجدها تريد التفرغ للبحث عن الأديان والمسألة عنها والنظر فيها ، ولكنه فكر فى قرب الأجل وسرعة انقطاع الدنيا واعتباط أهلها وتخرم الدهر حياتهم ، فرأى أن يقتصر على عمل تشهد النفس أنه يوافق كل الأديان ، فكف يده عن القتل والضرب ، وطرح نفسه عن المكروه والغضب والسرقة والخيانة والكذب والبهتان والغيبة ، وأضمر فى نفسه ألا يبغى على أحد ولا يكذب بالبعث ولا القيامة ولا الثواب ولا العقاب ، وزايل الأشرار بقلبه ، وحاول الجلوس مع الأخيار بجهده ، ورأى الصلاح ليس كمثله صاحب ولا قرين ، ولم يزدد فى الدنيا وشهواتها نظراً إلا ازداد فيها زهادة ومنها هرباً ، ووجد النسك هو الذى يمهد للمعاد كما يمهد الوالد للولد ، وهو الباب المفتوح إلى النعيم المقيم ، وهمت نفسه أن يكون من أهله ، ثم تخوف ألا يصبر على عيش الناسك ، فهاب النسك مهابة شديدة وخاف الضجر وقلة الصبر ، وبعد النظر فى أمور الدنيا وتقليب وجوه الرأى صار أمره إلى الرضا بحاله وإصلاح ما استطاع إصلاحه من عمله ، فأقام على هذه الحال وانتسخ كتباً كثيرة وانصرف من بلاد الهند وقد نسخ هذا الكتاب[1] .

هذا هو مجمل الباب الذى قدم به بزرجمهر برزويه الطبيب مترجم كتاب كليلة ودمنة على رواية ابن المقفع ، ومع طول الباب فى الكتاب لم يرد فيه ذكر لاسم أبوى الطبيب ولا مولده ، فهو مقصور على التنويه بسجايا برزويه وخصاله .

---

(١) من ص ٧٩ إلى ص ٩٤ .

بزرجمهر

ذكر اسمه بشاهنامة الفردوسى (بوزرجمهر) دون قيد ، وبترجمة البندارى (بزرجمهر حكيم فارس) وبالغرر وكليلة ودمنة (بزرجمهر بن البختكان) .

وأول ما نلتقى به بالشاهنامة صبياً فى مكتب بمرو يعبر رؤيا رآها أنوشروان بعد أن عجز عن تعبيرها الموابذة والمعبرون ، فكان ذلك سبب اتصاله بالملك وعلو نجمه ، فإذا هو حكيم القصر ومستشار كسرى ووزيره ، وهو مترجم كتاب كليلة ودمنة من الهندية إلى الفهلوية بعد أن أتى به برزويه من الهند ، كما جاء بالشاهنامة والغرر ،وقد ضمن الكتاب باباً عن برزويه الطبيب تنويهاً بذكره لقاء ما تحمل من المشاق فى سبيل الحصول على كليلة ودمنة ، وبزرجمهر هو الذى عرف سر لعبة الشطرنج التى وضعها الهنود وابتكر لعبة النرد فأعيا فهمها حكماء الهند ، وكذلك كشف بذكائه عن خبيء الصندوق المختوم الذى بعث به قيصر الروم إلى أنوشروان ليختبر به قدرة علماء الفرس وإليه يعزى كثير من الحكم والأقوال المأثورة ، وقد غضب عليه كسرى فى أخريات أيامه وعذبه[1] ثم عاد فرضى عنه فدخل على الملك مكفوف البصر ، فحزن كسرى على ما فرط منه فى حق حكيمه ووزيره صاحب المجالس المشهورة بالشاهنامة .

أصل كليلة ودمنة

يؤخذ من المصادر قديمها وحديثها أن كتاب كليلة ودمنة بصورته التى بين أيدينا من وضع الهنود وبه زيادات أضافها الفرس قبل الإسلام وبعده ، فتصرح الشاهنامة والغرر كما تصرح ترجمة ابن المقفع بأن الكتاب نقل عن الهندية وزاد فيه بزرجمهر باب برزويه بأمر أنوشروان تنويهاً بذكر رأس أطباء فارس ، ويقول البيرونى فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقوله » ، وهو يتحدث عن كتب الهنود

---

(١) فى تاريخ البيهقى حكاية يعزى فيها غضب أنو شروان على بزرجمهر إلى اعتناق بزرجمهر المسيحية وتبشيره ببعثة النبى محمد صلعم . ص ٣٣٣ ، ص ٣٣٤ طبعة دكتور غنى ، دكتور فياض سنة ١٣٢٤ هـ . ش . = ١٩٤٥ م .

(وبودى أن كنت أتمكن من ترجمة كتاب « پنج تنترا » وهو المعروف عندنا بكتاب كليلة ودمنة، فإنه تردد بين الفارسية والهندية ثم العربية والفارسية على ألسن قوم لا يؤمن تغييرهم إياه كعبد الله بن المقفع فى زيادته باب برزويه فيه ، قاصداً تشكيك ضعفى العقائد فى الدين وكسرهم للدعوة إلى مذهب المنانية ، وإذا كان متهماً فيما زاد لم يخل عن مثله فيما نقل)[١] .

ويذكر صاحب الفهرست ، كليلة ودمنة بين أسماء كتب الهند فى الخرافات والأسمار والأحاديث قائلاً : (كتاب كليلة ودمنة وهو سبعة عشر باباً وقيل ثمانية عشر باباً ، فسره « أى ترجمه » عبد الله بن المقفع وغيره)[٢] وجاء فى مقدمة الدكتور عزام للكتاب (وقد نقل الأب شيخو الجملة الآتية من نسخة محفوظة فى مكتبة أيا صوفيا مكتوبة سنة ٨٨٠ هـ . = سنة ١٤٧٥ م. : «هذا كتاب كليلة ودمنة الذى استخرجه ، برزويه المتطبب الحكيم من بلاد الهند ونقله من الهندية إلى الفارسية لكسرى أنوشروان بن قباد بن فيروز ملك فارس ، ونقله من الفارسية إلى العربية عبد الله بن على الأهوازى ليحيى بن خالد بن برمك فى خلافة المهدى أحد خلفاء بنى العباس وذلك سنة خمس وستين ومائة ، وقد نظمه سهل بن نوبخت الحكيم الفاضل ليحيى بن خالد البرمكى وزير المهدى والرشيد ، فلما وقف عليه ورأى حسن نظمه أجازه على ذلك ألف دينار »[٣] .

هذه بعض أقوال القدامى ، فإذا رجعنا إلى المحدثين نرى من بينهم « إته » يقول بأن حكايات كليلة ودمنة مستقاة من مصدر أو عدة مصادر بوذية سنسكريتية ، وتوجد أبوابه متفرقة فى عدة كتب هندية ذكر منها « پنجه تنتره » أى الفصول أو الكتب الخمسة ، و « هيتوپادشه » ومعناها الصديق المخلص وبعض أقسام الـ « مهابهارتا » والفصول المختلفة من كتاب «كتاسريتسا * كره» ويضيف إلى هذا بأن الفصول الهندية فى الكتاب إثنا عشر فصلا ترجمها برزويه الطبيب — مع زيادة ثلاثة فصول عليها — إلى الفهلوية فى زمن كسرى أنوشروان ، كما نقلها فى عهد هذا

---

(١) عبد الوهاب عزام . مقدمة كليلة ودمنة ص ٣٦ .

(٢) ص ٣٨ .

(٣) ص ٣٨ .

الملك من الفهلوية إلى السريانية شخص يدعى « بذ » أو « بوذ » وقد عُثر على هذه النسخة السريانية سنة ١٨٧٠ م . / سنة ١٢٨٧ هـ . فى مدينة ماردين ونشرت مع ترجمتها ، ونقلها عن هذا الأصل الفهلوى إلى العربية عبد الله بن المقفع وزاد عليها ستة فصول إسلامية فصارت هذه الترجمة العربية أصلا لنسخ الكتاب المترجمة والمقلدة التى جاءت بعدها كما استمدت منها المصنفات الفارسية)[1] .

لم يحدد « إته » الفصول التى زيدت على الكتاب فى كل من العصرين الساسانى والإسلامى ، ويبدو من تصفح الكتاب أن الفصول الفهلوية التى زيدت فى عهد أنوشروان هى : باب مقدمة الكتاب ، وباب بعثة برزويه إلى بلاد الهند ، وباب برزويه الطبيب ، وهذا الأخير كتبه بزرجمهر كما صرحت بذلك الشاهنامة والغرر وترجمة ابن المقفع ، وليس بين أيدينا ما يحملنا على القطع بأن الفصلين الآخرين من عند برزويه دون سواه ، أما الفصول الستة التى ينسبها إلى ابن المقفع دون تحديد كذلك فمنها بداهة باب عرض الكتاب .

ويشير الأستاذ عبد العظيم قريب فى مقدمته لترجمة أبى المعالى الفارسية إلى أن خلو الترجمة السريانية من باب برزويه واسمه جملة حمل البعض على الاعتقاد بأن هذا الباب وضعه ابن المقفع[2] .

وقد ذكر أبو المعالى نصر الله بن محمد بن عبد الحميد الكاتب فى ترجمته الفارسية للكتاب ، الأبواب الهندية على النحو التالى :

باب الأسد والثور — باب التفحص عن أمر دمنة — باب الحمامة المطوقة — باب البوم والغربان — باب القرد والسلحفاة — باب الناسك وابن عرس — باب السنور والجرذ — باب ابن الملك والطير — باب الأسد وابن آوى — باب الأشبال واللبؤة .

وهذه عشرة أبواب ، ثم ذكر الأبواب الستة الفارسية وهى : باب ابتداء كليلة ودمنة — باب برزويه الطبيب — باب الناسك والضيف — باب البلار والبراهمة — باب السائح والصائغ — باب ابن الملك وأصحابه[3] .

---

(١) هرمان إته : تاريخ أدبيات فارسى . ترجمة رضا زاده شفق ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) ص « ز » .

(٣) ص ٣٤ . ط . قريب .

يضاف إلى هذا باب بعثة برزويه إلى بلاد الهند، فهو منسوب فى هذه الترجمة إلى ابن المقفع ، وترجمة أوله (هكذا يقول أبو الحسن عبد الله بن المقفع) وعنوانه : (مفتتح كتاب برآن ترتيب كه ابن المقفع آورده است) أى : افتتاح الكتاب على الترتيب الذى ذكره ابن المقفع .

فتكون أبواب الكتاب فى الترجمة الفارسية سبعة عشر باباً بما فى ذلك المقدمات، وقد صرح فى هذه الترجمة بأن باب بعثة برزويه إلى الهند لابن المقفع وأن باب ابتداء كليلة ودمنة لبزرجمهر بن البختكان .

أما باب برزويه فعنوانه بها (باب برزويه طبيب) وترجمة أوله : (هكذا يقول برزويه الطبيب مقدم أطباء فارس : كان أبى من المقاتلة وأمى من بيت علماء دين زردشت) .

وهذا يوهم نسبة الباب إلى برزويه ، وقد جاء هذا الباب فى النسخ العربية على لسان برزويه كذلك ولكن صرح فى عنوانه بها بأنه لبزرجمهر بن البختكان ، ويؤخذ من ذلك أن بزرجمهر أورد الباب على لسان هذا الطبيب . ولم يذكر فى النسخة الفارسية باب عرض الكتاب لابن المقفع .

ويستخلص من مقدمة الدكتور عبد الوهاب عزام لكليلة ودمنة ما يأتى :

أولاً : أن الأبواب الهندية تسعة ، منها ستة فى كتاب « پنج تنترا » وهى :

١ — باب الأسد والثور . ٢ — باب الحمامة المطوقة . ٣ — باب البوم والغربان . ٤ — باب القرد والغيلم . ٥ — باب الناسك وابن عرس . ٦ — باب السائح والصواغ .

وقد جاء هذا الباب الأخير ضمن باب الأسد والثور فى« پنج تنترا »، وثلاثة فى « مهابهارتا » وهى :

١ — باب الجرذ والسنور . ٢ — باب الملك والطائر . ٣ — باب الأسد وابن آوى .

ثانياً : الأبواب التى لم تعرف فى اللغة الهندية حتى اليوم هى :

١ — باب الفحص عن أمر دمنة . ٢ — باب إيلاد وإيراخت وشادرم ملك

الهند . ٣ — باب اللبؤة والأسوار . ٤ — باب الناسك والضيف . ٥ — باب ابن الملك وأصحابه . ٦ — باب ملك الجرذان . ٧ — باب مالك الحزين والبطة . ٨ — باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين .

وأبواب القسم الثانى الثمانية ، منها ما يرجح الدكتور عزام أنه من وضع ابن المقفع أو من ترجمته وهى :

١ — باب الفحص عن أمر دمنة . ٢ — باب الناسك والضيف . ٣ — باب ابن الملك وأصحابه . وهذا الأخير يرجح ترجمته عن الفهلوية .

ومنها ما يراه لغير ابن المقفع وهى :

١ — باب ملك الجرذان، ويحدس أنه ألحق بالكتاب بعد ابن المقفع بعدة قرون .

٢ — باب مالك الحزين والبطة . ٣ — باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين .

ومنها ما لم يتعرض لإثبات أو نفى نسبته لابن المقفع وهما هذان البابان :

١ — باب إيلاد وإيراخت وشادرم ملك الهند .

٢ — باب اللبؤة والأسوار .

ويلاحظ أن الباب الأول منهما لا يوجد بالترجمة الفارسية والباب الثانى مدرج بها بين الأبواب الهندية الأصل .

ثالثاً : مقدمات الكتاب :

(ا) مقدمة بهنود بن سحوان ويعرف بعلى بن الشاه الفارسى : يقطع الدكتور عزام بأنها زيدت على بعض النسخ العربية بعد ابن المقفع بقرنين أو أكثر ، وقد خلت منها نسخة عزام المخطوطة فى عام ٦١٨ هـ . / ١٢٢١م . ونسخة شيخو المحررة فى سنة ٧٣٩ هـ . / ١٣٣٨ م .ويرى نلدكه أن كاتب هذه المقدمة هو على بن محمد بن شاه الطاهرى بن نسل شاه بن ميكال المتوفى سنة ٣٠٢ هـ . / ٩١٤ م .

(ب) باب عرض الكتاب : تتفق النسخ العربية على نسبته لابن المقفع وتنسبه النسخة الفارسية لبزرجمهر ، ويستبعد الدكتور عزام نسبته لغير ابن المقفع .

(ج) باب بعثة برزويه : تتفق نسختا عزام وشيخو على نسبته إلى بزرجمهر ، وتنسبه النسخة الفارسية إلى ابن المقفع .

(د) باب برزيه : تتفق النسخ العربية والنسخة الفارسية على نسبته إلى بزرجمهر .

ويستخلص الدكتور عزام أن الفرس زادوا باب برزويه وابن المقفع زاد باب عرض الكتاب ، ويرجح أن باب بعثة برزويه مما زيد فى النسخ العربية ، بأدلة أهمها : خلو النسختين السريانيتين منه ، وأولاهما مترجمة عن الفهلوية (سنة ٥٧٠م.) [1] وثانيتهما مترجمة عن العربية (فى القرن العاشر أو الحادى عشر الميلادى) [2]

وعلى هذا تكون مقدمة الكتاب وباب بعثة برزويه مما زيد على الكتاب بعد ابن المقفع ، وباب عرض الكتاب لابن المقفع ، وباب برزويه لبزرجمهر .

ولا بأس هنا من الإشارة إلى تمهيد الأستاذ محمد حسن نائل المرصفى لكليلة ودمنة ، وقد رجع فيه إلى بحوث المستشرقين : البارون دى ساس الفرنسى وبنفى ونلدكه الألمانيين وكيث فالكونر الإنجليزى .

ذكر فى هذه المقدمة أن الأبواب الهندية إثنا عشر باباً هى :

١ — باب الأسد والثور . ٢ — باب الحمامة المطوقة . ٣ — باب البوم والغربان . ٤ — باب القرد والغيلم . ٥ — باب الناسك وابن عرس . ٦ — باب الجرذ والسنور . ٧ — باب الملك والطائر فنزه . ٨ — باب الأسد وابن آوى الناسك ٩ — باب اللبؤة والأسوار والشغبر . ١٠ — باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت . ١١ — باب السائح والصائغ . ١٢ — باب ابن الملك وأصحابه .

وأن هذه الأبواب مفرقة فى الكتب الهندية على النحو التالى :

أولاً : الأبواب الخمسة الأولى من باب الأسد والثور إلى باب الناسك . وابن عرس فى كتاب « پنج تنترا » .

ثانياً : الأبواب الثلاثة التالية لها فى المهابهارتا .

ثالثاً : يقول : (ووقفوا على فصلين آخرين فى الهيتو باديسا) .

ولكنه لم يحدد هذين الفصلين من بين الأبواب الباقية ولم يتعرض كذلك لأبواب المقدمات واقتصر على ذكر كتابة بزرجمهر لباب برزويه فى حديثه عن ترجمة الكتاب إلى الفهلوية [3] .

(١ ، ٢) برون : تاريخ الأدب الفارسى ج ٢ ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربى ص ٤٤٤ .

(٣) من ص ٢١ إلى ص ٢٣ .

ولم يخض برون فى كتابه (تاريخ الأدب الفارسى) البحث عما هو هندى وغير هندى من أبواب الكتاب واقتصر على قوله : (وأصل هذا الكتاب هندى أحضروه إلى إيران فى القرن السادس الميلادى أثناء حكم كسرى أنوشروان ثم ترجموه إلى البهلوية) [١] .

ونخرج مما تقدم بأن هنالك أبواباً مجمعاً على نسبتها إلى الهند وأبواباً اختلف فى نسبتها إلى الهند والفرس ، وأن من الأبواب المنسوبة للفرس ما وضع فى عصر أنوشروان وما كتبه ابن المقفع ومنها ما ألحق بالكتاب بعد ابن المقفع .

وتختلف النسخ العربية والفارسية التى بين أيدينا أيضاً فى عناوين الأبواب وعددها وترتيبها .

ففى النسخة الفارسية مثلا نجد باباً بعنوان « باب القرد والسلحفاة » وهذا الباب عينه مذكور فى نسخ عزام وبولاق وبيروت والمرصفى تحت عنوان « باب القرد والغيلم » والغيلم هو ذكر السلحفاة .

وبالنسخة الفارسية باب عنوانه « باب ابن الملك والطير » وعين الباب مذكور فى نسخة عزام بعنوان « باب الملك والطير قبره » وفى نسخة المرصفى وطبعتى بولاق وبيروت « باب الملك والطائر فنزة » .

وباب اللبؤة والأشبال فى النسخة الفارسية ، عنوانه بنسخة عزام « باب اللبؤة والشعهر » وفى طبعة بيروت « باب اللبؤة والأسوار والشعهر » وفى طبعة بولاق « باب اللبؤة والأسوار والشغبر » .

وفى طبعة بولاق باب عنوانه « باب الأسد والشغبر الناسك وهو ابن آوى » وهذا الباب مذكور فى النسخة الفارسية ونسخ عزام والمرصفى وبيروت بعنوان « باب الأسد وابن آوى » .

وعدد الأبواب فى النسخة الفارسية سبعة عشر باباً وفى نسخة عزام ثمانية عشر وفى طبعات المرصفى وبولاق وبيروت تسعة عشر .

ومن هذا يتضح أن بعض الأبواب موجود فى بعض النسخ دون الأخرى . وقد

---

(١) جـ ٢ الترجمة العربية للدكتور إبراهيم أمين الشواربى ص ٤٤٤ .

ذكرنا أبواب النسخة الفارسية ونسخة الدكتور عزام ويحسن بنا أن نذكر الأبواب كما وردت بالنسخ الأخرى الثلاث وهى :

١ — باب مقدمة الكتاب . ٢ — باب بعثة برزويه إلى بلاد الهند . ٣ — باب عرض الكتاب ترجمة عبد الله بن المقفع . ٤ — باب برزويه ترجمة بزرجمهر بن البختكان . ٥ — باب الأسد والثور وهو أول الكتاب . ٦ — باب الفحص عن أمر دمنة . ٧ — باب الحمامة المطوقة . ٨ — باب البوم والغربان ٩ . — باب القرد والغيلم . ١٠ — باب الناسك وابن عرس . ١١ — باب الجرذ والسنور . ١٢ باب الملك والطائر فنزه . ١٣ — باب الأسد والشغبر الناسك وهو ابن آوى . ١٤ — باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت . ١٥ — باب اللبؤة والأسوار والشغبر . ١٦ — باب الناسك والضيف . ١٧—باب السائح والصائغ . ١٨ — باب ابن الملك وأصحابه . ١٩ — باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين .

وقد ذكرنا هذه الأبواب حسب ترتبها فى طبعة بولاق ولا تختلف عنها فى هذا الترتيب إلا طبعة بيروت حيث ورد فيها باب إيلاذوبلاذ وإيراخت بعد باب اللبؤة والأسوار والشعهر وهو فى طبعتى بولاق والمرصفى بعد باب الأسد وابن آوى وقبل باب اللبؤة والأسوار .

وقد ذكر الدكتور عزام فى مقدمته للكتاب[1] ثلاثة أبواب توجد فى بعض النسخ دون البعض الآخر وهى : —

١ — باب ملك الجرذان . ٢ — باب مالك الحزين والبطة. ٣ — باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين .

والباب الأول من هذه الأبواب الثلاثة لا يوجد إلا فى نسخة عزام ، والثانى منها عثر عليه دى ساسى فى بعض النسخ وكتب عليه ناسخه أنه زيد على الكتاب ، والأخير منها غير موجود فى النسخة الفارسية ونسخة الأب لويس شيخو ونسخة عزام ويوجد فى بقية النسخ المصرية والشامية[2] .

---

(١) ص ٤٣ .

(٢) ص ٥١ .

وإذا لاحظنا أن النسخ المشتملة على تسعة عشر باباً ليس من بين أبوابها باب ملك الجرذان وباب مالك الحزين والبطة ، تبين لنا أن عدد أبواب كليلة ودمنة المعروفة بالنسخ التى بين أيدينا واحد وعشرون باباً .

وتبدأ أبواب الكتاب فى نسخة عزام بباب عرض الكتاب وهى خلو من باب مقدمة الكتاب وتتفق بعد ذلك من حيث الترتيب مع طبعات بولاق والمرصفى والمطبعة الأهلية ببيروت ، إلى باب الناسك وابن عرس ثم تتوالى بقية أبوابها ابتداء من الباب العاشر على النحو التالى :

١٠ — باب إيلاذ وإيراخت وشادرم ملك الهند .

١١ — باب مهرايز ملك الجرذان « غير موجود بالطبعات المذكورة » .

١٢ — باب السنور والجرذ . ١٣ — باب الملك والطير قبرة . ١٤ — باب الأسد وابن آوى . ١٥ — باب السائح والصواغ .

١٦ باب ابن الملك وأصحابه . ١٧ — باب اللبؤة والشعهر . ١٨— باب الناسك والضيف « وهو آخر أبوابها » .

أهمية ترجمة ابن المقفع

ترجم كتاب كليلة ودمنة من السنسكريتية إلى اللغة التبتية واللغة الفهلوية ، وعن الفهلوية ترجم إلى السريانية سنة ٥٧٠ م . ثم ترجمه ابن المقفع إلى العربية حوالى سنة ١٣٣ هـ . / ٧٥٠ م . وقد أصبحت ترجمة ابن المقفع بعد ضياع الأصل الفهلوى مصدراً لجميع الترجمات المعروفة فى الألسنة المختلفة ، فعن هذه الترجمة نقل الكتاب إلى السريانية فى القرن العاشر أو الحادى عشر الميلادى ، كما نقل إلى العبرية والفارسية وكثير من اللغات الحية[1] ونظم شعراً فى العربية عدة مرات : نظمه أبان بن عبد الحميد اللاحقى ، ثم سهل بن نوبخت[2] وعلى بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر ، وأبو المكارم أسعد بن خطير بن مماتى المصرى ، وجلال

---

(١) برون . تاريخ الأدب الفارسى جـ ٢ ص ٤٤٤ . الترجمة العربية .

(٢) مقدمة عزام ص ٤١ .

الدين حسن بن أحمد النقاش[١] ونظم ابن الهبارية المتوفى سنة ٤٩٠ هـ . (١٠٩٦ م) كتابه الصادح والباغم فى ألف بيت مقلداً كليلة ودمنة ، وترجم عبد الله بن هلال الأهوازى سنة ١٦٥ هـ . / سنة ٧٨١ م . كليلة ودمنة مباراة لترجمة ابن المقفع كما صنف سهل بن هرون للمأمون كتاباً عارض فيه كليلة ودمنة فى أبوابه وأمثاله[٢] ولكن ترجمة ابن المقفع وحدها هى التى قدر لها البقاء ، ويعنينا من كل هذا ترجمتها إلى الفارسية .

كليلة ودمنة فى ثوبه الفارسى

يقال إن اسم الكتاب فى السنسكريتية « كرنكادمنكا » وفى الفهلوية « كليلك* ودمنك* » وأبدلت الكاف الفهلوية هاء صامتة فى الفارسية فعرف باسم « كليله ودمنه »[٣] .

وفى أيام الأمير نصر بن أحمد السامانى ووزيره أبى الفضل البلعمى نقلت ترجمة ابن المقفع إلى الفارسية نثراً ثم نظم أبو جعفر الرودكى هذا النثر شعراً لم يبق لنا منه سوى شواهد متفرقة فى المعاجم وكتب اللغة[٤] .

وأقدم الترجمات الفارسية الباقية لكتاب بن المقفع هى ترجمة نظام الدين أبى المعالى نصر الله بن محمد بن عبد الحميد الكاتب ، وقد قام بها امتثالاً لأمر بهرام شاه الغزنوى سنة ٥٣٩ هـ . / ١١٤٤ م . وجعلها باسمه[٥] فاشتهر الكتاب باسم « كليلة ودمنة بهرامشاهى » .

وعبارة هذه الترجمة مبسطة وخالية من التكلف نسبياً فهى من هذه الناحية أقرب إلى أسلوب ترجمة تاريخ الطبرى وقابوسنامه وتاريخ البيهقى وزين الأخبار وما شابهها من الكتب الخالية بوجه عام من الصناعة اللفظية ، ولكن المترجم وقع

---

(١) مقدمة قريب ص « ز » .

(٢) تمهيد المرصفى لكليلة ودمنة ص ٢٥ .

(٣) بهار . سبك شناسى جـ ٢ ص ٢٥٠ .

(٤) ش . ع . جـ ٢ ص ١٥٦ ، غرر ص ٦٣٣ ، مقدمة قريب ص « ط » .

(٥) برون جـ ٢ ص ٤٤٤ . الترجمة العربية .

تحت تأثير الأسلوب العربى فكانت جمله فى كثير من الأحيان أشبه فى تركيبها بالجملة العربية ، فيقول مثلاً : (اين زن بموجبى ميفروشد كنجد پخته را با كنجد درپوست برابر)[١] والأولى حسب تركيب الجملة الفارسية أن يقال : (اين زن بموجبى كنجد پخته را با كنجد در پوست برابر ميفروشد) وهذه الجملة ترجمة لعبارة ابن المقفع : (لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور)[٢] .

وهى مع ذلك لا تطابق النص العربى تمام المطابقة ، فى هذه الجملة . وضع المترجم كلمة « پخته » ومعناها « ناضج » مقابل كلمة مقشور . وفى مقدمة الحكاية يترجم كلمة « مقشور » بعبارة « سپيدكرده » أى « مُبيض » والترجمة الدقيقة للكلمة « پوست كنده » .

وفيما يلى مثال آخر لعدم مطابقة ترجمة أبى المعالى للنص العربى : (مهمان *كفت : شبا *نكاه بفلان شهر رسيدم ، بخانهٔ آشنا ئى فرو آمدم ، چون از شام فارغ شديم ، ازجهت من جامهٔ خاب باز كردند ، ومرد بنزديك زن رفت ، ومن مفاوضت إيشان ميتوانستم شنيد ، كه ميان من وايشان بوريائى حجاب بود ، ومرد زن را *كفت : ميخو اهم كه طايفه را بخوانم وضيافتى سازم كه عزيزى رسيده است ، زن *كفت : مردم را ميخوانى ودر خانه كفاف عيال نيست ؟ آخر هر *كز فردارا نخواهى ديد وفرزندان وأعقاب را نخو ا هى ذ*كريست ، مرد *كفت :

يا عاذلى إن بعض اللوم معنفة وهل متاع وإن بقيته باق ؟

ا*كر توفيق إحسانى ومجال انفاقى باشد برآن حسرت وندامت شرط نيست كه جمع وادخار نا مبارك است وفرجام آن نا محمود چنانك از آن *كرك* بود ، زن پرسيد : كه چ*كونه است آن ؟)[٣] .

(١) ص ١٤٨ ط ٦ . قريب

(٢) باب الحمامة المطوقة ص ١٨٢ ط . المرصفى .

(٣) ص ١٤٦ ، ١٤٧ . ط ٦ . قريب .

وترجمة هذه العبارة :

(قال الضيف : وصلت ليلا إلى مدينة كذا ، ونزلت بمنزل أحد المعارف ، فلما فرغنا من العشاء ، فرشوا لى فراش النوم ، وذهب الرجل إلى امرأته ، وكنت أستطيع سماع حديثهما ، لأنه كان بينى وبينهما حجاب من الحصير ، وقال الرجل لامرأته : أريد أن أدعو رهطا وأقيم مأدبة ، فقد جاءنا أحد الأعزاء ، فقالت المرأة : تدعو الناس وليس فى البيت ما يكفى العيال ؟ إنك لا تنظر أبداً إلى الغد ولا تراعى أولادك وأعقابك ، قال الرجل :

يا عاذلى إن بعض اللوم معنفة   وهل متاع وإن بقيته باق ؟

فإن يكن ثم توفيق لإحسان ومجال لإنفاق فلا ينبغى الحسرة والندامة على ذلك ، فإن الجمع والادخار غير مبارك ، وعاقبته غير محمودة ، كما كان من ذلك الذئب ، فسألت المرأة : وكيف ذلك ؟)

ونص العبارة فى ترجمة ابن المقفع :

(قال الضيف : نزلت مرة على رجل بمكان كذا فتعشينا ثم فرش لى ، وانقلب الرجل إلى فراشه ، فسمعته يقول فى آخر الليل لامرأته : إنى أريد أن أدعو غدا رهطا ليأكلوا عندنا ، فاصنعى لهم طعاما ، فقالت المرأة : كيف تدعو الناس إلى طعامك وليس فى بيتك فضل عيالك وأنت رجل لا تبقى شيئاً ولا تدخره ، قال الرجل : لا تندمى على شىء أطعمناه وأنفقناه ، فإن الجمع والادخار ربما كانت عاقبته كعاقبة الذئب ، قالت المرأة : وكيف كان ذلك ؟) [١]

والترجمة تسير من أولها إلى آخرها على هذه الوتيرة وتتخللها أبيات فارسية وعربية وجمل وعبارات مأثورة مثل : « الرزق على الله »[٢] « من ذهب ماله هان على أهله »[٣] « عز الرجل استغناؤه عن الناس[٤] » .

وآيات وأحاديث ، كقوله تعالى « فإن الظن لا يغنى من الحق شيئا »[٥] .

---

(١) ط . المرصفى ص ١٨٠ .

(٢) ص ١٤٧ .

(٣) ص ١٤٩ .

(٤) ص ١٥٠ .

(٥) ص ١٣١ .

« يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا »[١] وقوله عليه الصلاة والسلام « خير ما أعطى الإنسان لسان شاكر وبدن صابر وقلب ذاكر »[٢] و « خياركم أحسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون »[٣] .

وكلها فى باب الحمامة المطوقة .

فإذا حملنا اختلاف العبارة على اختلاف بين النص المترجم عنه وبين النصوص التى بأيدينا ، فإننا لم نر فى آثار ابن المقفع الباقية — سواء فى كليلة ودمنة بنسخه المختلفة أو فى الأدب الصغير والأدب الكبير — أثراً للاقتباس والتضمين وتزيين العبارة بأى نوع من الشعر والصناعة ، وهذا يحملنا على القول بأن أبا المعالى أباح لنفسه الخروج عن النص وعدم التقيد به ، وأضاف إليه ما راقه من حكم وأمثال وأشعار وقرآن وحديث ، ولا يمكن والحالة هذه أن نطمئن إلى أن ترجمة أبى المعالى الفارسية صورة صادقة لترجمة ابن المقفع العربية ، غير أننا فى نفس الوقت لانستطيع الوقوف على مدى تصرفه فى متن هذه الترجمة لعدم اطلاعنا على النص الذى ترجم عنه ، وقد كشف لنا أبو المعالى عن نهجه فى ترجمته عند حديثه عن كليلة ودمنة بقوله : (ودر جمله چون رغبت مردمان از مطالعه كتب تازى قاصر *كشته است ، وآن حكم ومواعظ مهجور مانده ومثلا خود تمام مدروس شده ، بر خاطر *كذ شت كه آنرا ترجمه كرده آيد ، ودر بسط سخن وكشف إشارات آن اشباعى رود وآنرا بآيات وأمثال مؤكد *كردانيده شود[٤] .) يقول : (وفى الجملة لما قصرت رغبة الناس عن مطالعة الكتب العربية ، وبقيت تلك الحكم والمواعظ مهجورة وكأنها درست تماماً ، خطر ببالى أن تترجم مع إشباع فى بسط الكلام وكشف إشاراته ، وتؤكد بالآيات والأحاديث والأبيات) .

وبعبارة أخرى أنه فضلاً عما أضاف إلى الكتاب من الآيات والأحاديث والأشعار والأمثال ، لجأ إلى الإطناب والشرح كذلك ، وهذا يقتضيه بطبيعة الحال أن يزيد على الكتاب ما ليس منه .

---

(١) ص ١٣٣ . (٢) ص ١٥٤ .
(٣) ص ١٥٦ . (٤) ص ٢٣ .

وقد سبق الإشارة إلى أن كليلة ودمنة فى أيام نوح بن أحمد السامانى ووزيره أبى الفضل البلعمى ترجم نثراً ثم نظم الرودكى هذا النثر شعراً ، ويضيف أبو المعالى إلى هذا : (پس از ترجمهٔ پسر مقفع ورودكى ، ترجمه هاكرده اند ، وهركس در ميدان بيان بر اندازهٔ مجال خويش قدمى كذارده ، ليكن مينمايدكه مراد ايشان تقرير سمر وتحرير حكايت بوده است ، نه تفهيم حكمت وإيضاح موعظت)[1] أى : (بعد ترجمة ابن المقفع والرودكى ترجمت عدة ترجمات ، وكل خطا فى ميدان البيان خطوة على قدر مجاله ، ولكن يبدو أن مرادهم كان تقرير السمر وتحرير الحكاية ، لا تفهيم الحكمة وإيضاح الموعظة) .

ومفاد هذا أن آخرين سبقوا أبا المعالى إلى ترجمة كليلة ودمنة ، ولكن لم يصلنا شىء من آثارهم .

تهذيب ترجمة أبى المعالى

فى نهاية القرن التاسع الهجرى وفى زمان السلطان حسين ميرزا بايقرا حفيد تيمور ، تناول حسين الواعظ الكاشفى ترجمة أبى المعالى وأخرجها فى ثوب جديد ، فحذف منها بعض الفصول وزاد فيها بعض الحكايات وغير فى عناوين الأبواب ، وأحل الأشعار الفارسية مكان العربية ، وحاول فى إنشائه تنقيح عباراتها وتبسيطها ، وأهداها إلى نظام الدولة الأمير الشيخ أحمد السهيلى ، أحد أمراء السلطان حسين وسماها « أنوار سهيلى » ويرى برون أن « أنوار سهيلى » خير الترجمات لكليلة ودمنة[2] ، ولكن الأستاذ عبد العظيم قريب يراها من حيث الإنشاء دون ترجمة أبى المعالى بكثير ، ويعزو هذا إلى أنها كتبت فى عصر انحطاط الأدب الفارسى ، وقد قلل من شأنها عنده ، الاستعارات والتشبيهات السقيمة وما بها من تكلف[3] . وقد ترجم « أنوار سهيلى » إلى التركية الا « چغتائية » والعثمانية وكذلك إلى الهندية والدكنية[4] .

---

(١) ص ٢٣ .

(٢) ج ٢ الترجمة العربية ص ٤٤٥ . الدكتور إبراهيم أمين الشواربى .

(٣) مقدمة كليلة ودمنة ط ٦ . ص « ى » .

(٤) إته . تاريخ أدبيات فارسى ترجمة شفق ص ٢٢٨ .

وعدد أبواب أنوار السهيلى أربعة عشر باباً مرتبة كما يلى :

باب أول دراجتناب نمودن قول ساعى ونمام .

الباب الأول فى اجتناب قول الساعى والنمام .

باب دوم در سزا يا فتن بدكاران وشامت عاقبت كارايشان .

الباب الثانى فى لقاء الأشرار والشامت جزاء فعلهم .

باب سوم در موافقت دوستان وفوايد معاضدهٔ ايشان .

الباب الثالث فى موافقة الخلان وفوائد معاضدتهم .

باب چهارم در بيان ملاحظه كردن أحوال دشمنان .

الباب الرابع فى ملاحظة أحوال الأعداء .

باب پنجم در مضرت غافل شدن وازدست دادن .

الباب الخامس فى مضرة الغفلة والتفريط .

باب ششم در آفت تعجيل وشتاب زد* كى دركارها .

الباب السادس فى آفة التعجيل والتسرع فى الأمور .

باب هفتم در حزم وتدبير وبحيله خلاص يا فتن .

الباب السابع فى الحزم والتدبير والتخلص بالحيلة .

باب هشتم در احتراز كردن از ارباب حقد وحسد واعتماد ناكردن برتملق ايشان .

الباب الثامن فى الاحتراز من أرباب الحقد والحسد وعدم الاعتماد على تملقهم .

باب نهم در فضيلت عفو كه ملوكرا بهترين صفاتست .

الباب التاسع فى فضيلة العفو التى هى خير صفات الملوك .

باب دهم در بيان جزاء أعمال بر طريق مكافات .

الباب العاشر فى بيان جزاء الأعمال على سبيل المكافأة .

باب يازدهم در مضرت افزودن طلبيدن وازكار خود بازماندن .

الباب الحادى عشر فى مضرة زيادة الطلب والتقاعس عن العمل .

باب دوازدهم در فضيلت علم ووقار .

الباب الثانى عشر فى فضيلة العلم والوقار .

باب سيزدهم دربيان اجتناب نمودن ملوك از أقوال أهل غدر وخيانت .

الباب الثالث عشر فى بيان تجنب الملوك لأقوال أهل الغدر والخيانة .

باب چهاردهم در عدم التفات بانقلاب زمان وبناى كار برقضا وقدر نهادن .

الباب الرابع عشر فى عدم الالتفات إلى تقلبات الزمان وحمل الأمور على القضاء والقدر .

* * *

ولم يمض على ذلك قرن حتى هذبت ترجمة أبى المعالى للمرة الثانية ، فقد أمر أكبر شاه ملك الهند ، المؤرخ المعروف أبا الفضل بن مباركشاه بأن يكتب كليلة ودمنة من جديد بأسلوب أبسط من عبارة «انوار سُهَيلى» ويعيد إليه ما حذف منه ويعتمد فى ذلك على ترجمة أبى المعالى ، وأصبح الكتاب فى صورته الجديدة يعرف باسم « عِيارِ دانش » أى عيار المعرفة ، وترجم إلى الهندية[1] .

ابن المقفع وأبو المعالى

أختم حديثى عن كليلة ودمنة بترجمة موجزة لصاحبى الفضل فى تخليد هذا الكتاب فى لغتى العرب والفرس استكمالاً لهذا البحث .

١ — ابن المقفع

عبد الله بن المقفع كاتب بليغ ومترسل معروف وإليه يعزى ترجمة كثير من الكتب الفهلوية إلى اللغة العربية ، والمتصفح لما بقى مما ينسب إليه من آثار لا يرى فى أسلوبه مع علو العبارة وجزالة اللفظ أثراً للتصنع والتكلف والاقتباس والتضمين ، اسمه « روزبه » واسم أبيه « داذويه » الملقب بالمقفع لتشنج أصاب يديه إثر تعذيبه بالبصرة على يد الحجاج وكان عاملاً للخراج ، وأصل « داذويه » من مدينة جور « فيروزآباد » إحدى مدن فارس . وكان عبد الله قبل إسلامه زردشتيا مجوسيا وذهب البعض إلى أنه كان مانويا ، وقد نشأ وتربى بالبصرة فى النصف الأول من القرن

(١) إته ص ٢٨١ ، مقدمة قريب ص « ى » .

الثانى الهجرى ، وحذق لغة العرب وبرع فى آدابها وصار صاحب طريقة فيها ، وبدأ حياته كاتباً لداود بن عمر بن هبيرة ثم عيسى بن على عم المنصور ، وأسلم على يديه ، وعرف بالكرم والجرأة والوفاء ولكنه بقى برغم إسلامه متهماً فى عقيدته ، وقتل بعد تعذيبه بين سنتى ١٤٢ ، ١٤٥ هـ . « ٧٥٩ ، ٧٦٢ م » . بأمر الخليفة المنصور على يد عدوه سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة عامل البصرة[١] .

٢ ـ أبو المعالى

اسمه ـ كما يقول فى مقدمته لكليلة ودمنة ـ نصر الله بن محمد بن عبد الحميد أبو المعالى ، وأصله ـ بناء على قول أمين أحمد الرازى صاحب « تذكرهٔ هفت اقليم » وآذر مؤلف « تذكرهٔ آتشكده » ـ من شيراز ، ولكن عبد الله الشيرازى صاحب « تاريخ وصاف » يقول إنه من غزنة .

وقد ظهر فى عهد يمين الدولة بهرامشاه الغزنوى وصار من مقربيه ، وخالط فضلاء زمانه ، واشتغل بقراءة الكتب وتحصيل العلم ، فصرفه ذلك عن تولى المناصب ، وقد أعجب بكليلة ودمنة وشرع فى ترجمته وشجعه بهرامشاه على المضى فى ذلك ، فلما فرغ منه حوالى سنة ٥٣٩ هـ . / ١١٤٤ م . جعله باسم بهرامشاه فعرف الكتاب باسم « كليله ودمنهٔ بهرامشاهى » .

ويقول صاحب « هفت اقليم » إن أبا المعالى ولى الوزارة فى أيام خسرو ملك[٢] ابن خسروشاه بن بهرامشاه ، ولكنه قتل بسعاية الواشين .

ويروى لأبى المعالى أشعار فارسية وعربية ، فمن شعره الفارسى :

طبعم كه ز لشكر هنر داردخيــــل ياقوت بمن بخشد وبيجاده بكيـــل
دُر سخنم بجان بلدو دارد ميـــل پروردهٔ درياست نه آوردهٔ سيل

---

(١) مقدمة عبد العظيم قريب نقلا عن : تاريخ الوزراء والكتاب ، والفهرست ، وابن خلكان .

(٢) حكم من سنة ٥٥٥ إلى سنة ٥٨٣ هـ . (من ١١٦٠ إلى ١١٨٧ م .) فيكون مقتل أبى المعالى فى هذه الفترة . .(حاشية مقدمة عبد العظيم قريب ص لج)

والمعنى :

طبعي الذى له رهط من عسكر الفضل ، يهبى الياقوت والعقيق بالكيل .

ودر كلامي الذى تصبو إليه الروح ، ربيب البحر لا جلب السيل .

* * *

ومن شعره العربي :

إنا لنحرز بالأسياف مصلتة ممالك الروم والأتراك والعرب

حتى يكون لنا الدنيا بأجمعها محمية بين موروث ومكتسب[١]

* * *

٢ ـ سندباد نامه

كتاب السندباد مجموعة من الحكايات تنسب إلى الهند والفرس شأنه فى ذلك شأن كليلة ودمنة ، ولكن أقدم المصادر يرجح نسبته إلى الهنود .

وقد ترجم من الهندية إلى الفهلوية منذ عدة قرون قبل الإسلام وبقيت ترجمته الفهلوية حتى القرن الرابع الهجرى ، ومؤلفه فيما يقال : حكيم هندى اسمه (سندباد) كان يعيش فى زمان ملك من ملوك الهند يقال له (كوش) . ويقول المسعودى فى كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر المؤلف سنة ٣٣٢ هـ . / ٩٤٣ م . أثناء حديثه عن هذا الملك (وكان فى مملكته وعصره سندباذ وله كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام وامرأة الملك ، وهذا هو الكتاب المترجم بكتاب السندباذ [٢] .

وجاء فى فهرست ابن النديم المؤلف سنة ٣٧٧ هـ . / ٩٨٧ م . (كتاب سندباذ الحكيم وهو نسختان : كبيرة وصغيرة ، والخلف فيه مثل الخلف فى كليلة ودمنة ، والغالب والأقرب إلى الحق أن يكون الهند صنعته [٣] .

وبأيدينا منه نسختان إحداهما عربية والأخرى فارسية وكلاهما منقول عن الفهلوية ، وذهب محمد بن على الظهيرى السمرقندى إلى أن الأصل الفهلوى لم يكن ترجم حتى عصر الأمير ناصر الدين أبى محمد نوح بن نصر السامانى [٤] ، فأمر

---

(١) مقدمة قريب من ص « ل » إلى ص « لد » .

(٢) مقدمة سندباد نامه ص ٦ .

(٣) المقدمة ص ٧ .

(٤) حكم من سنة ٣٣١ إلى سنة ٣٤٣ هـ / ٩٣٣ — ٩٥٤ م . معجم زامباور .

هذا الأمير «الخواجه» العميد أبا الفوارس القناوزى بأن يترجمه إلى الفارسية ويزيل ما كان قد تطرق إليه من تفاوت واختلال ويصححه ، فنهض بهذه المهمة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة (٩٥٠ م .) . ولكن عبارة هذه الترجمة — على قوله — كانت منحطة للغاية وعارية وعاطلة من كل زينة وحلية[١] ، وفى منتصف القرن السادس الهجرى تناول الأزرقى الهروى الشاعر الخراسانى هذه الترجمة فنظمها كلها أو بعضها شعراً وقدمها إلى والى خراسان شمس الدولة طغانشاه بن آلب أرسلان السلجوقى ، ثم جاء بعد ذلك الخواجه بهاء الدين محمد بن على بن محمد بن الحسن الظهيرى الكاتب السمرقندى صاحب ديوان رسائل السلطان طغماج خاقان ملك ماوراء النهر فى نهاية القرن السادس فأخرج ترجمة القناوزى من بداوتها وكساها ثوباً أدبيًّا جديداً مزيناً بالأمثال والأحاديث والآيات والأشعار الفارسية والعربية وقدمها إلى مولاه .

ويبدو أنه كان هنالك تهذيب آخر فى هذا القرن لترجمة القناوزى ينسبه صاحب لباب الألباب إلى شرف الواعظين شمس الدين محمد الدقائقى المروزى كما ينسب إليه كتاب حكايات آخر يسمى بختيار نامه[٢] . ويحدس إته أنه تقليد لسندباد نامه كتب فى العصر الإسلامى [٣] ، وذلك لأن العوفى فى نفس الكتاب ينسب إلى الظهيرى السمرقندى ثلاثة كتب من بينها تهذيب سندباد نامه فيقول ما ترجمته : (الصدر الأجل بهاء الدين محمد بن على السمرقندى الكاتب فارس مركب البلاغة ورئيس موكب الفصاحة ، كان مدة صاحب ديوان إنشاء قلج طفماج خان ، وكان أكابر ذلك الزمان مغترفين من بحار فضائله ومعترفين بتقدمه وإمامته ، وقد زين سندباد نامه بحلية العبارة ، وجاءت مشاطة قريحته بهذه العروس الحسناء فى أحسن حلة ، ومن منشآته رسالة « أعراض الرياسة فى أغراض السياسة » وهى بحر زاخر موجه جوهر فاخر ، أتى فيه بلطائف كلام الملوك جملة من ابتداء دولة الملك جمشيد إلى عهد السلطان مخدومه ، وحباها شرحاً جميلا فى عبارة جذابة ، وكتاب « سمع الظهير فى جمع الظفير » من تأليفه كذلك ، وهو روضة من رياض الجنان وبستان أنوار وأزهاره راحة النفس [٤] .)

---

(١) مقدمة المؤلف ص ٢١ .
(٢) المقدمة ص ٩ .
(٣) إته : تاريخ أدبيات فارسى ص ٢٢٣ .
(٤) المقدمة ص ١٠ .

ويرى الشيخ محمد عبد الوهاب القزوينى أنه من المستبعد جداً أن يتصدى شخصان فى وقت واحد لتهذيب كتاب وإصلاحه ، ويحمل نسبة هذا التهذيب إلى الدقائقى على السهو (١) .

ولكنى لا أرى فى ذلك شيئاً غريباً أو مستبعداً ، إذ يتفق أحياناً أن يقوم شخصان أو أكثر فى عصر واحد بتأليف كتاب فى موضوع بعينه أو نشر ذلك الكتاب أو ترجمته أو تلخيصه وتبسيطه ، ولكل منهم نهجه ومنحاه ، وأسوق مثالاً لذلك « كتاب مرزبان نامه » . قام بتهذيبه سعد الدين الوراوينى فى أوائل القرن السابع الهجرى ، وقد نشر هذا الكتاب وقدم له القزوينى نفسه ، وأشار فى مقدمته إلى أن محمداً بن غازى الملطى أخرج هذا الكتاب سنة ٥٩٨ هـ . / ١٢٠١ م . فى ثوب آخر وأسماه (روضة العقول) ، وما زالت رباعيات الخيام فى عصرنا الحاضر تطبع وتنشر فى صور مختلفة وتترجم فى اللغة الواحدة عدة ترجمات ويؤلف حولها أكثر من كتاب .

وعلى كل حال لم يصلنا من (سندبادنامه) فى ثوبه الفارسى غير الصورة المهذبة التى قدمها لنا الظهيرى السمرقندى ، ونسختان أخريان يشير إليهما إته فى كتابه (تاريخ الأدب الفارسى) كتب أولاهما نثراً ضياء الدين النخشبى وضمنها كتابه (طوطى نامه) أى كتاب الببغاء ، الذى فرغ منه سنة ٧٣٠ هـ. / ١٣٢٩ م . والأخرى منظومة لشاعر مجهول توجد منها نسخة وحيدة محفوظة فى المكتب الهندى India Office تحت رقم ٣١٢٤(١) .

موضوع سندباد نامه

كتاب الظهيرى السمرقندى هو مرجعى الذى أعتمد عليه فى دراسة موضوع (سندباد نامه). ولدى منه نسختان طبعت إحداهما فى طهران سنة ١٣٣٣ هـ . ش . (١٩٥١ م . — ١٣٧١ هـ .) وطبع الثانية فى إسطنبول وقدم لها أحمد آتش سنة ١٩٤٨ م . / ١٣٦٨ هـ .

---

(١) المقدمة ص ٩ .

(٢) إته . تاريخ أدبيات فارسى فقرة « ٢٤ » ص ١٠٤ .

وتتلخص الحكاية الرئيسية بكتاب السندباد فى أنه كان ببلاد الهند ملك اسمه (كورديس) جمع بين العدل وكريم الخصال ورزقه الله على الكبر غلاماً تنبأ له المنجمون بعلو نجمه وتعرضه فى مرحلة من عمره لخطر على حياته ينجو منه ، فلما شب عهد بتأديبه إلى سبعة من الفلاسفة ، بذلوا الجهد فى تعليمه عشر سنين دون جدوى ، فيئسوا منه ، وكان من بينهم حكيم يدعى السندباد يرجحهم علماً وفضلا ، أخذ على عاتقه وحده المضى فى تأديبه ، ولكنه لم يكن فى تأديب الغلام أكثر توفيقاً من بقية الحكماء ، فلما كلمه الملك فى ذلك ، أجاب بأن الأمور موقتة بأوقاتها وقد أدبرت أيام النحس وأقبلت طلائع السعد ، وبشره بأنه سيعلمه كل أنواع العلوم والمعارف فى ستة أشهر ، وأمر الفيلسوف ببناء بيت مكعب ، رسم على بعض سطوحه الصقيلة صور البروج والكواكب الثوابت والسيارة فى مختلف أحوالها وأوضاعها ، وكتب على بعض آخر أنواع المعاملات والأخلاق والآداب والرياضات والطاعات والعبادات ، وعلى سطح ثالث صور العلل وكتب أسماء الأدوية وخواصها وأنواع الأمراض وصنوف الأمزجة والمركبات ، ثم كتب على بقية السطوح أنواع النغمات وأصناف الأصوات وإيقاع النقرات والأزمنة المتفاوتة والمتناسبة والحركات المتقاربة والمتباعدة ومراتب الأوتار ومدارج وتراكيب الأوزان والألحان ، ثم الأشكال الهندسية بأنواعها وختم ذلك بتدوين ما يتعلق بالحكم والرياسة والسياسة والتقنين .

فلما انقضى الأجل كان الأمير قد ألم بكل ذلك ، وأزمع السندباد المثول بالغلام من غده بين يدى الملك ، ولكنه بعد أن رصد طالعه تبين له أنه سيبقى لسبعة أيام متوالية معرضاً لخطر ، فنصح الصبى بعدم الكلام طيلة هذه الأيام السبعة مع أى مخلوق وإلا كان فى ذلك هلاكه ، ثم اختفى .

ولم يحر الفتى جواباً فى حضرة الملك فحملوا ذلك على خجله وأشاروا بإدخاله إلى الحريم عله يأنس بمن فيه فينطلق لسانه ، وكان فى حريم الملك جارية تعشق الغلام وتكتم حبه فلما ظفرت به صرحت له بهواها واستمالته إليها ووعدته بالعمل على توليه الملك بعد الخلاص من أبيه بالسم فاستنكر ذلك ونهرها ، وخافت افتضاح أمرها ، فشقت فى الحال ثيابها وقطعت شعرها وخمشت وجهها وصاحت مستغيثة

وأسرعت فثلت بين يدى الملك على هذه الصورة وطلبت إليه فى ذلة وضراعة أن ينتصف لها من الأمير الذى أراد بأهله سوءا وتآمر على حياته ، وانخدع الملك بكلام الجارية وأمر بإخراج الأمير وقتله .

وكان للملك سبعة وزراء عرفوا برجاحة العقل وحسن التدبير أجمعوا أمرهم على تخليص الفتى البرىء من هذه المكيدة ، فكان كل منهم يتقدم إلى الملك فى يوم من الأيام يشير عليه بالتريث وعدم العجلة فى إمضاء قتل الأمير خوف الندم ولات ساعة مندم ، ويقص عليه حكايتين عن مكر النساء وسوء عاقبة التسرع فى الأمور ، ثم تأتى الجارية فى اليوم التالى تستنجز الملك وعده وتحكى له حكاية فى مضار النكول عن إمضاء العزم والاستماع إلى وزراء السوء ، وهكذا حتى تنقضى الأيام السبعة وينجو ابن الملك من الخطر الذى تنبأ به المنجمون وينطلق لسانه من عقاله ، ويقف الملك على عقله وكماله ، وينزل بالجارية ما تستحق من العقاب ، وفى أثناء ذلك يقص الأمير مجموعة من الحكايات ، فيشكر الملك السندباد على إفراغ غاية جهده فى حسن تربية ولده ويتنازل للأمير عن الملك ويعتزل الحياة .

وبلغ عدد الحكايات التى تخللت مواقف هذه الحكاية على ألسنة الوزراء والحكماء والجارية والأمير أربعة وأربعين حكاية جاء بعضها على لسان الحيوان وختمت بكلمات كانت مكتوبة على جدران قصر أفريدون ، رواها السندباد الحكيم للملك كورديس ، ومن هنا سمى الكتاب (قصة الأمير والوزراء السبعة) كما يقول إته[1] أو (كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام وامرأة الملك) كما قال المسعودى فى مروج الذهب ، وهذه التسمية الأخيرة تنطبق تمام الانطباق على موضوع الكتاب .

ويذكر « إته » أن سندبادنامه نقل إلى اليونانية ويعرف فيها باسم سنتيپاس « Syntipas »[1]. وهذه الحكاية — كما أوجزناها — لا تعدو أن تكون نظاماً لعقد قصصى نظم حباته وزراء الملك والجارية والأمير والمعلم ويمثل الملك فيه واسطة العقد، وليس كتاب السندباد على هذه الصورة إلا مجموعة من الحكايات المتداخلة رويت

---

(١) إته ص ١٠٣ — نفس الصفحة .

فى مناسبات ، فما أشبهه فى ذلك بكتب المقامات ، ولانغرب إذا أسميناه مقامات السندباد إذ لا فرق بينه وبين ما عرفنا من مقامات البديع والحريرى ، إلا أنه مقامات قصصية يهدف راويها إلى العظة والعبرة ، وهذه مقامات أو مجالس خطابية يرمى منشئها إلى التفنن فى الإفصاح عن قدرة لغوية وملكة بلاغية .

السندباد أو مؤلف كتاب السندباد يدخل الوزراء السبعة تباعاً على الملك فى أيام الخطر السبعة فيقص الوزير الأول فى اليوم الأول على مسامعه حكايتين بعد التمهيد لهما بالحكم والأمثال ليثنيه عن قتل الأمير ، فإذا ما سمعت الجارية بذلك تدخل على الملك تقص عليه حكاية تنقض بها ما أبرم وتقدم لها كما قدم ، وفى اليوم التالى يدخل الوزير الثانى ليبرم من جديد ما نقضت الجارية بمثل صنيع زميله ، وتعود هى كذلك لتنقض ما أبرمه وهكذا إلى أن ينقضى الأسبوع ويزول الخطر فتأتى نوبة الأمير والمعلم فيرويان من الحكايات ما يقتضى المقام ، ويتقدم هذه الأيام السبعة مناسبات أخرى ، يورد فيها السندباد ثلاث حكايات تدور حول تعليم الأمير ويحكى كبير الوزراء لرجال وزارته حكاية يمثل بها لعاقبة قعودهم عن العمل لخلاص الأمير المفترى عليه .

وفى مقامات بديع الزمان يحدثنا عيسى بن هشام عن مجالس مختلفة يقوم فى كل منها أبو الفتح السكندرى بطل هذه المقامات خطيباً أو مناظراً أو محاوراً فى موضوع ما وقد يرتجل شعراً أو يروى لشعراء آخرين ، ولكل مقامة عنوان يشير إلى موضوعها أو مكانها ، مثل المقامة القريضية التى موضوعها القريض والمقامة الأزاذية التى موضوعها الأزاذ أى التمر والمقامات البلخية والسجستانية والكوفية ، وتدور وقائعها ببلخ وسجستان والكوفة [١] .

وكذلك الحال فى مقامات الحريرى ، نستمع إلى حديث الحرث بن همام عن نوادر بطلها أبى زيد السروجى وما يأتى به من ضروب البلاغة فى خطاباته ومحاوراته وعظاته فى شتى المناسبات ، وقد سمى الحريرى أيضاً مقاماته بأسماء الأماكن والمواضيع وكلا البطلين أبى الفتح السكندرى وأبى زيد السروجى باقعة داهية محتال يظهر فى جميع المقامات أو المجالس متكديا متنكراً وتكشف عنه عبقريته الأدبية آخر الأمر .

---

(١) مقامات بديع الزمان .

ترى هل تدل هذه المشابهة على علاقة فنية بين المقامات وكتاب السندباد ؟ وهل ألف البديع والحريرى مقاماتهما متطلعين إلى هذا الكتاب ؟

ترجم كتاب السندباد عن الفهلوية إلى الفارسية الدرية لأول مرة سنة ٣٣٩ هـ . (٩٥٠ م .) وكانت وفاة البديع رائد فن المقامة وقدوة الحريرى سنة ٣٩٨ هـ . = ١٠٠٧ م . وهو فارسى من ذوى اللسانين نشأ بهمدان وطوف بجميع بلاد خراسان وسجستان وألقى عصا الترحال بهراة [١] . وليس بمستبعد أن يكون قد كتب مقاماته العربية تحت تأثير هذا اللون من التأليف الفارسى غير أنه استبدل الخطبة والمناظرة والألغاز والمحاورة بالأسطورة والخرافة * لأنهما لا يرقيان فى أدبنا العربى إلى مقام القصيد والترسل والخطابة ، ثم جاء الحريرى المتوفى بين سنتى ٥١٠ ، ٥١٦ هـ . (١١١٦، ١١٢٢ م) . فحذا حذوه ، وعلى هذا ، لقائل أن يقول — دون شطط — إن فن المقامة العربية يرجع فى تأليفه إلى أصول هندية فارسية ، مستنداً فى قوله إلى نظر ممحص سليم واستدلال منطقى قويم .

وهناك ملاحظة أخرى جديرة بالتسجيل وهى وجود شبه بين بعض حكايات السندباد وبعض حكايات كليلة ودمنة مع اختلاف جزئى فى التفاصيل ، مثل حكاية الحمامتين الذكر والأنثى [٢] ، فى سندباد نامه يتسرع الذكر فى قتل أنثاه البريئة لظنه بها السوء ، وفى كليلة ودمنة [٣] ، يقدم الذكر كذلك على قتل أنثاه دون روية لتوهمه أن نقص الحب فى عشه بعد جفافه نجم عن أكل أنثاه منه ، وكلاهما يقف على الحقيقة بعد ذلك فيندم ، ومثل حكاية الجندى والصبى والهر والأفعى فى سندباد نامه [٤] ، وحكاية الناسك وابن عرس فى كليلة ودمنة [٥] .

---

(١) محمد محيى الدين عبد الحميد : مقدمة المقامات .

* الأسطورة حكاية تفسيرية تحاول أن تشرح ظواهر الكون ، أما الخرافة فقصة تروى أشياء يعتقد القاص أنها حدثت بالفعل ولا يقصد بها تعليل أمر من الأمور . (رشدى صالح : دراسة فى علم الفولكلور). المجلة العدد ٢٧ مارس سنة ١٩٥٩ ص ٢٠٨٢ .

(٢) سندباد نامه ط . ابن سينا وخاور ص ٦٦ .

(٣) طبعة بولاق . باب إيلاذو بلاذ و إيراخت ص ٢٨٨ .

(٤) سندباد نامه ص ٧٨ .

(٥) ص ٢٤٠ باب الناسك وابن عرس .

فى الحكاية الأولى يعود الجندى إلى البيت فيرى فم القط ملوثاً بالدماء فيظنه قتل طفله فيعاجله بضربة قاضية ، فإذا ما دخل الحجرة وجد ثعباناً مقطعاً بجوار فراش ابنه فيندم على سرعه بعد أن يتبين خطأه ، وفى حكاية كليلة ودمنة يفعل الناسك بابن عرس ما فعله الجندى مع القط وكلا الحيوانين يقتل ثعباناً لإنقاذ طفل تركه أبوه فى حراسته ، وتشابه هاتين الحكايتين فى جوهرهما يدل على استقائهما من معين واحد .

وتشير عبارة ابن النديم (وهو نسختان كبيرة وصغيرة) إشارة مبهمة إلى وجود ترجمتين لهذا الكتاب فى القرن الرابع إحداهما مفصلة والأخرى مجملة ، ولا أدرى ، أيقصد بهذا ترجمتين فارسيتين أم ترجمتين عربيتين ، أو أن المراد بهذه العبارة ترجمتان فارسية وعربية ؟

المعروف — كما تقدم — أن الكتاب الفارسى ترجم لأول مرة عن الفهلوية بعبارة بسيطة خالية من الصناعة سنة ٣٣٩ هـ . / ٩٥٠ م . ولم تعمل فيه يد التهذيب قبل القرن السادس ، ولا يمكن والحالة هذه حمل عبارة صاحب الفهرست على المقايسة بين ترجمة القناوزى وإنشاء السمرقندى لهذه الترجمة من جديد ، ولم يصلنا كذلك ما ينبئ بوجود ترجمة فارسية غير ترجمة القناوزى حتى عصر ابن النديم ، فتحمل العبارة معنى المقايسة بينهما .

بقى لنا أن نفترض إحدى اثنتين :

الأولى أن : المقايسة بين ترجمة القناوزى الفارسية وترجمة عربية معاصرة ، ولا يمكن القطع بصحة هذه الفرضية لأن ترجمة القناوزى التى تشير إليها كتب الأدب مفقودة حتى الآن ، وبين أيدينا ترجمة عربية موجزة نشرها الأستاذ أحمد آتش عن نسخة خطية مقيدة بمكتبة شهيد على باشا تحت رقم ٢٧١٣ وقد طبعها بإسطنبول مع نسخة السمرقندى الفارسية فى مجلد واحد وقدم لهما بالتركية عام ١٩٤٨م. / ١٣٦٨ هـ . والمتواتر أن نسخة السمرقندى مزيدة ومضخمة ، لا يمكن أن نميز فيها مستيقنين الأصل من المزيد ، ولا نطمئن إلى اتخاذها مقياساً تقريبياً للموازنة بين ترجمة القناوزى وهذه الترجمة العربية .

الثانية: أنه كان فى عصر ابن النديم ترجمة عربية مفصلة وأخرى عربية موجزة علها هذه التى بين أيدينا ، وهذا أقرب إلى الاحتمال .

والترجمة العربية المشار إليها لا تبدأ بمقدمة نعرف منها هوية المترجم ولا الأصل الذى ترجم عنه ، فهى كسائر القصص الشعبية التى لا يعرف كاتبها ، وعبارتها مسجعة أقرب فى جملتها إلى العامية التى لا تتقيد بالإعراب ، فمنها على سبيل المثال : (وقالوا أيها الملك « نرا » طالعه « سعيد » وأمره « حميد » وفعله « رشيد » لكن عليه قطع وعاقبته إلى خير ويزول عنه الضير) [1] .

وعنوان الباب الأول فيها (حكاية الملك المتوج مع امرأة الملك والحكيم السندباد وسبع الوزراء وحكاية كل واحد منهم) وبدايته : (ذكروا والله أعلم بغيبه وأحكم ، وأعز وأكرم ، وألطف بعباده وأرحم ، فيما مضى وتقدم ، وسلف من أحاديث الأمم ، أنه كان فى قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، ملك من ملوك العجم يقال له الملك المتوج) .

ويبدأ هذا الباب فى النسخة الفارسية بهذه العبارة : (چنين *كويند راويان حديث ، وخداوندان تاريخ كى در مواضى أيام ، وسوالف أعوام ، در إقليم هندوستان پا دشا هى بوذه است كورديس نام) أى : (هكذا يقول رواة الحديث وأرباب التاريخ ، أنه كان فى مواضى الأيام ، وسوالف الأعوام ، فى إقليم هندوستان ، ملك اسمه كورديس) .

والخلاف بين هاتين العبارتين يدل فى وضوح تام على ما بين الكتابين من تفاوت ، وتنتهى قصة الجارية فى النسخة العربية بالعفو عنها ، ولكن هذه الجارية فى النسخة الفارسية تجازى بحلق شعرها وصبغ وجهها بالسواد والطواف بها — فى هذه الحالة — على ظهر حمار بالمدينة .

وجاء فى ختام النسخة العربية : (وهذا ما انتهى إلينا من حكاية الملك والسندباد الحكيم وجارية والده والوزراء السبعة وحكايات كل منهم على التمام « وكمال ») كما توجد عبارة تدل على تاريخ الفراغ من كتابة النسخة الخطية التى طبع عنها

---

(١) حكاية الملك المتوج ص ٣٤٩ .

الكتاب واسم كاتبها هذا نصها : (وكان الفراغ من نسخته فى مستهل صفر الخير من شهور سنة أربعين وتسعماية على يد العبد الفقير إلى الله تعالى ، الراجى عفو ربه القدير للقبول ، قائم ابن عبد الله السيفى آرغون شاه الجلبابى ، تغمدهم بالرحمة والرضوان ، وأسكنهم فسيح جنته آمين يا رب العالمين) .

سندباد نامه وبختيار نامه

هنالك كتاب آخر من كتب الحكايات كبير الشبه بكتاب السندباد يسمى « بختيار نامه » أو الوزراء العشرة ، ويرى « إته » أنه كتب فى العصر الإسلامى تقليداً له[1] . ولدى نسخة منه طبعتها مجلة أرمغان الإيرانية جاء فى عنوانها ومقدمتها ما يفيد أن الكتاب من آثار العصر الساسانى وقد ترجمه من الفهلوية إلى الفارسية شمس الدين محمد الدقائقى المروزى فى حدود القرن السادس الهجرى ، وقد ذكر صاحب اللباب كذلك ما يفيد ترجمة الدقائقى لهذا الكتاب[2] ، ومن المحتمل أن تكون النسخة الحاضرة تلخيصاً واختصاراً للترجمة المذكورة .

ويتلخص الكتاب فى أن ملكاً من ملوك العجم كان يدعى « آزاد بخت » خرج يوماً للصيد فلمح ابنة قائده فى هودج فهام بها وتزوجها على كره من أبيها ؛

وقد أثار أبوها الجند على الملك فهرب بها قاصداً ملك كرمان ، وقد وضعت امرأته فى الطريق طفلاً جميلاً اضطرا لتركه عند حافة بئر ومعه بعض اللآلئ ، وقد استطاع آزاد بخت استرداد ملكه بمعونة ملك كرمان ؛

أما الطفل فقد وقع فى يد رئيس عصبة من قطاع الطريق اسمه فرخوار فرباه وعلمه آداب الفروسية والقتال وأسماه « خدا داد » ؛

وفى إحدى الغارات على بعض القوافل استطاع رجال القافلة أسرهما وحملهما ومن بقى من رجالهما إلى قصر الملك آزاد بخت ليقضى فيهم أمره ، ولكن الملك رق

---

(١) تاريخ أدبيات فارسى ص ٢٢٣ فقرة « ٤٩ » .

(٢) ص ١٧٩ طبعة الأستاذ سعيد نفيس ١٣٣٣ هـ . ش . سنة ١٩٥٤ م .

للفتى فعفى عنه واستتاب أصحابه وأطلقهم ، وجعله أمير اصطبله وأسماه « بختيار » وبعد مدة قربه إليه وجعله خازنه ومشيره ، فحقد عليه وزراء الملك العشرة ، وحملوا الملكة على إلصاق تهمة العدوان عليها بالفتى ، فأمر الملك بقتله ، ولكن الفتى تضرع إليه ورجاه أن يكتفى بسجنه حتى تظهر براءته فيعفو عنه ، وأقنعه بذلاقته وقوة منطقه بأنه إذا تعجل فى قتله ثم ظهرت براءته أعقبه ذلك ندماً طويلا ، وقص عليه حكاية فى سوء عاقبة التسرع فاكتفى الملك بحبسه ، ولكن الوزراء ساءهم ذلك ، فكان كل منهم يدخل على الملك فى يوم من الأيام يطلب إليه التعجيل بقتل الفتى ويحذره عاقبة التسويف ، فيؤتى به من محبسه لإعدامه ، فيعيد على الملك مقالته ويقص عليه حكاية جديدة يصور بها سوء مغبة العجلة والاستماع إلى أهل السعاية ، وهكذا حتى تنقضى الأيام العشرة وتكشف المصادفة عن براءته وشخصيته و يعرف الملك والملكة أنه ابنهما الذى ظناه فى الهالكين ، فيضمانه إليهما ، وتنتهى القصة بإعدام الوزراء وتنازل آزاد بخت عن الملك لابنه بختيار .

وقد التبس الأمر على هرمان إته فقال إن الفتى تربى عند ملك كرمان[١] ويلاحظ فى سندباد نامه أن وزراء الملك كانوا هم المدافعين عن الأمير المتهم والعاملين على خلاصه ، أما فى بختيار نامه فالوزراء هم المتآمرون والفتى هو المدافع عن نفسه .

٣ — مرزبان نامه

أقدم المصادر التى ورد فيها ذكر مرزبان نامه ، قابوسنامه المؤلف بين سنتى ٤٥٧ ، ٤٦٢ هـ . (١٠٦٤ — ١٠٦٩ م) . فقد جاء فى مقدمته على لسان مؤلفه الأمير عنصر المعالى وهو يعرف ولده *كيلا نشاه بنسبه : (وجدتك — أمى — كانت بنت الأمير مرزبان بن رستم بن شروين مصنف مرزبان نامه)[٢] ثم تاريخ طبرستان لا بن اسفنديار المؤلف سنة ٦١٣ هـ . / ١٣١٦م . ، يقول ابن اسفنديار فى حديثه عن حكماء طبرستان : (واصفهبد مرزبان بن رستم بن شروين پريم كه

(١) تاريخ أدبيات فارسى الفقرة « ٤٩ » ص ٢٢٣ .

(٢) الترجمة العربية ص ٤٧ .

كتاب مرزبان نامه از زبان وحوش وطيور وأنس وجن وشياطين فراهم آورده اوست ، ا*كر دانا دلى عاقلى ، إز روى انصاف نه تقليد ، معانى وغوامض وحكم ومواعظ آن كتاب بخواند وفهم كند ، خاك برسر بيدبا فيلسوف هندپاشد ، كه كليله ودمنه جمع كرد ، وبدا ندكه بدين مجموع أعاجم را بر أهل هند وديكر اقاليم چند درجه فخر ومرتبتست) [1] أى : (والإصفهبد مرزبان بن رستم بن شروين پريم مؤلف مرزبان نامه على ألسنة الوحوش والطيور والإنس والجن والشياطين ، إذا قرأ متبصر عاقل معانى ذلك الكتاب وغوامضه وحكمه ومواعظه وفهمها منصفا لا مقلدا ، يحثو التراب على رأس بيدبا فيلسوف الهند الذى ألف كليلة ودمنة ، ويعرف أن للأعاجم بهذا المؤلف على أهل الهند والأقاليم الأخرى عدة درجات من الفخر والمرتبة) .

وإذا أغضينا عما فى كلام ابن اسفنديار من الغلو والعصبية ، فإنه على أى حال يدل على ما بين الكتابين من وجه الشبه وتأثر المرزبان بن رستم بكليلة ودمنة فى تأليفه لكتابه ، وقد كتب أصل الكتاب باللهجة الطبرية القديمة وبقى كذلك حتى أواخر القرن السادس الهجرى .

ومؤلف هذا الكتاب فى رأى القزوينى هو المرزبان بن رستم بن شهريار بن شروين ، أحد ملوك طبرستان من آل با وند ، ويرى أن إسقاط اسم شهريار من سلسلة نسبه فى عبارتى قابوسنامه وتاريخ طبرستان من باب النسبة إلى الجد بدل الأب كما نقول : ابن سيناء وابن هشام وابن مالك ، وبنى على ذلك أن تاريخ تأليف مرزبان نامه باللهجة الطبرية يقع خلال القرن الرابع الهجرى ، وسنناقش هذا الرأى عند الحديث عن تاريخ تأليف الكتاب .

روضة العقول

فى سنة ٥٩٨ هـ . /١٢٠١ م . نقل مرزبان نامه إلى الفارسية ، محمد بن غازى الملطى من أهل ملطية وهى إحدى بلاد آسيا الصغرى وتقع شمالى حلب وجنوب سيواس [2] ، وكان أول أمره كاتباً ثم وزيراً لسليمان شاه بن قلج أرسلان بن مسعود

---

(١) جـ ١ ص ١٣٧ .

(٢) صفا : تاريخ أدبيات إيران جـ ٢ ص ١٠٠٤ .

ابن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق من ملوك سلاجقة الروم (٥٨٨ــ ٦٠٠ هـ . / ١١٩٢ – ١٢٠٣ م) .

وقد بدأ الملطى ترجمة الكتاب قبل اتصاله بسليمان شاه فلما التحق بخدمته شجعه على المضى فيها فأتمها سنة ٥٩٨ هـ . / ١٢٠١ م . وأسماه « روضة العقول » .

ويوجد من روضة العقول نسخة خطية بمكتبة ليدن فى هولاندا وأخرى بالمكتبة الأهلية فى باريس ، وقد سلك فى ترجمته مسلك السمرقندى فى إخراجه لكتاب السندباد فقال : (بتاريخ غرهٔ محرم سنهٔ ثمان وتسعين اين كتاب راكه عارى بود از حليت عبارت ، ومعانى بديع آن صدا *كر فته از الفاظ ركيك ، بتوفيق خداى وموافقت راى ومساعدت ورعايت درايت ومظافرت فضايل ومظاهرت فواضل وأعانت حدس ومرا فدت ذكا ، بجواهر زواهر ألفاظ حجازى ودرر غرر أمثال واشعار تازى ، محمد غازى الملطيوى ملكه الله نواصى مراده وبلغه أقصى مرتاده ، متحلى *كردانيد ، وبجلابيب مواهب خاطر ، مناكب مثالب عبارت آنرا بپوشانيد ، ومواعظ بسيار لايق هر حكايت ، درو زيادت *كردانيد ، تامستفيدان أدب ومقتبسان ألفاظ عرب را بمطالعهٔ آن رغبت زيادت *كردد ، واز شعف چنين عبارت عذب ، معانى آن را در ضبط آرند) . والمعنى :

(بتاريخ غرة المحرم سنة ثمان وتسعين وخمسمائة — بتوفيق الله وموافقة الرأى ، ومساعدة ورعاية الدراية ، ومظافرة الفضائل ومظاهرة الفواضل ، وإعانة الحدس ومرافدة الذكاء — قد حلى محمد بن غازى الملطى — ملكه الله نواصى مراده ، وبلغه أقصى مرتاده — هذا الكتاب الذى كان عارياً من حلية العبارة وقد صدئت معانيه البديعة بالألفاظ الركيكة ، بجواهر الألفاظ الحجازية الزواهر ودرر غرر الأمثال والأشعار العربية ، وكسا مناكب مثالب عبارته بجلا بيب مواهب الخاطر ، وزاد فيه المواعظ الكثيرة اللائقة بكل حكاية ، لتزداد فى مطالعته رغبة مستفيدى الأدب ومقتبسى ألفاظ العرب ، ويضبطوا معانيه شغفاً بمثل هذه العبارة العذبة) .

ويبدو أن رواج الصناعة اللفظية فى هذا العصر كان يحفز بعض الكتاب والمنشئين على البحث عن آثار المتقدمين ليروضوا أقلامهم وفنهم على إخراجها فى

ثوب بلاغى جديد ويوفروا بذلك على أنفسهم جهد الغوص على المعانى ويوجهوا كل همهم إلى اختيار الألفاظ وتنميق العبارات ، ويؤيد هذا قول الملطى فى أول ديباجة الكتاب (ص.ز) : (وكتابى طلب كرده شد كه از تصانيف أرباب دها وأصحاب بها باشد، ومطلوب را شامل ومرغوب را كامل، مرزبان نامه را يافته شد كه از تصانيف اعقاب قابوس وشمگير است، بغرايب كياست مشحون ، وبعجايب سياست معجون ، مشتمل دقايق جهاندارى ، ومحضون حقايق كامگارى ، لكن از حليت عبارت عارى بود ، واز زيور جهارت عاطل، معانى لطيف آن درى بود در صدا نشانده ، وسبحهٔ بود در مستراح فكنده ، گفتم اين جمال را تجميلى بايد داد، واين كمال را تكميلى ارزانى داشت ، از آنك ملاحت چنين عروسى را وشاحى بايدلايق ، وحسن اين شاهد جان را شنفى بايد موافق . . . بابى از آن ترتيب رفت ، وبر عقل عرض افتاد ، چون عقل تمهيد سخن وترتيب لفظ بديد ، تبختر زيادت گردانيد ، وترفل بغايت رسانيد، وگفت عبارت دمنه باستعارت مرزبان نامه نسبتى ندارد ، لايقاس الخنافس بالحور ، والحنادس بالنور) .

وترجمة العبارة :

(وقد طُلب كتاب من تصانيف أرباب الدهاء وأصحاب البهاء ، شامل للمطلوب مكمل للمرغوب ، فعثر على مرزبان نامه ، وهو من تصانيف أعقاب قابوس بن وشمگير ، مشحون بغرائب الكياسة ومعجون بعجائب السياسة ، مشتمل على دقائق الملك ، ومحضون بحقائق الرياسة ، لكنه كان عارياً من حلية العبارة وعاطلا من زينة الجهارة ، معانيه درر لطيفة مرصعة فى الصدأ ، وسبحة ملقاة فى المستراح ، فقلت : يجب أن يعطى هذا الجمال تجميلا وأن يمنح هذا الكمال تكميلا ، إذ ينبغى لملاحة مثل هذه العروس وشاح لائق ، وحسن هذا الحبيب للروح شنف موافق . . . فرُتّب منه باب وعُرض على العقل ، فلما رأى العقل تمهيد الكلام وترتيب اللفظ ، زاد التبختر وبلغ الغاية بالترفل وقال : لانسبة بين عبارة دمنة واستعارة مرزبان نامه ، لا يقاس الخنافس بالحور ولا الحنادس بالنور) .

والعبارة الأخيرة تنم على أنه كان يهدف من وراء إخراجه الكتاب على هذه الصورة إلى مباراة ابن المقفع فى بلاغته كما جاراه المرزبان فى تأليفه ، وفى ذلك ما يدل على مدى تأثير كليلة ودمنة فى الأدب الفارسى من ناحيتى الشكل والموضوع ،

أما تغيير اسم الكتاب فله أيضاً عند الملطى ما يبرره ، ويقول فى تبريره : (وعادتى قديم وقاعدهٔ معهود است ، كه چون فرزند بوجود آيد ، پدر اورانام نهد ، وچون مدت او امتداد يابد، جهت تهذيب شمايل وتحصيل فضايل ، اورا بمعلم سپارد ، ومعلم چون كمال فطانت وشمول فراهت او بيند ، بنامى كه اورا پدر نهاده باشد ، راضى نشود ، اورا لقبى ارزانى دارد ، تابدان لقب مشهور اقطار ومذكور اخبار *كردد ، من نيز ، چون مرزبان نامه را بدان معانى لطيف ومبانى شريف يا فتم عارى از حليت عبارات وعاطل از زيور جهارت ، اورا زيورى بستم كه چندانك عمر عالم است ، از بذاذت ايمن باشد ، واز رثاثت مسلم ، بدين سبب ، اورا روضة العقول لقب دادم) .

يعنى :

(وهنالك عادة قديمة وعادة معهودة ، هى أنه عندما يأتى الولد إلى الوجود ، يضع له الأب اسما ، فإذا امتدت مدته ، يعهد به إلى المعلم لتهذيب الشمائل وتحصيل الفضائل ، وحين يرى المعلم كمال فطانته وشمول فراهته ، لا يرضى بالاسم الذى وضعه أبوه ، ويمنحه لقبا ، ليشتهر فى الأقطار ويذكر فى الأخبار بذلك اللقب ، وأنا أيضاً ، لما وجدت مرزبان نامه — مع هذه المعانى اللطيفة والمبانى الشريفة — عارياً من حلية العبارة وعاطلا من زينة الجهارة ، عقدت له حلية ، ليأمن — ما بقى العالم — من البذاذة ، ويسلم من الرثاثة ، ولهذا السبب لقبته بروضة العقول) .

فهو يرى مرزبان نامه وليدا أسماه أبوه بهذا الاسم ، وجعل من نفسه المعلم الذى هذب هذا الوليد وكمله ، فأصبح من حقه أن يخلع عليه اللقب اللائق بتهذيبه وكماله .

ويقول القزوينى إن (روضة العقول) يختلف عن (مرزبان نامه) اختلافاً كبيراً فى عدد أبوابه وترتيب حكاياته ومن حيث الزيادة والنقصان ، وهنالك حكايات كثيرة فى روضة العقول لا وجود لها فى مرزبان نامه ، ويبلغ روضة العقول ضعف مرزبان نامه فى حجمه ، ويشمل الأبواب الأحد عشر التالية :

١ — باب الملك وأولاده .

٢ — باب مناظرهٔ ملك زاده باوزير برادرش .

باب مناظرة ابن الملك مع وزير أخيه .

٣ ــ باب مناظرهٔ اردشير بابكان با مهرانبه دانا .

باب مناظرة أردشير بن بابك مع مهران به العالم .

٤ ــ باب مناظرهٔ ديو *كاوپاى بادينى .

باب مناظرة العفريت *كاوپاى [١] مع رجل الدين .

٥ ــ باب تمامت مناظرهٔ دينى باديو *كاوپاى .

باب تتمة مناظرة رجل الدين مع العفريت *كاوپاى .

٦ ــ باب داذ مه وداستان .

٧ ــ باب زيرك [٢] وزَرُوى .

٨ ــ باب شاه شيران باشاه پيلان .

باب ملك الأسود مع ملك الأفيال .

٩ ــ باب شير پرهيز*كار وخرس جاهل .

باب الأسد الورع والدب الجاهل .

١٠ ــ باب عقاب شكار*كر وآزاد چهر. « تَشْهِرْ » .

باب العقاب الصياد وآزاد چهر .

١١ ــ باب ملك نيكبخت [٣] بازنش يونا .

باب الملك نيكبخت مع امرأته يونا .

* * *

والباب الأخير غير موجود كلية فى مرزبان نامه ، وقد نشر هنرى ماسيه قسما من هذا الكتاب اطلعت عليه بمكتبة (انجمن إيران فرانسة) أى(الجمعية الإيرانية الفرنسية) بطهران ، وقدم له بمقدمة مختصرة لا تضيف جديداً إلى ما ذكر.

---

(١) الذى رجله كرجل البقرة .

(٢) الشاطر ، الذكى .

(٣) السعيد ، الحسن الحظ .

مرزبان نامه فى صورته الحاضرة

جاء سعد الدين الوراوينى بعد ذلك بحوالى عشر أو عشرين سنة أى بين سنتى ٦٠٧ ، ٦٢٢ هـ . / ١٢١٠ ، ١٢٢٥ م . ونقل الكتاب من الطبرية إلى الفارسية دون تغيير اسمه وإن تصرف فى عبارته وزينها بالأشعار والأمثال الفارسية والعربية على طريقة السمرقندى فى سندباد نامه والملطى فى روضة العقول ، ويعتبر مرزبان نامه فى صورته الحاضرة من حيث سلامة العبارة وسهولة اللفظ وما حفل به من تشبيهات واستعارات نموذجاً عالياً للإنشاء الفارسى فى عصره قل أن يدانيه فى ذلك كتاب .

وسعد الدين الوراوينى من فضلاء العراق العجمى [1] ، وينسب إلى قرية وراوى ، وهى كما يقول ياقوت : بلد صغير فى جبال آذربايجان بين أردبيل وتبريز ، ويستنبط من مقدمته وخاتمته للكتاب أنه كان من أخصاء وملازمى الخواجه أبى القاسم ربيب الدين هارون بن على بن ظفر دندان وزير الأتابك أزبك بن محمد بن إيلد كز أحد أتابكة آذربايجان ، ولما كانت ولاية أزبك من سنة ٦٠٧ إلى سنة ٦٢٢ هـ . / ١٢١٠ ، ١٢٢٥ م . وكان تهذيب الوراوينى لمرزبان نامه وإخراجه على الصورة التى عليها الآن فى زمن هذا الأتابك . فإن تاريخ إنشائه لهذا الكتاب — كما تقدم — يقع بين هذين العامين .

ويشتمل مرزبان نامه — بعد مقدمة وخاتمة الوراوينى — على الأبواب التسعة الآتية :

باب أول در تعريف كتاب وذكر واضع وبيان أسباب وضع آن .

الباب الأول فى تعريف الكتاب وذكر واضعه وبيان أسباب وضعه .

باب دوم در ملك نيكبخت ووصايا كه فرزندان را بوقت موت فرموده .

الباب الثانى فى الملك نيكبخت والوصايا التى أوصاها لأولاده وقت موته .

باب سوم در ملك اردشير وداناى مهران به .

الباب الثالث فى الملك أرد شير والحكيم مهران به .

---

(١) العراق العجمى هو ما عدا خراسان من أرض إيران .

باب چهارم در ديو *كاوپاى وداناى دينى .
الباب الرابع فى العفريت *كاوپاى ورجل الدين .

بابپنجم در دادمه وداستان«الباب الخامس فى دادمه وداستان » .
باب ششم در زيرك و زروى « الباب السادس فى زيرك و زروى » .
باب هفتم در شير وشاه پيلان « الباب السابع فى الأسد وملك الأفيال » .
باب هشتم درشتر وشير پرهيز *كار .
الباب الثامن فى الجمل والأسد الورع .
باب نهم درعقاب وآزاد چهر وإيرا .
الباب التاسع فى العقاب وآزاء چهر وإيرا .

* * *

سبب وضع الكتاب

جاء فى الباب الأول أن واضع هذا الكتاب هو المرزبان بن شروين وكان أبوه شروين ملك طبرستان من أحفاد كيوس أخى كسرى أنوشروان فلما طوى الأجل بساط أيامه خلف وراءه خمسة أبناء أكفاء بويع أكبرهم بالملك وانقاد له بقية إخوته ، وبعد مدة دبت عقارب الحسد بين الإخوة وتنازعوا أمرهم بينهم ، وكان المرزبان قد أعرض عن الدنيا وآثر اعتزال إخوته تجنباً للتورط فيما شجر بينهم من خلاف ، وعزم على ترك الديار حتى يكون بمنجاة من كل ريبة ، فلما وقف جماعة من أكابر المملكة وأشرافها على قصده وتحققوا تصميمه على إمضاء عزمه ، رجوه أن يضع لهم كتاباً يشتمل على لطائف الحكمة وفوائد الفطنة ليتخذوه دستوراً لمعاش دنياهم ومعاد أخراهم ، ويتوسلوا بقراءته والعمل به إلى تحصيل السعادتين والفوز بالنجاة فى الدارين ، ويخلد به آثار فضائله ومحاسن صفاته على صفحات الأيام ، ويضمنه بضع كلمات من زواجر الوعظ والنصيحة تبلغ مسامع الملك فتكون تذكرة له بسيرة الأيام .

وذهب المرزبان إلى أخيه مستأذناً فى الرحيل وتأليف الكتاب ، وتردد الملك

فى ذلك ثم شاور وزيره ، فحبذ الوزير رحيله وعد ذلك بمثابة نقصان عدو من أعداء الملك وخروج شوكة من قدم دولته ، ولكنه حذره من تركه حراً فى تأليف الكتاب حتى لا يعرض به فى ثناياه فيضع من منزلته ويصبح مضغة فى الأفواه ، وهوّن من شأن الأمير حقداً عليه ، وطلب من الملك أن يأذن له فى سماع مايريد المرزبان قوله فى مجالس تعقد بحضرته ليظهر فيها للملأ عطل هذا الأمير من حلية الفضل ، وبعد محاورات طويلة بين الأمير والوزير استغرقت عدة مجالس وتخللها بضع حكايات تمثيلية ، وضح للملك سوء قصد وزيره وعدم إخلاصه فى النصيحة فعزله وسجنه ، وأثنى على أخيه وبالغ فى إكرامه ، وأذن له فى اختيار أحسن بقاع المملكة ليتخذها مقاماً يفرغ فيه لتأليف كتابه ويستفرغ فيه وسعه ليكون شفاء لغليل الحكمة وقانوناً لعليل العلم ، ويرجع إليه الملك من وقت لآخر متى سمحت له شواغل السلطان ، ليستأنس به ويستفيد بمطالعته ويستكمل منه سياسة السلطنة ويقوم مزاج الملك ويصبح دستوره فى حفظ صحة تفكيره ، وكتاب أخلاق للعالمين ، وحض أخاه على المضى فيه دون توقف ، فبادر الأمير إلى خلوة حضور القلب ممتثلا أمر الملك .

تحقيق فى تاريخ تأليف مرزبان نامه

يقول الوراوينى فى نهاية الباب الأول : (واين خريدهٔ عذراء « مرزبان نامه » كه بعد از چهار صد واند سال كه از پس پردهٔ خمول افتاده بود ، وذبول بى نامى درو اثر فاحش كرده ، بأيام دولت خداوند خواجهٔ جهان ، ازسر جوان مى *كردد ، واز پيرايهٔ قبول حضرتش جمال تازه مى *كيرد ، وطراوتى نو مى پذيرد ، بيرون آورد) .

ومعنى هذه العبارة :

(وأخرج « أى المرزبان » هذه الخريدة العذراء « يعنى مرزبان نامه » التى — بعد أربعمائة عام ونيف ، كانت فيها لقى وراء ستار الخمول وأثر فيها ذبول عدم

الذكر تأثيراً فاحشاً — تعود شابة فى أيام دولة مولاى سيد العالم وتأخذ من حلية قبول حضرته جمالا ناضراً وتكتسب طراوة جديدة) .

وهذا يعنى أن الوراوينى نقل مرزبان نامه من الطبرية القديمة إلى الفارسية أيام الخواجه أبى القاسم ربيب الدين أى بين سنتى ٦٠٧ ، ٦٢٢ هـ . (١٢١٠ ، ١٢٢٥ م) . بعد أن بقى مجهولا أربعمائة سنة ونيف .

وفى نفس الباب يقول الوروينى قبل هذا إن واضع الكتاب هو المرزبان بن شروين ، وبعد وفاة شروين خلفه أكبر أبنائه . . . إلى آخر ما ذكر فى سبب وضع الكتاب ، وبذلك يكون تأليف مرزبان نامه قد تم فى أيام أخيه ، وبالرجوع إلى معجم الأنساب[١] نرى أن الذى خلف شروين الأول بن سرخاب هو شهريار الأول بن شروين وكانت مدة ولايته من سنة ١٨١ إلى سنة ٢١٠ هـ . /٧٩٧— ٨٢٥ م . ، ومتى أخذنا فى الحسبان أن النيف ما زاد على العقد إلى أن يبلغ العقد الثانى[٢] كان ذلك مؤداه أن المدة التى انقضت بين تأليف الكتاب بالطبرية « بين سنتى ١٨١ ، ٢١٠ هـ. » . وبين إخراج الوراوينى له فى صورته الحاضرة خلال سنتى « ٦٠٧، ٦٢٢ هـ .» . تتراوح بين٤٠١ ، ٤٠٩ من الأعوام وهذا ممكن حسابياً ولا يترتب عليه أدنى تناقض فى كلام الوراوينى لأن المرزبان مؤلف الكتاب فى روايته هو ابن شروين .

ولكن المحير حقًّا هو ما جاء فى عبارات تاريخ طبرستان وقابوسنامه عن المرزبان مؤلف الكتاب ، ففى تاريخ طبرستان يقول ابن اسفنديار « واصفهبد مرزبان بن رستم بن شروين پريم »[٣] وجاء فى قابوسنامه طبعة سعيد نفيسى : (وجده تو ماذرم ملك زاده مرزبان بن رستم بن شروين دخت بود) [٤]. أى وكانت جدتك —أمى— ابنة الأمير مرزبان بن رستم بن شروين .

وفى قابو سنامه طبعة روبن ليوى التى اعتمدت عليها فى تصحيح هذا الكتاب

---

(١) ص ٢٨٦ .

(٢) المنجد .

(٣) جـ ١ ص ١٣٧ .

(٤) المقدمة ص ٢ .

(وجده تو مادر من دختر ملكزاده مرزبان بن رستم شروين) ولما مفاد العبارة السابقة مع إسقاط كلمة « ابن » بين رستم وشروين، وحملنا ذلك عندنقلنا الكتاب إلى العربية على أنه من باب الإضافة الإبنية بقرينة عبارة ابن اسفنديار ونص هذه العبارة فى طبعة نفيسى ، كما نقول نحن مثلا محمد إبرهيم ونعنى محمد بن إبرهيم .

وتلا ذلك فى الطبعتين السابقتين ما معناه أن الجد الثالث عشر لهذا المرزبان هو كيوس أو كايوس بن قباد أخو كسرى أنوشروان .

وقد ذهب القزوينى إلى ترجيح أن مؤلف الكتاب هو (مرزبان بن رستم بن شهريار بن شروين بن رستم بن سرخاب بن قارن بن شهريار بن شروين بن سرخاب ابن مهر مردان بن سهراب بن باو « جد ماوك آل باوند» بن شاپور بن كيوس بن قباد) . وكيوس هو أخو أنوشروان . وأيد رأيه هذا بعبارة قابو سنامه السالفة الذكر ، وقد رجع فى استخراج هذه السلسلة إلى تاريخ ابن اسفنديار ، غير أنه وجد أن كيوس بن قباد على هذا الترتيب يكون الجد الرابع عشر لا الثالث عشر كما ذكر فى قابو سنامه ، فأردف ذلك بقوله ما معناه : (ومن البديهى أن نقصان أو زيادة شخص فى مثل هذه الأنساب الطويلة مغتفر ، لأن احتمال السهو والخطأ قوى جداً لبعد العهد وطول المدة) . ثم عاد فرجح مرة أخرى أن المرزبان مصنف مرزبان نامه هو ابن رستم بن شهريار بن شروين ، وقال : إن سقوط اسم شهريار فى عبارتى قابوسنامه وابن اسفنديار من باب نسبة الابن إلى الجد ، وأن الإصفهبد رستم أبا المؤلف كان معاصرا لشمس المعالى قابوس بن وشمكير (٣٦٦ — ٤٠٣ هـ . / ٩٧٦ — ١٠١٢ م . . وخرج من كل هذا بأن الفاصلة الزمنية بين تأليف مرزبان نامه باللهجة الطبرية وبين ترجمته إلى الفارسية وإصلاحه على يد الوراوينى مائتا عام ونيف لا أربعمائة عام ونيف كما قال الوراوينى فى آخر الباب الأول من الكتاب[1] .

ولما كان تاريخ تأليف قابوسنامه بين سنتى ٤٥٧ ، ٤٦٢ هـ . (١٠٦٤ ، ١٠٦٩ م) . وتاريخ ابن اسفنديار ومرزبان نامة سعد الدين الوراوينى قد كتبا فى

---

(١) مقدمة القزوينى لمرزبان نامه .

أوائل القرن السابع الهجرى ، وهذه الثلاثة أقدم مصادرنا فى هذا الباب فلا مندوحة من الاعتماد عليها قبل سواها فى تحديد تاريخ تأليف هذا الكتاب .

ابن اسفنديار وصاحب قابوسنامه ، يقولان إن مؤلف مرزبان نامه هو مرزبان ابن رستم بن شروين، وسعد الدين الوراوينى يقول فى بداية الباب الأول من مرزبان نامه (چنين ببايد دانست كه اين كتاب مرزبان نامه ، منسوبست بواضع كتاب مرزبان بن شروين ، وشروين از فرزند زاد* كان كيوس بودبرادر ملك عادل أنوشروان ، بر ملك طبرستان پادشاه بود) . أى : (هكذا يجب أن يعرف بأن كتاب مرزبان نامه منسوب إلى واضع الكتاب مرزبان بن شروين ، وكان شروين (وهو) أحدُ أحفاد كيوس أخى الملك العادل أنوشروان، ملكا على مملكة طبرستان) .

ولا خلاف بين الوراوينى وابن اسفنديار وصاحب قابوسنامه فى اسم مؤلف الكتاب وانتهاء نسبته إلى كيوس أو كايوس أخى أنوشروان .

الخلاف الوحيد بينهم ينحصر فى أن الوراوينى يقول عن المؤلف إنه المرزبان ابن شروين ، وهما يقولان المرزبان بن رستم بن شروين .

ويمكننا أن نوفق بين الروايات الثلاث دون تعسف — وكلها روايات قديمة يعول عليها — بالأخذ بنظرية القزوينى وحمل عبارة الوراوينى على أنها من باب نسبة الابن إلى الجد بدل الأب على النحو المتقدم .

فإذا أخذنا بقول الوراوينى بأنه أخرج مرزبان نامه بأسلوبه بعد مضى أربعمائة سنة ونيف من تأليفه ، ترتب على هذا أن تكون سلسلة نسب مؤلف الكتاب كما يلى :

(المرزبان بن رستم بن شروين الأول بن سرخاب الثانى بن مهر مردان بن سرخاب الأول بن باو « جد ملوك آل باوند» بن شاپور بن كيوس)[1] . وفى هذه الحالة يكون كيوس أو كايوس هو الجد السابع لمؤلف مرزبان نامه وليس الجد الثالث عشر كما جاء فى قابوسنامه ، وأغلب ظنى أن عبارة قابوسنامه هذه هى التى حملت القزوينى — فى مقدمته للكتاب — على القول بأن مؤلف مرزبان نامه هو

---

(١) معجم الأنساب ص ٢٨٦ ، مقدمة القزوينى للكتاب ص « هـ » .

(المرزبان بن رستم بن شهريار بن شروين بن رستم) إلى آخر هذه السلسلة التى ذكرناها ، متمشياً فى هذا مع تسلسل أمراء آل باوند الذين ورد ذكرهم فى كتاب ابن اسفنديار وعبارة قابوسنامه الآنف ذكرها .

وقبل البت فى هذه القضية والحكم فيها بين القزوينى والوراوينى يلزمنا تحقيق تسلسل هذا النسب تاريخيًّا :

بالرجوع إلى معجم الأنساب نجد أن (باو) رأس آل باوند قد أسس هذه الإمارة سنة ٤٠ هـ / ٦٦٧ م . ويستمر تسلسل نسب هذه الأسرة تصاعديًّا بعد باو — على رواية القزوينى — كما يلى :

(باو بن شاپور بن كيوس بن قباد) وكيوس — كما مر بنا — هو أخو أنوشروان أى أن بين باو وكيوس أخى أنوشروان ومعاصره جد واحد فقط هو شاپور .

فإذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا قباد أبا كيوس وأنوشروان ولى الحكم أول مرة سنة ٤٧٨ م . ثم خلع وحبس سنة ٤٩٨ م . ثم تمكن من الفرار والالتجاء إلى الهياطلة ، وبمؤازرتهم عاد إلى الحكم سنة ٥٠١ م . وبقى فيه إلى أن توفى سنة ٥٣١ م. وخلفه أنو شروان[1] .

ويقول جماعة من المؤرخين إن قباد حين التجأ إلى الهياطلة وأقام بينهم تزوج ابنة دهقان فى نيشاپور وأولدها أنوشروان ، وكان أحب أولاده إليه لأن ميلاده اقترن بوفاة بلاش الأول وانتهاء الحرب الأهلية فى إيران ، وكان معنى انتهاء هذه الحرب عودة قباد إلى ملكه للمرة الثانية سنة ٥٠١ م . وعلى ذلك يكون تاريخ ولادة أنوشروان فى حدود هذه السنة .

وكان كيوس الجد الثالث عشر لمؤلف مرزبان نامه — على قول صاحب قابوسنامه — الابن الأرشد لقباد فلما توفى قباد سنة ٥٣١ م . نادى بنفسه ملكاً على البلاد ولكن الوزير الأعظم (مه بود) أبرز وصية قباد بتولية أنوشروان ، فنادى أنوشروان بنفسه ملكاً استناداً إلى تلك الوصية ، ولكن ظهرت عصبة قوية تدعو إلى

---

(١) سايكس ج ١ الفصل ٣٩ ص ٦٠٤ وما بعدها ترجمة فخرداعى * كيلانى بالفارسية الطبعة الأولى .

تولية أخيه « زامس » غير أن فقده لإحدى عينيه كان يحول بينه وبين العرش طبقاً لرسوم السلطنة فتآمروا لتولية ابنه وإقامته هو نائباً له .

ووقف أنوشروان على تآمرهم فقضى — قبل فوات الوقت — على جميع إخوته وأبنائهم الذكور جميعاً دون شفقة[1] .

وعلى ذلك يكون كايوس وابنه شاپور — أى الحلقة الوحيدة بينه وبين باو — قد قضى عليهما أول حكم أنوشروان ، وبهذا يكونان قد فارقا الحياة سنة ٥٣١ م . لأن أنوشروان لم يمهل المتآمرين عليه ، فكيف بقى باو هذا ؟ هل اكتفى أنوشروان بقتل الآباء والأبناء واستحيى الأحفاد الذكور ؟ لا يبدو هذا معقولا ، بل المعقول أن نفترض أنه كان وقت تلك المذبحة جنينا أو أن أمه هربت به طفلا كما فعلت أم أفريدون أو أنه هو نفسه استطاع الهرب أو كان خارج البلاد لأمر ما ، فإذا تمشينا مع هذا الفرض كان ذلك معناه أن (باو) ولد سنة ٥٣١ م . أو قبلها أى أن سنه فى سنة ٦٦٥ م . عند تأسيسه الإمارة كانت ١٣٤ سنةً أو تزيد ، فإذا قبلنا أيضاً أنه كان من المعمرين وأنه بلغ أرذل العمر ، فهل يستطيع مثل هذا الشيخ المعمر الفانى المحطم تأسيس إمارة يتطلب بناؤها الكثير من الجلد والقوة والكفاح وخوض المعارك العديدة مع المنافسين والأعداء ؟ طبيعة الأشياء تقول لا ، والمنطق السليم لا يؤيد مثل هذه الدعوى .

والنتيجة التى نخرج بها من هذا التحقيق التاريخى هى أن الأمير الزيارى عنصر المعالى كيكاوس بن إسكندر بن قابوس بن وشمكير مؤلف قابوسنامه ، قد ادعى هذا النسب لإعلاء شأن أسرته ، مثله فى ذلك مثل سائر الأمراء الإيرانيين فى العصر الإسلامى ، كالسامانيين والصفاريين والبويهيين الذين كانوا ينتهون بأنسابهم إلى ملوك إيران قبل الإسلام ، موهمين الناس أنهم من أبناء الملوك ، وأن الملك ليس بجديد فى بيوتهم ، ليسهل عليهم انقياد العامة لهم وانضواؤهم تحت رايتهم وليضيفوا إلى المجد الطارف مجداً تليداً ، وقد شكك البيرونى فى أكثر هذه الأنساب فى عدة مواضع من الآثار الباقية .

---

(١) المصدر السابق الفصل ٤٠ ص ٦١٧ ، ٦١٨ .

وعلى هذا يكون الأساس الذى بنى عليه القزوينى رأيه قد انهار بانهيار الدعامة التى يرتكز عليها وهى عبارة قابوسنامه ، و لم يبق أمامنا غير رواية الوراوينى التى تذهب إلى أن مؤلف مرزبان نامه هو المرزبان بن شروين وأن شروين من أحفاد كيوس أخى الملك العادل أنوشروان .

أما دعوى الوراوينى أن شروين من أحفاد كايوس أخى أنوشروان دون تحديد لجهة الانتساب ، فيمكن عقلا — بعد هذا التحقيق التاريخى — حملها على أن شروين من أحفاد البطون لا من أحفاد الأصلاب ، وأما قوله المرزبان بن شروين — دون فصل — وسياقه لقصة تأليف الكتاب على النحو الذى لخصناه ، ومقابلة ذلك بقول صاحب قابوسنامه (المرزبان بن رستم بن شروين) فقد يوهم أن كلمة « ابن » مزيدة فى عبارة قابوسنامه ، نتيجة وقوع خطأ فى النقل ، وقد يحمل الباحث على القول بأن المرزبان لقب المؤلف وأن رستم اسمه ويرجح هذا عنده ، أن جماعة من الحكام فى العهد الساسانى كانوا يلقبون بالمرازبة جمع مرزبان ، وقد كدت أجنح إلى هذا الرأى لولا أنى وجدت طبعات قابوسنامه الثلاث التى بيدى « هدايت ، نفيسى ، روبن ليوى » — وكلها يشير طابعوها إلى المخطوطات القديمة المختلفة التى نقلوا عنها — متفقة فى هذه العبارة ويتفق معها ابن اسفنديار كذلك ، فسايرت القزوينى فى قوله : بأن هذا من باب نسبةِ الابن إلى الجد بدل الأب ، كما تقدم ، خاصة وأن قابوسنامه أقدم سند لنا نعتمد عليه فى معلوماتنا عن مرزبان نامه ، ومؤلفه حفيد المرزبان .

ويبدو أن قول صاحب قابوسنامه بأن كايوس أخا أنوشروان هو الجد الثالث عشر لمؤلف مرزبان نامه ، ووجود عدة أشخاص من آل باوند يتسمون برستم وشروين ، حمل القزوينى على الهبوط بنسب المرزبان عدة حلقات فى تسلسل أمراء هذه الأسرة ، فبدأه برستم بن شهريار بن شروين إلى آخر السلسلة المذكورة ، فلما اكتملت الحلقات على حدسه أربع عشرةِ بدل ثلاث عشرة — كما جاء فى قابوسنامه — علل ذلك بالخطأ المغتفر الذى يحدث عادة فى مثل هذه الأنساب الطويلة ، ورتب على ذلك النتيجة التى وصل إليها فى تاريخ تأليف الكتاب ، وقد

انفصمت عرى هذه السلسلة الحدسية وتناثرت حلقاتها بالتحقيق التاريخى المتقدم ، من جهة الأب على الأقل .

بعد هذا نستطيع أن نقول — إذا صح وكان رستم هو أبو المرزبان وليس اسمه — بأن المرزبان كان معاصراً لعمه . شهريار الذى حكم من سنة ١٨١ إلى سنة ٢١٠ هـ . (١٩٧ — ٨٢٥ م) . خلفاً لأبيه شروين ، فلما رأى الخلاف قد دب بين رستم وبقية أعمامه وبين عمه الأكبر شهريار ، آثر العزلة طلباً للسلامة وتجنباً للتهمة ، وبذا يترجح لدينا قول الوراوينى بأن خريدته العذراء (يعنى مرزبان نامه) بقيت فى أثمالها الطبرية وراء ستور النسيان أربعمائة عام ونيف حتى عادت على يديه شابة بين سنتى ٦٠٧ ، ٦٢٢ هـ . (١٢١٠ ، ١٢٢٥ م) . فى أيام الوزير أبى القاسم ، وتزينت بحلية قبوله واكتسبت طراوة جديدة ، فيكون تاريخ تأليف الكتاب بالطبرية بين سنتى ١٨١ ، ٢١٠ هـ . أى فى أيام الأمير شهريار الأول ابن شروين الأول بن سرخاب الثانى بن مهرمردان بن سرخاب الأول بن باو [١] .

مرزبان نامه فى التركية والعربية

يحدثنا القزوينى عن نسخة خطية عربية من مرزبان نامه ، أو بعبارة أدق ، مختصر عربى لمرزبان نامه ، محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس ، وقد ذكر فى آخرها أن مترجمها اسمه الشيخ شهاب الدين ، ويحدس القزوينى أنه شهاب الدين أحمد ابن محمد بن عربشاه المتوفى سنة ٨٥٤ هـ . / ١٤٥٠ م . ومؤلف كتاب « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء[٢] » وكتاب « عجائب المقدور فى نوائب تيمور » ويؤيد حدسه هذا بأن ديباجة مرزبان نامه العربى تتفق حرفياً وديباجة فاكهة الخلفاء دون نقص أو زيادة إلى عبارة « أما بعد » .

وقد نقل القزوينى فى مقدمته عبارة من أول النسخة العربية تفيد أن مرزبان نامه العربى مترجم عن التركية وهذا نصها : (وقد وضع فى ذلك كتاب يسمى بمرزبان نامه

---

(١) معجم الأنساب ص ٢٨٦ .

(٢) ثبت لى من مقابلة مرزبان نامه بفاكهة الخلفاء أن ثانيهما ترجمة بتصرف للأول وليس تأليفا . المؤلف .

مترجم باللسان التركى عن الفارسى ، فأشار إلى المخدوم الذى لا يمكننى مخالفته أن أترجمه باللسان العربى فامتثلت أمره وترجمته ، وقد جعله واضعه ثمانية أبواب :

الباب الأول فى تسميته وسبب وضعه .

الباب الثانى فى ذكر العالم والعفريت .

الباب الثالث فى ذكر أحوال الثعلبين .

الباب الرابع فى ذكر الكلب المسمى بالذكى والعنز .

الباب الخامس فى ذكر السبع وسلطان الأفيال .

الباب السادس فى ذكر وقائع الجمل والأسد .

الباب السابع فى ذكر العقاب والحجلتين .

الباب الثامن فى ذكر معاملة الأحباب) .

ولما كانت أغلب الأشعار والأمثال العربية الواردة فى كتاب الوراوينى مذكورة بعينها فى الخلاصة العربية ، كما أن النسختين متفقتان تقريباً فى ترتيب الحكايات ومقدارها وعددها ، فإن القزوينى يستدل بهذا على أن أصل الترجمتين التركية والعربية لمرزبان نامه هو كتاب الوراوينى لا روضة العقول .

وقد طبعت هذه الترجمة العربية بالقاهرة سنة ١٢٧٧ هـ . / ١٨٦٠م. طبعة حجرية يصفها القزوينى بأنها فى غاية القبح والركاكة .

يوشت فريان ومرزبان نامه

أختم كلامى عن مرزبان نامه بالحديث عن فصلة أصدرها الدكتور محمد معين الأستاذ بجامعة طهران سنة ١٣٢٤ هـ . ش . (١٩٤٥ م . سنة ١٣٦٥ هـ .) تحت هذا العنوان ، وقدعقد فيها موازنة بين قصةِ فهلوية من رسالة (مانيكان يوشت فريان) وقصةِ العفريت *كاوپاى والعالم الدينى (ديو* كاوپاى وداناى دينى) ومحور القصتين أن عفريتاً خبيثاً يناظر عالماً دينيًّا ورعا للإيقاع به والقضاء عليه ، وتنتهى المناظرة بغلبة العالم الدينى وهزيمة العفريت وقتله كما فى القصة الفهلوية واختفائه هو وقبيله فى أعماق الأرض إلى الأبد كما فى قصة مرزبان نامه .

ويخرج الدكتور معين من هذه الموازنة بأن أغلب مادة مرزبان نامه تنزع إلى أصول فهلوية ، وهذا الرأى الذى انتهى إليه لا يتعارض مع القول بتأثر مؤلف مرزبان نامه بكليلة ودمنة شكلا وموضوعاً لأن هذا الكتاب الأخير أحد الآثار الفهلوية .

٤ ــ ٥ بوستان و* كلستان

هذان الكتابان أشهر آثار الشاعر الشيرازى أبى عبد الله مشرف بن مصلح المتخلص بالسعدى ، وهما أهم ما أثر فى الأدب الفارسى من كتب القصص التهذيبى ، وأولهما مثنوى نظمه الشاعر فى ذى القعدة عام ٦٥٥ هـ. / ١٢٥٧م . كما يقول :

بروز همايون وسال سعيد بتاريخ فرخ ميان دو عيد
ز ششصد فزون بود پنجاه وپنج كه پر درشد اين نامبردار *گنج

والمعنى :

فى اليوم المبارك والعام السعيد ، فى التاريخ الميمون بين العيدين وقد أربى على الستمائة خمس وخمسون ، امتلأ هذا الكنز الذائع الصيت بالدُّر .

* * *

وقد جعله الشاعر ــ بعد المقدمات المألوفة فى المثنويات الفارسية ــ فى عشرة أبواب مختلفة تفصح عناوينها عن أغراضها ومبانيها وجاءت فى الكتاب مرتبة على النحو التالى :

باب أول در عدل وتدبير ورأى .

الباب الأول فى العدل والتدبير والرأى .

باب دوم در إحسان .

« الباب الثانى فى الإحسان » .

باب سوم در عشق ومستى وشور .

الباب الثالث فى العشق والسكر والوله .

باب چهارم در تواضع .

« الباب الرابع فى التواضع » .

باب پنجم در رضا .

« الباب الخامس فى الرضا » .

باب ششم در قناعت .

« الباب السادس فى القناعة » .

باب هفتم در عالم تربيت .

« الباب السابع فى عالم التربية » .

باب هشتم در شكر بر عافيت .

« الباب الثامن فى الشكر على العافية » .

باب نهم در توبه وراه صواب .

« الباب التاسع فى التوبة وطريق الصواب » .

باب دهم در مناجات وختم كتاب .

« الباب العاشر فى المناجاة وختم الكتاب » .

ويشبهه بقصر جعل فيه عشرة أبواب :

چو اين كاخ دولت بپرداختم درو ده در تربيت ساختم

* * *

يقول :

لما بنيت قصر السعادة هذا ، جعلت فيه عشرة أبواب من التربية .

* * *

وفى هذا البيت تصريح بأن غرض الشاعر من تأليف الكتاب هو إسعاد الخلق عن طريق التربية ، والمسحة الصوفية الغالبة على « بوستان » تجعلنا نلمس مدى عناية شاعرنا الصوفى بتهذيب النفس وتربية الروح بالحكمة والموعظة الحسنة عن طريق الحكاية ، وقد سلك فى ذلك طريقين ، أولهما البدء بالعظة والنصيحة وإردافها بالحكاية ، والثانى البدء بالحكاية وختمها بالعبرة والحكمة المستخلصة منها ، وقد أجاد فى كلا الحالين الربط بين المقدمات والنتائج والقضايا والشواهد ، فجاءت كل منها تالية للأخرى طوعاً وطبعاً لا تكلفاً واعتسافاً .

وأتم تأليف ثانيهما « *كلستان » سنة ٦٥٦ هـ. / ١٢٥٨ م . أي بعد « بوستان » بسنة واحدة وفى ذلك يقول :

درين مدت كه مارا وقت خوش بود ز هجرت ششصد وپنجاه وشش بود

أى : فى هذه المدة التى كان وقتنا طيباً ، كانت قد خلت ست وخمسون وستمائة من الهجرة .

ويبدو أن السعدى فرغ من تأليف « *كلستان » فى ربيع تلك السنة لأنه يقول أثناء حديثه عن سبب تأليف الكتاب : (وفى الجملة ، هنوز از *كل بوستان بقيّى موجود بود ، كه *كلستان تمام شد) .

والمعنى : (وفى الجملة كانت ما تزال بقية موجودة من ورد البستان عندما تم كتاب *كلستان) .

وكان الشاعر مثل قومه مفتوناً بـ*كلستانه فهو يوازن بينه وبين ورد البستان قائلا:

بچه كار آيدت ز *كل طبقى از *كلستان من ببر ورقى
*كل همين روز پنج شش باشد وين *كلستان هميشه خوش باشد(١)

* * *

يقول :

فيم يجديك طبق من الورد ؟ خذ ورقة من جنة وردى « *كلستانى » إن الورد يبقى هذه الأيام القلائل ، وهذا الروض « *كلستان » ناضر على الدوام .

* * *

والكتاب مكتوب بنثر مسجوع غنى بفنون الصناعة البديعية والألفاظ الجزلة والعبارات الرشيقة . وتتخلله أشعار فارسية وعربية وحكم وأمثال وأحاديث وآيات قرآنية ، وقد سمت صيغته بحسن جرسها وتناغم أقسامها وقوة ترابطها إلى مرتبة الشعر فى كثير من الأحيان مما جعله مشقاً إنشائياً عالياً للمتعلمين والمتأدبين من أهل اللغة والمتكلمين بها وطلابها وحمل بعض المشاهير من كتاب الفرس وشعرائهم على تقليده .

والكتاب يشتمل – بعد المقدمات – على ثمانية أبواب بالترتيب التالى : –

باب أول در سيرت پادشاهان .

« الباب الأول فى سيرة الملوك » .

باب دوم در أخلاق در ويشان .

« الباب الثانى فى أخلاق الدراويش » .

باب سيم در فضيلت قناعت .

« الباب الثالث فى فضيلة القناعة » .

باب چهارم در فوايد خاموشى .

« الباب الرابع فى فوائد الصمت » .

باب پنجم در عشق وجوانى .

« الباب الخامس فى العشق والشباب » .

باب ششم در ضعف وپيرى .

« الباب السادس فى الضعف والشيخوخة » .

باب هفتم در تأثير تر بيت .

« الباب السابع فى تأثير التربية » .

باب هشتم در آداب صحبت .

« الباب الثامن فى آداب الصحبة » .

* * *

والأبواب السبعة الأولى من الكتاب حكايات أخلاقية تهذيبية ، أما الباب الثامن والأخير فهو مجموعة من الحكم والأمثال والنصائح والعظات وليس به حكايات قط .

وحكايات « كلستان » دون استثناء لا تسبقها مقدمات على الإطلاق فهى تتوالى تحت عنوان كل باب وموضوعها يحدده عنوان بابها ، أما الحكاية نفسها فليس لها عنوان ويفصلها عن سابقتها كلمة (حكايت) . وهذه الكلمة تسبق كل حكاية فى « بوستان » أيضاً .

وإذا كان السعدى الشيرازى قد هدف فى « بوستان » إلى أغراض أخلاقية

تهذيبية ، فقد عمد فى « *كلستان » فوق هذا إلى تصوير عيوب وتجسيم نقائص اجتماعية مثل لها بحكايات ساخرة ، ولعل الباب الثانى فى أخلاق الدراويش والباب السادس فى الضعف والشيخوخة خير شاهد على ذلك ، وفضلا عن هذا لم يكن غرضه فى هذا الكتاب أخلاقياً فحسب، بل كان يرمى من وراء تأليفه أيضاً إلى تحقيق غاية أدبية هى تعليم أبناء جيله آداب المحاورة وفن الإنشاء والبلاغة وقد صرح هو بذلك فقال :

(فصلى دو همان روز اتفاق بياض افتاد ، در حسن معاشرت وآداب محاورت ، در لباسى كه متكلمان را بكار آيد، ومترسلان را بلاغت بيفزايد) .

أى : (واتفق أن بيض فى نفس ذلك اليوم فصل أو فصلان فى حسن المعاشرة وآداب المحاورة فى لباس ينفع المتكلمين ، ويزيد فى بلاغة المترسلين) .

* * *

فشاعرنا الصوفى لم يكن فى « *كلستان » واعظاً هادياً فحسب ، بل كان أيضاً معلماً لجيله فى حياته ، وتلمذت له الأجيال بعد مماته .

وكان ميالا بطبعه إلى الدعابة يمزج الجد بالفكاهة لئلا يثقل على سامعيه ، ويعبر عن هذا المعنى فى ختام « *كلستان» بالعبارة التالية : (غالب *گفتار سعدى طرب *انكيز است وطيبت آميز ، وكوته نظران را بدين علت ، زبان طعن دراز *كردد ، كه مغز دماغ بيهوده بردن ودود چراغ بيفايده خوردن، كار خرد مندان نيست ، وليكن بر رأى روشن صاحب دلان ، كه روى سخن درايشان است ، پوشيده نماند ، كه در موعظه هاى شافى در سبك عبارت كشيده است وداروى تلخ نصيحت بشهد ظرافت برآ ميخته ، تاطبع ملول إنسان از دولت قبول محروم نماند) .

وترجمة العبارة : (غالب مقال السعدى مطرب فكه ، وبهذه العلة تطول ألسنة طعن قصار النظر قائلين : إن ضياع المخ عبثاً واستنشاق دخان السراج بلا فائدة، ليس من شأن العقلاء .

ولكن لا يخفى على الآراء النيرة لذوى البصائر ، ووجه الكلام إليهم ، أن در

المواعظ الشافية قد سلك فى سبك العبارة ودواء النصيحة المر قد مزج بشهد الظرافة ، حتى لا يحرم طبع الإنسان الملول من سعادة القبول) .

ولكل هذه الخصائص كان « *كلستان » أكثر آثار السعدى الشيرازى ذيوعاً ، بل ظل دستور الأخلاق والبلاغة بين المتكلمين بالفارسية والمتأدبين بها فى إيران وخارجها حتى يومنا هذا ، وما يزال ينسخ ويطبع عدة مرات ويترجم إلى أكثر اللغات .

٦ ـ جوامع الحكايات ولوامع الروايات

مؤلف هذا الكتاب هو نور الدين محمد بن محمد بن يحيى بن طاهر بن عثمان العوفى البخارى الحنفى الأشعرى ، من فضلاء أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجرى ، وقد لقب بالعوفى لاتصال نسبه بالصحابى الجليل عبد الرحمن ابن عوف .

نشأ العوفى فى أسرة من فضلاء وعلماء ما وراء النهر ، فقد كان جده القاضى الإمام شرف الدين سيد المحدثين أبو طاهر يحيى بن طاهر بن عثمان العوفى ، من علماء هذه البلاد ، كما كان خاله سيد الحكماء ملك الأطباء شرف الزمان مجد الدين محمد بن ضياء الدين عدنان السرخكنى ، طبيباً فى بلاط ملوك تركستان[1] .

كان أول من تحدث عن العوفى ـــ كما يبدو ـــ حمد الله المستوفى مؤلف تاريخ *كزيده ، ثم غياث الدين خواندمير فى حبيب السير ، ومحمد قاسم بن هندوشاه الاسترابادى فى تاريخ فرشته ، ورضا قليخان هدايت فى مجمع الفصحاء[2] . وقد ذهب صاحب تاريخ فرشته إلى أنه نيشاپورى ولكن يفهم من فحوى جوامع الحكايات أنه ولد فى بخارى وتلقى معارفه الأولى بها ثم ارتحل عنها فى طلب العلم ولقاء الشيوخ فطوف بأكثر بلاد ما وراء النهر وخراسان وبعض بلاد الهند واتصل بعلماء تلك

---

(١) بهار . مقدمة منتخب جوامع الحكايات ص « ب » .

(٢) مقدمة لباب الألباب طبعة نفيسى ص « بيست »

البلاد وحصل من أكثرهم على إجازة رواية الحديث ، واشتغل بالوعظ ، فهيأ له ذلك أسباب الاتصال والقربى من الأمراء والملوك وأظفره برعايتهم وبرهم[1] .

ولد العوفى فى أواسط النصف الثانى من القرن السابع فى بخارى وكان من شيوخه بها ، الإمام برهان الإسلام تاج الدين عمر بن مسعود والإمام ركن الدين مسعود ابن محمد إمام زاده ، وعاش فى خراسان وما وراء النهر إلى أواخر أيام السلطان محمد خوارزم مشاه ، وعند حملة المغول فر إلى السند والتحق بخدمة السلطان ناصر الدين قباجه من المماليك الغورية سنة ٦١٧ هـ . / ١٢٢٠ م . وبقى فى خدمته إلى سنة ٦٢٥ هـ . / ١٢٢٧ م . وألف فى تلك المدة كتاب لباب الألباب وقدمه إلى وزيره عبد الملك فخر الدين حسين بن شرف الملك ، وشرع أيضاً فى تأليف جوامع الحكايات ولوامع الروايات بأمر هذا السلطان .

وفى سنة ٦٢٥ هـ . / ١٢٢٧ م . هزم السلطان ناصر الدين أمام السلطان شمس الدين التتمش أحد المماليك الغورية ومؤسس الأسرة الشمسية فألقى بنفسه فى نهر السند ولقى حتفه ، والتحق العوفى بخدمة السلطان الجديد واختص بوزيره نظام الملك قوام الدين محمد بن أبى سعد الجنيدى وأقام فى دهلى ، وفى حدود سنة ٦٣٠ هـ . / ١١٢٣٢ م أتم كتاب جوامع الحكايات الذى بدأه فى عهد ناصر الدين ، وجعله باسم هذا الوزير ، ولا توجد لدينا عن حياته معلومات بعد سنة ٦٣٠ هـ . / ١٢٣٢ م .

ويعتبر كتاب جوامع الحكايات أهم مؤلفات العوفى ومن أهم الكتب التى ألفت فى الفارسية ، لما تضمنه من فوائد تاريخية وأدبية لا توجد فى كتب أخرى ، وقد اعتمد العوفى فى تأليف هذا الكتاب على مصادر مختلفة فى التاريخ والأدب والقصص والحكايات والتراجم التى لا يوجد بعضها الآن ، كما ضمنه اطلاعاته الخاصة الكثيرة التى حصل عليها بتطوافه فى البلاد وملاقاة العلماء والفضلاء ، فصار كتابه بهذا مرجعا هاماً نقل عنه كثير من المؤلفين من بينهم أمين أحمد الرازى صاحب هفت إقليم ، ومنهاج السراج مؤلف طبقات ناصرى والقزوينى مصنف كتاب عجائب

---

(١) بهار . مقدمة منتخب جوامع الحكايات ص « ج » .

المخلوقات ، كما نقل عنه هند وشاه فى تجارب السلف وحمد الله المستوفى فى تاريخ "كزيده ونزهة القلوب ، وترجم ثلاث مرات إلى التركية ؛ وجوامع الحكايات أربعة أقسام ، يحتوى كل قسم منها على خمسة وعشرين باباً ، وقد ذكر العوفى فى الباب السابع من القسم الرابع من جوامع الحكايات أنه ترجم إلى الفارسية الكتاب العربى « الفرج بعد الشدة » الذى ألفه القاضى التنوخى « أبو على محسن بن على بن محمد ابن داود التنوخى» المتوفى سنة ٣٨٤ هـ . / ٩٩٤ م . ونقل عنه الكثير من الحكايات فى كتابه ، وفى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ترجم كتاب الفرج بعد الشدة أيضاً حسين بن سعد الحسين الدهستانى المؤيدى[١] . ولكن لم يصل إلينا غير ترجمة الدهستانى وهى بيدى ساعة كتابة هذه السطور .

وقد كتب العوفى كتابه جوامع الحكايات بأسلوب جيد وعبارة واضحة موشاة بالفنون البلاغية ومزينة بالأشعار وقسمه إلى أربعة أقسام على النحو التالى :

القسم الأول : حكايات عن أشخاص أسطوريين وتاريخيين وطبقات متفرقة من رجال الحكم والعلماء والشعراء .

القسم الثانى : حكايات قصيرة فى بيان الفضائل الإنسانية .

القسم الثالث : حكايات تمثل الرذائل الآدمية .

القسم الرابع : موضوعات متفرقة ، من قبيل الأدعية التى يدعوها الغريب لتصونه وتنجيه من المخاطر ، وحكايات عن عجائب الخليقة ومعلومات جغرافية وعالمية[٢] .

ويوجد من جوامع الحكايات عدة مخطوطات فى إيران وخارجها ويقول بهار إنه صحح ثلاثة أقسام من الكتاب بتكليف من وزارة المعارف الإيرانية ثم اكتفت الوزارة بطبع منتخب من الكتاب[٣] .

---

(١) ذبيح الله صفا . تاريخ أدبيات در إيران جـ ٢ من ص ١٠٢٦ إلى ص ١٠٣٠ .

(٢) إته . تاريخ أدبيات فارسى ص ٢٣٤ .

(٣) مقدمة منتخب جوامع الحكايات ، ويوجد بحاشية ص١٠٢٦ من الجزء الثانى من كتاب « تاريخ أدبيات در إيران » تأليف ذبيح الله صفا ما يفيد طبع الكتاب بطهران بمقدمة الدكتور محمد معين سنة ١٣٣٥ هـ . ش (١٩٥٦م. /١٣٧٦ هـ .)

٧ – بهارستان

يستفاد من مقدمة الكتاب أن مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامى شاعر القرن التاسع الهجرى ، ألفه لولده ضياء الدين حين كان صبيا (فى العاشرة)[١] يتعلم مبادئ اللغة العربية ويقرأ « *كلستان» السعدى الشيرازى ، وقد تأثر فى تأليفه بـ*كلستان وأنشأه على منواله ، فقسمه إلى ثمانية أقسام أسمى كلا ً منها « روضة » وأهداه إلى السلطان حسين التيمورى مقلداً السعدى الشيرازى أيضاً فى إهداء *كلستانه لسعد ابن زنكى وفى ذلك يقول :

*كلستان *كرچه سعدى كرد از پيش بنـام سـعد بن زن*كى تمامش
بهارستان من نام ازكسى يافت كه باشد سعد بن زن*كى غلامش

أى :

إذا كان السعدى ألف *كلستان من قبل باسم سعد بن زن*كى ، فإن بهارستان ظفر باسم من سعد بن زن*كى غلامه .

ثم أخذ بعد ذلك يقرظ بهارستان مفضلا إياه على *كلستان فقال :

*كذ ركن برين بهارستان تا ببينى در و *كلستانها
وز لطايف بهر*كلستانى رسته *كلها ، دميده ريحانها

والمعنى :

عج على هذا المرتبع (البهارستان) ، لترى فيه رياضا « *كلستانات » وقد نما فى كل روض « *كلستان » ورود من اللطائف ونبتت رياحين .

* * *

ورياض بهارستان معنونة بعناوين طويلة كلها استعارات وتشبيهات مثل قوله : (روضهٔ نخستين در نشر رياحين چيده از بساتين دور بينان راه هدايت ، وصدر نشينان با*ركاه ولايت) أى : (الروضة الأولى فى نشر الرياحين المقطوفة من بساتين حديدى بصر طريق الهداية ومتصدرى طريق الولاية) .

---

(١) على أصغر حكمت : جامى ص ٢٠٣ .

ويمنعنا طول هذه العناوين من إيرادها بنصها كما فعلنا عند الحديث عن الكتب السابقة ، وسنكتفى هنا بذكر هذه الرياض وموضوعها بإيجاز :

الروضة الأولى فى حكايات عن الأولياء وأكابر الصوفية .

الروضة الثانية فى أقوال الحكماء .

الروضة الثالثة فى عدالة السلاطين .

الروضة الرابعة فى السخاء والكرم .

الروضة الخامسة فى حالات العشق .

الروضة السادسة فى أحوال الشعراء .

الروضة السابعة فى الحكايات والأمثال المنقولة عن الحيوان .

الروضة الثامنة فى المُلَح والمزاح .

* * *

وإذا وازنا بين بهارستان و"كلستان من حيث طريقة التأليف يسترعى انتباهنا قصر مقدمة بهارستان فهى لم تتجاوز خمس صفحات من القطع الصغير ، ثم كثرة الأشعار الواردة فيه حتى لتزيد على النثر فى بعض الرياض ، وعلى العكس من ذلك نرى السعدى الشيرازى قد قدم لـ"كلستان بمقدمات طويلة يتألف منها باب برأسه ، ولم يورد خلال حكاياته النثرية إلا شواهد محدودة من الشعر العربى والفارسى .

ويقرر عبد الرحمن الجامى أن جميع أشعار بهارستان من منظومه وأنه لم يستعرها من شعراء آخرين[1] ، وأرخ لفراغه من تأليف الكتاب بهذا البيت :

بوقتى شد آخر كه تاريخ هجرت شود نهصد ار هشت بروى فزائى

ومعنى البيت :

(تم فى وقت يصبح التاريخ الهجرى فيه تسعمائة إذا زدت عليه ثمانية) .

* * *

وعلى ذلك يكون قد فرغ من تأليف بهارستان سنة ٨٩٢ هـ . / ١٤٨٦ م .

وإذا كان نقاد الأدب الفارسى قد أجمعوا على أن بهارستان لم يبلغ فى المرتبة البلاغية شأو "كلستان، فإنه بإجماع من تحدثوا عنه خير كتاب أخرج على غراره .

(١) بهارستان ، الطبعة الأولى ، كتابخانه مركزى . طهران . آخر ص ١٧٠ « رباعية » .

٨ – مقامات حميدى

صاحب هذه المقامات هو القاضى الإمام حميد الملة والدين عمر بن محمود المحمودى البلخى قاضى قضاة بلخ المتوفى سنة ٥٥٩ هـ[١]. (١١٦٣/ ١١٦٤ م.)

وقد أنشأها بالفارسية محاكياً بديع الزمان والحريرى فى مقاماتهما العربية[٢]، فبدأ فى تأليفها صيف عام ٥٥١ هـ./ ١١٥٦ م.[٣]. وفرغ منها حوالى سنة ٥٥٥ هـ. / ١١٦٠ م[٤].

وقد بالغ معاصره الأنورى فى مدح هذه المقامات وتقديمها على مقامات البديع والحريرى فقال : إن هاتين الأخيرتين بالقياس إلى المقامات الحميدية كدموع الأعمى بالنسبة إلى بحر زاخر بماء الحياة[٥]، ولعل هذه المبالغة مردها إلى المودة التى كانت بين الشاعر والقاضى حميد الدين وعرفانه بجميل إنقاذه له من من غوغاء بلخ حين شغبوا عليه لهجوه بلدهم، وله فى مدحه قطع وقصائد متعددة[٦]، والموازنة بين المقامات العربية. وهذه المقامات الفارسية – أيًّا كان تقديرنا لحكم هذا الشاعر أو سواه – لا تعدو أن تكون مقابلة بين الأصل والمثال، وعلى أى حال فإن هذا اللون من التأليف القصصى الذى يهدف قبل كل شى إلى أغراض بلاغية ولغوية تجعله أقرب إلى المناظرة والمحاورة منه إلى القصة، لم يقدر له نجاح فى الأدب الفارسى فكانت محاولة القاضى حميد الدين هى الأولى والأخيرة فيما نعلم، ولم تكن إلا ظاهرة من الظواهر العديدة لتأثر الأدب الفارسى بالأدب العربى.

وتختلف المقامات الحميدية فى ترتيبها وعناوينها باختلاف النسخ[٧]، وقد وصفها «ريو» وصفاً شاملا فى فهرست المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطانى بالصفحات من ٤٦٦ إلى ٤٦٨، وعددها فى بعض النسخ ٢٣ وفى البعض الآخر ٢٤[٨].

---

(١) بهار. سبك شناسى جـ ٢ ص ٣٢٩.
(٢) ص ٣٣٣.
(٣) برون جـ ٢ الترجمة العربية ص ٤٣٩.
(٤) ص ٣٧٤.
(٥) ص ٤٤٠.
(٦) سبك شناسى جـ ٢ ص ٣٢٩.
(٧) برون جـ ٢. ص ٤٤١.
(٨) ص ٤٣٩.

والنسخة التى رجعت إليها مطبوعة على الحجر فى عهد ناصر الدين شاه القاجارى سنة ١٢٦٦ هـ . سنة ١٨٤٩ م . ومقيدة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٩ فارسى .
وعدد مقاماتها أربع وعشرون مرتبة كما يلى :

المقامة الأولى الملمعية ، المقامة الثانية فى الشيب والشباب ، المقامة الثالثة فى الغزو والجهاد ، المقامة الرابعة فى الربيع ، المقامة الخامسة فى اللغز ، المقامة السادسة فى الجنون ، المقامة السابعة فى المناظرة بين اللاعى والزانى ، المقامة الثامنة فى آداب السفر ، المقامة التاسعة فى البرد ، المقامة العاشرة فى المأتم والتعزية ، المقامة الحادية عشر فى اللغز والشمع ، المقامة الثانية عشر فى التصوف ، المقامة الثالثة عشر فى مناظرة السنى والملحد ، المقامة الرابعة عشر فى الموعظة ، المقامة الخامسة عشر فى العشق ، المقامة السادسة عشر فى المخاصمة بين الزوجين ، المقامة السابعة عشر فى أوصاف بلدة السمرقند، المقامة الثامنة عشر فى المناظرة بين الطبيب والمنجم ، المقامة التاسعة عشر فى المسائل الفقهية ، المقامة العشرون فى أوصاف بلدة بلخ ، المقامة الحادية والعشرون فى المغرم ، المقامة الثانية والعشرون فى السكباج ، المقامة الثالثة والعشرون فى الخريف ، المقامة الرابعة والعشرون فى أسامى الخلفاء .

* * *

وقد اكتفينا بذكر ترجمة العناوين دون نصها لكثرتها، وهذه المقامات الفارسية كمثيلاتها العربية ذات عناوين لها دلالتها على موضوعاتها ، ولكنها تختلف عنها من حيث طريقة روايتها ، فلكل من مقامات البديع والحريرى ، راو وبطل للرواية ، راوية البديع عيسى بن هشام وبطل روايته أبو الفتح السكندرى ، وراوية الحريرى الحرث بن همام وبطل روايته أبو زيد السروجى ، ولكننا لا نرى فى مقامات القاضى حميد الدين غير شخصية واحدة تقوم بالدورين معاً ، وهى مع ذلك شخصية مجهولة ، ينعتها القاضى بعدة أوصاف متتالية فى صدر كل مقامة ، فيستهل المقامة الأولى مثلا بقوله : (حكايت كرد مرا دوستى كه در حضر مرا جليس وهم دم بود ودر سفرانيس هم وغم) . أى : (حكى لى صديق كان جليسى ومؤنسى فى الحضر وأنيس همى وغمى فى السفر) . والمقامة الثانية : (حكايت كرد مرادوستى كه مؤنس خلوت بود وأنيس سلوت) . أى : (حكى لى صديق كان مؤنس الخلوة

وأنيس السلوة) والمقامة الثالثة (حكايت كردمرا دوستى كه دل در متابعت أو بود وجان درمشايعت) أى : (حكى لى صديق كان قلبي فى متابعته وروحى فى مشايعته) .

وهكذا نرى فى صدر كل مقامة من مقاماته الأربع والعشرين من الأوصاف والنعوت ما يتألف منها — إذا جمعت — فصل طويل من الصفات التى استغنى بها فى تعريف بطل مقاماته عن الأسماء .

بقى لنا أن نتساءل لِمَ لم يلق هذا اللون من التأليف المترف نجاحاً بين الفرس وهم أهل ذوق أنيق وحضارة قديمة مترفة ؟

يرجع هذا — كما يبدو لى — إلى سببين رئيسيين، أولهما أن هذا الفن فى صياغته يقوم قبل كل شيء على السجع والجناس ، وذلك يتطلب وفرة فى المترادفات والكلمات المتشابهة الأواخر واللفظ غير ميسورة فى اللغة الفارسية الإسلامية ، وثانيهما أن الذوق القصصى الفارسى يهدف بالحكاية إلى أغراض تهذيبية وصور تمثيلية للأفكار والمعانى لا تحققها المقامة على هذه الصورة .

ولا بأس هنا من إيراد بضعة سطور من المقامة الأولى للتدليل على هذا الحدس وإن كان لا يعنينى من هذه المقامات فى بحثى غير ما بها من مسحة قصصية :

(حكايت كرد مرا دوستى كه در حضر مرا جليس وهمدم بود ، ودر سفر انيس هم و غم ، كه وقتى از أوقات ، بحكم محركات نوائب ومعقبات مصائب ، در عرصات بقاع عزم انتجاع كردم ، واز اولو الالباب اخبار وآثار اغتراب استماع نمودم ، عيش عهد جوانى طروقى داشت ، وطيش عهد كودكى حلاوتى ، عذار از بيم پيرى در پردهٔ قيرى بود ، وعارض از عوارض انقلاب در حجاب مشكناب متوارى . . . . إلخ) .

وترجمتها : (حكى لى صديق كان جليسى ومؤنسى فى الحضر ، وأنيس همى وغمى فى السفر ، قائلاً : فى وقت من الأوقات بحكم محركات النوائب ، ومعقبات

المصائب ، عزمت على الانتجاع فى عرصات البقاع ، واستمعت من أولى الألباب إلى أخبار الاغتراب ، كان لعيش عهد الشباب طراوة ، ولطيش عهد الصبى حلاوة ، وكان عذارى من خوف الشيخوخة فى الحجاب القيرى ، وعارضى متواريا عن عوارض الانقلاب فى حجاب المسك الصافى . . . إلخ) .

* * *

ويلاحظ أن أكثر الأسجاع فى هذه العبارة تحقق عن طريق استخدام الألفاظ العربية .

هذه هى أهم كتب الحكايات فى الأدب الفارسى أتينا بها على سبيل المثال وهنالك عدد كبير من هذه الكتب ألف فى إيران والهند وبعضها ما زال مخطوطاً والبعض الآخر مطبوع ، وقد ورد ذكر كثير من هذه الكتب القصصية منظومها ومنثورها فى كتاب هرمان إته « تاريخ أدبيات فارسى » فليرجع إليه من يشاء .

والمشاهد على ضوء هذا الاستقراء أن الحكاية الفارسية بصفة عامة من حيث طريقة تأليفها نوعان ، مركبة وبسيطة ، ونعنى بالمركبة الحكاية التى تتشعب منها أثناء سياقها حكايات فرعية داخل إطارها ، ويمثل هذا النوع حكايات كليلة ودمنة والسندباد وبختيار نامه ومرزبان نامه ، والبسيطة هى الحكاية المفردة غير المتشعبة ، مثل حكايات بوستان *وكلستان وجوامع الحكايات وبهارستان .

وقد شغل قصص الحيوان حيزا هاما فى الحكايات الفارسية تمثيلية كانت أو تهذيبية ، كما هو ملحوظ فى كثير من تمثيليات الحديقة والمثنوى وكليلة ودمنة وسندباد نامه ومرزبان نامه ، وسبق لنا الحديث قبل هذا عن دور الحيوان فى الملحمة عند الكلام عن أشخاص الشاهنامة ومنطق الطير .

القصة العامية والمسرحية المذهبية

الآن وقد انتهينا من الحديث عن القصة الفارسية بشقيها : الملحمة والحكاية ، يجمل بنا الإشارة إلى عدد لا يحصى من القصص الفارسية الأصيلة كتب أغلبها باللغة العامية كتّاب شعبيون مجهولون فى العصور المتأخرة ، وهذه القصص — العامية فى مجموعها — ليست فى الواقع إلا إحياء للرواية الفارسية القديمة التى اندثرت بظهور

الملاحم ، وروايات مذهبية أخرى متأثرة بعقائد الشيعة ، نذكر منها على سبيل المثال : رستمنامه[1] ، كليات رستمنامه ، بديع الملك وبديع الجمال ، شاه آزاد بخت وچهار درويش ، مسيب نامه ، أمير حمزه صاحب قران ، حسين كرد شبسترى ، خاور نامه ، إلى غير هذه الروايات التى لا تدخل تحت حصر . وكذلك توجد كتب حكايات مجهولة المؤلف غالباً ، مثل جامع التمثيل ، ورياض الحكايات وبعض طبعات هذه الكتب مزينة بصور شبيهة بالصور الموجودة بالطبعات الرخيصة لكتاب ألف ليلة وليلة ، وكلها موسوم بميسم الأصالة الشعبية .

التعزية

وهنالك لون آخر من القصص الشعبي الشيعي يسمى « تعزيه » ويأخذ شكل مسرحية مذهبية يقوم بأدوارها أفراد من الشعب وعلى مسرح شعبي أيضاً فيسمى (شبيه خوانى) .

وقد استمدت التعزية عناصرها من الأحداث التى وقعت عام ٦١ هـ . / ٦٨٠ م . بالطف أى كربلاء ومهدت لها البيعة بولاية العهد ليزيد بن معاوية ابن أبى سفيان ثم توليه الخلافة سنة ٦٠ هـ . / ٦٧٩ م .

وخلاصة هذه الأحداث — كما يرويها ابن الأثير — أن الحسين بن على بن أبى طالب وأشياعه من آل البيت النبوى وبعض أشراف الحجاز أبوا مبايعة يزيد بالخلافة لسوء سيرته وعدم أهليته لتولى شئون المسلمين ، فخرج الحسين وآل بيته من المدينة إلى مكة ، والتف حوله المعارضون لبنى أمية ، وتوالت عليه كتب أهل الكوفة وجاءته رسلهم تترى يستنهضونه للخروج إليهم ويعدونه بنصرته والالتفاف حوله إلبا واحداً على يزيد وأعوانه ، فبعث إليهم بابن عمه مسلم بن عقيل ليكشف له جلية خبرهم ، فنادى عبيد الله بن زياد والى الكوفة فى الناس فتفرقوا عنه وخذلوه ،

---

(١) هذا الكتاب سبعة أجزاء هى :

١ — *كرشا سپنامه ٢ — سامنامه ٣ — زالنامه ٤ — رستم جوان ٥ — رستم دلير ٦ — أولاد رستم ٧ — رستم پير . بقلم پدر فهم .

وقاتل منفرداً دفاعاً عن نفسه حتى وهن وأخذ إلى ابن زياد ، فلما أيقن بالقتل أوصى عمر بن سعد بسداد دينه ودفنه وإرسال من يرد الحسين عن المسير إلى الكوفة ، ثم أمر ابن زياد به فأصعد فوق القصر فضرب عنقه وألقى برأسه وأتبع رأسه جسده ، ثم أرسلت الرأس إلى يزيد فكتب إلى واليه يشكره ويأمره بأخذ الطريق على الحسين.

ولما هم الحسين بالخروج إلى الكوفة نصحه الناصحون المشفقون بالعدول عن هذا الرأى ما دام عليها ولاة لبنى أمية ، ولم يحبذ خروجه غير عبد الله بن الزبير ليخلو له وجه مكة ، وعاد أولياؤه فحذروه من تغرير أهل العراق به وانخذالهم عنه إذا جد الجد، فكان مما قاله له عبد الله بن عباس : (إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم، أقم فى هذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز ، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم ثم أقدم عليهم ، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً ، وهى أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس فى عزلة ، فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعاتك، فإنى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية ، فقال له الحسين : (يا ابن عم إنى والله لأعلم أنك ناصح مشفق ، وقد أزمعت وأجمعت المسير) ، فقال له ابن عباس : (فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فإنى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه) ، ثم قال له ابن عباس : (لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك ، والله الذى لا إله إلا هو لو أعلم أنى إن أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس ، أطعتنى فأقمت، لفعلت ذلك) .

وخرج الحسين من مكة يوم التروية وهو يقول : (والله لايدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفى ، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة) .

ولحقت بالحسين الكتب فى الطريق تثنيه عن المضى فقال للرسل :

(إنى رأيت رؤيا ، رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرت فيها بأمر فأنا ماض له على كان أولى) فلما سئل عن هذه الرؤيا قال : (ما حدثت بها أحداً وما أنا محدث بها أحداً حتى ألقى ربى) .

ونزل الحسين فى طريقه إلى الكوفة بماء من مياه العرب عليه عبد الله بن مطيع ، فاستحلف الحسين أن لا يمضى إليها ، فأبى إلا المضى .

وأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل بالثعلبية ، فقال له بعض أصحابه :

(ننشدك الله إلا رجعت من مكانك ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف عليك) ، فوثب بنو عقيل وقالوا : (والله لا نبرح حتى يُدرك ثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم) ! فقال الحسين : (لا خير فى العيش بعد هؤلاء) . . . وأتاه بعد ذلك خبر مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن بقطر ، وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يعلم بقتله ، فلما أتاه خبر مقتلهما أعلم الناس ذلك وقال : (قد خذلنا شيعتنا ، فمن أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذمام) ، فتفرقوا يميناً وشمالا حتى بقى فى أصحابه الذين جاءوا معه من مكة ، ثم سار حتى نزل بطن العقبة فلقيه رجل من العرب فقال له : (أنشدك الله لما انصرفت ، فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف ، إن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الأشياء فقدمت عليهم ، لكان ذلك رأياً ، فأما على هذه الحال التى تذكرها فلا أرى لك أن تفعل) فقال : (إنه لا يخفى على ما ذكرت ولكن الله عز وجل لا يغلب على أمره) ثم ارتحل عنها .

كل هذا يدل على أن الحسين كان يسيره قدر مقدور لا غناء فيه لرأى وتدبير .

وفى مطلع عام ٦١ هـ . سار الحسين من شراف ، فلما انتصف النهار لاحت له من بعيد هوادى خيل ، فأسرع إلى جبل ذى حُسُم ليحمى به ظهره وأصحابه ، وعدلت إليهم الخيل فإذا بألف فارس مع الحر بن يزيد أرسلهم الحصين بن نمير التميمى من القادسية للقائه ، وقام الحسين بعد أن أذن مؤذنه لصلاة العصر فقال : (أيها الناس إنها معذرة إلى الله وإليكم ، إنى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكم أن أقدم إلينا ، فليس لنا إمام لعل الله أن يجعلنا بك على الهدى ، فقد جئتكم فإن تعطونى ما أطمئن إليه من عهودكم أقدم مصركم وإن لم تفعلوا أو كنتم لمقدمى[1]

---

(١) فى الأصل : بمقدمى .

كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذى أقبلت منه) ، فسكتوا وقالوا للمؤذن أقم الصلاة ، وبعد أن صلى بهم الحسين العصر ، تكلم فيهم بمثل ذلك فقال الحر : (إنا والله ما ندرى ما هذه الكتب والرسل التى تذكر) . فأخرج الحسين خرجين مملوءين صحفا فنثرها بين أيديهم ، فقال الحر : (فإنا لسنا هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمرنا إذا لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد) فقال الحسين : (الموت أدنى إليك من ذلك) ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحر من ذلك ، وبعد جدال عنيف بينهما قال له الحر : (إنى لم أومر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة ، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ولا ترد ك إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد أو إلى ابن زياد ، فلعل الله أن يأتى بأمر يرزقنى فيه العافية من أن أبتلى بشىء من أمرك) . فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات ، فقدم عليه أربعة من شيعته بالكوفة فسألهم خبر الناس خلفهم فقالوا له : (أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرارهم ، فهم إلب واحد عليك ، وأما سائر الناس بعدهم فإن قلوبهم تهوى إليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك) وسألهم عن رسوله قيس بن مهر فأخبروه بقتله ، وعرض عليه الطرماح بن عدى الالتجاء إلى جبل أجأ لينتصر بقومه وحذره من أهل الكوفة وأخبره بخروج جموعهم الحاشدة لحربه فشكره قائلا : (جزاك الله وقومك خيراً ، إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر منه على الانصراف ولا ندرى على ما تتصرف بنا وبهم الأمور) فودعه .

ثم سار الحسين ليلا فخفق برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول : (إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين) فقال له ابنه على (يا أبت جعلت فداك مم حمدت واسترجعت؟) قال : (يا بنى إنى خفقت برأسى خفقة ، فعن لى فارس على فرس فقال : القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم فعلمت أن أنفسنا نعيت إلينا) فقال : (يا أبت لا أراك الله سوءا ألسنا على الحق ؟ قال : بلى والذى يرجع إليه العباد ، قال : إذن لا نبالى أن نموت محقين ، فقال له : جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدا عن والده) .

وساروا حتى بلغوا مشارف نينوى ، فأقبل راكب دفع إلى الحر بكتاب بن زياد يأمره فيه بالتضييق على الحسين وإنزاله بالعراء فى مكان غير حصين وغير ذى ماء ففعل ، وأبى عليهم النزول فى أى قرية ، فقال زهير بن القين للحسين : (إنه لا يكون والله بعد ما ترون إلا ما هو أشد منه يا ابن رسول الله ، وإن قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم ، فلعمرى ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به) ، فقال الحسين : (ما كنت لأبدأهم بالقتال) وكان ذلك يوم الخميس الثانى من المحرم سنة إحدى وستين ، فلما كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف ، وبعث إلى الحسين برسول يسأله ما أقدمه ، فأعاد عليه الحسين قصة الكتب والرسل ، وأبدى رغبته فى الانصراف عن الكوفة ، ولكن ابن زياد أمر عمر بأن يعرض على الحسين بيعة يزيد وأن يمنعه وصحبه ورود الماء ، وبعد مفاوضات طويلة قال الحسين لعمر بن سعد (دعونى أرجع إلى المكان الذى أقبلت منه أو دعونى أذهب فى هذه الأرض العريضة حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس) فلم يفعلوا واضطر الحسين إلى القتال وعلم أن القوم يريدون قتله ، فجمع قومه وخطبهم وأذن لهم فى الانصراف عنه فأبوا ذلك فلما ألح عليهم قالوا : (وما نقول للناس ؟ نقول : تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب بسيف ولا ندرى ما صنعوا ؟ لا والله لا نفعل ولكنا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك ، فقبح الله العيش بعدك) . وقضى الحسين ليله يودع أهله ويعزيهم ، فلما صلى عمر ابن سعد لغداة يوم الجمعة يوم عاشوراء ، خرج فيمن معه من الناس ، وعبى الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة ، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلا ، وأعطى رايته العباس أخاه وجعلوا البيوت فى ظهورهم وألقوا فى كل منخفض خلفهم بالحطب والقصب وأضرموا النار فيه حتى لا يؤتوا من خلفهم ، ولما التقى الجمعان وقف الحسين يخطب القوم ويذكرهم بنسبه وقرابته من رسول الله فلم يغن ذلك عنه شيئاً وتهاوى أصحابه الواحد إثر الآخر بعد أن أبلوا فى القتال خير بلاء وقتل ابنه على الأكبر ظمآنا ، واشتد العطش على الحسين فدنا من الفرات ليشرب فرماه رجل بسهم وقع فى فمه فجعل يتلقى الدم بيده ويرمى به إلى السماء ويقول : « اللهم

إنى أشكو إليك ما يصنع بابن بنت نبيك ، اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا) .

ولما بقى فى ثلاثة أو أربعة من أصحابه ، أحيط به عن يمين وشمال فلم يكن أربط منه جأشا ولا أقوى جنانا ولا أجرأ مقدماً ، فكانت الرجال تنكشف عن يمينه وشماله الكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب ، فصاح شمر (ألد أعدائه) بهم ماذا تنتظرون بالرجل ؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم ! فحملوا عليه من كل جانب وخر مضرجا بدمه واحتز رأسه وسلب ما كان عليه ونهب الناس متاعه ومتاع أهله وما على النساء ، ولما مات الحسين أرسل رأسه ورءوس أصحابه إلى ابن زياد ، وحمل رأس الحسين وسيق طفله على زين العابدين ونساؤه أسارى إلى يزيد بن معاوية فى دمشق ، وكان لقاء رهيب وحديث يثير الشجن ويفجر الدمع دما ، وهنالك تحركت نوازع الرحم فقامت بقصر يزيد مناحة اختلط فيها نواح بنات معاوية بعويل النسوة من آل الحسين ، ولم يكن فى المأساة أفجع من هذا المشهد الذى تجمعت فيه كل ذكرياتها وأسدل عليه الستار برد أكرم سبى فى سلب الحداد إلى مدينة الرسول .

* * *

هذه أهم مشاهد المأساة فى أوجز عبارة وقد أطال الطبرى وابن الأثير فى حولياتهما وأبو الفرج الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين وصف وقائع هذه المأساة وما حفلت به فصولها من خطب وأشعار وكلمات بليغة وروايات وأخبار تصور تقديس المسلمين ومحبتهم لآل البيت عامة والحسين خاصة كما تعبر أقوى تعبير عن إغراء المال والسلطان وضعف الطبيعة البشرية أمام إغرائهما .

بغض مقتل الحسين على هذه الصورة يزيد والأمويين إلى عامة المسلمين وزاد فى بغض الشيعة لهم ، فأجمعوا أمرهم الشتيت على الثأر له ، وغدت دماؤه الزكية مددا غزيرا لمراثى لا تحصى ، وتألفت من شيعته فرقة تعرف بالتوابين يُجرى دموعها الندم على ما فرطوا فى جنب الحسين ، ويقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٦٥ هـ / سنة ٦٨٤ م . إنهم ساروا حتى انتهوا إلى قبر الحسين ، فلما وصلوا صاحوا صيحة

واحدة ، فما رؤى أكثر باكياً من ذلك اليوم، فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه ، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه .

فكانت هذه أول تعزية عامة أقامها الشيعة فى ذكرى الحسين .

* * *

والتعزية — المواساة بوجه عام ومشهد الشيعة بوجه خاص ، وأول معانيها عندهم النواح على من استشهد من الأئمة عند قبورهم أو فى منازل النائحين ، وهم يندبون الحسين خاصة .

والتعزية فى لغة العامة ، التابوت المصنوع على غرار القبر القائم فى كربلاء ، وهم يحتفظون فى بيوتهم بنماذج من هذا التابوت يتخذها أثرياؤهم من النفائس . على أن التعزية تدل بوجه خاص على المشهد نفسه ، ويقام هذا المشهد فى الثُّلث الأول من المحرم وخاصة فى اليوم العاشر منه ، وهو اليوم الذى استشهد فيه الحسين ويعرف عند المسلمين بعاشوراء ، ويسمى عند شيعة إيران « روز قتل » أى يوم القتل .

وتختلف المشاهد اختلافاً كبيراً باختلاف البلدان ، فهى فى إيران غيرها فى مواطن الشيعة من أرض الجزيرة وبلاد الهند[1] .

ويعتقد الشيعة أن جبريل قد أخبر الأنبياء الأوائل ومحمدا نفسه بتفصيل ما وقع وبخاصة مقتل الحسين ، كما رؤيت هذه الوقائع فى الأحلام وتنبئ بها وحكيت مراراً وتكراراً — (وللفردوسى أبيات فى هذا المعنى أشرنا إليها عند الحديث عن قصة يوسف وزليخا) — ويعترف يعقوب ويوسف أن الحسين وأولاده قاسوا أكثر مما قاسيا ، بل إن حواء وراحيل ومريم قد أحسسن بلوعة أمه فاطمة ، وخير الملاك محمدا بين ولده الصغير إبرهيم وبين الحسين فرضى بموت إبرهيم وادخر الحسين ليفدى به الناس .

وتسود التعزية فكرة الفداء ، وتتضح بجلاء فى قول جبريل للنبى : (ولسوف يخر سبطاك صرعى عدو زنيم ولن يكون هذا جزاء عصيانهما أوامر ربهما ، فما تعلق أو ضار الإثم بواحد من أهل بيتك يا خير البرية ، وإنما يفتديان المسلمين فيتلألأ

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الطبعة العربية ص ٣١٣ .

جبيناهما أبد الآبدين بنور الأبرار المصطفين ، فإن شئت أن يغفر الله ذنوب الآثمين فلا تضنن بزهرتى بستانك أن تقطفا قبل الأوان)[١] .

وفكرة الفداء قديمة فى الأديان ، فى الميثولوجيا اليونانية ، يقدم أجاممنون قبل الإبحار إلى طروادة ابنته « إيفيچينى » قرباناً لآلهة اليونان كنبوءة العرافين ، فتأتى الإلهة « أرتميس » وتخطفها وتضع مكانها وعلا أنثى[٢] . وفى التوراة يبتلى إبرهيم بأن يطلب إليه ذبح ابنه الوحيد إسحق بأرض المريا ، فلما امتثل ما أمر به وأخذ السكين ليذبح ابنه ، ناداه ملاك الرب من السماء فقال : (لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً ، لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى ، فرفع إبرهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه ، فذهب إبرهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه)[٣] . ووردت هذه القصة كذلك بالقرآن فى سورة الصافات : (فبشرناه بغلام عليم ، فلما بلغ معه السعى قال : يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبرهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم)[٤] وفى السيرة النبوية قصة افتداء عبد الله بن عبد المطلب بالإبل وكان ذلك فى جاهلية العرب .

أما افتداء الناس والتكفير عن خطاياهم بدم الإنسان فنراه بجلاء فى قصة السيد المسيح بالعهد الجديد من الكتاب المقدس : جاء فى الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى (وبينماهم يأكلون ، أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى ، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : اشربوا كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة

---

(١) المصدر السابق ، كتب المقال : شترتمان R. strothmann

(٢) الإلياذة .

(٣) سفر التكوين الإصحاح الثانى والعشرون .

(٤) الآيات من ١٥١ إلى ١٥٧ .

الخطايا) وتنبأ السيد المسيح أيضاً فى مطلع هذا الإصحاح بما دبروا له : (ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه : تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلم ويُصلب) .

وقد مر بنا كذلك فى رواية ابن الأثير أقوال على لسان الحسين يتنبأ فيها بخاتمة حياته .

مراسم التعزية فى إيران

يبدأ الإيرانيون مراسم التعزية فى مقتل الحسين مع شهر المحرم وتستمر حتى نهاية صفر فتتشح البلاد بأثواب الحداد وتعطل الملاهى ، إلا أن أشد أيام التعزية وأرهبها هى العشرة الأولى من المحرم ، فتقام مجالس العزاء فى كل مكان ، ويتجمع بها النسوة والرجال ، ويقوم فى هذه المجالس متكلم بليغ حسن الأداء يقص مأساة الحسين وينشد المراثى فى صوت حزين ولحن منغم فيغلب الناس البكاء وتجرى دموعهم حسبة عند الله وقد يبكى المتكلم أيضاً فيزيد تأثيره فيهم ، ويسمى هذا الرجل (روضه خوان)[1] أو (روضه خون) كما فى لهجة العوام ومعناها قارئ التعزية ، ووجه التسمية — فيما يقال — أن أقدم وأشهر كتاب فى مراثى الأئمة هو كتاب (روضة الشهداء) تأليف حسين واعظى كاشفى ، وكانت قراءته تسمى (روضه خوانى) أى قراءة الروضة وقارئه يسمى (روضه خوان) ثم أطلقت التسمية على قراءة كل كتب المراثى فسمى قارئها (روضه خوان)[2] .

فإذا كان اليوم العاشر وهو أرهب أيام الحداد ، خرجت هذه الجموع فى فرق منظمة أشبه ما تكون بفرق الجنود فى الاستعراض ، فتسير فى الشوارع : بعضهم يضرب الصدور فيسمون (سينه زنان) وبعضهم يضرب الظهور العارية بالسلاسل

---

(١) تنطق «خان» .

(٢) برون ج ٤ الترجمة الفارسية لرشيد ياسمى ص ١٦١ . الطبعة الثانية وقد نشرت فى طهران تحت عنوان (تاريخ أدبيات إيران از آغاز عهد صفويه تازمان حاضر) سنة ١٣٢٩ هـ . ش . (١٩٥٠ م . ١٣٧٠ هـ .)

ويُسمون (زنجير زنان) والبعض يشج الرءوس بنوع من المدى يسمى (قمه) بفتح القاف وكسر الميم ، ويقال لهم « قمه زنان » ويسألون الله المغفرة بهذه الدماء السائلة من رءوسهم فى سبيل الحسين ، ويتقدم هذه الفرق جماعات ينشدون عبارات محزنة بنغمات رتيبة ، على وقفاتها تضريب الصدور والظهور ويردد مقاطعها القوم بعدهم ، فهم يقومون بدور النادبات فى مآتمنا الشعبية ويسمون (نوحه خوان) أى النائحون .

والمشهد رهيب يملأ النفس أسى والقلب شجى والجو ضجة وعويلا ويحس مشاهده اهتزاز الأرض تحت وقع أقدام الآلاف المشتركة فى هذه المواكب الصاخبة (*).

التعزية فى صورتها المسرحية

تأخذ التعزية صبغة المسرحية ، وهذه المسرحية نوعان : ثابتة وسيارة ، فالأولى أعدت لها مسارح شعبية خاصة تسمى فى الهند (إمام باره) وفى إيران (تكّيه) بفتح التاء وكسر الياء وسكون الكاف ، ولعل كلمة (تكية) فى لغتنا العامية مأخوذة من هذه الكلمة .

وقد كان لكل حى بالمدن الكبيرة كما كان لكل قرية بإيران (تكيه) خاصة ، والتكية بناء مسقوف مستدير أو مسدس بنيت وسطه عادة مصطبة تمثل عليها مشاهد مأساة كربلاء طوال شهرى المحرم وصفر ، وتوجد كذلك فى بعض البلاد تكايا غير مسقوفة مثل (تكيهٔ أردستان) .

وكانت مسرحيات التعزية « شبيه خوانى » تلقى فى طهران عاصمة البلاد اهتماماً كبيراً ، ولهذا أقام كل من الأعيان والأشراف (تكيه) فى الحى الذى يقيم به ، وكان أحسن هذه التكايا كما يقال : (تكيهٔ دولت) التى أقامتها الدولة على نفقتها وقد مثل فيها أرقى هذه المسرحيات ويليها حسب الأهمية : (تكيهٔ عضد الملك) — (تكيهٔ صاحب اختيار) — (تكيهٔ مستوفى) — (تكيهٔ قورخانهٔ كهنه) — (تكيهٔ سنـ*كلج) — (تكيهٔ درخو*نكاه) — (تكيهٔ دباغخانه) — (تكيهٔ حاجى رجبعلى) — (تكيهٔ رضا قليخان) — (تكيهٔ كورها) و (تكيهٔ منوچهرخان) .

(*) من مشاهدات المؤلف فى إيران .

وعلاوة على هذه التكايا كانت مشاهد التعزية تقام فى بعض البيوتات ومن أهمها بيت (حاجى مجد الدولة) وبيت (ميرزا أبو الحسن خان ايلچى) كما كانت تمثل أغلب الأوقات بالمقابر وصحون بعض المساجد[١] .

وأهم ما يجهز به المسرح : تابوت كبير ومشاعل توضع فى مقدمة المسرح ثم قوس الحسين ورمحه وحربته وعلمه ، والإنفاق على إقامة هذه المسارح وتجهيزها وتزويدها بالممثلين فريضة على ذوى اليسار يتقربون بها إلى الله[٢] .

ولكل من القائمين بأدوار التعزية المسرحية تسمية خاصة وفقاً للدور الذى يقوم به :

فمن يقوم بدور الحسين أو أحد شيعته يسمى (تعزيه خوان) أو (شبيه خوان) فإن قام بدور يزيد أو شمر أو أحد أعادى الحسين يسمى (مخالف خوان) والذى يقدم للمسرحية بالخطب والأحاديث والمراثى المشجية المحزنة يسمى (پيش خوان)[٣] .

ويلتف النظارة حول المسرح فى دائرة أو نصف دائرة يشهدون فصول المأساة فى حزن بالغ وتأثر عميق يصعدون الزفرات ويذرفون الدموع .

وفى المنظر الأخير من المسرحية يجتمع الآباء كافة من آدم إلى فاطمة حول الرأس الشريف ، ويخاطب النبى فاطمة قائلا : (لا تثريب عليك فى بكاء ولدك المقتول المضرج بدمه الذكى ، فقد غاب عنك سر هذا الاستشهاد ، وستجزين عليه يوم القيامة بمفاتيح الجنة والنار)[٤] .

أما المسرحية السيارة فمسرحها الطريق العام ، ومن أهم مشاهدها الموكب المفجع الذى يحمل الطفل علياً الأصغر زين العابدين ولد الحسين ، والنساء والرأس إلى يزيد ابن معاوية ، ومبيت الموكب بدير نصرانى ونطق راهبه بالشهادتين عند رأس الحسين

---

(١) مجلة نمايش . العدد الخامس ، فروردين ماه سنة ١٣٣٦ هـ . ش (١٩٥٧ م . — ١٣٧٧ هـ)

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية . مقال شترتمان R. strothmann

(٣) رجعت فى تحديد مفاهيم هذه الأسماء وسائر التسميات المتعلقة بالتعزية إلى الأستاذ محمد صادق نشأت .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية .

واستسلام أسد وتبجيله للرأس الشريف[١] ، وتمر المشاهد الواحد فى إثر الآخر تباعاً فى طرقات عينت من قبل ، ويصطف على جانبيها النظارة ، ويدرب ممثلوها على أداء أدوارهم قبل ذلك بمدة طويلة ، ويرى خير مثال لهذه المسرحية فى الوقت الحاضر فى مدينة (اراك) وبهذه الطريقة يشهد الناس جميع وقائع مأساة كربلاء تمر أمام أعينهم وكأنها شريط صور متحركة ، ولتحقيق هذه الغاية يقوم بالدور الواحد عدة أشخاص فى أماكن مختلفة ويمثل كل منهم دوره عدة مرات فلا ينتهى من تمثيله فى منطقة حتى يعيد تمثيله من جديد فى المنطقة التى تليها ، وهو مجهود شاق يتطلب من القائمين به دربة طويلة ، ولا يجد الممثل فرصة يشهد فيها أثر انفعال مشاهديه بأدائه لدوره لأنه لا يبقى أمامهم أكثر من لحظة ينتقل بعدها إلى غيرهم وهكذا دواليك حتى آخر الموكب .

وقل من الممثلين من يقبل القيام بدور (مخالف خوان) لأن القائم بهذا الدور البغيض كثيراً ما يتعرض لخطر عدوان الجمهور الواقع تحت تأثير الانفعال الشديد بمشهد المأساة ، فيضطر إلى الفرار لينجو بنفسه وقد يلقى مصرعه .

ويقال إن أحسن فرقة لممثلى هذه المسرحية السيارة كانت فرقة (حاجى محمد رضا) .

وجدير بالذكر هنا الإشارة إلى تلك المسرحيات المذهبية التى كانت تقام فى القرون الوسطى عند المسيحيين الأوروبيين وتأخذ موضوعها من قصة السيد المسيح والأنبياء والقديسين ومثلت فصولها أول الأمر بالكنائس وأبهائها وانتقل مسرحها بعد ذلك إلى الميادين والمقابر ثم الأبنية المسقوفة التى أعدت لتمثيلها آخر الأمر لتقى الناس تقلبات الجو ، وكانت الطوائف المختلفة فى إنجلترا مثلا تشترك فى هذه المسرحيات فتعد كل طائفة منها عربة على نفقتها تجهزها بالأدوات المسرحية وتمثل فوقها أحد المشاهد وتمر بهذه العربات متتابعة أمام حاكم المدينة ، ويذكرنا ذلك بتلك العربات (الكارو) التى كانت تسير فى موكب الاحتفال برؤيا هلال رمضان وعلى كل منها طائفة من أرباب الحرف تقوم بدور يمثل حرفتها ، وقد أشرنا إلى هذه

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية .

المسرحيات المذهبية الأوروبية لأنها لا تخلو من وجه شبه بالتعزية المسرحية في إيران[١] .

تاريخ ظهور التعزية فى إيران

تاريخ ظهور التعزية على هذه الصورة فى إيران غير معروف على وجه محقق ، يرجع به فريق إلى أيام البويهيين ، كما يتأخر به فريق آخر إلى أيام الصفويين ، ولعل أصحاب الرأى الأول اعتمدوا فيه على ما ذكر فى حوادث عام ٣٥٢ هـ . (٩٦٣ م) . بتاريخ ابن الأثير حيث قال : (فى هذه السنة عاشر المحرم أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء وأن يظهروا النياحة ويلبسوا « قبابا » عملوها بالمسوح وأن يخرج النساء منتشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن فى البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن على رضى الله عنهما ، ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم) .

وجاء بالحاشية ما يفيد بأن هذا أول يوم نيح فيه على الحسين فى بغداد[٢] .

وقد مر بنا فى هذا البحث بأن أقدم تعزية هى التى قام بها التوابون على قبر الحسين بكربلاء عام ٦٥ هـ . (٦٨٤ م .) على رواية ابن الأثير .

وواضح غاية الوضوح أنه ليس فى كلا الروايتين ما يمكن الاعتماد عليه فى معرفة تاريخ ظهور التعزية على هذه الصورة فى إيران .

وقد يكون السند الوحيد لأصحاب الرأى الثانى فى حدسهم هو اتخاذ الصفويين

---

(١) استقيت معلوماتى عن التعزية المسرحية بصفة عامة من مقال الأستاذ الفاضل الدكتور (أمير حسين جهانبكلو) عن المسرحية المذهبية المنشور بمجلة (نمايش) العدد الخامس (فروردين ماه) سنة ١٣٣٦ هـ . ش . (١٩٥٧ م . – ١٣٧٧ هـ .) وبعض مقتطفات من دائرة المعارف الإسلامية مادة (تعزيه) وأستاذى محمد صادق نشأت .

(٢) المجلد السابع طبعة سنة ١٣٥٣هـ . – ١٩٣٤ م . تصحيح الشيخ عبد الوهاب النجار . القاهرة

المذهب الشيعى الإثنى عشرى مذهباً رسمياً للدولة ، ولكن ليس لدينا حتى ساعة كتابة هذا البحث رواية تاريخية موثقة تؤيد هذا الحدس .

* * *

هذه خلاصة دراستى للألوان القصصية المختلفة فى أدب الفرس وسأختم البحث فى هذا الموضوع بالفصل السابع والأخير متحدثاً عن :

(ا) المؤثرات الخارجية فى القصة الفارسية .

(ب) أعلام القصة الفارسية .

الفصل السابع

(ا) المؤثرات الخارجية فى القصة الفارسية

قدمنا فى ختام الفصل الثالث أن القصة الفارسية القومية تأثرت بمؤثرات خارجية، ومن العسير على الباحث إن لم يكن من المستحيل تتبع هذه المؤثرات على وجه الاستقصاء وحسبه إيضاح أبرزها على سبيل التمثيل، وعلة هذا أن الفرس بعد هجرتهم من موطنهم الأول « إيران وائجه » اختلطوا بل امتزجوا بأمم وأنماط شتى من الناس، منهم الآريون وغير الآريين، فأثروا فيهم وتأثروا بهم، وكان لذلك انعكاسات فى قصصهم بعضها من القوة والوضوح بحيث لا تخطئها العين والبعض الآخر باهت حائل أشبه شىء بتلك الأشعة التى تصلنا بعد مئات السنين من النجوم البعيدة ولا يدركها البصر، ونستطيع إجمال هذه المؤثرات بوجه عام تحت عنوانين رئيسيين : المؤثرات الدينية، والمؤثرات التاريخية.

ونعنى بالمؤثرات الدينية هذه الألوان التى انعكست فى القصة عن طريق الأديان، والتاريخية تلك التى انتقلت إليها لنتيجة لاتصال الإيرانيين بالأمم الأخرى بالحروب أو الجوار أو التجارة.

١ ـ المؤثرات الدينية

لعل أول ما يستوقف النظر وجود شبه كبير بين بعض الأساطير الإيرانية القديمة وبعض أخبار سفر التكوين، وخاصة ما يفسر منها ظهور الخليقة والحضارة وانقسام الناس إلى شعوب وقبائل.

فقد تحدثت أساطير « بوندهشن » عن خلق أهورامزدا لعالم الأرواح ثم العالم المادى ونشأة الحيوان والنبات وإيجاد الإنسان وتناسل بنى البشر من زوجين اثنين هما « مَشْىَ ومَشْيانَ » ومجىء الأرواح بالنار من السماء وتعلم الناس لغزل والنسج

واستخراج المعادن وصنع الآلات وبناء المساكن[١] .

ونقل البيرونى أيضاً فى الآثار الباقية عن الفرس روايات فى خلق العالم وهبوط « * كيومرث » من الجنة إلى الأرض وظهور الشرور بوجود « أهريمن» وكيف ظهر أهريمن لميشى ومشيانة فى صورة شيخ وأغراهما بأكل ثمار الأشجار فوقعا فى الشر والبلاء[٢] . وقد روى المسعودى ما يشبه هذا فى مروج الذهب [٣].

وكذلك تحدثنا التوراة عن خلق العالم والإنسان حديثاً مفصلا فى الإصحاحات الخمسة من سفر التكوين ، ولا تخلو قصة إغراء أهريمن لميشى ومشيانة بأكل ثمار الأشجار وما ترتب على ذلك من وقوعهما فى البلاء ، من شبه بقصة إغواء الشيطان لآدم وحواء وتزيينه لهما أكل ثمار الشجرة المحرمة وخروجهما من الجنة نتيجة لذلك[٤] .

وتذكرنا أساطير « ونديداد » عن طوفان جمشيد الجليدى وأمر هرمز له ببناء قلعة مربعة يوقد بها النار ويجمع فيها عناصر الناس والحيوان وأصناف النبات والطعام ليحفظها من الهلاك عند فيضان الأنهار بذوبان الجليد،[٥] وقصة تقسيم أفريدون العالم بين أولاده سلم وتور وإيرج بالشاهنامة ، بقصة طوفان نوح وسفينته التى جمع فيها من كل الكائنات زوجين اثنين وتعمير أبنائه سام وحام ويافث الأرض بعد الطوفان ونسلهم لسائر أجناس البشر على نحو ما جاء فى التوراة [٦].

ونرى غير هذا فى الشاهنامة وكتب الحكايات قصصاً عن اليهود وبنى إسرائيل مثل قصة بهرام واليهودى البخيل[٧] وقصة بهبود وولديه واليهودى الساحر [٨] وحكاية

---

(١) خطوط برجستهٔ داستانهاى إيران قديم ص ٦ وما بعدها . تأليف پيرنيا طبعة طهران ١٣٠٧ هـ . ش. (١٩٢٨ م.) .

(٢) الآثار الباقية طبعة ليبزج Leipzig سنة ١٩٠٣ م. ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٣) الطبعة الثانية لمحيى الدين عبد الحميد ص ٢٢٢ .

(٤) تكوين : الإصحاح الثالث .

(٥) پيرنيا : خطوط برجستهٔ داستانهاى إيران قديم ص ٢٠ .

(٦) تكوين : الإصحاحات من السادس إلى التاسع .

(٧) ش . ع . جـ ٢ ص ٨٢ .

(٨) نفس المصدر ص ١٣٧ .

الإسرائيلى الصالح وزوجته[١] وحكاية موسى عليه السلام[٢] وحكاية الجار اليهودى[٣] والعابد اليهودى والشيطان[٤] وقصة داود وسليمان وبناء المسجد الأقصى[٥] .

ووجود هذه المؤثرات اليهودية راجع بلا شك إلى روابط قديمة بين الفرس واليهود منذ العصر الأكمينى ، سجلتها التوراة فى أسفارها الثلاثة : عزرا ، ونحميا ، وأستير .

فملوك إيران الأكمينيين – كما تقدمهم لنا هذه الأسفار – هم الذين حرروا اليهود من السبى البابلى وردوا إليهم حريتهم الدينية وماسلبه منهم البابليون من مقدسات ، وأعانوهم بأموالهم وسلطانهم على إعادة بناء معبدهم فى أورشليم ، وقد بلغت أستير فى بلاط الملك « احشويرش » منزلة عظيمة فبنى بها وجعلها ملكة البلاد المتوجة ، وتمكنت بفضل نفوذها لدى الملك من إحباط كيد وزيره هامان عدو اليهود وقضت عليه وأنقذت قومها من هلاك محقق .

وليست المؤثرات المسيحية فى القصة الفارسية أقل وضوحاً من تلك المؤثرات اليهودية ، وحسبنا أن نشير إلى قصة الشيخ صنعان وعشقه لفتاة رومية مسيحية وتنصره من أجلها ونزوله على حكمها ، وهى قصة طويلة لفريد الدين العطار ضمنها ملحمته « منطق الطير »[٦] وحكاية المسيح عليه السلام والعابد والفاسق للسعدى الشيرازى ،[٧] وحكاية المسيح والشيطان ،[٨] وقصة فرار المسيح من الحمق إلى الجبل[٩] وقصة وقوع شاپور ذى الأكتاف فى أسر قيصر.[١٠]

---

(١) مقدمة سعيد نفيسى لقابوسنامه .
(٢) الباب الثالث من * كلستان طبعة قريب ص ١٠٤ .
(٣) الباب الرابع من كلستان ص ١٢٤ .
(٤) رياض الحكايات الباب الأول ص ٥ طبعة حبيب الله بن على مدد .
(٥) المثنوى طبعة بروخيم ج ٤ ص ٦٤١ ، ٦٤٥ ، ٦٧٧ ، ٦٨٦ ، ٦٩٠ .
(٦) ص ٧٠ وما بعدها .
(٧) بوستان طبعة فروغى ص ١٢٤ .
(٨) رياض الحكايات ص ٨ .
(٩) مثنوى ج ٣ ص ٥٠٨ .
(١٠) ش . ع . ج ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ .

ولكن أبرز المؤثرات الدينية فى قصص الفرس بلا مراء هى تلك المؤثرات الإسلامية ، ويرجع هذا إلى اعتناق الكثرة العظمى من الإيرانيين للإسلام بعد الفتح العربى ، وكان من نتيجة ذلك أن اصطبغت الشاهنامة نفسها حين جمعها ونظمها بهذه الصبغة الإسلامية ، فنرى كل ملوكها وأبطالها تقريباً موحدين يؤمنون بالله واليوم الآخر وقضائه وقدره خيره وشره على نحو ما أسلفنا فى الحديث عن عقائدهم .

والصورة التى فى الشاهنامة لجمشيد وتسخيره الجن فى نحت الأحجار وتخمير الطين وتشييد البناء وحمله على تخته فى الهواء وثرائه العريض وملكه الواسع ، قوية الشبه للغاية بالصورة القرآنية لسليمان ، وليست منقولة عن التوراة بأى حال ، إذ لا يوجد فى سفرى الملوك الأول وأخبار الأيام الثانى — وهما السفران اللذان يتحدثان عن سليمان — شىء من تسخيره الجن والريح ، وليس فيهما غير الحديث عن سعة ملكه وثرائه وإصهاره إلى فرعون مصر وبنائه بيت الرب وبيت الملك بسواعد البشر ، وتفصيل لكل هذا ، وكذلك لا نجد فيهما شيئاً عن قصة الهدهد وملكة سبأ المذكورة فى القرآن ، بل نرى ملكة سبأ فى الإصحاح العاشر من سفر الملوك الأول والإصحاح التاسع من أخبار الأيام الثانى تسمع بخبر سليمان فتذهب إلى أورشليم فى موكب عظيم وهدايا كثيرة لتمتحنه ، فيخبرها عن كل ما أرادت ويحقق لها ما سألت ويقدم لها الهدايا وتعود هى وعبيدها إلى أرضها بعد أن رأت فيه أكثر مما سمعت عنه .

وقد أوحت قصة الهدهد هذه إلى فريد الدين العطار نظم ملحمته الصوفية « منطق الطير » حتى لنراه يأخذ عنوانها من قول سليمان « يا أيها الناس علمنا منطق الطير » .

ولكن خاتمة حياة جمشيد بانحرافه عن طاعة الله وتمزيق ملكه والقضاء عليه بيد الضحاك شبيهة لحد ما بما جاء فى التوراة عن تحول سليمان فى شيخوخته إلى آلهة أخرى إرضاء لنسائه وغضب الله عليه وتمزيق ملكه بعد مماته[١] .

أما القرآن فقد أشار إشارة لطيفة إلى افتتان سليمان ثم توبته ومغفرة الله له

---

(١) سفر الملوك الأول ، الإصحاح الحادى عشر .

واستجابته دعاءه بأن يهب له ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ، قال رب اغفرلى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد ، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ، وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب)[1] .

(ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور)[2] .

وقد فصلت قصة الهدهد وملكة سبأ التى ألهمت العطار « منطق الطير » فى سورة النمل كما يلى : (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس عُلِّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء إن هذا لهو الفضل المبين ، وحُشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ، حتى إذا أتى على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى ألعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ، وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ، لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين ، فمكث غير بعيد قال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ، إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، ألاّ يسجدوا لله الذى يُخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ، قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ، اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ، قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله

---

(١) سورة ص . الآيات من ٣٤ إلى ٤٠ .

(٢) سورة سبأ : الآيتان ١٢ ، ١٣ .

الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين ، قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ، قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين ، قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ، فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ، ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ، قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين ، قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم ، قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون ، فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ، وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ، قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لُجة وكشفت عن ساقيها ، قال إنه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) (١) .

وأصبحت قصة سليمان وتسخيره للجن على نحو ما جاءت بالقرآن معيناً لا ينضب لقصص الجن والطلسمات والقماقم وخاصة فى القصص الشعبية مثل خاور نامه وقصة بديع الملك وبديع الجمال والقصص الفارسية فى ألف ليلة وليلة كما أصبح الهدهد شخصية قصصية هامة فى الأدب الفارسى الإسلامى لا تقل وضوحاً عن الخضر وذى القرنين وخاصة عند العرفاء .

وإذا وقفنا عند هذا الحد من الحديث عن قصة جمشيد نرى منوچهر فى آخر أيامه يدعو إليه ولده نوذر ويفوض إليه التاج والتخت ويوصيه فيقول : (وإنى مسلم إليك التاج والتخت كما سلمهما إلى أفريدون ، وكأنى بك قد خلعت ما تلبسه

(١) الآيات من ١٦ إلى ٤٤ .

من ذلك ، فاجهد ألا يتبعك من بعدك سوى الذكر الجميل ، وستتجدد عن قليل نبوة فيبعث الله عز وجل موسى نبياً بناحية المغرب ، فصدقه وآمن به ولا تحيدن عن طاعته ، وتنكب سبيل مخالفته)[١] .

وتنبؤ منوچهر بنبوة موسى عليه السلام شبيه بما رواه البيهقى فى تاريخه عن نبوءة بزرجمهر برسالة محمد صلعم حيث قال : (چنان خواندم كه چون بزرجمهر حكيم از دين *كبر* كان دست بداشت كه دين باخلل بوده است ، ودين عيسى پيغمبر صلوات الله عليه *كرفت وبرادران را وصيت كرد كه در كتب خوانده ام كه آخر الزمان پيغامبرى خواهد آمد نام أو محمد مصطفى صلى الله عليه وسلم . ا *كر روز* كار يابم نخست كسى من باشم كه بدو *بكروم وا *كر نيابم اميدوارم كه حشر مارا باامت أو كنند ، شما فرز ندان خودرا همچنين وصيت كنيد تابهشت يا بيد)[٢] .

وترجمة هذا : (وكذلك قرأت أنه لما صبأ بزرجمهر الحكيم عن دين المجوس لأنه كان ديناً فاسداً واعتنق دين عيسى النبى صلوات الله عليه ، أوصى إخوته قائلاً : قد قرأت فى الكتب أنه سيأتى نبى آخر الزمان اسمه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، إذا أدركتُ زمانه كنت أنا أول من يتبعه ، وإذا لم أدركه أرجو أن أحشر مع أمته ، فأوصوا أبناءكم هكذا لتظفروا بالجنة) .

وفى هذه النبوءة بالرسالة المحمدية كما يبدو انعكاس لما جاء بالقرآن على لسان السيد المسيح عليه السلام من تبشيره برسول يأتى من بعده اسمه أحمد : «وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد)[٣] .

وفى أيام فيروز بن يزد *كرد بن بهرام *كور ، جف ضرع السماء وعاش الناس

---

(١) ش . ع . جـ ١ ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) تاريخ بيهقى باهتمام دكتور غنى ودكتور فياض ص٣٣٣ ، ٣٣٤ . طبعة سنة ١٣٢٤ هـ . ش (١٩٤٥ م . — ١٣٦٥ هـ .)

(٣) سورة الصف الآية ٦ .

سبع سنوات عجاف ، فلما اشتد الخطب أمرهم فيروز بالخروج لصلاة الاستسقاء، فاستجاب الله لهم وجادهم الغيث بعد جدب طويل[1] .

ولم يكن اعتناق الفرس للإسلام هو وحده السبب فى اصطباغ القصة الفارسية بهذه الصبغة الإسلامية القوية ، بل كان هناك داع آخر هو المفاخرة التى كانت على قدم وساق بين الفرس والعرب وكان قوامها العصبية والدين؛ افتخر العرب بأحسابهم وأنسابهم فى الجاهلية وبدينهم فى الإسلام ، ففاخرهم الفرس بالآباء والأجداد والملك والحضارة ونشأ من ذلك شعوبية قائمة على الحط من شأن العصبية العربية وإعلاء أمر القومية الفارسية ، وحفل الأدب العربى بالكثير من آثار هذه الشعوبية وخاصة فى الشعر ، وكان من أحد شعراء الشعوبية لساناً على العرب إسماعيل بن يسار وبشار بن برد :

استطاع ابن يسار أن يقول للعرب فى عهد بنى أمية :

رب خـال متـوج لى وعم ... ماجدى مجتدى كريم النصاب
إنمـا سمى الفـوارس بالفرس ... مضاهـاة رفعـة الأنساب
فاتركى الفخر يا أمام علينـا ... واتركى الجـور وانطقى بالصواب
واسـألى إن جهلت عنا وعنكم ... كيف كنا فى سالف الأحقاب
إذ نربى بنـاتنـا وتدسو ... نسفاها بناتـكم فى الـتراب

كما استطاع بشار بن برد أن يقول أيام العباسيين :

خليـلى لا أنام على اقتسار ... ولا آبى على مولى وجـار
سأخبر فاخر الأعراب عنى ... وعنـه حين تأذن بالفخار
أحين كسيت بعد العرى خزا ... ونادمت الـكرام على العقار
تفاخر يا ابن راعيـة وراع ... بنى الأحرار ؟ حسبك من خسار
وكنت إذا ظمئت إلى قراح ... شركت الكلب فى ولغ الإطار
تريغ بخطبـة كسر المـوالى ... وينسيك المكارم صيد فار
وتغـدو للقنـافـد تدريهـا ... ولم تعقل بدراج الديار

(١) ش . ع . ج ٢ ص ١٠٨ .

وتتشح الشمال للابسيهـــا وترعى الضأن بالبلد القفار
مقامك بيننـــا دنس علينـــا فليتـــك غائب فى حر نار
وفخـــرك بين خنزير وكلب على مثلى من الحدث الكبار (١)

* * *

جاهر الفرس بهذا وكثير مثله فى الأحساب والأنساب الدنيوية فما عساهم قائلون فى الدين ؟ لابد وأن تكون لهم أمجاد دينية كذلك يطاولون بها العرب وسابقة فى الدين يتقدمون بها عليهم ، فإذا كان الله قد منّ على العرب بنعمة الإسلام فقد كان آباؤهم عباد أصنام بينما كان ملوك الفرس مؤمنين بالله واليوم الآخر وكتبه ورسله ويمت أكثرهم إلى الأنبياء بحرمة النسب والمعاصرة ، والقرآن يحترّم جميع النبوات ويوصى بأهل الكتاب خيراً وقد شرفوا هم أيضاً بالدين الجديد فدخلوا فيه أفواجاً ، وما كان محمد رسولا للعرب وحدهم ولا أبا أحد من رجالهم وإنما هو رسول الله إلى الخلق كافة .

وفى مروج الذهب باب بعنوان : (ذكر أنساب فارس وما قاله الناس فى ذلك) مما جاء فيه : (تنازع الناس فى الفرس وأنسابهم فمنهم من رأى أن فارس بن ياسور ابن سام بن نوح . . . . ومنهم من زعم أنه من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحق ابن إبرهيم الخليل صلوات الله عليهم . . . . وقد زعم قوم أن الفرس من ولد لوط من ابنتيه زهى ورعوى . . . . وذكر آخرون أنهم من ولد بوان بن إيران بن الأسود ابن سام بن نوح . . . . ومنهم من ذهب إلى أن منوشهر هو مشجر بن فريقس ابن ويرك ، وويرك هو اسحق بن إبرهيم الخليل) .

وجاء فى هذا الباب أشعار كثيرة من بينها أبيات منسوبة لجرير يمدح فيها الفرس والروم ويرقى بنسبهم إلى إسحق بن إبرهيم جد الأنبياء عليهم السلام نذكرها فيما يلى :

وأبنـــاء إسحق الليوث إذا ارتدوا حمائل موت لابسين السنورا
إذا افتخروا عدو الصبهبذ منهمو وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا

---

(١) حماسه سرائى : الطبعة الثانية ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ نقلا عن الأغانى .

وكان كتـــاب الله فيهم ونوره — وكانوا بإصطخر الملوك وتسرّا
ومنهم سليمان النبي الذى دعا — فأعطى بنيانا وملكاً مقـــدرا
أبونا أبو إسحق يجمع بيننـــا — أب كان مهدياً لبيًّا مطهرا
بنى قبـــلة الله التى يهتدى بهـــا — فأورثنـــا عـــزا وماكا معمرا
وموسى وعيسى والذى خر ساجدا — وأنبت زرعا دمع عينيه أخضرا
ويعقوب منهم زاده الله حـــكمة — وكان ابن يعقوب نبيًّا مطهرا
ويجمعنا والغر أبنـــاء فارس — أب لا نبالى بعده من تأخرا
أبونا خليـــل الله والله ربنـــا — رضينـــا بما أعطى الإله وقدرا

* * *

كما ذكر أن بعض شعراء الفرس فى أواخر القرن الثالث افتخر بجده إسحق ابن إبرهيم الخليل على ولد إسماعيل وبأن الذبيح كان إسحق وليس إسماعيل فقال:

قل لبنى هاجر أبنت لـــكم — ما هـــذه الـــكبرياء والعظمه
ألم تـــكن فى القـــديم أمـــكم — لأمنـــا ســـارة الجمال أمه
والملك فينـــا والأنبيـــاء لنـــا — إن تنكروا ذاك توجدوا ظلمـــه
إسحق كان الذبيح قد أجْـ — ـمع الناس عليه إلا ادعاء لمـــه
حتى إذا ما محمد أظهر الـــــدّين — وجلى بنوره الظلمـــه
قلتم قريش الأحساب مفخرة — أصل لنا إن كنتم بنيه فمـــه
أما بنو يعقوب فليسوا كمن — أسكنه الله آمنـــا حرمـــه
ولا كأبنـــاء فـــارس وهم — فى الأرض مثل الأسود فى الأجمه

* * *

وكذلك حج الفرس البيت الحرام وطافوا به وعظموه وأهدوا إليه الأموال وزمزموا على بئر إسماعيل فسميت زمزم لكثرة ما زمزموا عليها وفى هذا يقول المسعودى :
(وقد كان أسلاف الفرس يقصدون البيت الحرام ويطوفون به تعظيما له ولجدهم إبرهيم عليه السلام وتمسكاً بهديه وحفظاً لأنسابها وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك وهو جد أردشير بن بابك وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذى يرجعون إليه كرجوع

المروانية إلى مروان بن الحكم وخلفاء العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب ، ولم يل الفرس الثانية أحد إلا من ولد أردشير بن بابك هذا ، فكان ساسان إذا أتى البيت طاف به وزمزم على بئر إسماعيل فقيل إنما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس ، وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذه البئر ، وفى ذلك يقول الشاعر فى قديم الزمان :

زمزمت الفرس عـلى زمـزم   وذاك فى سـالفها الأقـدم

* * *

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام بذلك فقال من كلمة :

وما زلنـا نحج البيت قدمـا   ونلقى بالأبـاطح آمنينـا

وساسان بن بابك صـار حتى   أتى البيت العتيق يطوف دينـا

فطاف به وزمزم عنـد بئر   لإسماعيـل تروى الشاربينـا

* * *

وكانت الفرس تهدى إلى الكعبة أموالاً فى صدر الزمان وجواهر وقد كان ساسان ابن بابك هذا أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً فقذفه فى زمزم) [1]

وفى مجمل التواريخ والقصص باب خاص بملوك الفرس ومعاصريهم من الأنبياء والموابذة والقادة ومشاهير الرجال عنوانه :

(باب العاشر : اندر يادكردن كه در روزكار هرپاد شاهى پيغمبران كه بودند ، وموبدان ، وسپهبدان ، ومعروفان بر سبيل اجمال) .

ومما جاء فى هذا الباب أن أخنوخ أو إدريس النبى كان معاصراً لهو شنك* وطهمورث ، كما عاصر هود جمشيد وأدرك هو وصالح أيام الضحاك ، وإبرهيم ويوسف أفريدون ، وموسى ويوشع منوچهر إلى آخر ما جاء فيه .

وبذلك لم يترك الفرس للعرب فخراً دينياً أو دنيوياً إلا وفخروهم فيه، ونخرج من هذا كله بأن اصطباغ القصة الفارسية بهذا اللون الإسلامى السائد يرجع فى جوهره إلى عاملين أساسيين هما : إسلام الفرس وشعوبيتهم .

---

(١) مروج الذهب الطبعة الثانية لمحيي الدين عبد الحميد من ص ٢٣٧ إلى ص ٢٤٢ .

(ب) المؤثرات التاريخية

إذا رجعنا إلى الشاهنامة أو كتاب الملوك رأينا أن الأمم الوافدة فيه هى : العرب والترك والصين والهند واليونان والروم ، وبعض هذه الأمم يمت إلى الفرس بصلة القرابة والبعض الآخر تربطه بهم أواصر الصهر والنسب. فالترك أبناء تور والروم أبناء سلم وهما أخوا إيرج جد الإيرانيين وكلهم أولاد أفريدون ، وقد زوج أفريدون أولاده الثلاثة من بنات سروا ملك اليمن ، وبذلك أصبحت خؤولة ملوك الفرس والترك والروم فى العرب . كما أصهر إليهم من الأبطال والملوك الإيرانيين زال بن سام بن نريمان وشغاد أخى رستم ، فتزوج كل منهما واحدة من بنات ملوك كابل الذين يرجع نسبهم إلى الضحاك بن مرداس اليمنى ، وكان من أثر هذا الزواج فى الشاهنامة قصة زال وروذابه وقصة مصرع رستم بتآمر أخيه شغاد مع حميه ملك كابل عليه .

ولما سار كيكاوس إلى ملك هماوران وفتح بلاده ، تزوج ابنته سودابه صاحبة القصة المشهورة مع ولده سياوش وقد قامت فى هذه القصة بدور زليخا مع يوسف . وتربى بهرام *كور صاحب الشخصية التاريخية الروائية بين المناذرة على يد المنذر وابنه النعمان صاحب الخورنق ذلك القصر الذى أوحت تصاويره إلى النظامى الـ*كنجوى قصته المشهورة « هفت پيكر » أى الصور السبع ، وكان للمناذرة على بهرام *كور غير حق التربية فضل تسنمه عرش آبائه ، وسجلت الشاهنامة لهم هذه القصة ، واستوعبت الشاهنامة إلى جانب هذه العلاقات الودية بين الفرس والعرب حروباً وقعت بين الأمتين انعكست آثارها فى قصة الضحاك بن مرداس اليمنى ، وكيكاوس وملك هماوران ، وشاپور ذى الأكتاف والملك الغسانى الذى سبى عمة شاپور ، وانتهت بفتح إيران على يد العرب بعد الإسلام ، فكان العرب بهذا أول وآخر الأمم الوافدة التى التقينا بها فى كتاب ملوك الفرس .

وقد لعبت شخصيات حاتم الطائى وليلى والمجنون دوراً هامًّا فى القصص الفارسى الإسلامى ، فدارت حولها حكايات ونظمت مثنويات نذكر منها على سبيل المثال حكايات السعدى الشيرازى عن حاتم الطائى فى « بوستان *وكلستان » وليلى ومجنون لكل من النظامى والجامى وهاتفى .

وحفلت كتب الحكايات والتمثيليات أيضاً بصور عديدة لجور الحجاج وعسفه، وأناة معاوية وحلمه ، وعدل عمر بن عبد العزيز وورعه ، نشهد بعضها فى حكايات قابوسنامه والسعدى الشيرازى وجوامع الحكايات ولوامع الروايات .

أما على وبنوه وأشياعه ومحبوه فقد أقامت لهم القصة الفارسية دولة ذات طابع مذهبي مستقل ، فقاموا بأدوار البطولة الأولى فى الملاحم والحكايات الشيعية وهى أكثر من أن تحصى وبخاصة فى الأدب الشعبي ، وبفضلهم ظهرت المسرحية المذهبية المعروفةفى الأدب الفارسى بالتعزية وقدسبق لنا التنويه بهذافى الفصول السابقة .

كذلك تطالعنا وجوه بعض الخلفاء العباسيين كالرشيد والمأمون والمتوكل فى الحكايات الفارسية وخاصة فى قابوسنامه وجوامع الحكايات ، كما ترجم إلى الفارسية كثير من الحكايات العربية لعل أهمها وأكثرها ذيوعاً مجموعة حكايات الفرج بعد الشدة ، وقد حدثنا السعدى الشيرازى فى كثير من حكايات *كلستان عن العرب وملوكهم المجهولين ، ويرتبط الإيرانيون بالترك والروم — فوق رابطة القرابة — بروابط المصاهرة ، فسياوُش بن كيكاوس تزوج فرز*كيس ابنة أفراسياب وأولدها كيخسرو ، وتزوج البطل الإيرانى بيز*ن بن *كيو من ابنة أخرى لأفراسياب اسمها منيز*ه بعد قصة غرامية طويلة ، وتهمينه ابنة ملك سمن*كان التوزانى دخلت على رستم ليلا وهو فى ضيافة أبيها وبنى بها وولدت منه سهراب صاحب المأساة الشهيرة .

وقد خرج *كشتاسب مغاضباً لأبيه لهراسب ونزل ببلاد الروم وقام فيها بعدة مغامرات انتهت بزواجه من كتايون ابنة قيصر وعاد بها إلى بلاده . وتزوج كسرى پرويز أيضاً مريم ابنة قيصر أثناء التجائه للروم واستعانته بهم على قائده الثائر بهرام جوبين .

وإذا كانت هذه المصاهرات ومقدماتها قد غدت مادة وفيرة لقصص عاطفية فهنالك ملاحم حماسية تزدحم بها الشاهنامة نجمت عن الحروب بين هذه الأمم الثلاث ، وقد وقع أكثر هذه الحروب بين الإيرانيين والترك قبل عصر الإسكندر ، ثم تنحى الترك للروم عن مكان الصدارة فيها أيام الساسانيين ، ومثل الأبطال والملوك من كلا الجانبين الدور الأول فى وقائعها كما هو مشهود فى كتاب الملوك ، ولم تخل كتب الحكايات من الحديث عن هاتين الأمتين .

ويرد ذكر الصين كثيراً بالشاهنامة ، وقد أصهر إليهم أنوشروان ولكنهم كانوا فى أكثر الحروب حلفاء للترك فاشتبه أمرهم بهم ، ويشتبه كذلك أمر اليونان بالروم ، حتى ليعرف الإسكندر بالرومى ، ولكن شخصية الإسكندر القوية حفظت الطابع اليونانى من التلاشى وغدا فوق بطولته الحربية بطلاً لكثير من الحكايات التى تروى عن حكمته وسعة حيلته ، وهو فى القصة الفارسية ابن داراب من ابنة فيليبس المقدونى وأخو دارا آخر الملوك الأكمينيين وزوج ابنته روشنك ، وإن التبست شخصيته بذى القرنين ، وصورة الإسكندر كما تتجلى لنا فى الشاهنامة وشرفنامة وإقبالنامة والحكايات المختلفة مزيج عجيب من ملامح وسمات يونانية فارسية إسلامية .

وقد سبق لنا الحديث عن قصة سلامان وأبسال اليونانية الأصل فى منظومة الجامى عند الكلام عن الملاحم بعد الشاهنامة ولا حاجة بنا للعودة إلى الحديث عنها ، وفضلاً عن قصتى الإسكندر وسلامان وأبسال نرى أخباراً وحكايات فارسية كثيرة عن فلاسفة اليونان وحكمائهم مثل جالينوس وأرسطو وأفلاطون وبلاد اليونان وخاصة فى قابوسنامه *وكلستان وجوامع الحكايات .

أما الهنود فإنهم لم يخوضوا حرباً ضد الإيرانيين وإن رأينا أفيالهم تتقدم جيوش الترك والصين . وآثارهم فى القصة الفارسية لا تخطئها العين سواء فى الشاهنامة أو غيرها من الكتب القصصية ، ومن أمثلة ذلك قصة شنكل الهندى ، وقصة الشطرنج والنرد ونقل كتاب كليلة ودمنة ثم كتاب كليلة ودمنة وسندبادنامه والكتب الفارسية المؤلفة على غرارهما مثل مرزبان نامه وبختيارنامه والفصول الفارسية المزيدة على كليلة ودمنة ، وقد ساقت إلى المصادفات قصة هندية ترجمها على أصغر حكمت إلى الفارسية ، وعنوانها «شكونتلا» Shakuntala وشكونتلا بطلة هذه القصة طفلة من دم ملكى زهد فيها أبواها وتركاها فى غابة ، فعطفت عليها الطيور وغذتها وربتها ، فلما شبت مر بها عابد وتعجب من حالها وأسماها « شكونتلا » أى ربيبة الطير ، فأذكرتنى هذه الفتاة قصة زال بن سام الذى زهد فيه أبوه وتركه بالجبال فحدبت عليه العنقاء وربته وعاد إلى أبيه يافعاً وقال عنه أبوه للملك منوچهر وهو يلتمس له عذراً فى حبه لروذابه : (وبعد ذلك لا يخفى على ألمعية الملك أنه وإن كان بقوة

أعضاده يدفع فى نحور الآساد ويضعضع أركان الأطواد ، فهو ربيب الطير ومن أجل ذلك هو رقيق القلب)[1] .

هذه لمسات سريعة لأهم المؤثرات الخارجية فى القصة الفارسية ، وهنالك ألوان باهتة ضعيفة لا تكاد تستبينها العين ولا تلمحها إلا عرضاً ، مثل تلك الإشارات إلى مصر والإسكندرية وبلاد المغرب والشام فى *كلستان وقيدافة ملكة الأندلس فى قصة الإسكندر بالشاهنامة .

(ب) أعلام القصة الفارسية

الآن وقد فرغنا من الحديث عن القصة الفارسية ذات الطابع القومى وما تأثرت به من مؤثرات خارجية ، مفصلين ما أجملنا فى الفصل الثالث من الكتاب ، يجمل بنا التعريف فى إيجاز بأعلام هذا التراث الخالد فى أدب الفرس ، وسنبدأ بالكلام عن الرودكى أبى الشعر الفارسى كأول ناظم لمثنوى قصصى — على ما نقلت إلينا كتب الأدب — ثم نقفى على أثره بالدقيقى والفردوسى والأسدى الطوسى والفخر الكـ *ركانى والنظامى الكـ *نجوى والسنائى والعطار وجلال الدين الرومى والسعدى الشيرازى وعبد الرحمن الجامى خاتم هؤلاء الأعلام ، وقد عرضنا قبلا لنفر غيرهم عند الكلام عن آثارهم القصصية فى فصلى الملحمة والحكاية فضمنا سيرهم حديث تلك الآثار

١ — الرودكى

هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الرودكى السمرقندى وأصله من رودك إحدى قرى سمرقند ، وكان إلى جانب شاعريته حسن الصوت فاشتغل بالإطراب وتعلم العزف على البربط من أبى العبك البختيارى .

لم يكن الرودكى أول شعراء الفرس ولكنه كان أول شاعر بلغ الشعر الفارسى كماله على يديه ، واشتهر بالغزارة والإجادة لا سيا فى الغزل ، وذهب الرشيدى

---

(١) ش . ع . جـ ١ . ص ٦٧ .

السمرقندى إلى أن شعره أربى على المليون والثلثمائة ألف بيت كما نقل العوفى أن أشعاره بلغت مائة دفتر ، وهذه المبالغة لها دلالتها على وفرة أشعاره التى لم يبق منها غير القليل ، ويهمنا قبل كل شيء من أمر الرودكى نظمه لمثنوى كليلة ودمنة عن الفارسية كما مربنا فى الكلام عن هذا الكتاب ، ويقول العنصرى إنه ظفر بأربعين ألف درهم صلة على ذلك ، عاصر الرودكى الأمير نصر بن أحمد السامانى . . . (٣٠١ — ٣٣١ هـ . = ٩١٣ — ٩٤٢م .) وكان شاعره الأثير ، ومدح أمراء بنى سامان ورجال دولتهم ، فأجزلوا له العطاء وعاش فى خفض وثراء .

توفى الرودكى بين عامى ٣٢٩ ، ٣٣٠ هـ . (٩٤٠ ، ٩٤١ م .)[١] .

٢ — الدقيقى

اختلف فى اسم هذا الشاعر ، فهو محمد بن أحمد ، ومحمد بن محمد ابن أحمد ، ومنصور بن أحمد ، وكنيته — على قول العوفى أبو منصور ويرجح الأستاذ فروزانفر أن اسمه : أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد ، ولا خلاف فى لقبه — الدقيقى — نسبة إلى الدقيق ، ومن المحتمل أن يكون هو فى أول أمره أو أبوه أو أحد أجداده قد اشتغل بتجارة الدقيق فلقب بالدقيقى ، وذهب العوفى إلى أنه لقب بذلك لدقة عبارته ورقة ألفاظه .

واختلف أيضاً فى مولده ، فقيل ولد ببلخ أو طوس أو سمرقند أو بخارى ، ويرجح البعض أنه من سمرقند ، وهو على أى حال شاعر مجيد أثرت عنه قطع متفرقة ، وأهم آثاره بالنسبة إلينا هذه الأبيات الألف التى نظمها فى البحر المتقارب عن قصة *كشتاسب ونقلها الفردوسى فى شاهنامته ، وتعرف فى الأدب الفارسى باسم « *كشتاسب نامهٔ دقيقى » .

يذهب البعض إلى أنه كان زردشتيا ، وأن أشعاره التى يدل ظاهرها على إسلامه قيلت تقية ، ويقال إن الدقيقى عاصر الأميرين السامانيين أبا منصور بن نوح (٣٥٠ — ٣٦٥ هـ . = ٩٦١ — ٩٧٥ م .) وأبا القاسم نوح بن منصور (٣٦٥ —

---

(١) سخن وسخنوران جـ ١ ص ٣ وما بعدها .

٣٨٧ هـ . = ٩٧٥ — ٩٩٧ م .) وأنه قتل على يد غلام له بين سنتى ٣٦٧ ، ٣٧٠ هـ . (٩٧٧ ، ٩٨٠ م .)[١] .

ولكن بالشاهنامة المعربة نصًّا صريحاً يحملنى على القول بأنه قتل سنة ٣٦٤ هـ . (٩٧٤ م .) فى أواخر أيام الأمير منصور الأول بن نوح .

يقول الفردوسى فى مدح محمود ونظم الدقيقى لـ *كشتاسپ نامه وتمهيده الطريق أمامه لنظم الشاهنامة : (لقد أحسن القائل المنطيق « أى الدقيقى » بما مهد للناظم الطريق ، إن كان لم ينظم إلا سطوراً قلائل ، واحداً من آلاف الوقائع والمحافل ، فقد كان الدليل الخبير الذى وضع الملك على السرير ، وقد تلقاه الأكابر بالجاه والمال ، وجنى عليه ذميم الخلال ، ولقد كان مداح الملوك ، يتوجهم بدره المسلوك ، غير أنه كان واهى النظام ، فلم يتجدد به دارس الكلام ، وقد استبشرت بهذا الكتاب فالا ، وحملت أعباءه أعواماً طوالا ، ولكنى لم أر أبيا معطاء على عرش الملوك وضاء ، فناءت نفسى بالعناء ولم يكن غير الصمت دواء .

بصرت بجنة غناء ، يتبوأها السعداء ولم أجد إلى داخلها سبيلا ، ولا رأيت سوى الملك فيها إكليلا ، ولم يكن بد من سبيل على قدرها ، لا تضيق بنضرتها ورواءها ، « فلبثت عشرين عاماً » أدخر الكلام وأفتش عن الجدير بكنز التؤام أبى القاسم الملك الكريم ، الذى ازدان به تاج السلاطين ، ملك العالم محمود ، رب الأبهة والجود ، الذى يقابله القمر وكيوان بالسجود)[٢] .

فالفردوسى يصرح فى هذه العبارة بأنه لبث بعد الدقيقى عشرين عاماً يدخر الكلام ويفتش عن الجدير « بكنز التؤام » حتى تمثل له فى السلطان محمود ، ويقول فى آخر الشاهنامة وهو يقدمها إليه :

(وكم تعب تحملت ، وكم غصص تجرعت ، حتى تسنى له نظم هذا الكتاب فى مدة ثلاثين سنة ، آخرها سنة « أربع وثمانين وثلثمائة » وهو يشتمل على ستين ألف

---

(١) سخن وسخنوران جـ ١ ص ١٢ وما بعدها .

(٢) ش . ع . جـ ١ ص ٣٣٦ .

بيت وجعلته تذكرة للسلطان أبي القاسم محمود بن سبكتكين لا زال نافذ الأمر عالى القدر)[1] .

وقد قدمنا أن الفردوسي كان يروض طبعه على نظم القصص سنوات قبل شروعه فى إتمام نظم شاهنامة أبي منصور بعد مقتل الدقيقى ، وأن الشاهنامة الحالية تشتمل على روايات وقصص أضافها الفردوسي إلى شاهنامة أبي منصور ، وعلى ذلك يكون قد قضى هذه السنوات الثلاثين فى نظم ما كان ينظم قبل الدقيقى وما نظم بعد قتله ، ومفاد العبارة الأولى أنه قضى عشرين سنة فى إتمام الشاهنامة بعد الدقيقى ، لا فى نظم الشاهنامة كلها ، فلا تعارض ولا تناقض بين العبارتين .

وكما صرح الفردوسي فى عبارته الأولى بأنه استغرق عشرين سنة فى إتمام الكتاب الذى بدأ نظمه الدقيقى ، صرح كذلك فى العبارة الثانية بأنه أتمه سنة ٣٨٤ هـ . (٦٩٤ م .) وعلى ذلك يتحقق لدى أن الدقيقى لقى حتفه فى حدود عام ٣٦٤ هـ .

٣ ـ أبو القاسم الفردوسي

لا خلاف فى كنية هذا الشاعر العظيم ولقبه ، ولكن الخلاف كبير فى اسمه واسم أبيه ، فهو : حسن وأحمد ومنصور ، وأبوه : علي وإسحق بن شرفشاه وأحمد ابن فرخ ، وقد ولد على أرجح الأقوال عام ٣٢٣ هـ . / ٩٣٥ م . فى « بارْ » إحدى قرى طوس ، وهو شاعر عف كريم الأخلاق يحفل شعره بالحكم والعظات والعبر والمعانى السامية والألفاظ الجزلة ، ويتميز بقوة التعبير ويغلب عليه الجانب الوصفى والحماسى ، وقد بلغ بالملحمة الفارسية القمة ، فتقدم من قبله ولم يلحق به أحد بعده ، وهو عند الجمهرة أعظم شعراء قومه ، وأهم ما أثر عنه شاهنامته الخالدة ومثنوى يوسف وزليخا وقد أطلنا الحديث عنه وعنهما فى الكلام عن الملحمة ، وتعتبر الشاهنامة فوق قيمتها القصصية والأدبية كنزاً لغويا ثميناً[2] .

توفى الفردوسي شيخاً بين سنتى ٤١١ ، ٤١٦ هـ . / ١٠٢٠ ، ١٠٢٥ م[3] ـ بعد حياة كلها يأس وحرمان ، ولم يظفر منها بغير اسمه الخالد .

---

(١) ش . ع . جـ ٢ ص ٢٧٦ .

(٢) سخن وسخنوران ص ٢٩ وما بعدها .

(٣) هزارهٔ فردوسى ص ٦٤ .

٤ ــ الأسدى الطوسى

هو الحكيم أبو نصر على بن أحمد الأسدى الطوسى من كبار شعراء القرن الخامس وأحد الذين عارضوا شاهنامة الفردوسى . ولد هذا الشاعر فى أواخر القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس الهجرى بخراسان ، ورحل عنها فى شبابه بعد وقوعها فى قبضة السلاجقة ، إلى آذر بايجان واتصل بحكامها ، وقد اختلف فى تاريخ وفاته والراجح أنه توفى سنة ٤٦٥ ه . / ١٠٧٢ .كما ذهب إلى ذلك هدايت .

ومن الآثار الأدبية المنسوبة إليه : معجم فارسى يسمى (لغت فرس) وقصائد فى المناظرة ذكر هدايت منها أربع مناظرات : بين الأرض والسماء ، والمجوسى والمسلم ، والرمح والقوس ، والليل والنهار ، ولكن أهم آثاره دون شك ملحمته (*كر شاسپ نامه) التى جعلت منه أكبر شعراء الملاحم الحماسية بعد الفردوسى ، ويرجح أنه شرع فى نظمها سنة ٤٥٦ ه . / ١٠٦٣ م . وأتمها سنة ٤٥٨ ه . / ١٠٦٥ م

وتدور وقائع هذه الملحمة ــ كما هو واضح من اسمها ــ حول حياة البطل السيستانى « *كرشاسب » وهو الجد الأكبر لرستم بطل أبطال شاهنامة الفردوسى ،

وإذا كان رستم ثمرة لغرام زال وروذابه فإن تورجد *كرشاسپ كان وليد عشق جمشيد لابنة الملك كورنك* وزواجه منها ، وتفصيل ذلك أن جمشيد عندما غلب على أمره وفر أمام الضحاك لجأ إلى كورنك* شاه وعشق ابنته وتزوج منها وأولدها تورا وأعقب تور* هذا : شيد سپ* شاه ، وطورك* ، وشم ، وأثرط ، وكانوا جميعاً ملوك سيستان ، وقد رزق أثرط ولداً أسماه «*كشتاسپ » وهو بطل الملحمة المذكورة .

قام *كشتاسپ بأسفار وحروب فى توران وأفريقية والهند أتى فيها بضروب من البطولات وخوارق العادات ، وصارع التنانين والفهود العظيمة الخلقة والكائنات الخرافية فصرعها جميعاً ، ورأى فى أسفاره من العجائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وبعض وقائع القصة يتعلق بحياة البطل نريمان بن *كرشاسپ ، وهو جد زال بن سام صاحب روذابه وأبى رستم . ويستفاد من سياق هذه المنظومة الحماسية أن الأسدى اعتمد فى نظمها على رواية منثورة أضاف إليها روايات أخرى مسموعة

ومسطورة كما فعل الفردوسى فى الشاهنامة ، ويقال إن الأسدى رجع إلى قصة *كرشاسپ التى كتبها أبو المؤيد البلخى (*كرشاسب نامه أبو المؤيد بلخى) وقد عرفت هذه القصة أيضاً بكتاب *كرشاسپ أو أخبار *كرشاسب ، وأفاد منها صاحب تاريخ سيستان ونقل عنها وضاعت بعد أن نظمها الأسدى كما ضاعت بقية الأصول المنثورة للشاهنامة وغيرها من الملاحم[1] .

٥ ـ الفخر الجرجانى

هو فخر الدين أسعد الجرجانى من كبار شعراء القصة الفارسية وصاحب ويس ورامين التى تحدثنا عنها فى باب الملاحم .

يستدل بعض الناس بأبياته فى تمجيد الخالق وكيفية الخلق ووصف المخلوقات التى قدم بها لمنظومته ، على أنه كان من المعتزلة أو الفلاسفة .

نشأ الجرجانى فى أوائل القرن الخامس الهجرى وبلغ شهرته فى عصر السلطان أبى طالب طغرل بيك بن ميكائيل بن سلجوق (٤٢٩ ـ ٤٥٥ هـ . / ١٠٣٧ ـ ١٠٦٣ م .) . وتحدث عن فتوحه المتوالية وانتصاراته على سلاطين خوارزم وخراسان وطبرستان وجرجان والرى وإصفهان ، وتوجيهه القواد إلى كرمان ومكران والموصل والأهواز وشيراز وأران وبلاد الأرمن ، وهدايا قيصر الروم وملك الشام له وإرسال الخليفة المنشور والخلعة واللواء إليه بإصفهان .

ويستفاد من بعض أشعاره أنه كان مرافقاً لطغرل فى فتح إصفهان ، وبعد خروج السلطان إلى همدان تخلف هو لبعض شأنه بالمدينة واتصلت أسبابه بحاكمها من قبل طغرل بيك ، العميد أبى الفتح المظفر ولازمه حتى سنة ٤٤٣ هـ . / ١٠٥١ م . وفى إحدى جلساته معه دار الحديث حول قصة ويس ورامين فأشار عليه بتجريدها من أثمالها الفهلوية وتجليتها للناس فى ثوب فارسى قشيب ، ففرغ من ذلك قبل وفاة طغرل بيك عام ٤٥٥ هـ . ١٠٦٣ م. وخلدت هذه المنظومة ذكره بين كبار الشعراء .

توفى الجرجانى فى أواخر عهد طغرل أو سنة ٤٥٦ هـ . / ١٠٦٤ م. ولم يؤثر عنه غير هذه القصة سوى بضعة أبيات ذكرها العوفى فى لباب الألباب[2] .

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در إيران جـ ٢ ص ٤٠٣ وما بعدها .

(٢) نفس المصدر ص ٣٧٠ وما بعدها .

٦ — النظامى الـ*كنجوى (١)

الحكيم جمال الدين أبو محمد إلياس بن يوسف بن زكى بن مؤيد النظامى الـ*كنجوى . أحد شعراء الفرس العظام وأركان الشعر الفارسى .

تتفق جمهرة أصحاب التذاكر والسير على أن مولده *كنجه ويصرح هو أيضاً بذلك ، ولم يغادر بلده إلا فى سفرة قصيرة إلى بلدة مجاورة بدعوة من قزل أرسلان ، ولا يعلم بالتحقيق تاريخ ميلاده والراجح من بعض أشعاره أنه ولد حوالى سنة ٥٣٠ هـ . /١١٣٥ م . واختلف فى وفاته اختلافاً كبيراً لا مجال هنا لعرضه تفصيلا ، ويمكن القول بعد استعراض الأقوال المتضاربة وكلها مبنى على الحدس والاستنتاج ، أنه توفى بين أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجرى ، وقد دفن فى *كنجه وبقى قبره بها إلى أواسط العهد القاجارى ثم تخرب وجدد بعد ضم *كنجه إلى الاتحاد السوفييتى .

ترك النظامى غير ما بقى من ديوان شعره الذى نشره وحيد دست*كردى باسم « *كنجينهٔ *كنجوى » خمسة مثنويات قصصية تسمى « پنج *كنج » أى الكنوز الخمسة ، واشتهرت باسم « خمسهٔ نظامى » وهى :

١ — مخزن الأسرار وعدد أبياته ٢٢٦٠ بيتاً فى البحر السريع ، وقد فرغ منه فى حدود سنة ٥٧٠ هـ . / ١١٧٤ م ، . وجعله باسم فخر الدين بهرامشاه داود المتوفى سنة ٦٢٢ هـ . / ١٢٢٥ م . وهو أول مثنوياته .

٢ — خسرو وشيرين : وعدد أبياته ٦٥٠٠ بيت فى بحر الهزج المسدس (المقصور) (٢) وقد أتمه سنة ٥٧٦ هـ . / ١١٨٠ م . وقدمه إلى الأتابك شمس الدين محمد جهان پهلوان إيلد*كز (٥٦٨ — ٥٨٧ هـ . / ١١٧٢ — ١١٩١ م .) ثم أعاد النظر فيه بعد ذلك ، وقد ذكر فى هذه المنظومة بالإضافة إلى الاسم السابق

---

(١) صدر بالعربية كتاب عن هذا الشاعر بعنوان (نظامى الـ*كنجوى شاعر الفضيلة — عصره وبيئته وشعره) الدكتور عبد النعيم محمد حسنين . نشرته مكتبة الخانجى سنة ١٣٧٣ هـ . / ١٩٥٤ م . بالقاهرة .

(٢) مقدمة العلامة وحيد (دست*كردى لديوان « *كنجينه *كنجوى » .

اسم طغرل بن أرسلان السلجوقى (٥٧٣ — ٥٩٠ هـ . / ١١٦٧ — ١١٩٣ م .) وقزل أرسلان بن ايلد *كز (٥٨١ — ٥٨٧ هـ / ١١٨٥ — ١١٩١ م .)

٣ — ليلى ومجنون : نظم هذه القصة عام ٥٨٤ هـ . / ١١٨٨ م . باسم شروانشاه أبى المظفر أخستان بن منوچهر فى أقل من أربعة شهور ، وعدد أبياتها ٤٧٠٠ بيت (فى بحر الهزج المسدس الأخرب المقبوض)[1] .

٤ — بهرا منامه أو هفت پيكر أو هفت *كنبد : أى كتاب بهرام أو الصور السبع أو القباب السبع .

نظم هذا المثنوى سنة ٥٩٣هـ . / ١١٩٦ م . باسم علاء الدين كرپ أرسلان ملك مراغة وعدد أبياته ٥١٣٦ بيتا (فى البحر الخفيف السالم المخبون المقطوع)[2].

٥ — إسكندر نامه وعدد أبياته ١٠٥٠٠ بيت (فى البحر المتقارب المثمن المقصور)[3] وهو قسمان : — يسمى القسم الأول منه شرفنامه والثانى إقبالنامه . وجعل الأول باسم الأتابك الأعظم نصرة الدين أبى بكر بن محمد جهان پهلوان أحد أتابكة آذربايجان ، وقد صدر القسم الثانى منه (إقبالنامه) فى بعض النسخ باسم الملك القاهر عز الدين أبى الفتح مسعود بن نور الدين أرسلان صاحب الموصل (٦٠٧ — ٦١٥ هـ . / ١٢١٠ — ١٢١٨ م .) ثم جاء فى الأبيات التى تلى ذلك ، اسم نصرة الدين أبى بكر بيشكين بن أخى قزل أرسلان الذى ناب عن عمه فى آذربايجان سنة ٥٨٧ هـ . / ١١٩١ م .

ويتناول شرفنامه حياة الإسكندر من مولده إلى فتوحاته وعودته إلى الروم ، ويتحدث إقبالنامه عن علمه وحكمته ونبوته ومجالسه مع الحكماء وخاتمة حياته ونهاية أيام الحكماء الذين جالسهم .

ويقول دولتشاه السمرقندى إن النظامى كان من مريدى الشيخ أخى فرج الزنجانى ، وسواء أصح هذا أم لم يصح ، فإن أشعاره تنم عن مشرب صوفى ، وقد قضى معظم حياته زاهداً معتكفاً بعيداً عن بلاط الملوك والأمراء[4] .

(١ ، ٢ ، ٣) رجعنا فى تحديد هذه الأوزان إلى مقدمة العلامة وحيد دست *كردى لديوان « *كنجينه *كنجوى» صفحات : مز ، مح ، مط . وقد ذكر فى هذه المقدمة نبذ تاريخية عن السلاطين الذين صدرت بأسمائهم هذه المثنويات فى صفحات عح وما بعدها .

(٤) صفا : تاريخ أدبيات در إيران جـ ٢ ص ٧٩٨ وما بعدها .

٧ ـ السنائى الغزنوى

الحكيم أبو المجد مجدود بن آدم السنائى من أكابر شعراء المتصوفة فى القرن السادس وأساتيذ شعراء الفرس ، ولد فى غزنة فى أوائل أو أواسط النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى واتصل بعد اكتمال شاعريته بسلاطين الغزنويين وكبار رجال دولتهم ومدحهم ، ولكنه لم ينل لديهم من الحظ والجاه الدنيوى ما يليق بمقامه وطموحه ، فتولى عنهم وتجرد من أطماعه واستغنى بكنز القناعة ، وعزف عن السير فى ركاب أهل السلطان ، وصرف نفسه عن طلب ما فى أيديهم ، واتجه بكل رجائه وقلبه إلى ربه وقنع بذلك الرزق الذى كان يأتيه عن طريق تعليم الناس وإرشادهم .

قضى السنائى بضع سنوات من شبابه يتنقل فى بلخ وسرخس وهراة ونيشاپور ومرو ، ويقال إنه خرج حاجاً أثناء مقامه فى بلخ ، ولعل مخالطة السنائى للعرفاء وشيوخ التصوف والعلماء ، كانت عاملاً آخر فى تحوله إلى تلك الحياة الروحية ، وعاد الشاعر آخر أمره إلى غزنة سنة ٥١٨ هـ. / ١١٢٤ م . بعد أن سجل ذكريات هذه الرحلة فى أشعاره وعاش ببلده منعزلا فى بيت وهبه إياه الخواجه العميد أحمد ابن مسعود من وجهاء غزنة ، ووفر له حوائجه لمدة عام ليفرغ لجمع أشعاره ، وقد نظم فى هذه الفترة مثنويه المشهور « حديقة الحقيقة » الذى يعرف كذلك باسم « حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة » وهو من المثنويات الصوفية الغنية بالحكايات التمثيلية والمواعظ والحكم ، وقد نظمه فى البحر الخفيف المخبون المقصور وعدد أبياته عشرة آلاف بيت مقسمة على عشرة أبواب ، وقد صدره باسم بهرامشاه الغزنوى ، ويقال إنه بدأه سنة ٥٢٤ وأتمه سنة ٥٢٥ هـ . (١١٢٩ ــ ١١٣٠ م) وهى مدة بالغة القصر لنظم مثل هذا المثنوى الضخم الذى يعد أهم آثاره ، وتوجد منه طبعة جيدة بتصحيح وتقديم « مدرس رضوى » الأستاذ بجامعة طهران .

وللسنائى غير الحديقة مثنويات عرفانية أخرى هى :

١ ــ سير العباد إلى المعاد : وقد نظمه فى سرخس على وزن الحديقة ومدح فيه سيف الدين محمد بن منصور قاضى سرخس وتزيد أبياته على السبعمائة بيت وقد

طبع فى طهران بمقدمة لسعيد نفيسى سنة ١٣١٦ هـ . ش. = ١٣٥٦ هـ . ، ١٩٣٧ م . وفيه تمثيل لخلق الإنسان وأقسام النفوس والعقل وبعض المسائل الأخلاقية .

٢ — طريق التحقيق : وهو مثنوى على وزن الحديقة نظمه سنة ٥٢٨ هـ . / ١١٣٣ م . طبع فى طهران طبعة حجرية ثم طبع فى شيراز مرة أخرى سنة ١٣١٨ هـ . ش = ١٢٥٨ هـ ، ١٩٣٩ م .

٣ — كارنامهٔ بلخ : أى السيرة البلخية ، نظمه على وزن الحديقة فى خمسمائة بيت ، ويبدو أنه أول مثنوياته ويقال له كذلك (مطايبه نامه) أى كتاب الكفاهة لأن مبناه على المزاح ، وقد ذكر فيه اسم الساطان مسعود بن إبرهيم مما يدل على أنه نظمه فى أيامه قبل سنة ٥٠٨ هـ . / ١١١٤ م . وقد طبع لأول مرة بمقدمة لمدرس رضوى فى الجزء الثالث من المجلد الرابع[1] من مجلة (فرهنك* إيران زمين) سنة ١٣٣٤ هـ . ش = ١٣٧٥ هـ . ، ١٩٥٥ م .

٤ — ثلاثة مثنويات أخرى تسمى : عشقنامه ، عقل نامه ، تجربة العلم .

وتسمى هذه المثنويات الثلاثة مع سابقتها : سير العباد ، طريق التحقيق وكارنامهٔ بلخ (ستهٔ سنائى) .

ولا يقل الخلاف فى تاريخ وفاة السنائى عن الخلاف فى تاريخ موت النظامى الـ *كنجوى ، ويتأرجح هذا التاريخ فى مختلف الأقوال بين سنتى ٥٢١ هـ . / ١١٢٦ م. و ٥٩٠ هـ ./ ١١٩٣ م . ويرجح ذبيح الله صفا استناداً إلى تحقيقات «مدرس رضوى» أنه توفى سنة ٥٣٥ هـ./ ١١٤٠م . وما تزال مقبرته فى غزنة مزار العامة والخاصة[2] .

٨ — العطار النيشاپورى

يعرف بفريد الدين العطار ويكنى بأبى طالب وأبى حامد ، واسمه محمد بن « أبى بكر إبرهيم » بن مصطفى بن شعبان[3] .

---

(١) مجلد سوم از دفتر چهارم .

(٢) صفا : تاريخ أدبيات درايران جـ ٢ ص ٥٥٢ وما بعدها .

(٣) برون : تاريخ الأدب فى إيران جـ ٢ ترجمة الدكتور إبرهيم أمين الشواربى .

ولد فى قرية كدكن الواقعة فى رستاق زاده ، أحد رساتيق نيشاپور سنة ٥١٢ هـ./ ١١١٨ م . أو سنة ٥١٣ هـ . / ١١١٩ م . وكان أبوه من كبار عطارى مدينة شادياخ ، فورث عطارته وثروته الواسعة وصار كما يرى بعض الناس منقطع النظير فى الحكمة الإلهية والطبيعية ومتضلعاً فى علوم الطب المعروفة فى زمانه بعد تخرجه فيها على يد أستاذه مجد الدين البغدادى الطبيب الخاص للسلطان محمد خوارزمشاه ، وقد زاول العطارة واشتغل بمداواة الناس فى دكانه فاشتهر بالعطار . ولم يكن لوفرة ثرائه يتقاضى أجراً أو ثمناً للدواء من أكثر مرضاه ، وقد ذكر فى مثنويه (خسرونامه) أنه كان يجس كل يوم نبض خمسمائة شخص فى صيدليته[1] :

(بداروخانه پانصد شخص بودنــد   كه در هر روز نبضم مينمــودند)

* * *

ويقال فى سبب اعتزاله العطارة والتطبيب وزهده فى حطام الدنيا وثرائه العريض ، إن درويشاً مر به ذات يوم فى صيدليته وسأله شيئاً فلم يجبه إليه وألحف الدرويش فى سؤاله فلم يحفل به ، فقال له الدرويش : كيف تريد أن تموت ؟ فأجابه كما تريد أنت ، فقال الدرويش : أتستطيع أنت أن تموت مثلى ؟ قال العطار نعم ، وكان بيد الدرويش وعاء من خشب فوضعه تحت رأسه وقال : يا إلهى ومات لتوه ، فتأثر العطار بهذه الحادثة تأثراً بالغاً وزهد فى حطام الدنيا وترك عطارته نهباً للناس ، وقصد صومعة الشيخ العارف ركن الدين الأكاف وأصبح من مريديه وقضى سنوات فى حلقة الدراويش ثم خرج للحج وزار البيت ، ولا يرى فروغى فى هذه الحكاية أكثر من أسطورة ، لأن العطار كما يقول فى خسرونامه بدأ نظم مثنوييه مصيبت نامه وإلهى نامه فى دكان عطارته :

مصيبت نامه كاندوه جهانست   الهى نامه كاسرار عيــانست
بـــداروخانه كردم هردو آغـــاز   چه گويم زود رستم زين وآن باز

* * *

أى :

كتاب المصيبة وهو الأحزان الدنيوية ، والكتاب الإلهى وهو الأسرار العيانية ، شرعت فى كليهما بالصيدلية ، فما أقول بعد ، لقد فرغت من هذا وذاك سريعاً .

---

(١) هذه العبارة ترجمة للبيت الفارسى بعدها .

وعلى أى حال بلغ العطار بين أهل التصوف منزلة عظمى حتى لنرى جلال الدين الرومى شيخ الطريقة المولوية وصاحب المثنوى المعروف بقرآن الفرس يقول فيه : لقد جاب العطار مدن العشق السبع ونحن ما زلنا فى منعطف حارة .

(هفت شهر عشق را عطار *كشت ما هنوز اندر خم يك كوچه ايم)

* * *

ويقال عن العطار كذلك إنه صحب كثيرين من كبار المشايخ وقرأ أربعمائة كتاب فى التصوف واشتغل بجمع حكايات الصوفية وأهل السلوك ، وآثر العزلة فى آخر أيامه وعكف على التأليف فكتب كثيراً من الكتب المنظومة والمنثورة ، يقول بعض الباحثين إنها مائة وأربعة عشر كتاباً ويذهب بعض آخر إلى أنها مائة وتسعون من بينها أربعون منظومة وبقيتها منثورة .

وللعطار ديوان عدد أبياته أربعون ألف بيت ويبلغ مجموع أشعاره بما فى ذلك المثنويات والقصائد والغزليات ما يربو على المائة ألف بيت ، ومن مثنوياته المشهورة : أسرار نامه ، إلهى نامه ، مصيبت نامه ، جوهر الذات ، وصلت نامه ، سياه نامه ، بلبل نامه ، شترنامه ، مختارنامه ، *كل وهرمز ، *كل وخسرو ، ومنطق الطير . والأخير منها هو ملحمة الطيور التى مر بنا ذكرها وفصلنا الحديث عنها ومثل الهدهد دور البطولة فيها ، وهو أشهر آثار العطار .

وقد ترجم المستشرق الفرنسى « سيلوستردى ساسى » كتابه پندنامه ونشره مع ترجمته الفرنسية .

وينسب إلى العطار أيضاً تأليف : هيلاج نامه ، مظهر العجائب ، لسان الغيب ، مفتاح الفتوح ، محمود وإياز ، ليلى ومجنون ، وإخوان الصفا . غير أن كثيرين يشكون فى صحة نسبتها إليه . ومن مؤلفاته الهامة تذكرة الأولياء فى سير أهل التصوف ، وتروى عن العطار حكايات وكرامات كثيرة لا مجال هنا لذكرها ، وقد عاصر السلطان سنجر السلجوقى والسلطان محمد خوارزمشاه وقتله أحد مغول چنـ*كيزخان فى شادياخ سنة ٦١٨ هـ . / ١٢٢١م . أو سنة ٦٢٧ هـ . / ١٢٢٩ م . ومايزال قبره قائماً فى نيشاپور[١] .

---

(١) مقدمة فروغى لمنطق الطير طبعة إصفهان .

٩ ــ جلال الدين الرومى

يتفق الجميع على أن اسمه محمد ولقبه جلال الدين ، ولقبه بعض مريديه من الصوفية« خداوند *كار » و « مولانا خداوند *كار »و « مولاناءروم » ثم أضيف إلى الكلمة الأولى من لقبه الأخير ياء النسبة بعد تخفيفها فعرف بمولوى واشتهر بهذا اللقب واستغنى به عن سواه .

ولد جلال الدين فى مدينة بلخ لستة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستمائة (١٢٠٧ م .) أما سبب شهرته بالرومى أو « مولاناء روم » فراجع لطول إقامته فى مدينة قونية حيث قضى أكثر عمره ودفن فيها ، ويقول بعض الرواة إنه ينتسب من جهة أبيه إلى أبى بكر الصديق .

واسم أبيه : محمد بن حسين الخطيبى المعروف ببهاء الدين ولد ، وكان جد جلال الدين لأبيه ــ حسين بن أحمد الخطيبى ــ من أفاضل عصره وعلامة زمانه ، ويقال إن جدته لأبيه كانت من الأسرة الخوارزمشاهية .

واضطر أبوه بهاء ولد إلى الهجرة من بلخ لغضب السلطان محمد خوارزمشاه عليه ، وذلك لتعرضه فوق المنبر للحكماء والفلاسفة ودعوته إياهم بالمبتدعة ، فخرج بأسرته قاصداً الحج ، وفى طريقه إلى بغداد مر بنيشاپور ولقى الشيخ فريد الدين العطار ، ويقول دولتشاه إن العطار جاء لزيارته وهو بنيشاپور وأهدى ولده الصغير جلال الدين كتابه أسرار نامه قائلاً : إن ولدك هذا سرعان ما يضرم النار فى المحترقين بالعالم ، وقد روى آخرون هذه الحكاية بصور مختلفة وقالوا : إن جلال الدين كان يحمل دائماً معه هذا الكتاب .

وعندما بلغ بهاء الدين بغداد سعى إليه الشيخ شهاب الدين السهروردى حفيًّا به وقبل ركبتيه ودعاه إلى الخانقاه ، ولكنه آثر النزول بالمدرسة المستنصرية ، وبلغ من إجلال السهروردى له أن خلع حذاءه بيديه ، وفى اليوم الرابع من إقامته ببغداد خرج للحج ، ولما فرغ من مناسكه مر فى عودته بالشام وأقام بها مدة .

ويقول الجامى إن بهاء ولد بعد قضائه فريضة الحج قصد أرزنجان وأقام بها

أربع سنوات كان فيها موضع إجلال أميرها ؛ وقد آثر الهجرة إلى بلاد الروم لبعدها عن غارات المغول ، فنزل فى لارندة ، ولكن ملكها علاء الدين كيقباد السلجوقى استدعاه إلى قونية ، وخرج بنفسه لاستقباله يوم وصوله إليها و بالغ فى إكرامه وعرض عليه النزول فى الـ « طشتخانه »[1] ولكنه اعتذر ونزل فى مدرسة « تونبه » .

و يستفاد من رواية « ولدنامه » أن بهاء ولد عند نزوحه إلى الروم قصد قونية رأساً دون دعوة من أحد وأقام بها مدة لا يعلم السلطان من أمره شيئاً ، فلما ذاع فضله وعلمه جاء إليه السلطان فى جمع من أمراء قونية واستمع لعظاته وتأثر بها فأصبح من مريديه . ولم يؤثر عن بهاء ولد غير كتاب واحد هو كتاب المعارف أو « معارف بهاء ولد » ويشتمل على مجالسه وعظاته ، وكان لهذا الكتاب أثر بالغ فى حياة ولده جلال الدين .

ويقول أحمد الأفلاكى إن بهاء ولد توفى بعد عشر سنوات من نزوله قونية صبيحة يوم الجمعة فى الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وستمائة (١٢٣٠ م .) ويذهب دولتشاه إلى أنه توفى سنة ٦٣١ هـ ./ ١٢٣٣ م . والخلاف بينهما هين ميسور ويميل الأستاذ فروزانفر إلى ترجيح رواية الأفلاكى بأدلة لا يتسع المقام لذكرها .

كان جلال الدين حين مات أبوه فى الرابعة والعشرين من عمره ، فقام مقامه فى الفتوى والوعظ والتذكير ، ثم رحل بعد سنتين من وفاته إلى حلب وتزود بحظ وافر من علوم التنزيل والتأويل ، وقصد بعد ذلك دمشق ، فأقام بها أربع سنوات ، قرأ خلالها كتاب هداية الفقه ، وبعد سبعة أعوام من مقامه فى بلاد الشام بحلب ودمشق ، عاد إلى قونية واشتغل بالفتوى والتدريس فخلب عقول الناس بزهده ورياضته وعلمه ودعوه إمام الدين وعماد الشريعة ، وإذا به يتحول فجأة عن محجة العلماء إلى طريقة العرفاء على يد رجل غريب الأطوار يقال له شمس الدين التبريزى ، فانقطع عن أصحابه ودخل فى زمرة أهل التصوف ولم يبال فى ذلك لومة لائم ، فثار

---

(١) الطشتخاناه : بيت تكون فيه آلة الغسل والوضوء وقماش السلطان البياض الذى لا بد له من الغسل ، وآلة الحمام وآلات الوقود . نقلا عن نهاية الأرب طبعة مصر الجزء الثامن ص ٢٢٥ .

الناس على شمس الدين واتهموه بالسحر فرحل إلى دمشق ، ولكن تلميذه ومريده لم يقو على فراقه فبعث إليه بأشعار يستعطفه فيها ويعتذر إليه عما صدر من أصحابه فى حقه ، وتقول بعض الروايات إن جلال الدين بعث إلى شيخه بولده سلطان ولد فى نفر من رفاقه ، ليعتذر إليه عن جهل أصحاب أبيه وثورتهم عليه ، فرجع إلى قونية سنة ٦٤٤ هـ ./ ١٢٤٦ م . وزادت العلائق بين الشيخ ومريده قوة ، واستبدل جلال الدين مسوح الصوفية بكسوة العلماء ، وعكف على الرقص والسماع واتخذ ربابا ذات ستة أوتار ، فثار العامة مرة أخرى واتهموه بالخروج على الدين ودعوه مجنوناً وزعموا شيخه ساحراً ، وزاد فى ثورة الناس عدم تقيد شمس الدين التبريزى بظاهر الشريعة ومجاهرته بأقوال مخالفة لعقائد أهلها ، فرموه بالكفر ، فاختفى ولم يوقف له على أثر ؛ وتذهب بعض الروايات إلى أن نفراً تربصوا به وطعنوه بسكين فصاح صيحة عظيمة أفقدتهم وعيهم ، فلما أفاقوا لم يجدوا غير قطرات من الدماء ، وكثرت حول مصيره الأراجيف والشائعات .

أثرت هذه الحادثة فى نفس جلال الدين تأثيراً كبيراً وأحزنته ، وخرج إلى دمشق مرتين يتتبع الشائعات بحثاً عن شيخه فلم يظفر بعد طول البحث بطائل وعاد فى كل مرة إلى قونية حزيناً يمزق قلبه اليأس ، وبعد أن هدأت نفسه كرس همته لنشر المعارف الإلهية مستعيناً بخواص مريديه مثل صلاح الدين زركوب القونوى ، وحسام الدين حسن چلبى ، وكان حسام الدين آثر أصحابه وأعمقهم أثراً فى حياته وقد ألهمته صحبته نظم المثنوى الذى خلد ذكره ، فأكثر فيه من ترديد اسمه وقال عنه فى مقدمته : (مفتاح خزائن العرش ، وأمين كنوز الفرش ، وبا يزيد الوقت ، وجنيد الزمان) .

توفى جلال الدين الرومى متأثراً بالحمى يوم الأحد فى الخامس من جمادى الآخرة سنة ٣٧٢ هـ . / ١٢٧٣ م . وقد ترك آثاراً منظومة ومنثورة : وآثاره المنظومة هى :

١ ــ غزليات شمش تبريزى ، التى خلد فيها ذكر شيخه شمس الدين وتعرف بديوان شمس تبريزى ، وتزيد أبيات هذا الديوان على خمسة آلاف بيت ، ومن بينها غزليات باسم صاحبيه صلاح الدين وحسام الدن وقد طبع هذا الديوان أخيراً

طبعتين جيدتين ، إحداهما «غزليات ديوان شمس» بمقدمة جلال همائى ، والأخرى «كليات شمس» من مطبوعات جامعة طهران بتصحيح وحواشى بديع الزمان فروزانفر .

٢ — المثنوى المعروف باسم « مثنوى مولوى » وقد اقترح تلميذه حسام الدين عليه نظمه فشرع فيه سنة ٦٥٩ هـ . / ١٢٦٠ م . وفرغ منه سنة ٦٦٦ هـ . / ١٢٦٧ م . ويقع فى ستة أجزاء ، وقد ألحق ببعض النسخ جزء سابع لم تصح نسبته إليه ، والمثنوى فوق تضمنه لكثير من الإشارات إلى الأحاديث والآيات ملىء بالحكايات والتمثيليات ، وأجود نسخه المطبوعة فى إيران « طبعة بروخيم » .

٣ — رباعيات يبلغ عددها ١٦٥٩ رباعية ، وقد طبعت فى إسلامبول سنة ١٣١٢ هـ . / ١٨٩٤ م . ويُشك فى صحة نسبة بعضها إليه .

أما آثاره المنثورة فهى :

١ — كتاب « فيه ما فيه » وهو عبارة عن تقريراته التى ألقاها فى مجالسه ودونها ابنه سلطان ولد أو أحد مريديه ، وأكثر فصوله إجابات عن أسئلة وجهت إليه فى مناسبات مختلفة ، ولا يوجد بينها ارتباط ، ويخاطب فى قسم منه معين الدين سليمان پروانه ، وقد طبع فى طهران سنة ١٣٣٣ هـ . ش . = ١٣٧٤ هـ . ، ١٩٥٤ م .

٢ — مكاتيب : أى رسائل جلال الدين إلى معاصريه ، ويوجد منها نسختان فى مكتبة دار الفنون بإسلامبول .

٣ — مجالس سبعه : وهو عبارة عن مجموعة من مواعظه ومجالسه ، وتوجد منه نسخة خطية «بمكتبة سليم آقا» فى اسكدار ، وتاريخ نسخها ٧٨٨ هـ . / ١٣٨٦ م . وطبع منها ثلاثة أجزاء بطهران[1] .

١٠ — السعدى الشيرازى[1]

اختلف أصحاب التذاكر وكتاب السير فى اسم هذا الشاعر الكبير ولقبه ، فهو عند حمد الله المستوفى فى تاريخ *گزيده ، مشرف الدين مصلح الشيرازى ، وعند

---

(١) فروز انفر : زند *گانى مولانا جلال الدين مشهور بمولوى .

(٢) صدر بالعربية كتاب عن هذا الشاعر عنوانه (سعدى الشيرازى شاعر الإنسانية . عصره . حياته . ديوانه البوستان) للدكتور محمد موسى هنداوى نشره الخانجى سنة ١٩٥١ م . / ١٣٧١ هـ .

الجامى فى نفحات الأنس ، مشرف الدين مصلح بن عبد الله ، ويقول دولتشاه فى تذكرته : إن اسمه سعد الدين ولقبه الشيخ مصلح ، وجاء فى نسخة خطية قديمة لـ*كلستان هذه العبارة : –(كتاب *كلستان فى النوادر والأمثال والشعر والحكايات، أنشأه العبد الفقير المحتاج إلى رحمة ربه أبو عبد الله مشرف بن مصلح السعدى الفارسى) . وعن هذه النسخة نشر الأستاذ عبد العظيم قريب هذا الكتاب وقدم له بمقدمة ضافية .

ولكن تخلصه أو اسمه الأدبى بالإجماع هو السعدى الشيرازى نسبة إلى سعد ابن أبى بكر أو سعد بن ز*كى من أتابكة فارس، ومولده شيراز ويلقب كذلك بالشيخ ، فإذا ذكر هذا اللقب على إطلاقه انصرف ذهن مواطنيه إليه دون سواه .

وقد اختلف فى ميلاده ومولده كذلك، فقيل إنه ولد سنة ٥٨٠ هـ./ ١١٨٤ م .

وذهب الأستاذ عبد العظيم قريب إلى أنه ولد بين سنتى ٦٠٠ ، ٦٠٦ هـ . (١٢٠٣ ، ١٢٠٩ م .) ويقول فريق إنه من كازرون ، ولكن الشاعر نفسه يصرح بأنه من شيراز :

١ – هر متاعى ز معدنى خيزد شكر از مصر وسعدى از شيراز

كل متاع ينشأ من معدن ، السكر من مصر والسعدى من شيراز .

٢ – *كوش برنالهٔ مطرب كن وبلبل *بكذار

كه ز*كويد سخن از سعدى شيرازى به

استمع إلى صوت المطرب ودع البلبل ، فإنه لا يقول أحسن مما يقول السعدى الشيرازى .

* * *

وأكثر ما يقال عن حياة السعدى حدس واستنتاج يعتمد فيه أصحابه على حكايات «*كلستان وبوستان»، وأكثرها من باب التمثيل أتى بها الشاعر لأغراض بلاغية وأدبية وتهذيبية ، ولا يحملها على الواقع دون حيطة إلا من خدع بظاهر القول .

وقصارى ما يمكن استخلاصه من بعض أشعاره وروايات أصحاب التذاكر

— بعد تمحيصها وإهمال أكثر ما جاء فيها — هو أن شاعرنا نشأ فى أسرة من رجال الدين :

همه قبيلهٔ من عالمان دين بودند مرا معلم عشق تو شاعرى آموخت

كان كل قومى من علماء الدين ، وقد علمنى معلم عشقك قول الشعر .

وتوفى عنه أبوه فى طفولته :

مرا باشد از درد طفلان خبر كه در طفلى ازسر برفتم پدر

إنى خبير بآلام الأطفال ، لأن أبى مضى عنى فى طفولتى .

* * *

فكفله جده لأمه مولانا مسعود الكازرونى ، وتلقى علومه الأولية بشيراز ثم رحل عنها إلى بغداد لإتمام دراسته بالمدرسة النظامية ، وخرج من بغداد إلى إصفهان فى فتنة المغول ، ثم كانت هزيمة الأتابك سعد أمام غياث الدين خوارزمشاه سنة ٦٢٣ هـ . / ١٢٢٦ م . فأحزنه اضطراب الأوضاع فى ولاية فارس ، وغادرها فى رحلة طويلة جاب فيها أكثر بلاد الشرق الأوسط والأدنى ، وعاد بعد ثلاثين سنة إلى شيراز عام ٦٥٣ هـ . / ١٢٥٦ م . حيث قضى بقية حياته ودفن بها فى مزار فخم جددت عمارته فى هذه السنوات الأخيرة وأقيم له تمثال من المرمر فى شيراز ، وكانت وفاته بين سنتى ٦٩٠ هـ . / ١٢٩١ م . و ٦٩٤ هـ . / ١٢٩٤ م .

ويقسم نفر حياته بعد دور الطفولة أثلاثا بالسوية كل منها ثلاثون سنة ، قضى الأول منها فى طلب العلم والثانى فى السياحة والثالث فى التأليف والعبادة ، وهو فوق منزلته الأدبية الكبرى كشاعر عظيم يعد كذلك من كبار المعلمين والمرشدين وشيوخ المتصوفة ويروى عنه كثير من الكرامات وقد أغنى الأدب الفارسى بتراث أدبى ضخم ، ولكن أشهر آثاره وأكثرها تداولاً كتاباه «بوستان *وكلستان» وقد سبق الحديث عنهما فى كتب الحكايات .

وله كذلك ست رسائل نثرية وقصائد فارسية وعربية وملمعات وترجيعات وأشعار تعرف بالطيبات والبدائع والخواتيم والغزليات القديمة والصاحبية والخبيثات والهزليات ، ومقطعات شعرية ورباعيات ومفردات ؛ وقد جمعت كلها مع كتابيه بوستان وكلستان فى ديوان واحد يعرف بالكليات ، توجد منه فى إيران عدة طبعات أجودها طبعة بروخيم .

وقد جمع هذه الكليات ورتبها وبوبها سنة ٧٢٦ هـ. / ١٣٢٥ م . على بن أحمد بن أبي بكر الشهير بـ (بيستون) ثم عاد فنظمها وبوبها من جديد سنة ٧٣٤ هـ . / ١٣٣٣ م[١] .

١١ ــ الجامى

هو نور الدين عبد الرحمن الجامى أكبر شعراء الفارسية فى القرن التاسع الهجرى وخاتم شعرائها العظام .

عاش الجامى فى ذلك القرن بهراة ، وكان يتقاسم حكم إيران وقتئذ أسرتان : السلاطين التيموريون فى المشرق وحاضرتهم سمرقند وهراة ، والتركمان فى المغرب والجنوب وعاصمتهم تبريز .

وقد عاصر الشاعر من سلاطين آل تيمور : شاهرخ (٨١٧ ــ ٨٥٠ هـ . = ١٤١٤ ــ ١٤٤٦ م .) وميرزا أبا القاسم بابر (٨٥٦ ــ ٨٦١ هـ = ١٤٥٢ ــ ١٤٥٦ م .) وميرزا أباسعيد *كوركان (٨٦١ ــ ٨٧٣ هـ. = ١٦٥٦ ــ ١٤٦٨م .) والسلطان حسين بايقرا (٨٧٥ ــ ٨٩٩ هـ. = ١٤٧٠ ــ ١٤٩٣ م .) .

وكان يسود البلاد فى تلك الحقبة من تاريخها أمن واستقرار يشوبهما من آن لآخر فترات قصيرة من الفتن والاضطرابات ، فساعد ذلك على رواج العلوم الدينية والمذهبية والعقلية ، وانتشرت العقائد الصوفية ، وبالغ تيمور فى احترام شيوخ التصوف ورجال الخانقاهات ، فكان يذهب إليهم للتبرك بهم ويزور أضرحتهم ، (ولد الجامى فى بلدة جام الصغيرة بخراسان فى الثالث والعشرين من شعبان سنة ٨١٧ هـ . / نوفمبر سنة ١٤١٤م .)[٢] وتلقى معارفه الأولى فى هراة وسمرقند ، وتخرج فى شبابه على يد كبار المتصوفة ، وأصبح من مريدى مولانا سعد الدين الكاشغرى ، المتوفى سنة ٨٦٠ هـ. / ١٤٥٥م . ، وبلغ لديه منزلة عظيمة فأصبح من أخصائه الأدنين ونال شرف مصاهرته ، واتصلت أسبابه من بعده بالخواجه

(١) مقدمة عبد العظيم قريب لـ *كلستان .

(٢) برون : از سعدى تاجامى ، ترجمة على أصغر حكمت ص ٥٦٢ .

ناصر الدين عبيد الله الملقب بخواجهٔ أحرار أى سيد الأحرار ، وأصبح هو كذلك فيما بعد من كبار شيوخ هذه الطريقة .

وقد توفى الجامى فى السابع عشر من المحرم سنة ٨٩٨ هـ. / ١٤٩٢ م . ودفن بهراة ، وكان غزير الفضل كثير التأليف ، ترك خمسة وأربعين مؤلفاً بين منظوم ومنثور بيانها فيما يلى :

١ — تفسير جزء من القرآن . ٢ — شواهد النبوة . ٣ — أشعة اللمعات . ٤ — شرح فصوص الحكم . ٥ — لوامع . ٦ — شرح بعضى أبيات تائيهٔ فارضيه. ٧ — شرح رباعيات . ٨ — لوائح . ٩ — شرح بيتّى چند از مثنوى مولوى . ١٠ — شرح حديث أبى ذر غفارى . ١١ — رسالة فى الوجود . ١٢ — ترجمهٔ أربعين حديث . ١٣ — رسالة لا إله إلا الله . ١٤ — مناقب خواجه عبد الله انصارى . ١٥ — رسالهٔ تحقيق مذهب صوفى ومتكلم وحكيم . ١٦ — رسالهٔ سؤال وجواب هندوستان . ١٧ — رسالهٔ مناسك حج . ١٨ — سلسلة الذهب . ١٩ — سلامان وابسال . ٢٠ تحفة الأحرار . ٢١ — سبحة الأبرار . ٢٢ — يوسف وزليخا . ٢٣ — ليلى ومجنون[1] . ٢٤ — خردنامهٔ اسكندرى . ٢٥ — رسالة درقافيه . ٢٦ — ديوان أول . ٢٧ — ديوان ثانى . ٢٨ — ديوان ثالث . ٢٩ — رسالهٔ منظومه . ٣٠ — بهارستان . ٣١ — رسالهٔ كبير درمعما . ٣٢ — رسالهٔ متوسط . ٣٣ — رسالهٔ صغير . ٣٤ — رسالهٔ أصغر درمعما . ٣٥ — رسالهٔ عروض . ٣٦ — رسالهٔ موسيقى . ٣٧ — منشآت . ٣٨ — فوائد الضيائيه فى شرح الكافيه . ٣٩ — شرح بعضى از مفتاح الغيب منظوم ومنثور . ٤٠ — نقد النصوص . ٤١ — نفحات الأنس . ٤٢ — رسالهٔ طريق صوفيان . ٤٣ — شرح بيت خسرو دهلوى . ٤٤ — مناقب مولوى . ٤٥ — سخنان خواجهٔ پارسا[2] .

---

(١) صدر بالعربية عن هذا المثنوى كتابان : أولها بعنوان (ليلى والمجنون فى الأدبين العربى والفارسى) والثانى بعنوان (ليلى والمجنون أو الحب الصوفى) وكلاهما للدكتور محمد غنيمى هلال . ونشرتهما مكتبة الأنجلو المصرية . سنة ٤ ١٩ م . بالقاهره

(٢) على أصغر حكمت : جامى .

وقد اشتغل الجامى فى أخريات أيامه بجمع وتبويب ما نظمه من الشعر فى كل حقبة من حياته على حدة وأخرج أشعاره هذه فى ثلاثة دواوين :

(ديوان أول ، ديوان ثانى ، ديوان ثالث) فرغ من جمع أولها فى سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م . وسماه فاتحة الشباب ، وثانيها سنة ٨٩٤ هـ . / ١٤٨٨ م . وأسماه . واسطة العقد وثالثها سنة ٨٩٦ هـ . / ١٤٩٠ م . ودعاه خاتمة الحياة .

وتعرف مثنوياته السبعة : — سلسلة الذهب ، وسلامان وأبسال ، وتحفة الأحرار ، وسبحة الأبرار ، ويوسف وزليخا ، وليلى ومجنون ، وخردنامهٔ اسكندرى ؛ بالسبعة أو هفت‌اورنك * أى العروش السبعة ، وتطلق هذه التسمية كذلك على سبع من الثوابت تعرف بالدب الأكبر [1] .

والواقع أن هذه المثنويات السبعة ودواين شعره الثلاثة هى خير ما أثر عنه وبها أخذ مكانه بين شعراء الفرس العظام .

* * *

هؤلاء الشعراء الأحد عشر هم أعلام القصة الفارسية وبناة صرحها ، وقد عرضنا لهم عرضاً سريعاً — دون خوض فى تحقيقات لا طائل تحتها — تتمة للبحث ، ولم نقصد فى هذه العجالة إلى غير التعريف بهم والتنويه بآثارهم فى أوجز عبارة معتمدين فى ذلك على أوثق المصادر وأحدث ما كتب عنهم من البحوث .

---

(١) برون : از سعدى تاجامى . ترجمة على اصغر حكمت ص ٥٧٥ وما بعدها .

تم طبع هذا الكتاب بالقاهرة
على مطابع دار المعارف
سنة ١٩٦٣

تم طبع هذا الكتاب بالقاهرة
على مطابع دار المعارف
سنة ١٩٦٤

القصة فى الأدب الفارسى

القصة فى الأدب الفارسى، دراسة علمية منهجية للقصة الفارسية القومية فى صورتيها الأدبية الرفيعة والشعبية الدارجة منذ فجر ظهورها حتى مطلع عصر التجديد والاقتباس من الغرب فى إيران ، وقد مهد للبحث بعرض عام للأدب الفارسى فى عصوره المختلفة ومكان القصة من هذا الأدب فى كل عصر ، ثم بدئت الدراسة بموازنة بين القصة الفارسية والقصة المعاصرة من حيث الشكل والموضوع والهدف والمقومات الفنية وعمل القاص فى كل منهما ، وبعد الانتهاء من دراسة الأنواع المختلفة للقصص الفارسى ذيل الكتاب بفصل فى المؤثرات الخارجية فى هذا القصص وترجمة لأعلامه ، وقد عنى فى أثناء البحث بإبراز الجوانب الحضارية المنعكسة فى ملاحم الفرس ، والكتاب خلاصة دراسة جادة متواصلة استغرقت عشر سنوات ويضيف إلى المكتبة العربية كسباً أدبياً جديداً .

مكتبة الدراسات الأدبية

● صدر منها :

١ – مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية
٢ – شعراء الرابطة القلمية
٣ – شوقى شاعر العصر الحديث
٤ – الأدب العربى المعاصر فى مصر
٥ – فارس بنى حمدان
٦ – ألف ليلة وليلة
٧ – خليل مطران شاعر الأقطار العربية
٨ – الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى
٩ – منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن
١٠ – التطور والتجديد فى الشعر الأموى
١١ – دراسات فى الشعر العربى المعاصر
١٢ – شوقى وشعره الإسلامى
١٣ – حافظ إبراهيم شاعر النيل
١٤ – أدب المهجر
١٥ – الأدب العربى المعاصر فى سورية
١٦ – الأدب اليونانى القديم
١٧ – النابغة الذبيانى
١٨ – ابن دقيق العيد
١٩ – الفن ومذاهبه فى النثر العربى
٢٠ – الفن ومذاهبه فى الشعر العربى
٢١ – الأمير شكيب أرسلان : حياته وآثاره
٢٢ – فى الأدب الأندلسى
٢٣ – شعر الحرب فى أدب العرب
٢٤ – الغفران
٢٥ – التفسير البيانى للقرآن الكريم
٢٦ – فى النقد الأدبى
٢٧ – النيل فى الأدب المصرى
٢٨ – الجاحظ – حياته وآثاره
٢٩ – اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى
٣٠ – الخطابة العربية فى عصرها الذهبى
٣١ – ابن نباتة المصرى – أمير شعراء المشرق
٣٢ – تطور الرواية العربية الحديثة
٣٣ – القصة فى الأدب الفارسى



٩٠٠ م

٩٠٠